"الذين يقرأون هذا الكتاب، ربما لن يجرؤوا على المخاطرة بركوب أية طائرة مُجدداً".

"الأوبزرفر"

الثلاثة

سارة لوتز

ترجمة: محمد عثمان خليفة

العربي للنشر والتوزيع

روايات مترجمة

ساحر الكتب

«الثـلاثـة».. ما قصة هذا العمل؟

تعرفت لأول مرة على كتاب "الثلاثة" في معرض الشارقة نوفمبر 2013، ورغم أن تاريخ صدور الكتاب كان مايو 2014 إلا أن الكتاب كانت قد بيعت حقوق ترجمته إلى 16 لغة حتى ذلك الوقت. فكان هذا مدخلًا لترجمته إلى العربية.

وبعد ذلك تم تحويل قصته إلى عمل سينمائي، وعند صدور الرواية، حققت نجاحًا منقطع النظير؛ فكانت على قمة اختيارات القراءة على أشهر موقع للقراءة في العالم "**goodreads**".

"الثلاثة" هي رواية الكاتبة الإنجليزية "سارة لوتز" الأولى التي كتبتها وحدها بدون مشاركة من أحد، ففي السابق اعتادت "سارة لوتز" كتابة أدب الرعب تحت اسم مستعار هو "إس. إل. جراي"، كانت تكتب بالمشاركة مع "لويس جرينبيرج"، ومع ابنتها التي تكتب أيضًا تحت اسم مستعار هو "ليلي هيرن".

نالت "سارة لوتز" بعد نشر "الثلاثة" الكثير من النقد الإيجابي عنها وعن روايتها، حيث تم تشبيهها باليد التي تخرج من الظلام لتجذبك إلى عالمها الذى ستخرج منه وأنت تلهث من فرط الانفعال. أمّا عن روايتها، ففور صدورها، تم

الإشادة بها وبكاتبتها التي أصبحت علامة مميزة ورئيسية في الحركة الأدبية بجنوب أفريقيا. كما قامت دار النشر الإنجليزية "هودر وستاوتون" Hodder & Stoughton ببيع حقوق ترجمة الرواية إلى ما يقرب من 21 لغة، من أهمها، العربية (بين يديك الآن)، والبرتغالية، والبلغارية، والصينية، والتشيكية، والفنلندية، والفرنسية، والألمانية، والإيطالية، واليابانية، والروسية، والتركية.... وفي المملكة المتحدة وحدها بيع ما يقارب 30.000 نسخة.

نشرت العديد من الصحف آراء النقاد في رواية "الثلاثة"، حيث أشاد به الكثيرون، مثل كاتب الرعب الشهير "ستيفن كينج" الذى قال إن رواية "الثلاثة" رائعة، وإنها مزيج من "مايكل كريشتون وشيرلي جاكسون"، وختم قوله بأنه ما إن بدأ في قراءتها لم يستطع تركها حتى أنهاها تمامًا. كما علقت الـ"جارديان" على رأي "ستيفن كينج" مؤكدة على فكرة أن "الأستاذ" بنفسه أُعجِب بالرواية وأن هذا تأكيد لا يقبل الشك على أن "الثلاثة" هي بالتأكيد واحدة من أفضل قصص الرعب، وأضافت الجريدة أن مفهوم الإثارة بهذه الرواية كالانفجار. وأضافت الـ"إندبيندنت" أنها رواية تستحق جمهورًا عريضًا، فهي تدفع القارئ للتفكير وتشغيل مخه، فـ"لوتز" قامت بتحريك الأحداث بغموض وبالكثير من لحظات الرعب الذي يوقف القلب، "... هذه رواية واثقة،

وثابتة، ومحفزة للتفكير..."، أمّا الـ"دايلي ميل" فقالت إن رواية الرعب هذه تقف على حبل رفيع للغاية يفصل ما بين الفانتازيا والرعب.

إنها رواية كُتبت بأسلوب جديد ومختلف عن المتداول في هذا المجال الإبداعي؛ يعتمد على المقابلات الشخصية والصحفية مع شهود العيان، ومجموعة من شهادات الرواة، وتفريغ للعديد من التسجيلات، والمدونات والرسائل الإلكترونية (التشات)، والسير الذاتية التي لم تنته، بالإضافة إلى التعليقات ومقالات الصحف والمجلات وكل وسائل الاتصال الحديثة لتحصيل المعلومات وتوظيفها دراميًا بمهارة تربط ما بين الرعب وأمراض البارانويا؛ بحيث تورط الكاتبة القاريء فيما تحكيه، وتُدخله في عالم من الرواة غير الموثوق فيهم.

وفي ترجمتنا العربية، تعمدنا صياغة الحوار الذي يدور بين العديد من الشخصيات باللغة العامية المتداولة في الحياة اليومية، في المواقع التي تحتاج ذلك من الرواية، وحسب السياق الدرامي والذي يعطي مصداقية لحقيقة وهوية الشخصية وبنيانها الفني والحياتي معًا.. وحتى يشعر القاريء بمدى مصداقية حالة النص الذي بين يديه والذي سوف يستغرق منه زمنًا في القراءة..

إننا نحاول تقديم ترجمة أمينة وكاملة لنص مركب وطويل في إطار لا يعزل المتلقي عن الواقع المعيش.. واقع الحدث والروايات المتعددة والأقاويل والتصورات المتضاربة حوله من جميع الزوايا التي أجادت الكاتبة - باقتدار - حبكها وصياغتها وبنائها الفني والجمالي.

الناشر

بداية الأحداث

هيا.. هيا.. هيا...

تُحدِّق "باميلا" في نور حزام المقعد. تتمنى لو أمكنها أن تطفئه بتلك النظرات. تعرف أنها لن تستطيع أن تتحكم في نفسها أكثر من ذلك، وتكاد تسمع في مخيلتها صوت "جيم" وهو يُعنِّفها لعدم ذهابها إلى دورة المياه قبل أن تستقل الطائرة:

- هل نسيتِ، "باميلا"، أن مثانتك ضعيفة.. أين ذهب عقلك؟!

غير أنها لم تجرؤ على الذهاب إلى أحد تلك الحمَّامات التي في المطار. ماذا لو وجدت نفسها وجهاً لوجه أمام "تواليت" من تلك التي اختاروا لها تصميمات من الخيال العلمي، كالتي قرأت عنها في ذلك الدليل السياحي. وقفت حائرة تبحث عن زر السيفون. ماذا لو أنها أغلقت على نفسها باب دورة المياه، ثم عجزت عن فتحه، لتفوتها الطائرة. وهي التي حتى لم تفكر في اقتراح "جواني" عليها أن تمضي بضعة أيام تتعرف خلالها على المدينة قبل أن تبدأ رحلتها الداخلية إلى أوساكا! إن مجرد تخيل نفسها وحدها في شوارع طوكيو غريبة الأطوار يبث داخلها القشعريرة حتى هذه اللحظة –

ألا يكفيها توهانها في المطار. لقد خرجت من رحلة طائرة "فورت وورث" مهزوزة الروح، منهكة الجسد، وكأنها عملاق بليد. وهي تمشي متثاقلة باتجاه الصالة رقم 2 ومنها إلى الرحلة الأخرى. الكل من حولها يعرف طريقه ويعرف ما عليه القيام به بكل ثقة؛ أجساد صغيرة مدكوكة تمرق إلى جوارها، تتأرجح الحقائب بأيديها. أغلبهم يُخفي عيونه وراء نظارات الشمس. زاد إحساسها ببدانتها وهي تحتال لتمرق بين المقاعد بسلاسة داخل الطائرة، فتكون محل نظرات بقية الركاب، والتي تسقط على وجهها فيصطبغ بحمرة الحرج.

كانت قد شكرت ربها على وجود الكثير من الأمريكان على متن الرحلة التي نقلتها إلى طوكيو (كان بها صبي لطيف جالس جوارها تَكرَّم وعَلَّمها كيفية تشغيل نظام الفيديو)، ولكنها تدرك أن هذه الرحلة تخلو منهم... ما هي الكلمة التي يصفونهم بها دائماً في حلقات المسلسل البوليسي الذي يتابعه "جيم"؟ (القوقازيون)، أجل.. (القوقازيون). كما أن المقاعد هنا أصغر بكثير؛ لقد كَدَّست جسدها في مقعدها وكأنها بولوبيف معلب. وجدت عزاءً في تلك المساحة الفارغة بينها وبين شاب يبدو على طراز رجال الأعمال يجلس إلى المقعد المحاذي للممر – هكذا لن تقلق على احتمال أن تعطيه كتف بغتةً ومن دون قصد. ولكن المؤكد أنه سيعاني في كل مرة تنهض فيها وتقرر الذهاب محصورة إلى الحمَّام. و.. يا

رباه! لقد راح في النوم من بداية الرحلة، أي أن التعس لن يهنأ بأي نوم أيضاً.

***

الطائرة لا تزال في مرحلة الصعود إلى قلب السماء، ولا تزال العلامة مضيئة. رمقت الظلام خارج النافذة، وشاهدت المصباح الوامض على جناح الطائرة من بين السحاب، فقبضت على مسندي مقعدها، واندمج اضطراب أحشاء الطائرة باضطراب معدتها.

كان "جيم" محقاً. إنها لم تبلغ مقصدها بعد، ومع هذا تكاد تنهار من طول السفر. لقد حذَّرها من أنها لن تتحمل تلك الرحلات الطويلة الشاقة، وحاول إقناعها بأن الموضوع كله فاشل من الأساس:

- يمكن لجواني أن تأتينا في أي وقت تشاء، "بام"، فما الداعي إلى أن تسافري نصف العالم لتلتقيها؟ بل ما الداعي أصلاً أن تقرر هي أن تكون معلمة لهؤلاء الآسيويين؟ أنعاني نقصاً في الأطفال الأمريكيين؟ كما أنكِ، "بام"، لا تحبي الأكل الصيني، فما هو موقفك وأنتِ جالسة أمام لحم دولفين نيء أو أيّاً كان الهراء الذي يأكلونه في تلك البلاد؟

ولكنها كانت عازمة مصممة، وصمدت أمام رفضه، بل

تظن أنه لم يكن يتوقع منها هذا الصمود. كانت "جواني" قد فارقتهم منذ عامين، فلم تتحمل "باميلا" تلك الوحشة والغياب، ولما رأت صور أوساكا عبر الإنترنت لم تجدها مختلفة كثيراً عن أية مدينة أمريكية؛ ناطحات السحاب نفسها. نبهتها "جواني" إلى أنها سوف تشعر بربكة ثقافية في البداية، وحذّرتها من أن اليابان ليست مجرد زهور كرز متفتحة وفتيات جيشا تبتسم في حياء من وراء مراوح ورقية، ولكن "باميلا" شافت أن بوسعها التأقلم مع كل هذا. وأقنعها تهورها أنها مغامرة ممتعة ستفتخر بنقل تفاصيلها إلى "ريبا" لسنوات.

***

أخيراً.. استقرت الطائرة على مسارها وتبدد ضوء لمبة الحزام. دبت الحركة داخلها، بينما بضعة ركاب يغادرون مقاعدهم متجهين ناحية مقصورة كل جزء من أجزاء الطائرة. فكّت الحزام وهي تدعو ربها ألا تضطر للوقوف في طابور عند الحمّام، وراوغت بجسدها جسد الشاب الجالس بجوارها، في اللحظة نفسها التي صم الآذان فيها صوت مدوٍ ارتجت له الطائرة. كان أول ما خطر لباميلا هو أنه صوت شكمان معطوب، ولكنها تذكرت أن الطائرات لا تستخدم الشكمانات. صرخت - برد فعل متأخر فيه غباء. طمأنت

نفسها؛ قد يكون هزيم الرعد، ربما. بلى، إنه هو. يقول الدليل السياحي إن الأعاصير أمر معتاد في هذه البلاد. و.. دوي آخر – هذه المرة أقرب إلى صوت طلقة بندقية. سمعت أصوات الصراخ والهلع قادمة من مقدمة الطائرة. عاد ضوء لمبة حزام المقعد يُنير مجدداً؛ وشعرت بتنميل في أصابعها، وتلخبطت، ونسيت كيف يمكنها ربط الحزام. الطائرة تهوي، وقد شعرت بيد عملاقة تضغط على كتفيها لأسفل، وأن معدتها تندفع كالصاروخ نحو الخروج من فمها. أوه.. لا. مستحيل أن يحدث لها هذا. أشياء كهذه مستحيل أن تقع لأشخاص مثلها، أشخاص عاديين. أشخاص طيبين. رجة.. اهتزاز قوي.. رجرجة في خزانات الأمتعة فوق الرؤوس.. ثم هدأ كل شيء بغتة، وكأن الطائرة رأت أن ترأف بحال ركابها.. فهدأت.

سمعث رنين تنبيه قبل أن يرطن أحدهم باليابانية، أعقبها بترجمة: "أرجوكم البقاء في مقاعدكم وإحكام ربط الأحزمة". تنفست "باميلا" الصعداء لما سمعت النبرة الهادئة اللامبالية. لابد أن الأمر ليس بخطير، فلا داعي لأن تفزع. حاولت النظر إلى الركاب من خلفها لتطمئن نفسها بردود أفعالهم، ولكنها لم تر سوى مجموعة من الرؤوس المحنية.

تشبثت بذراعي المقعد مجدداً؛ وازداد اهتزاز الطائرة،

وكانت يداها ترتعشان بدورها، وهيمن الخدر على قدميها. ووسط كل هذا ظهرت لها عينان أسفل شعر أسود فاحم في الفجوة بين المقاعد أمامها؛ لابد أنه الصغير الذي تتذكر أنها قد رأت امرأة شابة صارمة بأحمر شفاه طاغٍ تجره عبر الممر قبيل إقلاع الطائرة. كان الصغير يُحَدِّق فيها، وقد خَيَّمت على وجهه دهشة كاملة (يمكن للمرء أن يصف الآسيويين بما يشاء، ولكن صغارهم لطفاء مثل الأزرار الأنيقة). لوَّحت له متبسمة، ولكنه لم يبد رد فعل، قبل أن تصرخ أمه في وجهه بكلمات لم تفهمها، فأطاعها الصغير منسلاً إلى مقعده ثانيةً، ولم تعد تراه. تحاول أن تبتسم، لكن فمها جاف وشفتيها ملتصقتين بأسنانها.. كما أن اهتزاز الطائرة يزداد.. ويزداد.

تدفق في الممر ضباب أبيض، سرعان ما التف حولها، ووجدت "بام" نفسها تضرب على الشاشة أمامها من دون جدوى، وتبحث عن سماعة الأذن. هذا لا يحدث لي، هذا مؤكد. لا يمكن أن يحدث لي هذا الآن.. أوه.. لا.. لا. لو أنها فقط تشغل الشاشة، وتشاهد فيلماً، أي شيء يطمئنها – مثل ذلك الفيلم الرومانسي الكوميدي الذي شاهدته في الرحلة إلى هنا؛ بطله اسمه رايان .. لا تتذكر بقية الاسم. ارتجت الطائرة ثانيةً – وكأنها تترنح من جانب لآخر ومن فوق لتحت، ومعها تترنح معدتها – أخذت تبتلع ريقها في صعوبة شديدة، فهي لا تريد أن تتقيأ.. أوه.. أوه.

وقف رجل الأعمال. ذراعاه غير ثابتتان، بينما الطائرة مستمرة في تأرجحها. يبدو كأنه يحاول فتح الخزانة فوقه، لكنه عاجز عن حفظ توازنه. "ما الذي تفعله؟"، كانت "بام" تود أن تصرخ فيه – وكأن عدم جلوسه يزيد الطين بلة. ازداد اهتزاز الطائرة لدرجة ذكَّرتها بعطل مُنَظِّم غسالتها التي أخذت تتقافز عبر الأرضية كوحش مجنون. بدت لها مضيفة من بين الضباب. كانت تتمسك بقوة بالمقاعد من حولها. نبهت رجل الأعمال، الذي ارتمى في مقعده ثانيةً مطيعاً إياها في وداعة. أخذ يبحث في سترة بدلته، إلى أن أخرج تليفونه، وأسند جبهته إلى المقعد أمامه وانشغل يتحدث عبره.

عليها أن تفعل مثله. عليها مهاتفة "جيم"، وأن تذكِّره بألا يطعم "سنوكي" من ذلك الطعام الرخيص. وعليها مهاتفة "جواني"، ولكن ماذا تقول لها، وكادت تضحك وقد خطر لها أن تقول لها إنها سوف تتأخر قليلاً؟ كلا، ستخبرها كم هي فخورة بها، ولكن.. هل هناك شبكة من الأساس في هذا العلو؟ ألن يعيق استخدامها لتليفونها المحمول إشارات الأنظمة الملاحية في الطائرة؟ هل هي بحاجة إلى بطاقتها الائتمانية لتشغيل التليفون الموجود في ظهر مقعدها؟

ثم أين تليفونها؟ هل هو في حقيبتها الصغيرة التي

تضع فيها مالها وجواز السفر ودواءها، أم أنها وضعته في الحقيبة؟ لماذا تعجز عن التذكر؟ بحثت عن حقيبتها الصغيرة، وهي تشعر أن معدتها التصقت بعمودها الفقري. لن تتقيأ، هي متأكدة من أنها لن تفعل، ولامست أصابعها يد حقيبتها - تلك التي أهدتها "جواني" لها خلال الكريسماس الذي سبق سفرها منذ عامين - كم كان جميلاً ذاك الكريسماس، حتى "جيم" كان مزاجه عالياً ذلك اليوم. ارتجت الطائرة ثانيةً فأفلتت يدها يد الحقيبة. إنها لا تريد أن تموت هذه الميتة.. ليس هذه الميتة. ليس بين غرباء، وليس على هذه الحال، وليس بهذا الشعر الذي أفسده العرق - كانت هذه التصفيفة الكيرلي فكرة سيئة أيضاً - وليس وقد تورمت قدماها. أوه.. أوه. مستحيل. هيا.. فكري بسرعة في شيء لطيف.. شيء جميل. أيوه. حلم.. مجرد حلم، وهي الآن في الحقيقة جالسة إلى الأريكة وبيدها ساندويتش تشيكن مايو، والكلبة "سنوكي" في حجرها. و"جيم" غافٍ في الكرسي الهزاز. تعرف أنه الوقت المناسب للصلاة، وتعرف أن هذا ما كان سينصحها به الأب "لين" - ولكن، هل إذا صلّت الآن ينتهي ويتبدد كل شيء؟ - ولأول مرة في حياتها، خانتها الكلمات. كل ما نادت به الرب هو "ساعدني"، ولكن من دون أن تواتيها أفكار أخرى لدعوات. من ذا الذي سيرعى "سنوكي" إن غابت هي؟ "سنوكي" عجوز، قاربت عامها

العاشر، فلماذا تركتها؟ إن الكلاب لا تفهم. يا ربي، لقد نسيت أمر كومة السراويل الداخلية المهترئة التي تخبئها خلف أدراج الشوفنيرة والتي بقت تؤجل التخلص منها – ما الذي سيقولونه عنها إن عثروا عليها؟

يزداد الضباب كثافة. تشعر بحرقان في حلقها وزغللة في عينيها. سمعت صوت تصدع حاد، وتدلت كوب بلاستيكية صفراء تتمرجح أمام ناظريها. المزيد من الكلام الياباني – أذناها ستنفجر. تبتلع ريقها، وتشعر بطعم بهارات الشعيرية الرديئة التي تناولتها في الرحلة السابقة، ووجدت وقتاً تحمد فيه الرب لعدم حاجتها للتبول بعد الآن. سمعت كلمات إنجليزية مشوشة: ".. .ساعدونا.. الأخوة الركاب.. سا.. "

استمر رجل الأعمال في الثرثرة الهاتفية، ولكن التليفون طار من يده عندما ارتجت الطائرة ثانيةً بقوة، لكن فمه بقى يتمتم؛ وكأنه لا يعي أن التليفون لم يعد في يده. صارت باميلا تتنفس بصعوبة شديدة، والهواء الذي تحاول اجتذابه إلى رئتيها مصطنع، فارغ، مخلخل، ويجعلها على وشك أن تتقيأ. تُعمي عينيها ومضات ضوء أبيض خاطف، وهي تبحث عن قناع التنفس، ولكنه يتمرجح بعيداً عن متناولها، قبل أن تشم رائحة شيء يحترق شبيهة برائحة قطعة بلاستيك منسية فوق شعلة البوتاجاز. لقد فعلتها من قبل – نسيت

وعاءً بلاستيكياً فوق الشعلة - ولم يرحمها "جيم" من سخريته لأسابيع: "كنتِ ستحرقين البيت بما فيه يا سِت".

رسالة مشوشة أخرى: ".. وضع الاستعداد.. للاصطدام.. وضع الاستعداد.. للاصطدام".

ملأت مخيلتها صورة كرسي فارغ، وأشفقت على نفسها حتى تأذت نفسها - إنه كرسيها؛ ذلك الذي تجلس إليه كل يوم أربعاء وسط مجموعة قراءة الإنجيل. كرسي متين مريح، ولم يتذمر أبداً من تحمله وزنها، وقد ترك جسدها الثقيل بصمته عليه. اعتادت أن تحضر الاجتماع مبكراً لتساعد "كندرا" في ترتيب الكراسي، وكان الكل يعلم أنها تجلس دوماً إلى يمين الأب "لين"، جوار ماكينة القهوة. وكلهم صلوا لأجلها في اليوم السابق على سفرها - وحتى "ريبا" دعت لها. امتلأ صدرها فخراً وامتناناً، واحمرت وجنتاها من فرط الاهتمام الذي لاقته يومها. "ربنا العزيز، احفظ أختنا وصديقتنا العزيزة "باميلا"، وهي.. " الطائرة ترتجف ارتجافة قوية. أفرغت ما في الخزانات العلوية من حقائب وأجهزة كمبيوتر محمولة وغير ذلك من أمتعة. فكَّرت أنها لو استمرت في التركيز في ذلك الكرسي الفارغ فإن كل شيء سيكون على ما يرام. مثل تلك اللعبة التي تلعبها أحياناً حينما تعود بسيارتها من المتجر: فهي إن رأت ثلاث سيارات

بيضاء فإن هذا يعني أن الأب "لين" سيطلب منها – وليس من "ريبا" – أن تروي الزهور.

سمعت صوتاً أشبه بصوت أظافر معدنية عملاقة تخدش سطح سبورة سوداء، والأرضية تتزلزل، وهناك ثقل مجهول يدفع رأسها ناحية حجرها، وتشعر باصطكاك أسنانها، وترغب في أن تصرخ في ذلك المجهول الذي يجذب يديها بشدة إلى فوق رأسها أن يتوقف. منذ سنوات، توقفت سيارة نصف نقل أمام سيارتها وهي تقودها لإحضار "جواني" من المدرسة. في تلك اللحظة تباطأ كل شيء – وكانت واعية للتفاصيل الدقيقة، وتلك الشقوق في زجاجها الأمامي، والصدأ المهيمن على مقدمة السيارة الأخرى، وخيال سائقها الذي يرتدي قبعة بيسبول – ولكن هذه المرة تجري الأمور بسرعة شديدة! فليوقف أحدكم هذا الذي يجري منذ دهر – لقد تعرضت للجلد واللكم والضرب؛ ورأسها، إنها عاجزة عن رفع رأسها، قبل أن يطير المقعد قبالتها نحو وجهها فيهيمن ضوء أبيض على عقلها، يعميها، وتعجز عن..

صارت النيران تتطاير، لكنها تشعر ببرودة في وجنتيها؛ بل هو شعور كالجليد، الجو قارس البرودة هنا. هل هي في الخارج؟ بالطبع هي! يا لي من غبية. فأين هي إذن؟ دوماً ما كانوا يتجمعون في مزرعة الأب "لين" عشية الكريسماس

– لابد أنها في الفناء، تشاهد الألعاب النارية. دائماً ما تحضر معها تغميستها الشهيرة التي تصنعها من الجبن الأزرق. لا عجب في أنها تشعر بالضياع التام! فقد نسيت أن تُحضر التغميسة، لابد أنها قد تركتها فوق كاونتر المطبخ، ستخيب أمل الأب "لين" و ..

أحدهم يصرخ – من هذا الذي يصرخ ليلة الكريسماس، لماذا تصرخ ليلة الكريسماس؟! إنه وقت للفرح.

ترفع يدها لتمسح وجهها، ولكنها لا .. هذا ليس معقولاً، إنها راقدة على ذراعها، الملتوية خلف ظهرها. فلماذا هي راقدة؟ هل نامت؟ ليس ليلة الكريسماس حيث المشغوليات كثيرة.. عليها أن تنهض، وأن تعتذر عن وقاحتها، و"جيم" دائماً ما يقول لها إنها بحاجة إلى تركيز أفكارها، وأن تحاول أن تكون أكثر ..

تمر بلسانها على أسنانها. لا تشعر أنها سليمة؛ فأحد القواطع كُسر منه جزء، وحافته تجرح لسانها. وكأنها تطحن بأسنانها حبوب برغل، وتبتلعها – يا ربي، تشعر في حلقها وكأنها تبتلع شفرات حادة، فهل هي ..

أدركت بغتةً ما حل بها، وبهتت لوطأة ما أدركت، ومع هذا الذهول كان الألم؛ أبيض اللون، يندفع من ساقها اليمنى إلى معدتها. هيا انهضي.. هيا انهضي.. انهضي. تحاول رفع رأسها،

ولكنها عندما حاولت شعرت وكأن إبراً ساخنة تنغرس في مؤخرة عنقها.

صوت صرخة أخرى – على مقربة شديدة منها. صرخة لم تسمع مثلها من قبل في حياتها – صرخة بشرية فطرية عارية. لابد أن يتوقف هذا الصراخ، إنه يزيد عليها آلامها، كما لو أن الصراخ متصل مباشرة بأمعائها، يشدها مع كل صرخة.

شكراً للرب، بوسعها تحريك ذراعها اليمنى ورفعها قليلاً، لتتلمس بطنها فتجد شيئاً ناعماً مبللاً، شيئاً ما خطأ. سوف تتجاهله الآن. يا ربي، تحتاج إلى المساعدة، لابد أن يأتي أحد ويساعدها. ليتها وافقت "جيم" وبقت في المنزل مع "سنوكي" ولم تُواتها تلك الأفكار السيئة عن "ريبا"..

توقفي عن هذا. لا يمكنكِ أن تفزعي. هكذا يُنبهون علينا دوماً: لا تفزعوا. فهي على قيد الحياة. وينبغي أن تكون ممتنة لذلك. وعليها أن تنهض لتعرف أين هي. فهي لم تعد في مقعدها، هذا مؤكد، وهي راقدة على سطح ناعم طحلبي الملمس. عدّت حتى ثلاثة، قبل أن تستخدم ذراعها السليمة في محاولة قلب جسدها على جانبه، غير أن دفقة من الأسى والحزن – أشبه بالصدمة الكهربائية في حدتها ومباغتتها – غمرت جسدها كله. قوية لدرجة أنها لا تصدق أن الألم ناجم منها. بقت ساكنة تماماً، وبدأ ذلك الألم ينحسر، وترك مكانه

لخدر عام (ولكنها لن تفكر في هذا الأمر أيضاً).

أغلقت عينيها بصعوبة، قبل أن تفتحهما ثانيةً. وأخذت ترمش بسرعة حتى تتضح الرؤية أمامها. جَرَّبت أن تدير رأسها ناحية اليمين هذه المرة، فلم تشعر بذاك الألم الرهيب. هذا جيد. هناك بقعة تلتهب بلون برتقالي في خلفية المشهد أمامها جعلت بقية الأشياء من حولها مجرد ظلال، ولكنها استطاعت أن تُميِّز مجموعة من الأشجار – أشجار غريبة المنظر ملتوية الجذع، لم تستطع أن تتعرف على نوعها – وأمام تلك الأشجار مباشرة كتلة ضخمة منكوبة من المعدن المنبعج. يا ربي، أهي الطائرة؟ هي فعلاً.. بوسعها تمييز شكل النوافذ. وفجأة، سمعت صوت فحيح ناعم متسارع، قبل أن يحدث انفجار آخر أعاد ضوء النهار وبقوة إلى المساحة من حولها. دمعت عيناها من الحرارة، ولكنها لن تشيح بوجهها بعيداً. لن تفعل. ترى الآن أمامها حافة جزء من هيكل الطائرة المتحطم، وقد انفصل بكل وحشية عن بقية جسمها – فأين بقية جسمها؟ أهي تجلس في ذلك الجزء؟ مستحيل. لا يمكن أن تكون قد نجت. لقد تحولت الطائرة إلى دمية عملاقة متهشمة، ذكَّرتها بتلك الساحات حول الشاحنات والمقطورات حيث كانت والدة "جيم" تعيش. كانت تمتلئ بالخردة وقطع السيارات القديمة والتريسكلات المحطمة، ولم تكن تحب الذهاب إلى هناك، حتى مع معاملة أمه الطيبة لها.. رؤيتها

محدودة بسبب الوضع الذي وجدت نفسها عليه، فحاولت أن تعدل من وضعها، وتجاهلت صوت الطقطقة الذي تسمعه وهي تحاول أن تسند وجنتها على كتفها.

توقف الصراخ بغتةً، وبقي النحيب. هي لا ترغب في تحمل ذنب سماع آلام غيرها و"دوشتهم".

ولكن، مهلاً.. شيءٌ ما يتحرك، هناك عند الأشجار. كيان معتم.. بشري.. شخص ضئيل الجسد، مثل طفل؟ أهو الطفل الذي كان يجلس في المقعد أمامها؟ خجلت من نفسها بشدة، فهي لم تفكر فيه ولا في أمه ولو للحظة والطائرة تهوي إلى الأرض. كانت تفكر في نفسها فحسب. فلا عجب في أن لسانها عجز عن الصلاة، أتعتبر نفسها مسيحية حقاً؟ ابتعد ذاك الكيان بسرعة عن ناظريها، ولكنها لا تستطيع أن تحرك رقبتها مطلقاً، ولن يمكنها تتبع مساره.

حاولت أن تصرخ؛ فعجزت عن تحريك فكها. كانت تريد أن تصيح: أرجوكم. أنا هنا. مستشفى. النجدة.

سمعت صوتاً مكتوماً خلف رأسها. لم تنجح سوى في إطلاق "آه" مكتومة لا يكاد يسمعها أحد. شيء يتلمس شعرها، وجدت دموعها تنساب على خديها من دون إرادتها.. إنها بأمان. لقد حضروا لإنقاذها.

ولكنها سمعت الخطوات تركض وتركض.

- لا تذهب. لا تتركني.

وأمام عينيها رأت قدمين حافيتين. قدمان صغيرتان، قذرتان، سوداوان بشدة، وكأنها ملطخة بالقار، أو هو طين، أم هو دم؟

"ساعدني، أرجوك ساعدني، ساعدني". ها هي تتكلم. برافو. فطالما أنها تتكلم فإن هذا يعني أنها بخير. طبعاً. هذا هو المطلوب. "ساعدني".

اقترب وجهه من وجهها؛ لدرجة أنها تشعر بأنفاسه على وجنتيها. حاولت التركيز في عينيه. أهما.. ؟؟ بالطبع لا، إنها العتمة فحسب. ولكن عينيه بياض فقط، فقط، وليس بهما سواد أو أي لون آخر.. يا إلهي أنقذني. تنامت صرخة في أعماقها، وارتفعت حتى حلقها، ولكنها تعجز عن إطلاق سراحها، رغم أنها تخنقها. ابتعد الوجه عنها بغتةً. شعرت بأن رئتيها ثقيلتان، سائلتان، وصار التنفس عبئاً ثقيلاً مؤلماً.

ها هو شيء ما يلتمع في أقصى يمين مجال رؤيتها. أهو نفس الطفل؟ كيف أمكنه أن يصل إلى تلك النقطة بهذه السرعة؟ إنه يشير نحو شيء ما.. إلى كيانات، أشد عتمة من الأشجار من حولها. بالتأكيد هم بشر. بدأت كتلة النار

البرتقالية تخمد، ولكنها لا تستطيع أن تميّز ملامحهم. إنهم بالمئات، كما يبدو لها، وهم في طريقهم نحوها. ها هم يخرجون من بين الأشجار، تلك الأشجار الغريبة الواهنة المتداعية والملتوية مثل أصابع.

ولكن أين هي أقدامهم؟ ليس لديهم أقدام. هناك شيء ما خطأ.

أووه.. إنهم ليسوا بحقيقيين. لا يمكن. لا يمكن أن ترى أعينهم، ووجوههم مجرد بقع سوداء فاحمة تبقى مسطحة ساكنة والضوء من خلفها يزيد وينقص.

هي متأكدة أنهم جاءوا لأجلها.

رحل عنها الخوف، وأفسح مكانه ليقين غاب عنها طويلاً. كما لو أن هناك "باميلا" باردة الأعصاب واثقة، "باميلا" جديدة، "بام" التي تاقت دوماً إلى أن تكونها، حضرت وهيمنت على جسدها المنهك الذي يحتضر. تجاهلت ذلك الجرح الكبير في مكان معدتها، ومدت يدها تجذب حقيبتها الصغيرة. لا تزال موجودة، رغم أنها استقرت عند جانبها. أغلقت عينيها وركّزت على فتحة السوستة. أصابعها رطبة زلقة، ولكنها لحظة لا ينفع معها الاستسلام.

سمعت صوت هليوكوبتر يملأ أذنيها، أعلى هذه المرة، بينما

انطلق ضوء من أعلى متراقصاً فوقها وحولها، واستطاعت في نوره أن تميز صفاً من المقاعد المتهشمة، ولمحت حذاءً عالي الكعب بدا جديداً لم تلبسه امرأة من قبل. انتظرت لترى إن كان هذا الضوء سيمنع هؤلاء من التقدم. ولكنهم استمروا في الزحف نحوها. عجزت عن تمييز أية ملامح لوجوههم. أين الصبي؟ يا ليتها تستطيع أن تنبهه ألا يقترب منهم، فهي تعرف ما يريدون، بالطبع، هي تعرف يقيناً ما يريدون. ولكنها لن تنشغل بهذا الآن، وخاصةً بعد أن أصبحت قريبة للغاية. بحثت في الحقيبة، وارتاحت حينما لمست أصابعها نعومة التليفون. أخرجته بحرص كي لا يسقط من يدها – ووجدت نفسها تتذكر الفزع الذي انتابها قبل الرحلة عندما ظنت أنها قد نسيته – وأجبرت ذراعها على تقريبه من وجهها. ماذا لو أنه معطل؟ ماذا لو أنه معطوب؟

لا يمكن أن يكون معطلاً، لن تسمح له بأن يُعطل، دوّت صرخة انتصار في مخيلتها حينما سمعت صوت النغمة المألوفة التي أطلقها التليفون ترحيباً بصاحبته. ها هي أقرب.. أقرب. كان الدم يغطي الشاشة تماماً. واستجمعت آخر ما لديها من قوة لكي تُركِّز فيما تفعل، ونجحت في الوصول إلى التطبيقات، ثم الوصول إلى "المسجل الصوتي". صوت الهليوكوبتر يصم أذنيها الآن، ولكن "بام" نجحت في تجاهله، تماماً كما تجاهلت حقيقة أنها فقدت القدرة على

رؤية أي شيء الآن.

قبضت على التليفون بما أمكنها من قوة..

قَرَّبته من فمها..

وبدأت في الكلام..

الخميس الأسود
من الحادث إلى المؤامرة
خبايا ظاهرة "الثلاثة"

إلزبيث مارتينز

جونسون آند وايت - ناشرون

نيويورك * لندن * لوس أنجلوس

من المؤلفة للقارئ

قلة هم القراء الذين لن يشعروا بالقشعريرة من مجرد ذكر "الخميس الأسود". إنه ذلك اليوم.. 12 يناير 2012.. يوم أن سقطت وتحطمت أربع طائرات ركاب في غضون ساعات متتالية.. يوم أن لقي ما يزيد على ألف شخص مصرعه، لتكون حلقة في سلسلة من كوارث الطيران الفادحة على مدار التاريخ، والتي غيَّرت تماماً من نظرتنا إلى هذا العالم.

ولم يكن من المستغرب، وخلال أسبوعين من تلك الواقعة، أن يشهد السوق طوفاناً من التأويلات والتفسيرات، في شكل مدوَّنات وكُتب سيرة ذاتية وكُتب تحاول تحليل تلك الحوادث، وكلها كانت تحاول استغلال ذهول الجمهور من تلك الحوادث، واهتمامه بأولئك الأطفال الذين نجوا، والذين صار الجميع يسميهم "الثلاثة". ولكن لم يخطر ببال أحد أبداً أن تتطور الأمور عبر سلسلة من الأحداث الرهيبة التي توالت بإيقاع غاية في السرعة.

وكما فعلت عبر حلقات برنامج Snapped، التي تناولت تحقيقاتي حول الجرائم التي ارتكبت باستخدام أطفال أمريكيين لم يتجاوزوا سن السادسة عشرة، رأيث أن أدلي بدلوي في تلك الكوارث، وقررث أن تكون مشاركتي موضوعية، وأن أفتح الباب أمام جميع من له صلة كي

يتحدث بنفسه. ولتحقيق هذه الغاية، اعتمدت على مجموعة كبيرة من المصادر، ومنها تلك السيرة الذاتية التي لم يكملها "بول كرادوك"، ومجموعة الرسائل التي جمعها "تشيوكو كاماموتو"، ولقاءات أجريتها بنفسي خلال تلك الأحداث وفي أعقابها مباشرة.

إنني لن أتقدم بأية اعتذارات عن إدراج موضوعات قد يجدها البعض مأساوية، مثل شهادات أولئك الذين كانوا أول من وصل إلى مناطق الكوارث؛ وشهادات المتعاطفين مع "باميلا" سابقاً وحالياً؛ وجهاز الإزهو Isho الذي عثروا عليه في موقع تحطم طائرة "صن أير" الرحلة رقم 678؛ والحوار الذي لم يُنشر من قبل مع طارد الأرواح الشريرة الذي استعان به "بول كرادوك".

ومع اعترافي بأني أوردت مقتطفات من التقارير الصحفية ومقالات المجلات بغرض إثراء السرد، إلا أن مقصدي الأول، كما كان في برنامج Snapped، هو تقديم أرضية محايدة لتفسيرات وآراء أولئك الذين كانوا الأقرب إلى الفاعلين الأساسيين في الأحداث التي وقعت في الفترة من يناير إلى يوليو 2012. لذلك ينبغي عليك، عزيزي القارئ، ألا تنسى أن تلك الشهادات تُعبِّر عن أصحابها، وأن عليك أن تشغل عقلك فيما تقرأه لتخرج بالنتيجة التي ترتاح لها.

إلزبيث مارتينز

نيويورك، 30 أغسطس 2012

"إنهم هنا. أنا.. عليك أن تمنع "سنوكي" عن أكل الشوكولاتة، فهي خطرة جداً على الكلاب، وهي ستحتال عليك.. الصبي.. الصبي يراقب الموتى.. أوه يا ربي.. إنهم كثيرون.. قادمون إليّ الآن. سوف نرحل جميعاً عما قريب. جميعاً. وداعاً "جواني".. أعجبتني الحقيبة.. وداعاً "جواني". أيها الأب "لين" حَذِّرهم من أن الصبي ليس.. "

كلمات "باميلا ماي دونالد" الأخيرة (1961 – 2012)

الجزء الأول
الحادث

من الفصل الأول من كتاب "الملاك الحارس: حياتي مع واحد من الثلاثة" - تأليف "بول كرادوك" (شاركته الكتابة "ماندي سولومون").

لطالما أحببت المطارات. يمكنكم أن تنعتوني بالرومانسي العجوز الحالم، ولكنني كنت أحب مشهد لقاء العائلات والمحبين هناك - تلك الثانية التي يظهر فيها راكب مُنهك لوَّحته الشمس عبر الأبواب الزجاجية فيبتهج من ينتظرونه لرؤيته ويهرعون نحوه مهللين. لذلك، كنت في غاية السعادة عندما طلب مني "ستيفن" أن أنتظره في مطار جاتويك لأصحبه هو والبنات.

توجهتُ إلى هناك قبل الموعد بساعة. كنت أريد الوصول مبكراً، وأحضر لنفسي كوب قهوة وأجلس أراقب الناس. ومع أنني أجد غرابة في التفكير في هذا الآن، إلا أن مزاجي كان رائعاً في تلك الظهيرة. كان أحد الريجيسيرات هاتفني ليخبرني بأنهم اختاروني للقيام بدور الساقي الشاذ في الموسم الثالث من "كافينديش هول" (شبه كومبارس بالطبع، ولكن رأي "جيري" - وكيلي - كان أن هذا الدور قد يكون

انطلاقتي)، ونجحت في العثور على ركنة للسيارة على مقربة من المدخل. ولأنني كنت أريد أن أكافئ نفسي، ابتعت لها كافيه لاتيه مع إكسترا كريم، واتجهت لألتحق بالجماعة الذين ينتظرون ظهور ركابهم من عند منطقة الحقائب. وإلى جوار محل "كب آند تشو" رأيت فريقاً من الصبية المشاكسين المنشغلين في تفكيك ماكيت وضعوه منذ موسم الكريسماس ويبدو أنهم نسوا رفعه، وانشغلت في مراقبة حركاتهم الدرامية لبرهة من الوقت، غافلاً عن أن دراما حياتي على وشك أن تبدأ.

لم يخطر ببالي أن ألقي نظرة على شاشة مواعيد الرحلات للتأكد من وصول الرحلة في موعدها، لذلك فوجئت بذلك الصوت الأخنف المميز في المطارات وهو يردد عبر الإنتركم: "نرجو من السادة الذين ينتظرون وصول الرحلة رقم 227 القادمة من "تينيريفي" التوجه إلى مكتب الاستعلامات، نشكركم". أليست هذه رحلة "ستيفن"؟ قلت لنفسي وأنا أتأكد من بيانات الرحلة على تليفوني البلاك بيري. لم أكن مهتماً جداً. فكرت أن موعد وصول الرحلة قد تأجل فحسب. ولم يخطر ببالي مطلقاً أن أقلق لأن "ستيفن" لم يتصل بنفسه ليخبرني بأن الرحلة ستتأخر.

أنت لا يخطر ببالك أبداً أن أموراً كهذه ستحدث يوماً لك،

أليس كذلك؟

لم نكن كثيري العدد، فقليل هم من فعلوا مثلي وحضروا مبكراً. ها هي بنت جميلة شعرها مصبوغ بالأحمر، تمسك عصا في نهايتها بالونة على شكل قلب، وها هو شاب قد ضَفَّرَ شعره في جدائل فوق جسم أقرب إلى هيئة مصارع، وكهلان مكرمشا البشرة يرتديان ملابس رياضية متشابهة. ليسوا من النوع الذي أحب أن أخالطه في المعتاد. ولكن كم هو عجيب أن تجد أن الانطباعات الأولى قد لا تكون صائبة. فقد صار جميعهم الآن من أعز أصدقائي. ذلك النوع من الحوادث يُقَرِّب بين البشر بعضهم البعض، صح؟

كان ينبغي عليّ أن أدرك من ذلك الهلع الذي ارتسم على وجه الشاب الصغير المناوب في المكتب والفزع على وجه مسؤولة الأمن التي لا تقف ساكنة إلى جواره، أن مصيبة قد وقعت، ولكن كل ما كنت أشعر به في هذه المرحلة هو الضجر.

سألت، بلكنة أتدرب عليها لأجل "كافينديش هول":

- ما الذي يجري؟

طلب منا الشاب أن نتبعه إلى حيث "نحصل على المزيد من المعلومات".

أطعناه، وأعترف هنا باندهاشي من عدم اعتراض الكهلين، فقد كان انطباعي الذي كوَّنته عند رؤيتهما أنهما ليسا من النوع الذي يتلقى الأوامر. ولكنهما أخبراني بعد ذلك بأسابيع، وأثناء اجتماعات "277 معاً" التي صرنا نعقدها، أنهما كانا في مرحلة الإنكار وعدم التصديق. لم يكونا راغبين في معرفة شيء، وإن كان قد وقع حادث للطائرة، فإنهما لم يكونا يرغبان في أن يعرفا هذا من شاب بالكاد تجاوز مرحلة المراهقة. تقدمنا ذلك الشاب، ربما كي لا تُتاح لأي منا فرصة سؤاله عن أي شيء، وأشار لنا أن ندخل عبر باب لا يميزه شيء إلى جوار مكاتب الجمارك. مشينا عبر ممر طويل، وقد حكمت عليه من خلال الطلاء المتقشر والأرضية المتهالكة أنه ممر لا يمر عبره أي ركاب. وأتذكر أنني شممت رائحة سجائر قوية في انتهاك صارخ لحظر التدخين.

انتهى بنا المشي عند صالة مقبضة بلا نوافذ، وليس بها سوى مقاعد انتظار حمراء قانية. توقفت عيناي عند واحدة من طفايات السجائر الأسطوانية الشكل، والتي كانت شبه مختفية وراء شجيرة بلاستيكية. كم هي مسلية الذكريات، أليست كذلك؟

اقترب منا شاب يرتدي بدلة من البوليستر ويمسك بحاملة أوراق، تميزه تفاحة آدم في رقبته والتي تصعد وتهبط مثل

من يعاني من متلازمة توريت. ورغم أن بشرته شاحبة مثل جثة، إلا أن وجنتيه ووجهه الحليق يشعون بالحياة. جابت عيناه المكان كله، والتقت نظراته بنظراتي لثانية، قبل أن تستقر بعيداً عني.

في تلك اللحظات امتقع وجهي، وأنا أدرك أنني على وشك أن أسمع خبراً سوف يُغَيِّر حياتي للأبد.

قطع "كلفين" – الفتى ذو الضفائر – الصمت أخيراً:

- هيا أخبرنا..

ابتلع الشاب ريقه في صعوبة وهو يقول:

- إنني في غاية الأسف لاضطراري لأن أنقل لكم هذا الخبر، ولكن الرحلة رقم 277 اختفت من على شاشات الرادار منذ قرابة ساعة.

دار العالم بي، وشعرت ببوادر أزمة قلبية. كانت أصابعي ترتجف، وصدري يضيق. عندئذ سأله "كلفين" السؤال الذي خفنا جميعاً أن نسأله:

- هل تحطمت؟

- لا يمكن أن نتأكد من هذا الآن، ولكن تأكدوا من أننا سنعلمكم بكافة المعلومات أولاً بأول. وقد وفرنا أطباء

وإخصائيين لمن يحتاج منكم أن..

- ماذا عن الناجين؟

كانت يدا الشاب تتحرك بعصبية، وبدا أن رسم الطائرة الكرتوني على البادج البلاستيكي الذي يرتديه يسخر منا بتلك الغمزة الشهيرة للطائرة التي هي شعار الشركة !Go !Go. "كان الأحسن تسميتها !Gay!Gay"، هكذا اعتاد "ستيفن" أن يعلق ساخراً في كل مرة يشاهد فيها إعلان الشركة التليفزيوني. وكان يداعبنا قائلاً إن الرسم الكرتوني للطائرة ثقيل الظل، بل أثقل من أتوبيس مشحون بملكات بدينات.

- كما قلت لكم، لدينا إخصائيين تحت أمركم في حال..

تحدثت "ميل"، ذات الرداء الرياضي:

- تباً لإخصائييك.. عَرِّفنا ما جرى بكل صراحة وخلاص!

انهمكت البنت صاحبة البالون في البكاء والنهنهة بطريقة ذكَّرتني بإحدى شخصيات مسلسل "إست إندرز"، فأحاطها "كلفين" بذراعه. أفلتت البالون فراقبته وهو يتنطط في مسحة حزن فوق الأرضية، ليستقر إلى جوار طفاية السجائر. بدأ آخرون يدخلون القاعة، يوجههم العاملون والعاملات في !Go!Go – جميعهم في حالة من الهلع والدهشة والحيرة

تماماً مثل ذلك الشاب في مكتب الاستعلامات.

كان وجه "ميل" ينافس سترة ردائها بلونه الوردي، وكانت تُلَوِّح بإصبعها في وجه المسؤول. الكل إما يصرخ أو يبكي، ولكنني شعرت أني أراقب المشهد بفضول من بعيد، وكأنني أنتظر دوري في مشهد ما. وحتى مع خجلي من التصريح بهذا الآن، إلا أنني في تلك اللحظات كنت أفكر في طبيعة المشاعر التي ينبغي أن أبديها في هذا الموقف، وكيف أستفيد منها في مشواري التمثيلي. لست فخوراً على الإطلاق بهذه الحقيقة، ولكنني وعدتكم بالحقيقة ولا شيء غيرها.

بقيت أحدق في ذلك البالون، وفجأة وجدتني أسمع أصوات "جسيكا" و"بولي"، واضحة كالجرس: "أخبرنا عمو "بول"، ما الذي يُبقي الطائرة محلقة في الجو؟". كان "ستيفن" قد دعاني إلى غداء الأحد في الأسبوع الذي سبق سفرهم، ولم تتوقف التوأمان عن توجيه الأسئلة إليّ عن الرحلة، وكأنهما ولسبب لا أعلمه متأكدان من أني موسوعة الطيران. كنت بمثابة مرشدهم إلى التعامل مع أول رحلة لهما بالطائرة، وكانتا مشتاقتين للرحلة أكثر من العطلة نفسها. وجدتني أحاول أن أتذكر آخر ما قاله "ستيفن" لي، إنه شيء من قبيل: "نشوفك لما تكبر، يا صاحبي". لم يكن بين روحينا

هذا التماهي، ولكن كيف لم أشعر بأن هناك مكروهاً قد حدث؟ أخرجت تليفوني من جيبي، وأنا أتذكر أن "ستيفن" أرسل لي رسالة بالأمس: "البنات بيسلموا عليك. المنتجع هنا كله مُزز. هنوصل الساعة 3:30. مش عايز تأخير". أخذت أبحث في الرسائل محاولاً العثور عليها. بدا لي فجأة أنها مسألة حياة أو موت ألا أكون قد مسحتها. ولكنني لم أجدها – لابد أنني مسحتها عن غير قصد.

بقيت ولأسابيع طويلة نادماً أؤنب نفسي على مسحي تلك الرسالة.

انتبهتُ لنفسي فوجدت أنني في منطقة الوصول. لا أذكر حتى كيف وصلتُ إلى هناك، أو إذا ما كان أحدهم حاول منعي من الوصول إلى هنا أم لا. لقد شردت وسرحت، وأحسست أن البشر من حولي يحدقون فيّ، ولكنهم كانوا في نظري مجرد كومبارس. شعرت بجو قابض، كئيب، مثل ذلك الإحساس الثقيل الذي ينتابك قبيل أن تهب العاصفة. قلت لنفسي سُحقاً لكل شيء، إنني بحاجة إلى شراب، وهو ما أدهشني، فأنا مقلع عن شرب الكحوليات منذ عشر سنوات. هناك مجموعة من الفتية ببدل رسمية عند البار مهتمين بما يشاهدونه على الشاشة. كان أحدهم، معتوهاً وردي الخدين، يتكلم بلكنة الصنايعية وبصوت عالٍ جداً،

عن أحداث 11/9، ويحذر الجميع من أن عليه الوصول إلى زيوريخ بحلول الساعة 5:50 وإلا "الدنيا هتتقلب". توقف عن الكلام في منتصف جملة وأنا أقترب من البار، وأفسح الباقون مكاناً لي، وهم يتراجعون وكأنني مريض سأنقل لهم العدوى. وبطبيعة الحال، تعلمت منذ ذلك الحين أشياء كثيرة.. من بينها أن الأسى والرعب من الأمراض.. المعدية.

كان صوت شاشة التليفزيون على أعلى درجة والمذيعة – واحدة من تلك الشخصيات القميئة التي جَمَّلت وجهها العمليات، وتبرز أسنانها مثل "توم كروز"، وقد وضعوا لها مكياجاً مُبالغاً فيه – تثرثر بصوتٍ عالٍ ومن دون توقف. من خلفها لقطة لما بدا لي أنها بركة أو مستنقع، وفوقه تحلق طائرة هليوكوبتر. وعندئذ انتبهتُ إلى الشريط أسفل الشاشة:

تحطم طائرة شركة "مايدين" للطيران في منطقة "إيفرجليدز".

قلت لنفسي، إنه خطأ إذن. لقد كان "ستيفن" والبنتان على طائرة Go!Go!، وليس هذه الطائرة.

ولكنه أمل لم يدم إلا ثوانٍ، قبل أن أنتبه إلى الحقيقة..

حقيقة أنها طائرة منكوبة أخرى..

عند الساعة 14:35 (بتوقيت وسط أفريقيا)، تحطمت طائرة ركاب وشحن طراز "أنتونوف" مُستأجرة من قِبَلِ شركة الشحن النيجيرية "دالو أير" في قلب بلدة "خاييليتشا" المكتظة بالسكان في منطقة "كيب تاون". وكان "ليام دي فيلييرز" أحد أوائل المسعفين الذين وصلوا إلى مسرح الحادث. كان "ليام" في وقت الحادث يعمل في فريق الطوارئ الطبية بمنطقة الكيب بصفته مُسعف حياة من الدرجة الأولى، وهو الآن متخصص في التعامل مع الصدمات النفسية عقب الحوادث. وقد جرت هذه المقابلة عبر سكايب والبريد الإلكتروني، وتم تجميعها في شهادة واحدة.

كنا منشغلين بحادث وقع في طريق "بادن باول" حينما وقع ذلك الحادث. كان حادثاً لسيارة أجرة انقلبت على جانب الطريق، ولكنه لم يكن خطيراً. كانت سيارة الأجرة فارغة وقت وقوع الحادث، ومع أن إصابات السائق كانت بسيطة إلا أنه كان من اللازم نقله إلى حيث يضمدون جراحه ويخيطون له بعض الغرز. كان الطقس هادئاً ذلك اليوم، وكانت الرياح الجنوبية الشرقية قد ذهبت بعد أسابيع من الهبوب العاتي، ولم تكن هناك سوى بعض الغيوم التي يهطل رذاذها عند سفح جبل "تابل". ويمكنك القول إنه كان يوماً مثالياً، على الرغم من توقفنا على مقربة من أعمال مشروع الصرف الصحي في "ماكاسار" للاستراحة. ولم تكن الرائحة

طيبة هناك حتى أننا ذهبنا بعد عشرين دقيقة، وكنت ممتناً لأنني لم أفكر في التهام ساندويتش كنتاكي الذي اشتريته للغداء.

كنتُ مناوباً يومها مع "كورنيليوس"، الذي التحق بنا حديثاً. شاب ظريف حاضر الدعابة. وبينما كنت أهتم بالسائق المصاب، كان هو يثرثر مع شرطيي مرور حضرا إلى موقع الحادث. كان السائق يصيح وهو يتحدث في تليفونه المحمول، يكذب على صاحب شركة التاكسي طبعاً، بينما كنت أضمد جرحه في أعلى ذراعه. من ينظر إليه لا يتخيل أنه تعرض لحادث، فهو لم يجفل أو يجزع ولو لثانية واحدة. كنتُ على وشك أن أسأل "كورنيليوس" عما إذا كان قد اتصل بمستشفى "فالس باي" ليخبرهم أننا سنأتيهم بمصاب، عندما شق السماء صوتٌ هادر فظيع، جعلنا جميعاً نقفز في أماكننا مرتعدين. وهذه المرة جفل سائق التاكسي وسقط تليفونه من يده على الأسفلت.

وفي تلك اللحظة رأيناها. أعلم أن الكل ذَكَرَ هذا، ولكنني تخيلت أنني أقف في منتصف مشهد سينمائي؛ ولم أصدق لحظةً أن هذا الذي يحدث حقيقي. كانت تطير على ارتفاع منخفض للغاية لدرجة أنني كنتُ أرى الشقوق في طلاء شعارها – تلك الدوامة الخضراء حول حرف D. كانت

عجلاتها تتخذ وضع الاستعداد للهبوط بينما الجناحان يترنحان بجنون ذكّرني بلاعب سيرك يحاول حفظ اتزانه فوق حبل. أتذكر أني انتبهت إلى أن المطار في الجهة الأخرى، فتساءلت عما يفعله الطيار المعتوه؟

صرخ "كورنيليوس" بكلمات وهو يشير نحوها. لم أسمع ما كان يقوله، ولكنني فهمت الإشارة. فقد كانت بلدة "ميتشيل بلين"، حيث تعيش أسرته، غير بعيدة عن البقعة التي من المفترض أن تهوي فيها الطائرة. كان من الواضح أنها ستتحطم؛ لم تكن النار مشتعلة بها أو شيء من هذا القبيل، ولكن الأكيد أنها كانت في مشكلة رهيبة.

اختفت الطائرة عن أعيننا، ثم حدث الارتطام، وأقسم لك أن الأرض ارتجت. ولاحقاً، ذكرت لي "دارين"، مسؤولة الاتصال معنا، أننا كنا في بقعة بعيدة جداً عن مكان الارتطام، ورغم هذا فإني أؤكد لك أن الأرض ارتجت تحت أقدامنا. وما هي إلا ثوان حتى تصاعدت سحابة سوداء إلى عنان السماء. هائلة، ذكّرتني بصور انفجار هيروشيما. وقلت لنفسي لحظتها إن نجاة أي إنسان من هذه الكارثة معجزة متكاملة الأركان.

لم نتوقف لحظة. قفز "كورنيليوس" في مقعد السائق، وبدأ يتصل عبر اللاسلكي مع المركز، ويخبرهم بأن لدينا حادثاً كبيراً وأن عليهم إخطار مركز إدارة الكوارث. ونبهت سائق

التاكسي إلى أن عليه الانتظار حتى حضور سيارة إسعاف أخرى لتنقله إلى المستشفى، ثم التفت إلى رفيقي وأنا أصيح "اخبرهم أنها من الدرجة الثالثة.. من الدرجة الثالثة!". كانت الشرطة في الطريق إلى الموقع بالفعل، تتجه مباشرة إلى مفرق الطرق في "خايليتشا هراري". قفزت أنا في سيارة الإسعاف، أشعر بالإدرينالين يتدفق في عروقي، ليبدد كل التعب الذي كنت أشعر به بعد نوبة عمل استمرت 12 ساعة.

بينما قاد "كورنيليوس" السيارة، مقتفياً أثر سيارة الشرطة. شرعت أبحث في خزانة سيارة الإسعاف عن الملابس الواقية من الحريق، والأمصال الوريدية، وأي شيء رأيت أننا سنكون بحاجة إليه، ووضعت كل ذلك على النقَّالة. كنت متدرباً على تلك المواقف بالطبع، أقصد سقوط الطائرات وتحطمها. هناك موقع خاص بذلك في "فيش هوك" بمنطقة "فالس باي"، وقلت لنفسي لابد أن الطيار قرر أن يتجه إلى هناك حينما أدرك أنه لن يتمكن من الهبوط في المطار. ولكن الصراحة أن التدريب شيء والواقع شيء آخر، ولم يخطر ببالي أبداً أننا سنتعرض لموقف مثل هذا.

لن ينمحي من ذاكرتي أبداً كل ما جرى ونحن في الطريق. الأصوات المنبعثة من الراديو، ويدا "كورنيليوس" الشاحبتين على المقود، والرائحة الكريهة التي صارت

تنبعث من الساندويتش الذي لم يُقدر لي أن آكله. وبرغم أن ما سأقوله لك الآن غير مُستساغ، ولكن هناك مناطق في "خايليتشا" لم نكن لنحلم بالدخول إليها، وقد تعرض العاملون في الإسعاف بها لحالات احتجاز وتوقيف من مجرمين - وهو ما يمكنك التأكد منه - ولكن الوضع هذا المرة كان مختلفاً. كانت "دارين" على اللاسلكي تتحدث مع "كورنيليوس" وتُعَرِّفه الإجراءات التي سوف تُتبع، وأن علينا الانتظار حتى تأمين المنطقة أولاً. فلا مكان للبطولات المتهورة في مواقف مثل هذه. فمن غير المنطقي أن "تتهور.. فتتعور"، وتكون مجرد ضحية أخرى.. على زملائك أن يتعاملوا معها.

ومع اقترابنا من موقع السقوط، وصلت إلى مسامعي أصوات الصراخ الممتزجة بأصوات السرينة المميزة القادمة من جميع الاتجاهات. استقبلنا الدخان الكثيف، وغطى الرمادُ الزجاجَ الأمامي، فكان على "كورنيليوس" أن يُبطئ سرعته ويُشغِّل المسَّاحات. عبقت رائحة الوقود المحترق الفراغ في داخل سيارة الإسعاف. بل والتصقت بجلدي لأيام. ضغط "كورنيليوس" الفرامل بكل قوة لحظة أن شاهد مجموعة من الناس تهرول نحونا. أغلبهم يحمل أجهزة التليفزيون، وأطفال تبكي، وقطع أثاث، وحتى الكلاب. لم يكونوا حرامية، بل هم الأهالي، يعرفون أن النيران سوف

تنتشر بسرعة وتصل إلى بيوتهم. وجميع المنازل في المنطقة متلاصقة، وهي مجرد عشش مبنية من الخشب والصاج، والكثير منها مادة مثالية لتنشب فيها النيران، ناهيك عن الكم الهائل من البارافين المنتشر في المكان.

صارت السيارة تزحف، وبدأت الأيدي تلطم جانبيها. ارتميت إلى أرضية السيارة عندما وقع انفجار آخر، وقلت لنفسي ساخطاً إن هذا هو الانفجار المنتظر. حلقت طائرات الهليوكوبتر فوقنا بينما أصرخ في "كورنيليوس" أن يتوقف – كان من الواضح أن من المستحيل علينا أن نتقدم أكثر من دون أن نعرض حياتنا للخطر. خرجت من مؤخرة السيارة وأنا أحاول أن أهيئ نفسي لما نحن مقدمون عليه.

فوضى عارمة. ولولا أنني رأيتُ ذلك بعيني لما كنتُ اقتنعت بأنها طائرة سقطت على الأرض – فالمنطقي أن ما أراه أمامي ناتج عن قنبلة ذرية دمرت المكان. وتلك الحرارة الرهيبة التي أتت من هناك.. شاهدت الصور فيما بعد، صور ملتقطة من هليوكوبتر، لذلك الثقب الأسود في الأرض، والعشش التي سويت بالأرض تماماً، وتلك المدرسة التي بناها الأمريكان؛ فنيت وكأنها كانت مبنية من أعواد ثقاب؛ والكنيسة التي انقسمت نصفين كما لو أنها لم تكن ذلك البناء العتيد، بل مجرد تكعيبة خشبية في حديقة. وصرنا القشة

التي يتشبث بها الأهالي في جنون:

"هناك المزيد!.. المزيد!.. الحقونا!.. من هنا!.. من هنا!"

أتخيل مشهد مئات من البشر يندفعون نحونا طلباً للعون، ولكن من حُسن الحظ أن رجال الشرطة الذين طوّقوا مكان الارتطام الأول أبعدوهم للخلف، وأصبحنا على بينة مما ينبغي علينا التعامل معه. بدأ "كورنيليوس" ينظمهم في مجموعات ثلاثية - ويفرزهم ليعطي الأولوية للحالات العاجلة. وأدركت من أول ثانية تعاملت فيها مع أول طفل أنه سيفارق الحياة. أخبرتني أمه المسكينة أنهما كانا نائمين حينما سمعت صوت زئير مروع قبل سقوط قطع حطام في غرفة النوم. نعلم الآن أن الطائرة تحولت إلى شظايا عند الارتطام، وتطايرت أجزاؤها المشتعلة التي التهمت كل ما صادفها في طريقها؛ في مشهد أقرب إلى ذلك الطريقة الفظيعة التي استخدمها الأمريكان لحرق غابات فيتنام وعُرفت باسم "العميل البرتقالي".

كان أول من وصل إلى المكان طبيب من مستشفى خايليتشا، وقام بعمل بطولي. بطل فعلاً. فحتى قبل وصول فريق الكوارث كان قد خصص بالفعل مناطق لخيام المصابين، ومشرحة، ونقطة إسعاف. وتلك الأمور تحتاج نظاماً معيناً، وتجهيزات كاملة. أنجزوا الدائرة الخارجية

في زمن قياسي، ووصلت فرق الإطفاء والإنقاذ من المطار بعد وصولنا بدقائق، حتى تُؤَمِّن المنطقة. كان من المهم أن يتأكدوا من عدم وقوع المزيد من الانفجارات. وبالطبع نعرف كلنا كم الأكسجين الموجود في أي طائرة، بالإضافة إلى كم الوقود.

كان أغلب تعاملنا مع الضحايا في المنطقة المحيطة بموقع الحادث. وأغلب الإصابات كانت حروقاً أو جروحاً ناتجة عن الشظايا المعدنية المتطايرة، وقليلة كانت حالات بتر الأعضاء، وكثير من الذين يعانون من مشكلات في البصر – خاصةً الأطفال. انهمكتُ أنا و"كورنيليوس" في العمل بكل طاقتنا. وأبعدت الشرطة الناس عنا، ولكن لا يمكن لأحد أن يلومهم على التحلق حولنا. فقد كانوا ينوحون على أقارب ماتوا، وآباء يبحثون عن أطفالهم الذين كانوا في المدرسة، وآخرون يريدون أن يعرفوا مدى سوء حالة أقاربهم ومعارفهم. وقليل هم من كانوا يصورون ما يجري بهواتفهم – ولا ألومهم. أما الصحافة فكانت في كل مكان حولنا. وكان عليّ أن أمنع "كورنيليوس" من لكم صحفي يحمل كاميرا على كتفه ويحاول أن يقتحم علينا المكان عنوة.

مع تلاشي الدخان أمكن للكل أن يتبين تدريجياً حجم الكارثة. كتل معدنية متحطمة، ملابس وأقمشة متناثرة

ومتشرذمة، وأثاث وأجهزة منزلية محطمة، وأحذية وهواتف محمولة. والجثث بطبيعة الحال. كان أغلبها محترق، وبعضها تحول.. إلى أشلاء. وكان الصراخ والنحيب يتعالى مع توالي استخراج المزيد والمزيد من الجثث، وبدا أن المشرحة التي تم إعدادها على عجل لن تستوعب كل هذا العدد.

عملنا بلا انقطاع نهاراً وليلاً. جهزوا الموقع بأضواء كاشفة مع اقتراب الظلام، ولكن الوضع ازداد سوءاً. أما المتطوعون الشبان، وحتى مع تجهيزاتهم الواقية والكمامات، فإنهم عجزوا عن التعامل مع الوضع؛ والكثير منهم كان يندفع إلى الخارج ليتقيأ بعدما لم يعد يحتمل ما يراه.

تراكمت أكياس الجثث وكان عددها في ازدياد.

تلك ذكريات لن تنمحي من مخيلتي، وسأظل أفكر فيها كل يوم حتى الآن. فلا يمكنني الآن أن أتناول دجاجة محمرة مثلاً.

تعلمين ما حدث لـ "كورنيليوس"، أليس كذلك؟ تقول زوجته إنها لن تسامحه أبداً، ولكنني أسامحه. فأنا أعرف ذلك الشعور حينما تكون قلقاً طوال الوقت، وأن تعجز عن النوم، وأن تبكي من دون سبب معلوم. ولهذا السبب خضعت لعلاج نفسي من تلك الصدمات.

اسمعيني جيداً، طالما لم تكوني هناك فلن أجد بلاغة تصف لك ما حدث على وجه التمام، ولكني سأحاول أن أضعكِ في الصورة. كنتُ في عملي هذا منذ ما يزيد على العشرين عاماً، ورأيت خلاله العجب. سبق لي أن كنت في مكان تنفيذ حكم بالإعدام على ضحية بالمحرقة، وكان الدخان لا يزال يتصاعد من الجثة، وقد تجمد وجه الضحية على تعبير لن تشاهديه ولو في أسوأ كوابيسك. وكنت مناوباً عندما تحول إضراب عمال البلدية إلى كارثة وفتحت الشرطة النار عليهم – ومات منهم ثلاثون، والكثير منهم لم يمت من أثر الرصاص فحسب. وهل سبق لك أن رأيتِ ضحية نهشتها أسماك "البانجا"؟ وكنت حاضراً في حوادث سيارات بشعة، التصقت فيها جثث الصغار والرضع في مقاعدها، أو تطايرت لتدهسها سيارات أخرى. ورأيت بنفسي ما يحدث عندما يفقد سائق شاحنة "بافل" سيطرته على فراملها فتدهس تحتها سيارة فورد. وحينما كنتُ أعمل في بوتسوانا، صادفتُ بقايا جندي قضمه فرس نهر فشطره نصفين. أقول لكِ إن كل هذه البشاعة لا تساوي ذرة فيما رأيته ذلك اليوم. لهذا كنا جميعاً متفهمين لما تَعَرَّض له "كورنيليوس".. جميعاً متفهمين.

انتحر داخل سيارته، هناك عند الساحل الغربي؛ حيث اعتاد أن يصطاد. انتحر مختنقاً بدخان عادم سيارته، بعدما وَصَّلَ

خرطوماً منه إلى داخل السيارة. هكذا من دون شوشرة، ومن دون فوضى.

كم أفتقده.

بعد ذلك تعرضنا لكثير من الانتقادات لتسرب صور من مكان الحادث ونشرها على فيسبوك. ولكنني لن أعتذر عن هذا. فتلك طريقة من الطرق التي نتأقلم بها مع ما نضطر إلى عمله – لابد أن نتكلم ونتكلم حتى نستوعب ما نصادفه – ولن تفهمي قصدي طالما لم تمارسي عملي. وهناك أقاويل حول حجبها الآن، خاصة وهؤلاء "المعاتيه" يحاولون استغلالها في البروباجندا التي يمارسونها. ولأني مواطن من هذه البلد وأعرف تاريخنا جيداً، فإنني أقف ضد أي نوع من الرقابة، ولكنني أتفهم ما يقومون به. فهذه الأشياء تزيد البنزين المسكوب أصلاً على النار.

لا تنسي أني كنت هناك، في بقعة الكارثة ذاتها، وأدركت أنه ما من فرصة كانت أمام ركاب الطائرة المنكوبة ـ للنجاة. مستحيل. أنا متمسك برأيي، مهما قال أوغاد نظرية المؤامرة العكس..

أنا متمسك برأيي..

"يوميجوري مياجيما".. عالم جيولوجيا ومتطوع

لمراقبة ظاهرة الانتحار في غابة "أوكيجاهارا" سيئة السمعة في اليابان، بعدما أضحت قبلة كل من يريد أن يتخلص من حياته. كان مناوباً في الليلة التي هوت فيها الطائرة بوينج طراز 747 – 400 دي، ملك شركة "صن أير" اليابانية، لترتطم بسفح جبل فوجي.

(ترجم الشهادة إلى الإنجليزية: إريك كوشان)

كنتُ أتوقع أن أعثر على جثة واحدة في تلك الليلة.. وليس المئات من الجثث.

عادةً لا يتجول المتطوع ليلاً، ولكن محطتنا تلقت مع حلول المساء مكالمة من أب يبحث عن ابنه المراهق، وكان في غاية القلق عليه. فقد اطلع الأب على رسائل إلكترونية وصلت ابنه فأثارت قلقه، خاصةً وأنه عثر في غرفته على نسخة من كتاب "واتارو تسورومي" الذي يُشَجِّع على الانتحار. وهذا الكتاب، بالإضافة إلى رواية "ماتسوموتو" الشهيرة، بمثابة نص مقدس لأولئك الذين يسعون إلى الانتحار في الغابة؛ وقد صادفت من النسخ أثناء عملي ما لا يُحصى ولا يُعد.

قليلة هي الكاميرات التي ترصد أي نشاط مريب عند المدخل الأشهر إلى الغابة، ولكنني لم أتلق ما يثبت أن ذلك الصبي شُوهد عند الغابة، ومع أن معي أوصاف سيارته إلا

أنني لم أر لها أثراً على جانب الطريق أو في أي من مواقف السيارات الصغيرة على مقربة من الغابة. ولكن هذا لا يعني أي شيء. فالأغلب هو أن يقود المُقدم على الانتحار سيارته حتى نقطة بعيدة أو غير ظاهرة عند حافة الغابة حيث ينهي حياته هناك. والبعض منهم حاول أن ينتحر بغازات عادم السيارة؛ وآخرون قاموا باستنشاق دخان سام ينتج عن إشعال فحم الشواء. ولكن الطريقة الأشهر بطبيعة الحال هي الشنق. والكثير من المنتحرين يجلب معه خيمة وتموينا من الأكل والشرب، كما لو أنه يود أن يمضي ليلة أو ليلتين في التأمل في الخطوة التي سوف يُقدم عليها قبل أن يشرع في تنفيذها.

وتقوم الشرطة ومعها الكثير من المتطوعين في كل عام بتمشيط الغابة للعثور على جثث المنتحرين. وآخر مرة قمنا فيها بذلك – في نوفمبر الماضي – وجدنا بقايا ثلاثين نفس. لم يتم التعرف على هوية أغلبهم. ولو أنني صادفت أحداً ممن يفكرون في الانتحار في الغابة، فإنني أطلب منه أن يفكِّر في معاناة أسرته وتألمها وأذكِّره بأن هناك أمل على الدوام. وأشير نحو الصخرة البركانية التي تُشَكِّل قاعدة أرض الغابة وأقول له بأنه طالما أمكن للشجر أن ينمو في مثل هذه الأرض الصلدة الميتة، فإن بمقدورنا بناء حياة جديدة فوق أطلال أية مصاعب.

وصار معتاداً الآن أن يقوم من يفكر بالانتحار بإحضار بكرة شريط لاصق معه حتى يُمَيِّز المسار الذي يتخذه في الغابة، في حال قرر العدول عن الفكرة، ولكن الأغلب أن السبب هو رغبته في أن يتم العثور على جثته بسرعة. وهناك من يستخدم الشريط لأسباب حقيرة؛ وهذا يكون ممن يهوون دخول الغابة لمشاهدة الجثث، من دون الخوف من الضياع داخلها.

بادرتُ بالذهاب إلى الغابة مشياً على الأقدام، وتحققتُ بنفسي من وجود شريط جديد مربوط حول الأشجار. حل الظلام، وكان من المستحيل أن أكون متيقناً ولكنني أظن أنني وجدتُ ما ينم عن أن هناك من اتخذ طريقه في الغابة إلى داخل المنطقة المحظورة.

لم أكن أخشى أن أتوه. فأنا أحفظ دروب الغابة، ولم يسبق لي أن ضللت الطريق داخلها. أعتذر على نبرة التفاخر هذه، ولكنني أمارس هذا الأمر منذ خمسة وعشرين عاماً، حتى أضحى جزءاً مني. كان بجعبتي كشاف وجهاز الجي بي إس – ولمعلوماتك، ليس صحيحاً أن الصخور البركانية تحت أرض الغابة تشوشر على الإشارة. دائماً ما كانت الغابة مصدراً للخرافات والأساطير، والناس تحب أن تصدق ما تسمع.

تحتضنك الغابة كالشرنقة ما إن تصير داخلها. وتصير أعالي

الأشجار سقفاً يعزلك عن العالم خارجها. البعض يهاب صمت الغابة وسكونها، أما أنا فلا. كما أنني لا أخاف أرواح الموتى. ربما تكونين قد سمعتِ الحكايات، وأن هذا المكان كان مسرحاً لطقوس "أوباسوتي" التي كانوا يتخلصون خلالها من العجائز أو ترك المُقْعَدين يواجهون مصيرهم المحتوم في أزمنة المجاعات؟ أقول لكِ إنه لا سند أو دليل يؤكد تلك المزاعم. ولكنها حكاية أخرى من ضمن العديد من الحكايات التي خلقتها الغابة. وهناك كثيرون يعتقدون أن الأرواح وحيدة وتحاول أن تجتذب الناس إليها. وهم يؤمنون أن هذا هو سبب انجذاب العديد منهم إلى تلك الغابة.

أنا لم أر الطائرة وهي تهوي – فكما قلت لكِ فإن من يدخل الغابة لا يرى سماءها – ولكنني سمعت سقوطها. سلسلة من الارتطامات الهائلة المكتومة، وكأنها أبواب عملاقة تنغلق بعنف. أتعرفين ما دار بذهني في البداية؟ أتذكر أنني فكرت أنه الرعد، رغم أننا لم نكن في موسم العواصف والأعاصير. كنتُ مستغرقاً تماماً في البحث وسط العتمة وفي النُّقَر والعثرات بأرضية الغابة كي أعثر على دليل يؤكد أن ذلك الصبي حضر إلى الغابة.

كنت بدأتُ أيأس، حينما صدرت شوشرة عن جهاز اللاسلكي، ونبهني "ساتو سان"، أحد زملائي المراقبين، إلى

حقيقة أن هناك طائرة منكوبة انحرفت عن ممر الإقلاع وهوت لتتحطم في بقعة ما من الغابة، ربما كانت منطقة "ناروساوا". عندئذ عرفتُ أن ذاك الصوت كان صوت الارتطام.

قال لي "ساتو" إن السلطات في طريقها إلى المكان، وإنه سيقوم بتكوين فريق بحث. كان صوته متقطع الأنفاس، مصدوماً. وكان يعلم، وكنت أعلم، أن فرق البحث والإنقاذ سوف تواجه صعوبات شديدة في المكان؛ حيث إن التضاريس في بعض بقاع الغابة تجعل من المستحيل على أي أحد إتمام مهمة البحث عن ناجين من دون تعريض حياته لخطر كبير.

قررتُ أن أتجه شمالاً، صوب مكان الصوت الهائل الذي سمعته.

في غضون ساعة، سمعت صوت هدير طائرات الإنقاذ الهليوكوبتر وهي تمسح أجواء الغابة. عرفتُ أن هبوطها مستحيل، ولذلك سارعت خطاي نحو بقعة الارتطام. فإن كان هناك ناجين فلابد من الوصول إليهم بأقصى سرعة، وكل ثانية بتفرق. خلال ساعتين وصلتني رائحة الدخان؛ فقد أمسكت النار في الأشجار بمناطق عدَّة، ولكن من حُسن الحظ أن الحريق لم ينتشر وبدأ يخمد. ودفعني هاجس إلى

أن أسلط كشافي تجاه أعلى الأشجار، ورأيت شيئاً صغيراً معلقاً بين أغصانها. اعتقدت في البداية أنها جثة متفحمة لقرد.

ولكنها لم تكن كذلك.

وبالطبع كان هناك الكثير غيرها. دبت الحياة في الليل مع جلبة وأصوات فرق الإنقاذ ومن بعدها أكثر من طائرة هليوكوبتر تابعة للصحف ووسائل الإعلام، أنارت بأضوائها الساقطة من فوقي المكان لأشاهد عدداً لا يُحصى من الجثث التي احتضنتها الأغصان. كان يتسنى لي تبين بعضها بكثير من التفاصيل؛ بدت لي وكأن إصاباتها خفيفة، وكأنها نائمة. أما أغلبها.. فلم يصادفه الحظ الحسن نفسه. كانت ملابسها مقطعة أو عارية تماماً.

كابدتُ حتى أصل إلى ما صار يُعرف الآن بمسرح الحادث، وحيث وجدوا ذيل الطائرة وجناحها المحطم. كان يتم إنزال المنقذين إلى المكان، ولكن استحال على الطائرات الهبوط لصعوبة تضاريس المنطقة.

راودني إحساس غريب وأنا أقترب من ذيل الطائرة. كان يعلوني مثل برج متهالك، والعجيب أن شعار الطائرة الأحمر بقي متألقاً من دون خدش. هرعتُ إلى حيث فردي إسعاف طائر كانا يسعفان امرأة تتألم على الأرض؛ ولم يسعني

التعرف على مدى خطورة إصابتها، ولكنني لم أسمع في حياتي أصوات ألم بمثل هذه القسوة التي تخرج بها آهاتها. وفي تلك اللحظات لمحث حركةً سريعة بطرف عيني. كانت هناك بعض الأشجار المشتعلة في المكان، وعلى نورها رأيت كياناً أحدب الظهر مختبئاً بكتلة صخرية بركانية. أسرعث نحوه، فسقط ضوء كشافي على هاتين العينين. خلعث حقيبة الظهر عني، وركضث نحوه، بسرعة لم يسبق لي أن ركضت بها في حياتي.

وعندما اقتربث منه.. اكتشفث أنني أنظر إلى طفل.. مجرد طفل.

كان منكمشاً على نفسه، ويرتجف بشدة، وتبين لي أن أحد كتفيه انخلع من مكانه بزاوية مخيفة. صرخث أنادي على المسعفين أن يسرعوا إليّ، ولكنني كنت بعيداً عنهم وصراخي يضيع وسط هدير الهليوكوبتر.

ماذا قلت له؟ يصعب عليّ تذكر هذا بالتحديد، ولكن من المؤكد أني قلت له أشياء من قبيل "هل أنت بخير؟ لا تفزع.. أنا هنا لأساعدك".

كان الدم مختلطاً بالطين بكثافة على جسده حتى أنني ظننت في البداية أنه عريان – أخبروني فيما بعد أن ملابسه تشرذمت من شدة ضغط الهواء عند الاصطدام. مددت يدي

ألمس جسده. كان جلده بارداً.. ولكن هذا طبيعي.. درجة الحرارة كانت عند الصفر تقريباً.

ولن أخجل من أن أعترف لكِ الآن بأنني بكيت.. بشدة.

خلعتُ سترتي وأحطت جسده بها، وحملته بكل حرص وحذر. أراح رأسه على كتفي وهمس.. "ثلاثة". أو هكذا خُيل لي أنني سمعت. طلبت منه أن يُكرِّر لي ما قاله، ولكنه أغلق عينيه وارتخى فمه، وكأنه راح في نوم عميق، كما أنني كنتُ مهتماً في الأساس بأن أنقذه وأدفئ جسده قبل أن تروح الحرارة عن جسده تماماً، فيموت.

وبالطبع يسألني كل من أقابله الآن السؤال نفسه : ألم يتبين لك أي شيء غريب في ذلك الطفل؟ وأقول لهم: بالطبع لا! فقد كان في خضم تجربة مروعة وكل ما ظهر عليه هو الصدمة والفزع.

ولا أتفق مع ما يقوله البعض عنه، وأن أرواحاً شريرة تلبسته، ربما أرواح الركاب الموتى الذين حسدوه لنجاته. والبعض يقول بأن قلبه يحبس داخله تلك الأرواح الساخطة.

كما أنني أشكك في مصداقية بقية الحكايات التي تُروى عن تلك المأساة - من أن الطيار كان يعاني من ميول انتحارية، وأن الغابة اجتذبته إليها كما فعلت مع غيره -

فلماذا منطقة جوكي على وجه التحديد؟ إن قصصاً مثل هذه لا تجلب سوى المشاكل والآلام، ونحن لدينا ما يكفي منها. وأنا متأكد من أن الطيار بذل كل جهد ممكن حتى يهوي بالطائرة في منطقة غير مأهولة بالسكان. كان نبيلاً في الدقائق الأخيرة من حياته، وكذلك فعل.

وكيف لطفل ياباني أن يكون على هذا النحو الذي يصوره أولئك الأمريكان؟ هذا الطفل معجزة.. معجزة بمعنى الكلمة. وسوف لن أنساه أبداً..

بقية حياتي..

استمرت مراسلاتي مع "ليليان سمول" إلى أن أصرت المباحث الفيدرالية على عزلها تماماً عن العالم الخارجي حمايةً لها. ومع أن "ليليان" تعيش في "وليامسبرج"، "بروكلين"، وأنا أقيم في "مانهاتن" إلا أننا لم نلتق وجهاً لوجه أبداً. لذلك تحصلت على شهادتها من خلال العديد من المكالمات الهاتفية والرسائل الإلكترونية.

كان "روبين" متوتراً طول الصباح فأجلسته أمام الـ"سي إن إن"؛ أحياناً ما تجعله هذه القناة يقبع ساكناً. كان في السابق يحب متابعة نشرات الأخبار، وخاصةً السياسية، فهي تستحوذ على انتباهه تماماً، وأحياناً ما يصيح في خبراء العلاقات العامة والمحللين السياسيين الذين تستضيفهم

القناة، وكأنهم يسمعونه. ولا أظن أن هناك نقاشاً أو حواراً فاته طوال نصف العام، وهي الفترة التي أدركت فيها لأول مرة أن هناك مشكلة. حيث كان يواجه مشكلة في تذكر اسم حاكم ولاية "تكساس"، تعرفينه، ذلك المغفل الذي لا ينطق بكلمة "شاذ جنسياً" إلا وهو يلوي فمه في امتعاض. ولن أنسى ذلك التعبير الذي ارتسم على وجه "روبين" حينما تبلبل وهو يحاول تذكر اسم ذلك الوغد. لقد كان يخفي الأعراض التي يعاني منها عني. كان يخفيها عني طيلة أشهر.

وفي ذلك اليوم المشؤوم، كانت المذيعة تحاور أحد المحللين عن توقعاته بشأن الانتخابات التمهيدية، حينما قاطعت كلامه:

- آسفة، لابد أن أقطع كلامك، فقد جاءنا الآن أن طائرة تابعة لشركة "ميدين أيرلاينز" سقطت في منطقة "إيفرجليدز" في ولاية فلوريدا..

وبالطبع، كان أول ما خطر لي عند سماع نبأ سقوط الطائرة هو أننا في 11 سبتمبر أخرى. إرهاب. قنبلة على الطائرة. وأنا متيقنة من أن هذا هو ما خطر لجميع سكان "نيويورك" أول ما سمعوا الخبر. هذا طبيعي.

إلا أنهم عرضوا اللقطات على الشاشة؛ مصورة من الجو، من هليوكوبتر. لم يظهر لي سوى البركة وبها بقعة زيتية

ضخمة فيها كتلة متحطمة، وظهر لي أن قوة الارتطام جعلت الطائرة تبدو وكأن الأرض ابتلعتها. شعرتُ ببرودة مباغتة في أصابعي، وكأني أمسك بقطعة ثلج، بالرغم من تأكدي من أن الشقة دافئة تماماً. غَيَّرت القناة إلى أخرى تعرض توك شو، محاولة أن أبدد عني هذا الشعور الملتبس. كان "روبين" قد غفا، فرأيت أن هذه فرصة لأغير المفارش وأحملها إلى المغسلة في الأسفل.

ما إن انتهيت حتى رن جرس التليفون. أسرعتُ لأرد عليه، حتى لا يُوقظ صوت الجرس "روبين". كانت "مونا" صديقة "لوري". كنت مستغربة من اتصالها بي، فنحن لسنا أصدقاء إلى هذا الحد، بل هي تعلم أنني لا أرتاح لها أبداً. فهي على النقيض تماماً من "لوري"؛ هوجاء متسرعة ولم تتغير أبداً بالرغم من كونها في عقدها الأربعين. لقد تطلقت مرتين قبل حتى أن تصل إلى سن الثلاثين. ومن دون حتى أن تسلم عليّ أو تسأل عن حال "روبين"، قالت لي:

- على أي رحلة تعود اليوم "لوري" و"بوبي"؟

غمرتني تلك البرودة من جديدة.

- ما الذي تتحدثين عنه؟ إنهما لن يعودا اليوم من الأصل.

- ولكن "ليليان"، ألم تتصل بكِ "لوري"؟ إنها مسافرة اليوم

إلى فلوريدا لتتفق على منزل لكِ ولـ"روبين".

تخدرت يدي وسقطت السماعة منها – لا يزال صوتها المتذمر يأتيني عبرها. لم تعد ساقاي قادرتين على حمل جسدي، وأتذكر أنني دعوت الرب أن تكون هذه واحدة من المقالب السخيفة التي اعتادت "مونا" أن تلعبها وقت أن كانت أصغر سناً. أغلقت الخط من دون أن أرد عليها، وبادرت بالاتصال بـ "لوري"، وكدت أصرخ حينما تحولت المكالمة تلقائياً إلى بريدها الصوتي. كانت "لوري" أخبرتني أنها سوف تصطحب "بوبي" معها للقاء أحد الزبائن في "بوسطن"، وأن عليّ ألا أقلق إن لم تتصل بي لعدة أيام.

أوه، كم تمنيت لو أن بمقدوري أن أتكلم مع "روبين" في تلك اللحظات! كان سيعرف كيف يتصرف. أعتقد أن ما اعتراني في تلك الساعة هو الرعب والفزع بمعنى الكلمة. ليس ذلك الرعب الذي تشعرين به عند مشاهدة فيلم رعب أو حين تصادفين أحد المتشردين المجانين في الشارع، بل هو شعور قوي لدرجة أنكِ تفقدين السيطرة على نفسك – وكأن روحك خرجت عن جسدك. بدا أن "روبين" استيقظ وأنا أغادر الشقة، ولكنني اتجهت بالرغم من ذلك إلى الشقة المقابلة لنا، هذا ما خطر لي أن أفعله. ولحسن الحظ كانت "بيتسي" موجودة – وما إن رأت حالتي حتى بادرت

بإدخالي الشقة. كنت في حالة منعتني من الانتباه إلى دخان السجائر الكثيف والذي لا يبدو أنه يتبدد في شقتها؛ وكانت هي معتادة أن تزورني بين الحين والآخر لتناول القهوة والبسكويت.

صبت لي كأس براندي، وطلبت مني أن أشربه مرة واحدة، ثم عرضت عليّ أن تصحبني إلى شقتنا وأن تجلس هي مع "روبين" إلى أن أتصل أنا بشركة الطيران. لن أنسى ما حييت وقفتها بجانبي بالرغم من كل ما مر بي عقب ذلك.

كانت خطوط الشركة مشغولة، وبقيت على الانتظار فترات وفترات. عندئذ أدركت ما يكون عليه الجحيم الحقيقي – وأنا أنتظر سماع خبر أعز الناس على قلبي بينما أضطر إلى سماع موسيقى أغنية "بنت من إبانيما". وحتى اليوم، كلما سمعت تلك الأغنية يعود بي الزمن إلى تلك اللحظات المشؤومة، وأشعر بطعم البراندي في فمي، بينما يتأوه "روبين" في حجرة المعيشة، وأشم رائحة شوربة الدجاج البايتة في المطبخ.

لم أعد أحصي عدد مرات اتصالي بالرقم الملعون. وبعد أن تملكني اليأس تماماً، أتاني صوت من الجهة الأخرى من الخط. صوت امرأة. أمليث عليها اسمي "لوري" و"بوبي". صوتها متوتر يحاول الحفاظ على نبرة مهنية محايدة. خيَّم

الصمت دهراً وأنا أسمع صوت أصابعها على أزرار الكيبورد.

ثم أكدت لي.. كانت "لوري" ومعها "بوبي" على متن الطائرة.

أكدت لها أن هناك خطأ. مؤكد خطأ. من المستحيل أن تموت "لوري" ومعها "بوبي"، لا يمكن. كنت سأعلم هذا. كنت سأشعر به. لم أصدقها. لم أقبل منها أي كلام. وحينما وصلت "شارمين" – الأخصائية النفسية التي خصصها لنا الصليب الأحمر – كنت لا أزال في حالة عدم التصديق والإنكار.. وكم أخجل من نفسي الآن وأنا أتذكر أنني صرخت فيها أن تذهب إلى الجحيم.

بالرغم من هذا، كان أول رد فعل لي هو التوجه إلى موقع الحادث. حتى أكون على مقربة منهما. تحسباً لأي شيء. وأعترف أن ذهني كان مشوشاً تماماً. كيف أمكن لي أن أفعل هذا؟ فلم تكن هناك رحلات طيران، وسوف اضطر إلى أن أترك "روبين" مع جارتي لفترة لا يعلمها إلا الرب، أو ربما أضعه في دار رعاية.

كنت أرى وجهي "لوري" و"بوبي" في كل مكان. كان لدينا العديد من الصور لهما. "لوري" وهي تحمل مولودها "بوبي" بين ذراعيها، وتبتسم للكاميرا. "بوبي" في "كوني أيلاند" وهو يحمل قطعة بسكويت كبيرة. "لوري" وهي تلميذة في

المدرسة، "لوري" و"بوبي" في عيد ميلاد "روبين" السبعين، في الحفل الذي أقمناه في "جوجوبيز"، قبل عام من تدهور صحته - وقت أن كانت لديه ذاكرة وكان يعرف من هم حوله. لن أنسى أبداً أول مرة أخبرتني فيها أنها حامل. لم أكن متقبلة لما قررت القيام به، ولم تعجبني فكرة أن تلجأ إلى بنك الحيوانات المنوية، وتشتري منه وكأنها تبتاع فستاناً، وتقرر أن تحمل بهذه الطريقة الصناعية. طريقة لا روح فيها على الإطلاق، هذا رأيي، "عمري تسعة وثلاثين الآن، "موما"" (حتى وهي في الأربعين كانت تدلعني بكلمة "موما"). "هذه هي فرصتي الأخيرة. ولا أمل الآن في أي فارس أحلام". ولكنني نسيتُ كل شيء أول ما رأيتها مع "بوبي" لأول مرة. كم كانت رائعة وهي أم!

عجزتُ عن ألا ألوم نفسي. فقد كانت "لوري" تعرف أنني أتمنى الانتقال إلى "فلوريدا"، وأن أعيش في واحد من تلك المنازل النظيفة المشمسة والتي يتوفر لها ممرضات وممرضين، حيث يمكن لـ"روبين" أن يحصل على الرعاية التي يحتاجها. لهذا قررت أن تسافر. كانت ترغب في أن تكون مفاجأة سعيدة لي في عيد ميلادي. هكذا كانت "لوري"؛ كريمة وعطوفة لدرجة لا تتخيلينها.

كانت "بيتسي" تبذل جهدها في تهدئة "روبين" بينما كانت

أعصابي تحترق. لم أتوقف عن الحركة هنا وهناك. لم أتوقف عن رفع السماعة بين دقيقة وأخرى لأتأكد من أن التليفون يعمل، انتظاراً لمكالمة من "لوري" تطمئنني بها وأنها لم تستقل الطائرة في آخر لحظة. وأنها قد قررت أن تأخذ رحلة غيرها هي و"بوبي". أو أنها ركبت الطائرة السابقة على تلك الرحلة. كان هذا أملي الواهن.

بدأت أخبار تحطم الطائرات تتوالى، وصرت أغلق التليفزيون اللعين قبل أن أعود فأشغله، وأنا مرتابة بين الرغبة في التعرف على الأخبار والحاجة إلى الابتعاد عنها. أوه، كم كانت مروعة تلك اللقطات! غريب أن أفكر فيها الآن، ولكنني شعرت بغيرة مقيتة حينما شاهدتُ لقطات ذلك الصبي الياباني وهم يسحبونه بالحبال إلى الهليوكوبتر من قلب الغابة. بالطبع الغيرة! فنحن في تلك الأيام لم نكن نعرف مصير "بوبي". كل ما عرفناه هو أن أحداً لم ينج من طائرة "فلوريدا".

فكرتُ أن العائلة استحوذت على الحظ السيء الموجود في العالم كله. قلت لنفسي: لماذا يفعل الرب هذا بنا؟ ما الذي اقترفته لأستحق هذا العقاب؟ وشعرتُ، مع الذنب والأسى والرعب والفزع، بأني وحيدة. ولكنني لن أقدر أبداً على إخبار "روبين"، مهما حدث، سواء كانا على متن تلك الطائرة أم

لم يكونا. فهو عاجز عن أن يكون عوناً لي، وعاجز عن فعل أي شيء، حتى ولو بتربيتة على ظهري إن غاب النوم عني. عاجز. بل هو أيضاً راح عني.

لم تتركني "بيتسي" إلا حينما حضرت "شارمين"، وأخبرتني أنها ستذهب لإعداد وجبة طعام لنا، بالرغم من أن الطعام كان آخر ما أفكر فيه.

ذكرياتي ضبابية عن تلك الساعات. لابد أنني أرحت "روبين" في فراشه، وحاولت إطعامه بعض الشوربة. أتذكر أنني شغلت نفسي بمسح كاونتر المطبخ حتى تعبت يداي، بالرغم من محاولة "شارمين" و"بيتسي" منعي من الاستمرار في ذلك.

بعدها جاءت المكالمة. ردت "شارمين" على التليفون بينما تجمدت أنا و"بيتسي" واقفتين في المطبخ. أحاول أن أتذكر الكلمات على وجه التحديد لأجلكِ، ولكنها تراوغني داخل عقلي. كانت "شارمين" سوداء البشرة، ولكن بشرتها غاية في الجمال، فهم يزدادون جمالاً كلما تقدموا في السن، أليس كذلك؟ ولكنني أتذكر أنه خُيل لي أنها تقدمت في العمر عشر سنوات دفعة واحدة حينما عادت إلينا في المطبخ.

- "ليليان".. من الأفضل أن تجلسي.

حاولت أن أبعد عقلي عن أي بادرة أمل. لقد رأيت بنفسي لقطات الطائرة المحطمة. كيف يمكن لأحد أن ينجو من كارثة كهذه؟ لذلك نظرت إليها في عينيها مباشرة وأمرتها: "اخبريني وحسب".

- إنه "بوبي". عثروا عليه. إنه على قيد الحياة.

سمعتُ صراخ "روبين" الذي انطلق بغتةً من غرفة النوم..

وأنا أطلب منها أن تكرر على مسامعي ما قالته للتو..

قد يعرف العديد من القراء "أيس كيلسو"، ضابط المكتب الوطني لسلامة النقل، من واشنطن، وذلك لأنه نجم حلقات "تحقيقات أيس" التي استمرت قناة "ديسكفري" تعرضها على مدار أربعة مواسم. وهذه الشهادة تفريغ جزئي للعديد من الحوارات التي أجريتها معه عبر سكايب.

لازم تفهمي "إلزبيث"، إننا كنا نعرف إننا مع حادثة بهذه الجسامة سنحتاج إلى كثير من الوقت قبل أن نتمكن من جمع كل المعلومات. تصوري إننا أمام أربع حوادث مختلفة تعرضت لها ثلاثة طرازات من الطائرات وفي أربع قارات – هذه كارثة غير مسبوقة. كان علينا أن نتعاون مع الـ"أيه أيه آي بي" في بريطانيا، والـ"سي أيه أيه" في جنوب أفريقيا،

والـ"جي تي إس بي" في اليابان، بخلاف بقية الأطراف الأخرى – وأقصد بذلك شركات تصنيع الطائرات، والـ"إف بي آي"، والـ"إف أيه أيه"، وغيرها. كنا نبذل قُصارى جهدنا، ولكننا تعرضنا لضغوط لم نشهدها من قبل. ومن الكل. وأنا لا أقول بأننا ارتكبنا كوارث خلال هذا العمل، ولكن الوقوع في أخطاء كان أمراً طبيعياً ومنطقياً. نحن بشر. ومرت علينا أسابيع تلو الأسابيع كنا نحسد فيها من يتمكن منا من النوم ولو لساعتين.

وقبل أن أصل إلى ما أعلم أنكِ تنتظرين سماعه مني، سأعطيك صورة سريعة. بصفتي المحقق المسؤول في حادثة طائرة "ميدين أيرلاينز"، شرعث في تكوين فريق التحقيق ما إن تلقيت الأمر. وكان هناك محقق من المنطقة في موقع الحاث بالفعل يجري المهام الأولية، ولكننا اعتمدنا في تلك المرحلة على اللقطات التليفزيونية التي كنا نشاهدها. وزودني قائد الشرطة المحلية هناك بصورة سريعة عبر التليفون عن ظروف الموقع، وهكذا أدركت أننا أمام كارثة. ولا تنسي أن المكان الذي سقطت فيه الطائرة كان بعيداً جداً. على بعد خمسة أميال من أقرب سد، وأربعة عشرة ميلاً من أقرب طريق. وكان من الصعب تبين معالم مكان الارتطام من الجو، إلا إذا كنتِ تعرفين ما تبحثين عنه – كنا قد حلقنا فوقه قبل أن نهبط، ورأيته بنفسي. حطام

متناثر، وحفرة سوداء ضخمة ممتلئة بالمياه حجمها لا يقل عن حجم منزل ريفي كبير، يحيط بها ذلك العشب الطويل الحاد.

وكانت أول المعلومات التي عرفتها أن طائرة من طراز "مكدونيل دوجلاس إم دي 80" تحطمت عقب دقائق من إقلاعها. وذكر مركز المراقبة الجوية أن الطيارين أبلغا عن عطل في المحرك، ولكنني لم أكن لأستبعد عملاً تخريبياً في هذه المرحلة المبكرة، وخاصةً بعد توالي أنباء الحوادث الأخرى. وشهد صيادان بأنهما شاهدا الطائرة وهي تضطرب في الجو ثم ينخفض ارتفاعها جداً قبل أن تسقط بكل قوة في "إيفرجليدز"؛ وقالا إنهما شاهدا النار مشتعلة في المحرك أثناء سقوط الطائرة، ولكن هذا أمر اعتدناه. فالشهود دائماً ما يقولون إنه كانت هناك نيران أو انفجار ما، حتى ولو كانت فرص حدوث ذلك معدومة.

وعلى الفور، طلبت من فريقي بالكامل الانتقال إلى الهنجر رقم 6. حيث خصص لنا المكتب الفيدرالي طائرة "جي 4" لتنقلنا إلى "ميامي" – فهذه الحادثة تحتاج مني الاستعانة بكامل الفريق من دون استثناء. وقد كانت هناك من قبل شكوك تجاه أعمال الصيانة التي تقوم بها شركة "ميدين"، ولكن هذه الطائرة بالذات معروفة بمتانتها وقدرتها العالية.

كنا على بُعد ساعة من المكان بالطائرة حينما أبلغونا أنهم عثروا على ناجٍ من الحادث. وتذكري "إلزبيث"، أننا كنا قد رأينا الحادث في وسائل الإعلام فقط - وما كان لأحد يرى تلك الصور أن يظن أن الحادث متعلق بطائرة ركاب، فهي كانت مطمورة بالكامل داخل جوف الأرض. والصراحة أني لم أكن أصدق تلك الصور في البداية.

نقلوا الصبي بسرعة إلى مستشفى "ميامي" للأطفال، ووصلتنا الأخبار أنه لم يفقد الوعي. ولم يكن لأحد أن يصدق أنه (1) قد نجا، و(2) أن التماسيح لم تلتهمه. وأقول لكِ إن التماسيح كانت من الكثرة في مكان الحادث لدرجة استدعتنا إلى طلب عون حرَّاس مسلحين ليبعدوها عنا ونحن نستخرج الحطام.

ما إن هبطنا من الطائرة حتى توجهنا على الفور إلى الموقع. كان فريق الإغاثة واستخراج الضحايا موجوداً هناك بالفعل، ولكن بدا من الواضح لهم أن أمر العثور على جثة سليمة هو المستحيل بعينه. وبالتالي كانت الأولوية للعثور على مسجل الطائرة وصندوقها الأسود؛ وكنا بحاجة إلى غواصين محترفين لإنجاز تلك المهمة. كان الوضع مهولاً. وما زاد الطين بلة حرارة الجو المرتفعة والحشرات والذباب ونتانة رائحة المكان. احتجنا ارتداء الملابس الواقية من

الأخطار البيولوجية، وهي الجحيم بعينه في مثل هذه الحالات والأجواء. وأدركت منذ الثانية الأولى أننا سنحتاج إلى أسابيع عديدة قبل أن نتمكن من تجميع هذا الحطام كما كان، ونحن لا نمتلك رفاهية تلك الأسابيع، خاصةً ونحن نعرف الآن أن هناك طائرات أخرى سقطت في ذلك اليوم.

رغبتُ في أن أتحدث مع ذلك الصبي. فوفق قائمة الركاب، كان الطفل الوحيد من هذه الفئة العمرية على متن الطائرة هو "بوبي سمول"، المسافر في رحلة عودة إلى "نيويورك" مع سيدة أعتقد أنها أمه. أردتُ الذهاب إليه وحدي، تاركاً فريقي في مسرح الحادث لإنجاز الاجراءات التمهيدية والتعاون مع السلطات المحلية وغيرهم ممن كانوا في الطريق إلى المكان.

كانت وسائل الإعلام محتشدة عند المستشفى، وتُلح عليّ أن ألقي لها بأية كلمات.. "أيس! أيس!"، هكذا كانوا يصيحون فيّ. "أكانت قنبلة؟"، "ماذا عن الحوادث الأخرى"، "هل هناك علاقة بينها؟"، "هل صحيح أن هناك من نجا؟". ألقيت إليهم بالكلمات المعتادة، وأن هناك بياناً صحفياً سوف يصدر أول ما تتوافر المعلومات، وأن التحقيق جار.. إلخ. فمن الجنون أن أتفوه، وأنا المسؤول عن التحقيق، بأي معلومة ونحن لم نتحصل بعد على أي شيء ملموس.

كنتُ قد اتصلت بهم مسبقاً لأخبرهم أني في الطريق، رغم علمي أن من الصعب عليهم أن يسمحوا لي بالتحدث إليه. وأثناء انتظاري موافقة الأطباء، رأيث ممرضة تخرج من غرفته مسرعة، واتجهت نحوي. كانت على وشك البكاء. نظرتُ في عينيها وسألتها:

- هو بخير، أليس كذلك؟

أومأث برأسها من دون كلام، واتجهث بخطوات مسرعة نحو نقطة التمريض. بقيت لأسبوع أو أكثر أتصل بها لأعرف سبب الاضطراب الذي كانت عليه. ولكنها عجزت عن أن تصف لي مشاعرها بالكلمات. قالت لي إن هناك شعوراً يراودها بأن هناك أمر غامض تجهله، "حاجة غلط"؛ ولم تكن مرتاحة أبداً خلال وجودها داخل الغرفة. وشعرت بالذنب بعدما تكلمت معي. وقالت لي في مرة أخرى إنها لابد تأثرت من حقيقة موت كل هذا الكم من البشر مرة واحدة، وإنها رأت في "بوبي" دليلاً حياً على حقيقة وحجم الكارثة.

وصلت إخصائية الأطفال المكلفة، بعدي، ببضع دقائق. آنسة لطيفة في الثلاثينيات رغم أنها تبدو أصغر. نسيث اسمها.. "بانكوسكي"؟ أيوه، صح "بانكوسكي". أشكرك. كانت تلقت التكليف للتو، وآخر ما ترغب في التعامل معه محقق فضولي قد يصيب الطفل باضطراب. بادرتها:

- آنسة، نحن أمام حادث دولي ضخم، وهذا الطفل بالداخل هو الشاهد الوحيد الذي يمكنه مساعدتنا.

لا تظني أنني منعدم الإحساس "إلزبيث"، ولكن لا تنسي أن المعلومات عن بقية الحوادث كانت شحيحة، وكان كل تفكيري أن هذا الصبي هو مفتاح السر. ولا تنسي أيضاً أن في الحادثة اليابانية مر وقت طويل قبل أن يعلنوا عن وجود ناجٍ، كما أننا لم نحصل على أية كلمة من الفتاة في الحادثة البريطانية إلا بعد الحادث بساعات طويلة. على كلٍّ، أخبرتني الدكتورة "بانكوسكي" أن الصبي مستيقظ، ولكنه لم يتكلم، ولم يعرف بعد أن أمه ماتت. وطلبت مني توخي الحرص وألا أقوم بتصوير اللقاء. وافقت، بالرغم من أن الإجراءات تحتم عليّ تسجيل أقوال الشهود. وفيما بعد وجدتُ نفسي لا أدري إن كنت سعيداً لعدم تسجيلي ذلك اللقاء أم لا. أكدتُ لها أنني مؤهل تماماً لمحاورة الشهود، وأن هناك إخصائي سيحضر لإجراء حوار آخر متخصص. كل ما أريده هو أن أعرف ما إذا كان يتذكر أي شيء مهم يمكنه أن يضعنا على المسار الصحيح.

كانوا قد خصصوا له غرفة خاصة، ذات جدران ناصعة البياض، ومليئة باللعب والدمى. أكبرها "سبونج بوب"، وزرافة كبيرة لم أرتح لمنظرها. كان الصبي راقداً على

ظهره، وقد علقوا محلولاً في ذراعه، وخدوش تلك النباتات الحادة ظاهرة على جلده (كلنا تضررنا من تلك النباتات في الأيام التالية)، ولكن جسده كان يخلو من أية إصابات ذات بال. وهو أمر لا أزال متحيراً أمامه. ومثلما يقول الجميع.. فهي معجزة بمعنى الكلمة. كانوا يجهزونه لفحص بالأشعة، وعرفتُ أن أمامي دقائق قليلة.

لم يرتح الأطباء المنهمكين حول فراشه لوجودي، ووقفت "بانكوسكي" جواري وأنا أقترب من الفراش. بدا لي ضعيفاً للغاية، خاصةً وأنا أرى تلك الخدوش أعلى ذراعيه وعلى وجهه، حتى أنني تحرجت من إصراري على سؤاله بالرغم من الهول الذي نجا منه للتو.

- مرحباً.. "بوبي". اسمي "أيس". أنا محقق.

بقى ساكناً من دون أية حركة. وفي تلك اللحظة رن تليفون "بانكوسكي" فابتعدتْ خطوات عني.

- كم أنا سعيد لرؤيتك بخير. وإذا لم يكن عندك مانع سوف أسألك بعض الأسئلة.

عندئذ فتح عينيه، وحَدَّقَ في عيني مباشرة. كانت عيناه شاردتين خاويتين. لدرجة كنتُ أشك في إذا ما كان يسمعني من الأصل.

- مرحى.. أنا سعيد أنك مستيقظ.

شعرتُ وكأن نظراته القوية تخترقني. ثم.. اسمعي "الزبيث"، ما سأقوله الآن سيبدو غاية في الغرابة ولكنه حصل.. في تلك اللحظة بدأت عيناه تدمعان وظننت أنه سيبكي. ولكن.. أوه يا إلهي كيف أصف لك المنظر.. ولكنها ليست دموع.. ليست دموع.. كانت عيناه تنزفان دماً.. ينسال منها الدم..

أعتقد أنني صرخت، فأنا لم أنتبه إلا و"بانكوسكي" جواري وطاقم الأطباء لا يزال منهمكاً في عمله حول الصبي. صحتُ فيهم:

- ما الذي يجرى لعينيه؟

كانت "بانكوسكي" تتطلع فيّ بدهشة كبيرة وكأني مخلوق فضائي برأسين ظهر في الغرفة بغتةً.

عندئذ جن جنوني، وعدتُ أنظر إلى "بوبي" من جديد، أُحَدِّق في عينيه مباشرةً..

كانتا صافيتين..

زرقاوين..

ولا أثر فيهما لأية دماء..

ولا نقطة دم واحدة..

من الفصل الثاني من كتاب "الملاك الحارس "جيس": حياتي مع واحد من الثلاثة"، تأليف "بول كرادوك" (شاركته الكتابة "ماندي سولومون")

كثيراً ما أواجه هذا السؤال:

- "بول"، لماذا تكفلت برعاية "جيس"؟ فأنت ممثل ناجح، وفنان، وأعزب، وحياتك مشغولة دوماً، فهل قررت فعلاً أن تمارس دور الأب؟

أما إجابتي البسيطة فهي أنه بعد ولادة التوأمين، جلست "شيلي" و"ستيفن" معي وطلبا مني أن أكون الوصي القانوني على التوأمين في حال حدث لهما أي شيء. وكانا قد فكرا في الأمر تفكيراً طويلاً – وبالخصوص "شيلي". ولدى جميع أصدقائهما عائلات بالفعل، وبالتالي فلن يمكن لهما الاهتمام بالتوأمين على النحو المطلوب، كما أن عائلة "شيلي" لا يعتمد عليها (لأسباب سأعرضها لاحقاً). كما أن "شيلي" أخبرتني أن الفتاتين ميالتان إليّ، برغم أنهما لا زالتا رضيعتين. - هذا هو كل ما تحتاج إليه "بولي" و"جيس"، يا "بول". الحب. وأنت تمتلك الكثير منه.

- بالطبع كان "ستيفن" و"شيلي" يعرفان الماضي. فقد

عشت فترة عبثية من حياتي وأنا في منتصف العشرينيات بعد خيبة أمل كبيرة. كنت أصور دوري في الحلقة التجريبية من مسلسل Bedside Manner، والذي اعتبره النقاد مسلسلاً بريطانياً واعداً في عالم دراما المستشفيات، حينما تقرر إلغاء المسلسل. كنت سأقوم بدور البطولة، د. "مالاكاي بينيت"، جراح بارع يعاني من متلازمة"أسبرجر"، مع إدمان المورفين وعقدة الاضطهاد، حل عليّ نبأ الإلغاء كالصاعقة. كنتُ أمضيتُ الشهور في البحث وتقمص الشخصية، حتى صرت أنا هي وهي أنا، وأعتقد أن جزءاً من مشكلتي كان أنني توغلت زيادة عن اللزوم في الشخصية. وكما حدث لممثلين كثيرين قبلي، صارت الزجاجة والكأس صديقيّ، وأدمنتُ أنواعاً من المخدرات ظناً مني أن هذا سيقتل الألم داخلي. ومع التوتر النفسي والخوف من المستقبل، كان من الطبيعي أن أُصاب باكتئاب حاد وأعاني من سلسلة من إيهامات البارانويا.

- ولكنني نجحت في التغلب على حالتي التعسة هذه قبل حتى أن يفكر "ستيفن" في إنجاب الطفلتين، وهكذا أقول بكل أمانة إنهما وجدا فيّ الخيار الأمثل. وأصرت "شيلي" على أن ننهي الإجراءات القانونية، وهكذا أتممناها عند أحد المحامين. ولا تنس أنك حينما تقوم بهذه الخطوة فأنت تفعلها ولا يخطر ببالك أبداً أنك ستنفذها في يوم من الأيام.

ها أنا ذا أسبق أفكاري.

بعد أن غادرت تلك القاعة المشؤومة التي ساقنا إليها طاقم شركة "جو جو" الأخرق، أمضيت نصف الساعة التالية في بوفيه المطار أحدق في الشاشة وشريط قناة "سكاي" يُكرر الأخبار المروعة من دون انقطاع. وبعدها ظهرت أول لقطات للمنطقة التي يعتقدون أن طائرة "ستيفن" سقطت فيها: كانت لقطة من المحيط، لمنطقة رمادية متقلبة، بينما يبدو الحطام بين الأمواج. وبدت قوارب الإنقاذ التي تبحث عن ناجين أشبه بدمى في وسط رقعة لا نهاية لها. وأتذكر أني قلت لنفسي: الحمد لله أن "ستيفن" و"شيلي" عَلّما الفتاتين السباحة في الصيف الماضي. أعلم أن هذا هو العته بعينه. فحتى بطل العالم في السباحة كان سيعاني الأمرين وسط تلك الأمواج. ولكني لا أجد في كلامي هذا أي غرابة، فقد كنت بدوري كالغريق؛ أتشبث بقشة.

"ميل" هي التي عثرت عليّ. ربما تكون مدخنة شرهة لا تتورع عن تدخين أربعين سيجارة "روثمان" في اليوم، وربما تكون مريضة بالتسوق، ولكنها تمتلك هي ورفيقها "جيف" قلباً يسع كندا كلها. وكما قلت لكِ من قبل، فالمرء لا يحكم على الناس من الظاهر أبداً. بادرتني "ميل" قائلة:

- لا تيأس، حبيبي. لا يمكنك أن تيأس.

كان الفتية الجالسين عند البار قد فضلوا عدم الاحتكاك بي، ولكنهم لم يرفعوا أعينهم عني طوال الوقت. كنت في حالة مزرية، أتصبب عرقاً وارتجف، بل ربما تكون دموعي خانتني للحظات. صاحت فيّ "ميل" وهي تأخذني من يدي إلى القاعة:

- ما الذي تحدق فيه هنا؟

كانت القاعة قد ازدحمت بجيش من الأخصائيين النفسيين والاستشاريين. وكانوا يوزعون أكواب الشاي سيئة المذاق، ويجهزون لمنطقة يخصصونها لعلاج الصدمة النفسية. أجلستني "ميل" بينها وبين "جيف": وكأنها تريد أن تتأكد من كوني محل رعايتهما. ربت "جيف" على ركبتي مطمئناً:

- كلنا معاك يا صاحبي.

ناولني سيجارة، ولم أكن قد دخنت منذ سنوات، ولكني تناولتها منه ممتناً.

لم يمنعنا أحد من التدخين.

التحق بنا كلا من "كلفين"، صاحبنا أبو الضفائر، و"كايل"، الجميلة حمراء الشعر التي كانت تمسك بالبالونة (التي فرقعت ولم يبق منها سوى قطعة مطاطية تعسة على

الأرض). وجدت أن هناك علاقة ما تربطنا، ربما لأننا الخمسة كنا أول من عرف الخبر، وهكذا مكثنا معاً، ندخن، ونمنع بعضنا البعض من الانهيار. اقتربت منا سيدة حركاتها عصبية – تبدو مستشارة في تخصص ما، مع أنها بدت أرفع منصباً من ذلك – وطلبت منا أسماء أقاربنا الذين كانوا في الرحلة المنكوبة. كنت متفهماً، حتى في تلك الساعات، أنهم لن يسعوا أبداً إلى منحنا أملاً زائفاً، ولكن المرء لا يمكن أن يمنع نفسه عن الأمل. هذا أمر لا يد لك فيه. تبقى تدعو الرب أن تكون الرحلة قد فاتت من تحب، أو أن تكون معلوماتك عن رقم الرحلة وموعد وصولها خطأ في خطأ، أو أن كل هذا مجرد كابوس محكم السيناريو. تذكرت تلك اللحظة السابقة على سماعي بنبأ الحادث – وأنا أراقب أولئك الصبية الذين يفككون شجرة الكريسماس (كان فألاً سيئاً.. مع أني لا أؤمن بهذه الخرافات) – وأجد نفسي أتوق لعودة الزمان بي إلى تلك اللحظة، قبل ذلك الشعور الخاوي المقيت الذي استولى تماماً على كياني الآن.

شعرتُ ببوادر أزمة تعتصر صدري. وحاولت "ميل" ومعها "جيف" حَثّي على الاستمرار في الكلام بينما ننتظر دورنا للعرض على الأخصائي النفسي، ولكني عجزتُ عن الكلام، وهو أمر نادر. أراني "جيف" صورة "سكرين سيفر" على تليفونه الذكي – صورة لفتاة في العشرينيات تبتسم، بدينة

بعض الشيء ولكنها جذابة على طريقتها. أخبرني أنها "دانييلا"، ابنته، التي حضرا لاستقبالها. اكتست نبرته بالكآبة وهو يقول:

- فتاة ذكية، مرت بفترة صعبة من حياتها، ولكنها صححت المسار الآن.

كانت "دانييلا" في جزيرة "تينيريفي" لحضور حفل من حفلات الشباب الطائشة، وكانت قد قررت الذهاب في آخر لحظة حينما وجدت مكاناً في الرحلة تخلّى عنه أحد المسافرين في آخر الساعات. كم هو عجيب القدر!

كان التنفس بالنسبة لي ـ في تلك اللحظات ـ أصعب مهمة في الكون، والعرق البارد يُغَلِّفني. أدركت أني لو لم أغادر القاعة فوراً؛ سوف تنفجر رأسي.

فهمتني "ميل"، فقالت لي وهي تُدَلِّك ركبتي بيدٍ أثقلتها الحلي الذهبية:

- اعطني رقمك، حبيبي. سوف نعرفك بأية معلومات تصلنا.

هكذا تبادلنا رقمينا (رغم أني لم أتذكر رقمي في البداية)، قبل أن أهرع إلى الخارج. حاولت أخصائية إيقافي، ولكن "ميل" صاحت فيها:

- اتركيه وشأنه، طالما أن هذه هي رغبته.

وإلى الآن، لا أعرف كيف قمت بدفع رسم الانتظار في الموقف، وقدتُ سيارتي عائداً إلى "هوكستون" من دون أن تفرم شاحنةٌ سيارتي الصغيرة التي قدتها وأنا في تلك الحالة. أنا لا أذكر أي شيء عن رحلة العودة تلك. وفيما بعد، تبين لي أنني قمت بركن سيارة "ستيفن" الأودي وقد اعتلى نصفها الرصيف، وكأن سكيراً كان يقودها قبل أن يتركها على تلك الحال.

لم أنتبه لنفسي إلا حينما تعثرتُ في ردهة العمارة، لأرتطم بمنضدة رسائل البريد التي طارت من مكانها. اندفع واحد من الطلبة البولنديين الذين يقيمون في الشقة بالطابق الأرضي نحو باب شقته وسألني إن كنت بخير. ولابد أنه أدرك أنني لست بخير، لأنني عندما سألته عما إذا كان لديه أية خمور غاب عني للحظات قبل أن يعود ويناولني من دون كلام زجاجة "فودكا" من النوع الرخيص.

أسرعت الخطى إلى شقتي، وأنا مدرك تماماً أنها مسألة لحظات قبل أن أفقد الوعي. ولكني لم أبال.

لم أبحث عن كأس، بل أخذت أشرب من الزجاجة مباشرة. لم يهمني طعمها. كنت أرتجف، ويداي لا تثبتان على حال. أخذت أبحث عن تليفوني "البلاك بيري"، ثم أبحث في دليله

عن أي رقم أتصل به، ولكني لم أكن أعرف بمن أتصل.

وهذا ببساطة لأن الشخص الوحيد الذي كنت أستنجد به هو.. "ستيفن".

أخذت أجوب الغرفة هنا وهناك.

أجرع المزيد من الخمر.

سكت.

ثم جلستُ إلى الأريكة وشغلت الشاشة.

احتلت تغطية الحادث محل جدول البرامج المعتاد في جميع القنوات. كنت مخدر الجسد والعقل ولكني فهمت مما أشاهده أنهم علقوا جميع الرحلات الجوية، وأن المحللين والخبراء والمدعين يتسابقون على الظهور في استوديو قناة "سكاي" مع "كينيث بورتر"، المذيع عابس الوجه. ومنذ تلك اللحظات وإلى يومنا هذا، صرتُ أُصاب بحالة الغثيان نفسها كلما سمعت صوت "كينيث بورتر".

كان تركيز "سكاي" على حادث رحلة "جو جو"، فهي الأقرب إلينا. وكانت تعرض لفيديو صَوَّره أحدهم من فوق سفينة للطائرة وهي تطير على ارتفاع منخفض للغاية فوق المحيط، وظلت القناة تعرضه إلى ما لا نهاية. أشكر الرب أن

الارتطام نفسه كان بعيداً عن كادر كاميرا الفيديو، ولكنكِ تسمعين في خلفية المشهد صوت امرأة تصرخ، "أوه يا إلهي، لاري! لاري! انظرا"

كانوا يضعون على الشاشة رقم تليفون لكي يتصل به كل من له أقارب على متن تلك الرحلة، وفكرت في الاتصال به، ولكني لم أجد فائدة من ذلك. وفي الدقائق التي لم يكن "كينيث بورتر" يسأل فيها مسؤولي السلامة الجوية أو ينبه المشاهدين إلى إعادة عرض ذلك الفيديو، كانت "سكاي" تنقل التغطية إلى بقية الحوادث. وعندما سمعت عن "بوبي"، الصبي الذي عثروا عليه في حادث "إيفرجليدز" في فلوريدا، وعن الناجين الثلاثة من الكارثة في اليابان، قلت لنفسي وما المانع إذن. ربما يشاء القدر أن يبقوا أحياء.

شربتُ بقية الزجاجة مرة واحدة.

شاهدتُ لقطات لصبي ياباني عاري الجسد يرفعونه إلى هليوكوبتر؛ ولقطات لأفريقي يصرخ باحثاً عن عائلته، ومن ورائه يتصاعد دخان أسود كثيف. وشاهدت ذلك المحقق - الذي يبدو شبيهاً بكابتن أميركا - وهو يستحث الناس على ألا يفزعوا. وشاهدت موظف شركة طيران يعلن وجسده يرتجف بقوة عن إلغاء جميع الرحلات حتى إشعار آخر.

ولابد أني فقدت الوعي. فحينما استفقت وجدت "كينيث

بورتر" قد رحل لتحل محله مذيعة بنية الشعر ترتدي بلوزة صفراء شنيعة (لن أنسى أبداً تلك البلوزة). كانت رأسي تؤلمني والدوار يتغلب عليها، لذلك عندما قالت بأن هناك تقارير جديدة عن رحلة "جو جو" وأنهم قد عثروا على راكبة على قيد الحياة، ظننت في البداية أنه عقلي يتلاعب بي.

ثم انتبهت. إنها طفلة. لقد عثروا على طفلة متشبثة بقطعة حطام على بعد ميلين من البقعة التي خمنوا أن طائرة "ستيفن" سقطت فيها. لم أتبين الكثير من اللقطات التي صوروها من الهليوكوبتر في البداية - فالصورة تُظهر رجالاً على متن قارب صيد يلوِّحون للطائرة؛ وفي وسطهم شخص ضئيل يرتدي سترة نجاة صفراء فسفورية.

حاولت أن لا أتمسك بهذا الأمل الخداع، ولكن الكاميرا اقتربت بعدسة زووم عليها وهم يرفعونها نحو الهليوكوبتر، ولكني كنت أدرك في قرارة نفسي أنها هي، إحدى التوأمين.

هاتفت "ميل" في البداية. من دون تردد. قالت لي: "دع الأمر لي، حبيبي". لم أتوقف لأعرف حقيقة مشاعرها.

خُيّل إليّ أن فريق الاتصال العائلي وصل في ثوان، وكأنهم كانوا يقفون وراء باب شقتي. أجلسني الإخصائي النفسي، "بيتر" (ولم أعرف اسم عائلته إلى الآن)، وهو شخص أشيب الشعر يرتدي نظارة وله ذقن دوجلاس، وأخذ يحكي لي كل

شيء. ونبهني ألى أترك نفسي للأمل، "علينا أن نتأكد من أنها هي بالفعل، "بول" ". وسألني عن إمكانية اتصاله بأصدقائي وأسرتي، "لمزيد من المساندة". فكرت في الاتصال بـ"جيري"، ولكني صرفت نظر عن الفكرة. لقد كان "ستيفن" و"شيلي" والبنتان عائلتي. ولدي أصدقاء، ولكنهم ليسوا من النوع الذي تعتمد عليه في الأزمات، على الرغم من أنهم بادروا فيما بعد بالوقوف إلى جانبي، طلباً للشهرة ليس أكثر. أعرف أن في كلامي هذا مرارة، ولكن المصائب والشدائد هي التي تكشف للمرء عن معدن من هم حوله.

أردت أن أطير لأكون إلى جوارها، ولكن "بيتر" طمأنني إلى كونها سوف تُنقل إلى إنجلترا ما إن تستقر حالتها. كنت قد نسيت أن جميع الرحلات الأوروبية ملغاة. وعرفت أنها الآن في إحدى المستشفيات في البرتغال.

وحينما رأى أني قد هدأت بما يكفي لأسمع التفاصيل، أخبرني بنبرة هادئة أنه ربما اندلع حريق على متن الطائرة قبل أن يضطر قائد الطائرة إلى الهبوط بها، وأن "جيس" (أو "بولي" – فنحن لم نكن نعرف حينئذ أي البنتين نجت) مصابة. ولكن ما يهمهم الآن هو ألا تنخفض حرارة جسدها بالكامل، أي حالة هيبوثيرميا. أخذوا مني عينة لتحليل الـ"دي إن أيه" حتى يتثبتوا من كونها إحدى التوأمين. لا

أتصور أن هناك مشهداً أكثر سريالية من أن تجد نفسك أمام من يأخذ عينة من ريقك بقطنة كبيرة الحجم بينما أنت تتساءل عما إذا كنت الوحيد المتبقي من عائلتك.

عقب ذلك بأسابيع، خلال أحد اجتماعات أقارب وأصدقاء الضحايا الأولى، أخبرتني "ميل" أنها عندما عرفت بخبر العثور على "جيس" فإنها هي و"جيف" لم تفقد الأمل لأسابيع، حتى بعدما بدأوا في استخراج الجثث. قالت لي إنها ظلت تحلم بأن تكون الأمواج قد نقلت "دانييلا" إلى جزيرة، وأنها في انتظار من ينقذها. وعندما عادت الرحلات الجوية إلى طبيعتها، عرضت شركة "جو جو" تخصيص طائرة خاصة لنقل العائلات إلى الساحل البرتغالي، وهو أقرب مكان إلى مكان الحادث. لم أذهب معهم - لأني كنت مشغولاً مع "جيس" - ولكن أغلب مجموعة 277 ذهبت. ودائماً ما أطرد عن ذهني صورة تخيلتها لـ"ميل" و"جيف" وهما ينظران إلى المحيط، فلا يشاهدا سوى سراب أمل أن تكون ابنتهما على قيد الحياة.

ولابد أن أحدهم في "جو جو" سَرَّبَ رقم تليفوني، فلم تنقطع الاتصالات منذ اللحظة التي تأكدت فيها نجاة إحدى البنتين. وكان السؤال هو نفسه، سواء كان الصحفي من صحيفة "الصن" أو من "الإندبندنت": "ما شعورك؟ هل

تعتقد أنها معجزة؟". أصارحك القول بأن الرد على أسئلتهم المتلاحقة أخرجني من حزني، الذي كان يغمر عقلي موجة تلو الأخرى، ويظهر مع كل حافز حتى ولو كان تافهاً – حتى ولو كان إعلان تليفزيون فيه أم وابنتها؛ أو حتى إعلان مناديل الحمام التي تظهر فيها أطفال على كل شكل ولون. وفي الأوقات التي لا أتعامل فيها مع تلك الاتصالات كنت أقبع في مكاني أتابع الأخبار مثلي مثل بقية البشر في ذلك الحين. كانت شبهة العمل الإرهابي قد استبعدت مبكراً، ولكن كل قناة لم تعدم من يتطوع بالتحليل وتخمين أسباب تلك الكوارث. ومثلي مثل "ميل" و"جيف"، لم أقتل بداخلي أمل أن "ستيفن" لا يزال على قيد الحياة.

بعد ذلك بيومين، نقلوا "جيس" إلى مستشفى خاص في لندن تحت الملاحظة. لم تكن حروقها خطيرة، ولكن كانت هناك بوادر عدوى مستمرة، ومع أن أشعة الرنين المغناطيسي لم تظهر أي تلف في الجهاز العصبي إلا أنها لم تكن قد استفاقت بعد.

كان طاقم المستشفى رائعين، يقدمون دعماً كاملاً، وخصصوا لي غرفة يمكنني فيها الانتظار حتى يعطيني الطبيب الإذن برؤيتها. جلست إلى أريكة وثيرة أقلب في صفحات إحدى المجلات وأنا أشعر بأن كل ما يجري من

حولي غير حقيقي. يقولون بأن العالم من حولك لا يثبت على حال بعد أن تفقد من تحب، وهذا بالضبط ما كنت أشعر به وأنا أتصفح صور المشاهير الذين سرقت الكاميرا صوراً لهم من دون استعداد منهم. وغفوت.

استيقظتُ على صوت جلبة في الممر بالخارج. كان هناك من يصيح: "ما الذي تقوله؟ كيف تمنعنا عن رؤيتها؟"، بينما تشجعت امرأة أخرى لتصيح بدورها بصوت مستفز: "ولكننا عائلتها!". شعرت أن قلبي هبط في قدمي. فلقد ميَّزت على الفور من يكونان: إنها أم "شيلي" - "مارلين أدامز" - وولديها، "جيسون" و"كيث". كان "ستيفن" يسميهم ساخراً "عائلة أدامز" منذ فترة طويلة، والأسباب واضحة. فلقد بذلت "شيلي" ما في وسعها حتى تقطع أي ارتباط لها بهم منذ أن تركت منزل العائلة، ولكنها وجدت نفسها تدعوهم إلى حفل زفافها على "ستيفن"، وهي المناسبة التي كانت أول وآخر مرة ألتقيهم فيها. ولم يكن "ستيفن" يجد غضاضة في أن يلتقيهم، ولكنه اعتاد أن يسخر من هذا النسب قائلاً إن على كل فرد من أفراد عائلة أدامز أن يمضي فترة من حياته في سجن "وورموود سكربس" تهذيباً وإصلاحاً. هذه العائلة لا تتورع عن اقتراف أي فعل لأجل تحقيق مصلحتها. أتعرفين أنهم ذات مرة أقاموا حفل تبرع خيري زائف واستولوا على حصيلته؟ بل إن "جيس" و"كيث" -

لهما اسمي شهرة أيضاً.. "فيستر" و"جوميز" – قاما بتسمية أولادهما (هناك جيش كبير من هؤلاء الأولاد، نظراً لعصابة الزوجات اللاتي تزوجاها) على موضة أسماء أولاد لاعبي الكرة. بل أعتقد أن لديهم ولد أسموه "بروكلين".

سمعت صياحهما في الممر فعاد بي الزمن إلى يوم زفاف "ستيفن" و"شيلي"، الذي – وبفضل عائلة أدامز – لن ينساه أحد ممن حضره أبداً، وهذا ليس لأسباب سعيدة للأسف. كان "ستيفن" طلب مني أن أكون إشبينه، وكنت أحضرت معي "براكيش"، رفيقي في تلك الأيام. ووصلت أم "شيلي" في فستان أشبه بكابوس من البوليستر الوردي جعلها أشبه بدمية المابت شو، "بيبا بيج"، بينما ظهر "فيستر" و"جوميز" وكل منهما يرتدي سترة جلدية وحذاء رياضي. كانت "شيلي" قد تعبت كثيراً في الترتيب لحفل الزفاف؛ رغم أنها و"ستيفن" لم يكونا ميسوري الحال بعد. ولكنها كانت قد ادخرت المال لهذه المناسبة ونجحت في استئجار بيت ريفي صغير لحفل استقبال المدعوين. في البداية بقيت عائلة العريس وعائلة العروس كل في الجزء المخصص له. عائلة "شيلي" على جانب، وأنا، و"براكيش"، و"ستيفن" وأصدقاء "شيلي" على الجانب الآخر. مثل عالمين مختلفين.

حكى لي "ستيفن"- فيما بعد - أنه تَمنَّى لو أمكنه أن

يُخفي البار عن أنظارهم. وبعد الكلمات (وكانت كلمة "مارلين" كارثية في مللها)، وقفتُ أنا و"براكيش" لنرقص. لا زلت أتذكر اسم الأغنية؛ هي لجورج مايكل.. Careless Whisper . عندئذ صاح أحد الأخوين ساخراً: "أوبّا.. عايز أركب "بسكلتة"".

فرد عليه أخوه: "وأنا كمان عايز "أركب"".

ولم يكن "براكيش" من النوع الذي يحتمل الإهانة ويتجاهلها. إنه حتى لم يرد على كلامهما بكلام؛ بل ترك الرقصة وبادر بلكم أقربهما إليه. استدعوا الشرطة، ولكنها لم تقبض على أحد. وهكذا فسد الحفل، وفسدت العلاقة؛ وانفصلتُ عن "براكيش" بعدها بفترة قصيرة.

من حُسن الحظ أن والدي ووالدتي لم يحضرا الحفل ويشهدا ذلك الموقف. فقد ماتا في حادث سيارة وقت أن كنت أنا و"ستيفن" في أوائل العشرينيات من عمرينا. وتركا لنا ما يجعل حياتنا ميسورة لعدة سنوات قادمة؛ فقد كانت حالة والدي المادية جيدة.

وحينما اضطرت الممرضة إلى إدخالهما غرفة الانتظار، ورآني "جيس" – هو "جيس" على ما أظن – بادرني بعبارة مواساة خجولة، كان خجلان من نفسه الصراحة، "دعك من الماضي يا صاحبي. لابد أن نكون إلى جوار بعضنا في مثل

هذه المواقف".

كانت "مارلين" تبكي ابنتها. لم تتأكد من وفاة ابنتها إلا حينما قرأت اسمها في قائمة ركاب الرحلة المنكوبة في إحدى صحف التابلويد. "لم أكن أعلم أنهما في إجازة! من هذا الذي يذهب في إجازة في شهر يناير؟".

قضى "جيسون" و"كيث" الوقت في التقليب في التليفون، بينما بقيت "مارلين" تنتحب – كنت أعرف أن "شيلي" سوف ترتعب لو عرفت أنهم كانوا موجودين هنا. ولكنني كنت مصمماً، ولأجل "جيس"، على ألا يكونوا في الصورة بعد الآن.

في النهاية نهض "جيسون" ومن بعده أخوه:

- هنخرج نشرب سجاير، ماما.

هكذا تركاني وحدي مع كبيرتهما.

- كارثة فظيعة، "بول". مصيبة كبيرة. لقد رحلت حبيبتي "شيلي".

تمتمت ببعض كلمات المواساة، ولكن أنا من فقد أخيه التوأم، وأعز أصدقائي، ومن الصعب عليّ أن أكون أنا من يواسيها.

- ينبغي على البنت، أيّاً كانت من نجت من التوأمين، أن تنتقل للعيش معي ومع ولديّ. يمكنها أن تقيم في غرفة "جوردان" و"باريس".

أطلقت تنهيدة هائلة، قبل أن تعقب:

- هذا إلا إذا انتقلنا نحن إلى منزلهم بالطبع.

لم يكن هذا هو الوقت المناسب لتعريف "مارلين" بموضوع الوصاية التي أوكلتها "شيلي" إليّ، ولكنني لم أتمالك نفسي:

- وما الذي جعلك تفكرين أنكِ أنتِ من سوف يتولى رعايتها؟

- إلى أين ستذهب إذاً؟

- وماذا عني أنا؟

ردت عليّ ممتعضة:

- أنت؟ ولكنك.. ولكنك ممثل.

في تلك اللحظة ظهرت الممرضة عند الباب فقطعت النقار في بدايته:

- هي جاهزة. يمكنكم رؤيتها الآن. ولكن لمدة خمس دقائق فقط.

وجدتُ أن "مارلين" امتلكت قدراً ضئيلاً من الحكمة جعلها تصرف النظر مؤقتاً عن استكمال هذا الحوار.

طلبوا منا ارتداء ملابس المستشفى الخضراء وكمامات (وحتى الآن لا أعرف كيف وجدوا شيئاً على مقاس "مارلين") ثم سرنا وراء الممرضة حتى غرفة كانت أقرب إلى جناح في فندق، بما فيها من أرائك منقوشة بالزهور وشاشة تليفزيون حديثة، ولكن الصورة لم تكتمل؛ حيث كانت "جيس" مُحاطة بشاشات رصد القلب، والمحاليل وغيرها من الأجهزة والأدوات الطبية. كانت مغلقة العينين وبالكاد تشعر أنها تتنفس. والضمادات تغطي معظم وجهها.

تساءلت "مارلين" من دون أن تقصد أي شخص بالتحديد:

- هل هي "جيس" أم "بولي"؟

ولكني كنت قد تيقنت في تلك اللحظات:

- إنها "جيس".

- من أين لك أن تتأكد من ذلك؟ إن وجهها مغطى بالضمادات.

- من شعرها. انظري. أطراف شعرها مقصوصة. فقبل أن يغادرا إلى العطلة وجدت "شيلي" أن "جيس" تعبث في

شعرها، وهي تحاول تقليد قصة شعر "ميسي كي"؛ بطلة الكوميكس المشهورة. كما أنا لدى "جيس" ندبة لا تكاد تظهر فوق حاجبها الأيمن من أثر اصطدامها بإفريز المدفأة وقت أن كانت تتعلم المشي.

بدت لي ضعيفة، هشة، رقيقة، وهي راقدة أمامي. وعندئذ أقسمت أن أفعل أي شيء ممكن في هذه الدنيا.. لأحميها.

كانت "أنجيلا دوميسو"، التي هي في الأصل من الكيب الشرقي، تعيش في بلدة "خاييليتشا" مع أختها وابنتها الطفلة عندما سقطت طائرة الرحلة 467 التابعة لشركة دالو أير. وقد وافقت على أن تتحدث إليّ في أبريل 2012.

كنتُ في المغسلة أقوم بكي الثياب حينما سمعت الخبر لأول مرة. وكنت أعمل بجد حتى أنتهي في الميعاد الذي تأتي فيه سيارة التاكسي عند الساعة الرابعة، لذلك كنت متوترة بالفعل - ومخدومي متحذلق للغاية، ويحب أن تكون كل ملابسه مكوية، حتى الجوارب. رأيت المدام تدخل المطبخ مسرعة وخمنت من تعبير وجهها أن هناك مشكلة. فهذا التعبير على وجهها لا يرتسم إلا حينما تكون إحدى قططها جلبت فأراً ميتاً وتريد مني الآن أن أنظف المكان.

- "أنجيلا".. سمعتُ للتو في الراديو أن هناك حادث في

"خاييليتشا". أليست تلك بلدتك؟

أجبتها بالإيجاب، وسألتها عن طبيعة الحادث – وأنا أتخيل أنه حريق آخر في العشش أو اضطرابات عنيفة. ولكنها أخبرتني أن الحادث يتعلق بطائرة سقطت. وهكذا هرعنا معاً إلى الصالون وشَغَّلنا الشاشة. كانت هناك تغطية إخبارية عاجلة، ولم أستوعب في البداية ما كنت أشاهده. فلم تكن اللقطات تعرض سوى أناس يهرعون هنا وهناك ويصرخون، ومن ورائهم بالونات من الدخان الأسود الكثيف تتصاعد. عندئذ سمعت الخبر الذي تجمد له قلبي. فقد كانت هناك مراسلة شابة بيضاء البشرة تقول والفزع يتملكها إن هناك كنيسة جوار القطاع رقم خمسة تدمرت بالكامل عند ارتطام الطائرة بالأرض.

كانت حضانة ابنتي "سوزان" في تلك الكنيسة.

أول ما تبادر إلى ذهني هو الاتصال بأختي، "بوسي"، ولكن لم يكن معي رصيد. سمحت لي المدام باستخدام تليفونها المحمول، ولكني وجدت الرقم غير متاح؛ وأجابني البريد الصوتي. بدأت أشعر بالغثيان والدوار. "بوسي" دوماً ترد على تليفونها. دوماً.

- مدام.. لازم أمشي. لازم أكون في منزلي.

دعوتُ الرب أن تكون "بوسي" قد ذهبت وأحضرت "سوزان" من الحضانة مبكراً. كان اليوم يوم إجازة "بوسي" من المصنع، وأحياناً ما تفعل ذلك حتى نمضي الظهيرة سوياً. وحينما غادرت المنزل في الخامسة صباحاً لأركب التاكسي إلى الضاحية الشمالية، كانت "بوسي" نائمة وإلى جوارها "سوزان". حاولت أن أحتفظ بهذه الصورة في ذهني - "بوسي" و"سوزان" في أمان معاً. بقيت أركز على تلك الصورة. ولم أستغرق في الصلاة إلا بعد ذلك بساعات.

تطوعت المدام (اسمها الحقيقي هو السيدة "كلارا فان دير سبوي"، ولكن سيدي يحب أن أناديها بالمدام، وهو ما يثير أعصاب "بوسي") بأن تقوم بتوصيلي.

وفي أثناء لملمة حاجياتي، كنت أسمعها تتشاجر مع سيدي عبر التليفون. وعادت إليّ لتقول بعصبية:

- "يوهانس" لا يريدني أن أوصلك. ولكن ليذهب إلى الجحيم. لن أكون مرتاحة أبداً لو تركتك تذهبين إلى بيتك اليوم في تاكسي.

لم تتوقف عن الكلام طوال الطريق، ولم تكن تسكت إلا حينما أقاطعها لأعرفها الطريق. توتري أجهد جسدي تماماً؛ وشعرت أن الفطيرة التي تناولتها في الغداء تحوَّلت حجراً في معدتي. ولما وصلنا طريق "إن تو" السريع، أمكنني أن

أرى دخاناً أسود يتصاعد إلى السماء من بعيد. وما هي إلا بضعة كيلومترات حتى أمكنني أن أشم ذلك الدخان.

- اطمئني، "أنجيلا"، ستكون الأمور على ما يرام. "خاييليتشا" بلدة كبيرة، أليس كذلك؟

قامت بتشغيل الراديو؛ وكان المذيع يتحدث عن حوادث طائرات أخرى وقعت في أمكنة أخرى من العالم. صاحت المدام في سخط:

- "إرهابيين أوغاد".

زاد زحام الطريق ونحن نقترب من مخرج "بادن باول". كانت سيارات الأجرة من حولنا ممتلئة بوجوه فزعة قلقة، مثلي، وتتعجل العودة إلى منازلها. وكانت سيارات الإسعاف وعربات الإطفاء تمرق صارخة إلى جوارنا. صارت المدام عصبية، فهي تتعرض لموقف لم تألفه من قبل. بدأت الشرطة تضع حواجز على الطريق لتمنع المزيد من السيارات من الدخول إلى المنطقة. وأدركتُ أنه سيكون عليّ أن ألتحق بذلك الزحام وأقطع المسافة المتبقية مشياً على الأقدام.

- عودي إلى المنزل، مدام.

لمحتُ الارتياح على وجهها. وأنا لا ألومها. فقد كان الجحيم بعينه. والهواء معبأ بالرماد حتى أنه صار أقرب إلى الغاز

المسيل للدموع.

خرجتُ من السيارة وأسرعتُ الخطى نحو الحشد الذي يقاتل لأجل عبور الحواجز التي وضعوها على الطريق. كانوا يصرخون ويتصايحون، فأخذت بدوري أصيح: ""*إنتومبيام*"! ابنتي هناك!". وجدت الشرطة نفسها مجبرة على تركنا نعبر بعدما وصلت سيارة إسعاف مسرعة وكان لابد لها من أن تعبر.

ركضتُ. لم أركض بمثل هذه السرعة في حياتي، ولكنني أبداً لم أشعر بالتعب – كان الخوف هو ما يدفعني دفعاً للأمام. رأيت الناس تخرج من وسط الدخان، وبعضهم مغطى بالدم، ويخجلني أن أعترف أني لم أتوقف لأساعدهم. كان كل تركيزي أن أتحرك إلى الأمام حتى مع صعوبة رؤية أي شيء أمامي. وربما كان هذا من حُسن حظي، فقد كنت أحياناً أرى.. أرى رايات مغروسة في الأرض إلى جوار حقائب بلاستيكية زرقاء تحتوي على أشياء – أشياء كنت أعرف أنها أعضاء بشرية. كانت الحرائق في كل مكان، ورجال الإطفاء المقنعين منشغلين في تطويق مناطق أخرى. كانوا يمنعون الناس بالقوة من المضي إلى أي مكان بالداخل. ولكنني لا زلت بعيدة جداً عن الشارع الذي أعيش فيه – ولابد أن أصل. ملأ الدخان رئتي، ودمعت عيناي، وأسمع

بين الحين والآخر صوت انفجار. وسرعان ما تلطخ جسدي بالسواد والرماد. استغربت المشهد أمامي، حتى أنني فكرتُ أن أكون قد وصلت إلى المكان الغلط. كنت أبحث بعيني عن برج الكنيسة، ولكنه لم يكن هناك. أجبرتني رائحة هي مزيج من رائحة لحم يُشوى ورائحة وقود محترق على أن أتقيأ. جثوتُ على ركبتي منهكة. وأدركتُ أنني لن أتمكن من التقدم خطوة من دون أن تتقطع أنفاسي وأختنق.

عثر عليّ أحد المسعفين. كان بدوره منهكاً، والأفرول الأزرق الذي يرتديه متشبع بالدم. قلت له بصوت واهن جداً: "ابنتي. يجب أن أعثر على ابنتي".

لا أدري لماذا قرر أن يساعدني. فقد كان هناك كثير من الناس حولي بحاجة إلى المساعدة أكثر مني. رافقني حتى سيارة الإسعاف وجلست في المقعد الأمامي بينما اتصل عبر اللاسلكي. وما هي إلا دقائق حتى أتت عربة الصليب الأحمر، وطلب مني سائقها أن أجد لنفسي مكاناً بها. كان من بداخلها في مثل حالتي، في حالة يُرثى لها وقد غطاهم الرماد؛ وأغلبهم مصدوم. كانت امرأة في المقعد الخلفي تحدق عبر النافذة في صمت، وبين ذراعيها طفل نائم. والعجوز الجالس إلى جواري أسكتته الصدمة، ولكن دموعه تركت أثرها على خديه المتسختين. همست في أذنه:

- "مولويني ، كوزولونجا".

كنت أطمئنه أن كل شيء سيكون على ما يرام، رغم أني لم أكن مقتنعة بحرف واحد مما قلته له. لم أجد أمامي سوى الدعاء، وأنا أحاول أن أعقد صفقة مع الرب بمقتضاها يخلّي لي "سوزان" و"بوسي".

مررنا على الخيمة التي يجمعون تحتها الجثث. حاولت ألا أنظر. ولكنني رأيتهم يكومون الجثث التي استقرت في الحقائب البلاستيكة الزرقاء. فدعوتُ الرب أكثر ألا يكون مصير "بوسي" و"سوزان" هو تلك الحقائب.

كانوا ينقلوننا إلى قاعة بلدية "ميو واي". وكان من المفروض أن أوقع بإسمي عند الدخول، ولكنني أسرعت الخطى بين الموظفين وهرعت نحو الأبواب.

كنتُ أسمع أصوات البكاء حتى من قبل أن أدخل. أما الداخل فكان فوضى عارمة. امتلأ المركز بالناس المقسمة إلى مجموعات، وقد غطاها السخام والضمادات. بعضهم يبكي، وبعضهم مصدوم للغاية، شارد النظرات، مثل من كانوا معي في العربة. أخذت أشق طريقي وسطهم. كيف لي أن أعثر على "بوسي" و"سوزان" وسط كل هذه الفوضى؟ رأيت "نوليسوا"، جارتي، والتي كانت تعتني بسوزان في بعض الأيام. كان الدم والسواد يغطي وجهها. كان جسدها يتأرجح

في حركة منتظمة وكأنها على كرسي هزاز، ولما حاولت أن أسألها عن "بوسي" و"سوزان" نظرت لي بضيق؛ ولم تكن في عينيها حياة. عرفت فيما بعد أن حفيدين لها كانا في الحضانة حينما ارتطمت الطائرة بالكنيسة.

عندئذ سمعت صوتاً يناديني بإسمي.

التفت ببطء، لأرى "بوسي" واقفة تحتضن "سوزان" بين ذراعيها.

أخذت أصرخ كالمجنونة.. "نيفيليلي! أنتما على قيد الحياة!".. من دون توقف.

تركنا أنفسنا لحضن طويل - كانت "سوزان" تحاول أن تتملص منه، فقد كنت أحتضنها بشدة مفرطة. لم أكن فقدت الأمل، ولكنها سعادة أنهما بخير.. لن يراودني أبداً شعور بمثل تلك القوة مرة أخرى في حياتي. وعندما توقفنا أخيراً عن البكاء، أخبرتني "بوسي" عما جرى. قالت إنها أحضرت "سوزان" من الحضانة مبكراً، وبدلاً من العودة إلى المنزل مباشرة، قررت أن تصطحبها إلى محل الحلويات. حكت لي أن صوت الارتطام كان مهولاً - وظنت في البداية أنها قنبلة. وبعدها حملت "سوزان" وأخذت تركض بكل سرعة بعيداً عن مصدر الصوت وبعيداً عن الانفجارات التي أعقبته. ولو أنها عادت إلى المنزل، لكانا لقيا حتفهما بالتأكيد.

هذا لأن المنزل تدمر تماماً. واحترق عن آخره.

بقينا في القاعة ننتظر نقلنا إلى ملجأ. قرر البعض تقسيم المكان، فعلقوا البطانيات والمفارش من السقف لأسفل حتى صنعوا غرفاً مؤقتة. أدركت أن كثيرين فقدوا منازلهم، ولكن قلبي انفطر لأجل الأطفال. منهم من فقد أبويه أو جديه. كان هناك الكثير منهم، وكثير منهم "أماجويجا" [أطفال لاجئين] عانوا بالفعل طوال الهجمات المعادية للأجانب قبل أربع سنوات. فهم منذ مجيئهم إلى الدنيا يعانون.

ولن أنسى أبداً ذلك الصبي. فأنا لم أستطع أن أنام في أول ليلة. فلم يغادر الإدرينالين خلايا جسدي بعد، وأظن أنني كنت لا أزال أعاني من صدمة ما رأيت في ذلك اليوم. وقفت في مكاني فشعرت أن هناك من يحدق فيّ. وهناك، فوق بطانية إلى جوار "بوسي" و"سوزان" جلس صبي. لم أكن رأيته من قبل – حيث كنت مشغولة جداً في الاعتناء بسوزان وإحضار الطعام والمياه. كانت عيناه تعكسان وبقوة كل ألم ووحدة الدنيا، حتى في وسط الظلام. كان وحيداً فوق البطانية؛ ولم أجد إلى جواره أباً أو أماً، جداً أو جدة. وتعجبت من أن فرق الإغاثة لم تنقله إلى قسم الأطفال الذين فقدوا أهلهم.

سألته عن أمه. ولكنه بقى ساكتاً. رحت وجلست إلى جواره

واحتضنته. أراح جسده في حضني، ورغم أنه لم يكن يبكي أو ينتحب، إلا أن جسده كان ثقيلاً للغاية. وعندما ظننت أنه نام، أرقدته في مكانه وعدتُ محاذرةً إلى بطانيتي.

في اليوم التالي، عرفنا أنهم سوف ينقلوننا إلى فندق تَبَرَعَ بغرفه لأولئك الذين فقدوا منازلهم. تطلعت حولي أبحث عن الصبي. كنت قد فكرت أن أصطحبه معنا، ولكنني لم أستطع العثور عليه في أي مكان. بقينا في الفندق لمدة أسبوعين، وعندما عثرت أختي على عمل في مخبز كبير بالقرب من "ماسيفوميلي" ذهبتُ للعمل معها. ومرةً أخرى، كنت محظوظة. فهذا العمل أفضل بكثير من أن أعمل خادمة. ففي المخبز حضانة لأطفال العاملين، وأمكنني أن اصطحب "سوزان" معي كل صباح.

وبعد وقت طويل، عندما جاء الأمريكان إلى جنوب إفريقيا للبحث عن هذا الطفل الرابع، أتاني محقق، أصله من الخوزا، وليس واحداً من المتطفلين صائدي المكافآت من خارج البلاد، بعدما كان يبحث عني وعن "بوسي" طويلاً، وسألنا عما إذا كنا قد رأينا طفلاً بعينه في تلك القاعة. كانت الأوصاف التي معه تتطابق وأوصاف ذلك الصبي الذي كنت رأيته في تلك الليلة الأولى، ولكن شيئاً ما في نفسي جعلني لا أخبر الرجل بأني قد رأيته. لا أعرف لماذا. ولكنني آمنت

في قرارة نفسي أنه سيكون من الأفضل للصبي أن يظل مكانه غير معلوم. كنت أرى على وجه المحقق أنه يعرف أني أخفي عنه شيئاً، ولكنني ارتحت إلى صوت مشاعري الذي يطلب مني أن أحافظ على هدوء أعصابي.

و.. ربما لا يكون هو نفس الصبي الذي يبحثون عنه. فقد كان هناك العديد من اليتامى بعد ذلك الحادث.

كما أن الصبي لم يخبرني باسمه.. أبداً.

وافق الجندي أول "صامويل سامي هوكيمير"، من قوة المارينز في "كامب كورتني" بجزيرة "أوكيناوا" اليابانية، على التحدث معي عبر سكايب بعد أن عاد إلى الولايات المتحدة في يونيو 2012.

التقيث "جيك" حينما انتقلنا إلى "أوكيناوا" في عام 2011. أنا من "فيرفاكس"، ولاية فيرجينيا، وعرفت أنه من "أنانديل"، وهكذا صرنا أصحاب على الفور. وعرفت أنني واجهت أخاه في مباراة كرة قدم بدوري المدارس عندما كنت في الثانوية. وقبل أن نذهب إلى تلك الغابة كان مجرد شاب عادي، لا شيء يُميِّزه عن غيره، بل هو هادئ زيادة، وخفيف الدم، ولكنه ليس من النوع الذي يلفت الانتباه. لم يكن طويلاً. لم يتعد طوله خمسة أقدام وثمانية بوصات، وتلك الصور المنتشرة عبر الإنترنت تجعله يظهر أكبر حجماً

من حقيقته. إنها تعطيك انطباعاً أنه قاسي القلب. كنا نجلس معاً كثيراً نلعب ألعاب الفيديو، وهي منتشرة في القاعدة العسكرية، حتى أدمنها. ويمكن أن يكون هذا هو العيب الوحيد فيه، أقصد قبل أن ينقلب حاله رأساً على عقب.

سجلنا اسمينا في فرقة الإغاثة الإنسانية التابعة لقوة حملات المارينز، وفي بداية يناير عرفنا أن كتيبتنا سوف تنتقل إلى معسكر "فيجي" للتدريب – على أعمال إعادة الإعمار بعد الكوارث. تفاءلت أنا و"جيك" بهذا الخبر. كنا قد لاعبنا جنديين من قوات مكافحة الإرهاب عادا منذ فترة قصيرة من هناك. وقالا لنا إننا سنكون سعداء في "كاتيمبا"، وهي إحدى البلدات المجاورة للمعسكر، فيها حانة يمكننا أن نأكل ونشرب فيها ما نريد مقابل 3000 ين فقط. كما كنا نتمنى أن تتاح لنا فرصة زيارة طوكيو والتعرف على ثقافتهم. فنحن في "أوكيناوا" لا نلتقي بكثير من اليابانيين، فهي تبعد حوالي 700 كيلومتر عن بر اليابان. المناظر الطبيعية في "كورتني" رائعة، فهي تطل على المحيط مباشرةً، ولكن إطالة النظر تصيبكِ بالدوار، والعيب الوحيد هو أن الكثير من أهل الجزيرة لا يرتاحون للمارينز. وجانب من هذا يعود إلى حادثة "جيرارد" – جندي المارينز الذي أطلق النار بالخطأ على امرأة من أهل الجزيرة كانت تجمع الخردة من أرض الرماية – بالإضافة إلى حادثة الاغتصاب

الجماعي الشهيرة في التسعينيات. أنا لا أقول إن السكان المحليين معادين لنا، ولكن الواضح أن الكثير منهم يفضلون لو رحلنا عن الجزيرة.

أما معسكر "فوجي" فلا بأس به. صغير ولكن منطقة التدريب جيدة. الجو كان بارداً جداً عندما وصلنا إلى هناك. الكثير من الشبورة، وأطنان من المطر؛ ولكن من حُسن الحظ أنها لم تثلج كذلك. أخبرنا ضابط الصف المسؤول أننا سنمضي الأيام الأولى في تحضير التجهيزات للانتقال إلى منطقة مناورات شمال "فيجي"، ولكن ما إن استقر بنا الحال في الثكنات حتى بدأت تصلنا أخبار "الخميس الأسود". وكان أول خبر عن طائرة من هناك. عرفنا الأخبار من مراسلات الأهل والصديقات. وعندما سمعنا بحادثة الطائرة البريطانية، وتلك في إفريقيا، بدأت الشائعات تنتشر في المكان. فقد ظن الكثير منا أنها عمليات إرهابية، ربما عمليات ثأرية نفذها متطرفون مسلمين، وكنا مقتنعين أنهم سرعان ما سيعودون بنا إلى "أوكيناوا" ثانيةً. وقد يكون من المفارقات، وبالنظر إلى موقعنا، أن آخر حادثة سمعنا عنها هي حادثة الطائرة "صن أير"، ولم يصدق أحد أنها وقعت على هذا القرب من القاعدة التي كنا فيها. أخذت أنا و"جيك" – مثل الجميع – نفتش الإنترنت طوال الليل. ومنه عرفنا موضوع الذين نجوا، مضيفة الطيران والصبي. ورغم أن الإنترنت كان

بطيئاً، لكننا نجحنا في تحميل مقطع من يوتيوب يصور نقل الصبي بالهليوكوبتر. وأحزننا أن نعرف أن أحد الناجيين مات في الطريق إلى المستشفى. ورغم أن جسدي يقشعر كلما تذكرت ذلك، ولكنني لا زلت أتذكر تعليق "جيك": "خبر زفت.. أتمنى أن لا يكون الصبي هو الذي مات". ورغم ما تجدينه في اعترافي هذا، ولكننا لم نهتم أكثر بالحادث إلا عندما عرفنا أن راكبة أمريكية كانت على متن الطائرة، وأنها لم تنجو من الحادث. صارت مسألة تعاطف مع "بنت بلدك".

في صباح الجمعة، أخبرنا ضابط الصف أنهم بحاجة إلى متطوعين من فرقة الإغاثة الإنسانية للمساعدة في تأمين تلك المنطقة، وتجهيز أرض لهبوط طائرات هليوكوبتر البحث والإنقاذ ـ أقرب ما يمكن إلى مكان الحادث. وخلال الاجتماع التعريفي، أخبرنا أن هناك مئات من أقارب الضحايا تدفقوا إلى الموقع ويعيقون العمل هناك. كما أن وسائل الإعلام انتهزتها فرصة وصنعت ضجيجها المعتاد في المكان؛ حتى إن بعض الإعلاميين والصحفيين تعرض للإصابة أو تاه في الغابة فكان من اللازم البحث عنهم أيضاً. واندهشت لأن اليابانيين يريدون منا المشاركة في هذه الجهود. أعرف أن هناك اتفاقات بين أمريكا واليابان، ولكنهم يصرون في مثل تلك الحالات على ألا يشاركهم أحد، ويعتبرونها مسألة كرامة قومية. ولكن ضابط الصف عَرَّفنا أن عملهم كان محل انتقاد

منذ فشلهم في جهود الإغاثة بعد كارثة القطار الصاروخي في التسعينيات؛ فهم لم يتصرفوا بالسرعة الكافية، وانتظروا الإجراءات البيروقراطية، وهم في العادة لا يتحركون إلا عندما يأمرهم رئيسهم بالتحرك ويُملي عليهم التعليمات، وهذه الأمور وأمور أخرى كثيرة تكون الفارق بين الحياة والموت.

بادرتُ بالتطوع على الفور، ومعي "جيك". وعرّفونا أننا سنتعاون مع مجموعة من معسكر "تويوكاوا" ومع "يوجي"، وهو جندي ياباني صاحبنا ليقوم بأعمال الترجمة. أخذ الجندي يحكي لنا في الطريق عن تلك الغابة. قال إن سمعتها سيئة جداً بسبب عدد من ينتحرون داخلها. وحكى لنا عن كثرة حالات الانتحار لدرجة أن الشرطة اضطرت لتركيب كاميرات على الأشجار، وأن الغابة امتلأت بجثث مجهولة الهوية بقيت على حالها هناك لسنوات. كما قال بأن أهل المنطقة يتجنبونها لاعتقادهم أنها مسكونة بالأرواح الغاضبة أو أرواح تبحث عن الراحة أو هراء من هذا القبيل. أنا لا أعرف الكثير عن المعتقدات الروحانية لدى اليابانيين، وأعرف فقط أنهم يؤمنون بأن أرواح الحيوانات تنتشر حولنا في كل شيء تقريباً، بدءاً من البشر وحتى الكراسي، ولكن كما ترين فإن هذا هو "العته" بعينه. وكان من الطبيعي أن نطلق النكات وأن نسخر مما نسمعه من المترجم، ولكن

"جيك" بقى ساكتاً طوال الوقت.

أصارحكِ القول بأن فرق البحث والإنقاذ ومجموعة معسكر "تويوكاوا" لم يحسنوا أبداً تأمين الموقع، رغم ما كان عليهم التعامل معه، ولكن للحق كان عددهم قليلاً. وكان من المستحيل عليهم أن يسيطروا على كل هذا العدد من البشر المحتشد خارج خيمة المشرحة. وبعد أن أمليت علينا التعليمات، تم إرسالي أنا و"جيك" وبعض أفراد الفرقة ومجموعة "تويوكاوا" مباشرة إلى موقع الحادث. أما بقية الأفراد فأوكلت إليهم مهمة تأمين خيام المشرحة المؤقتة، والمساعدة في نقل المؤون وإقامة المراحيض ودورات المياه.

أخبرنا ضابط الصف أن فرقة البحث والإنقاذ ورجال مجلس سلامة النقل الياباني أتموا مسح المنطقة التي سقطت فيها الطائرة وتناثرت فيها الجثث، وأنهم يقومون الآن بنقلها إلى الخيام. أعرف أنك مهتمة بقصة "جيك"، ولكنني أود أن أعطيك فكرة عن الوضع. عندما كنتُ في المدرسة، درسنا تلك الأغنية القديمة "فاكهة غريبة". عن عمليات الإعدام بلا محاكمة والتي كانت تجري قديماً في الجنوب. وكيف أن الجثث المتدلية من أغصان الشجر كانت تبدو مثل فاكهة غريبة. رأيت تلك المشاهد نفسها

هناك. كانت تلك الأشجار المخيفة تبدو وكأنها اقتنصت الجثث في المنطقة المحيطة بسقوط الطائرة. لم يتمالك بعضنا نفسه فتقيأ، أما أنا و"جيك" فلا. الأسوأ من ذلك هم هؤلاء المدنيين الذين يجوبون مكان الحادث متعثرين في خطواتهم، وهم يصيحون بأسماء آباء وأمهات وأفراد من العائلة أو معارف أو محبين لا يجدون لهم أثراً. وأغلبهم جاء ومعه قرابين ليقدمها للآلهة – طعام أو زهور. أخبرني "يوجي" لاحقاً، وقد كان يساعد في تجميعهم وإبعادهم عن المكان، أنه صادف زوجاً وزوجته مقتنعان تماماً بأن ابنهما لا يزال حياً، حتى أنهما أحضرا معهما ملابس جديدة حتى يتسنى له تغيير ملابسه المتسخة.

أرسلونا أنا و"جيك" لمساعدة الباقين في قطع ونقل الأشجار وتمهيد أرض لهبوط الهليوكوبتر، ورغم مشقة ذلك العمل، إلا أن مكانه كان بعيداً بعض الشيء فأراح أذهاننا من التفكير فيما رأيناه ونراه. ولم يصل أفراد مجلس سلامة النقل إلا في اليوم التالي، وبعد أن هيمنت الفوضى تماماً على المكان.

أخبرنا ضابط الصف أن علينا البقاء في الموقع تلك الليلة، وحددوا لنا أماكن للنوم في خيام مجموعة "تويوكاوا". وهو أمر لم نكن مرتاحين له. فقد كان كل الجنود خائفين من

مبيت الليل في الغابة. وهذا ليس بسبب ما شاهدوه في ذلك النهار فحسب. لدرجة أننا كنا نتحدث همساً، وكأنما نخشى أن ترتفع أصواتنا في المكان. وحتى محاولات البعض إلقاء الدعابات وتلطيف الأجواء فَشَلت.

وفي الساعة ثلاثمائة استيقظتُ على صرخة. قادمة من خارج الخيمة. وهكذا هرعنا إلى الخارج. شعرت بالإدرينالين يفور في دمي. ولكنني عجزت عن الرؤية بوضوح – فالشبورة كانت مهيمنة على المنطقة.

بادر أحد الرفاق – أعتقد أنه "جوني"، شاب أسود من أطلانطا، طيب – فأخرج الكشاف وأخذ يصوبه نحو الأرجاء من حوله. كان شعاع النور لا يستقر على بقعة، لأن يده كانت ترتجف. استقرت عيناي على كيان يقبع على بعد ياردات من مكاننا، يبدو أنه يعطي ظهره لنا، وجاثٍ على ركبتيه. التفت ذلك الكيان ينظر نحونا.. فتبين لي أنه "جيك".

سألته مستنكراً سبب وجوده في الخارج. نظر إليّ منهكاً وهو يهز رأسه:

- رأيتهم.. أنا رأيتهم.. ناس من غير أقدام.

اصطحبته إلى داخل الخيمة وراح في النوم في لحظتها. وفي الصباح التالي رفض أن يحكي ما حصل.

لم أخبر "جاكي" عما سمعته، ولكنني عندما حكيت لـ"يوجي" قال لي:

- أشباح اليابانيين ليس لها أقدام.

وأخبرني أن ساعة السحر لدى اليابانيين - يسمونها "الأوشي ميتسو"، ولن أنسى أبداً هذا الاسم - هي الثالثة فجراً. والصراحة أن الرعب ملأ قلبي مجدداً عندما سمعت رسالة "باميلا ماي دونالد". فما قالته في رسالتها بدا مشابهاً للغاية لما قاله لي "جيك" في تلك الليلة. ولكنني كنت أعتقد أنه كان متأثراً بما سمعه من حكايات "يوجي".

وبطبيعة الحال استغلها الرفاق فرصة للسخرية من "جيك" على مدار أسابيع. ولم يتوقفوا عن ذلك حتى بعد رجوعنا إلى "كورتني". كلما شاهدوه يبادرونه بسؤال ساخر: "هل رأيت أشباحاً اليوم، "جيك"؟" وكان "جيك" يبتلع السؤال ولا يرد. وأعتقد أن تلك الفترة كانت هي بداية مراسلته لذلك القس في تكساس. فقبل ذلك لم يكن مهتماً بالدين. فلم أسمعه ولو مرة يتحدث بعبارات يذكر فيها الرب أو المسيح. وأعتقد أنه بحث عبر الإنترنت عن حكايات الغابة وتفاصيل تلك الحوادث، إلى أن صادفه الموقع الإلكتروني لذلك الأب.

لم يلتحق "جيك" ببقية الوحدة حينما أرسلونا للمساهمة في جهود الإنقاذ عقب فيضانات الفليبين؛ فقد تملك

منه المرض. آلام في المعدة، واشتباه في التهاب الزائدة الدودية. وطبعاً كان الكل يعتقد إنه بيمثل. وللآن لا يعرفون كيف تمكن من مغادرة الجزيرة. قالوا إنه اتفق مع مركب صيد لتهريبه مقابل المال؛ أو ربما واحدة من تلك المراكب التايوانية التي تقوم بتهريب ثعابين البحر أو مخدر "الميث" في المنطقة.

أدفع نصف عمري، مدام، وأرجع في الزمن لتلك الأيام. وأمنع "جيك" من الذهاب للغابة. عارف إنه لم يكن بيدي شيء أمنع به ما حصل، ولكنني أشعر – لسبب مجهول وحتى الآن – إني مسؤول عما فعله ذلك الصبي الياباني.

تعرفت "تشيوكو كاماموتو"، تلك الفتاة البالغة من العمر ثمانية عشر عاماً، ابنة عم "هيرو ياناسجيدا" الراكب الوحيد الناجي من رحلة "صن أير" 678، على "رو تاكامي" لأول مرة عبر منتدى لعبة تمثيل مشهورة على الإنترنت. أغلب لاعبي هذه اللعبة من "الأوتاكو" (كلمة يابانية عامية تعني غريبي الأطوار أو المهووسين) في سن المراهقة أو أوائل العشرينيات، ولأن الفتيات اللاعبات في هذه اللعبة قلة، لذلك صارت "تشيوكو" مشهورة جداً بين اللاعبين.

لا أحد يعلم لماذا اختارت "تشيوكو" "رو"، وهو الفتى

متواضع المستوى "الهيكيكوموري" (غير الاجتماعي)، ليكون رفيق الدردشة في الموقع، رغم أنهم حاولوا كثيراً معرفة السبب. وقد استغرقا في هذا، حتى صارا يتبادلان الرسائل لساعات طويلة بلا انقطاع. وبعد اختفاء "تشيوكو"، تمكنوا من استرجاع تلك الرسائل من الكمبيوتر وتليفونها الذكي، وسرعان ما وجدت طريقها إلى فضاء الإنترنت.

الرسائل الأصلية مكتوبة طبعاً بلغة "الشات" وبالعامية، ولكنني قمت بتحريرها وتبسيط العامية ليسهل عليك، عزيزي القارئ، قراءتها وفهمها، عدا استخدام "رو" لتعبيرات "الإيموشن". أما الترجمة من اليابانية فكانت من "إريك كوشان".

(هنا تتحدث "تشيوكو" عن أمها، والتي كانت على علاقة باردة بها، وتسميها "المخلوقة الأم". أما "عمو أندرويد" فتقصد به "كنجي ياناجيدا"، وهو عمها وأحد أبرع وأشهر خبراء الروبوت في اليابان)

رسالة في الساعة [15:30]، 14 يناير 2012

تشيوكو: "رو".. موجود؟

رو: (ₒ•ω•ₒ).. كنتي فين؟

تشيوكو: ما تسألش. طلبتني "المخلوقة الأم" تاني. سمعت

الخبر عن مضيفة الطيارة؟ ماتت في المستشفى من ساعة. ده معناه إن "هيرو" بقى الناجي الوحيد.

رو: الموضوع انتهى. شيء محزن. و"هيرو" عامل إيه؟

تشيوكو: افتكر إنه كويس. خلع في الترقوة، وخدوش؛ ده اللي أعرفه.

رو: محظوظ.

تشيوكو: ده اللي بتقوله "المخلوقة الأم" برضه. معجزة. حضّرت ركن لذكرى عمتو "هيرومي". مش عارفة جابت صورتها منين. رغم إنها عمرها ما حبت عمتو، ولكن هي دي الدنيا. بتقول لي عنها دلوقتي "خسارة.. كانت جميلة.. هادية.. أم حنون". كله كدب. في الأول كانت بتقول عليها "لزقة".

رو: عرفتي حاجة عن سبب وجودهم هناك في طوكيو؟ أقصد خالتك و"هيرو".

تشيوكو: آه. أمي بتقول إن عمتو "هيرومي" و"هيرو" كانوا بيزوروا صديقة قديمة من أيام المدرسة. حاسة إن أمي غضبانة إن عمتو ما عملتش الزيارة دي لما كانت هنا، لكن هي ما نطقتش بالكلام ده، احتراماً يعني.

رو: مكلمكيش حد من الصحفيين؟ ولاد المجانين.. شفت لهم صور وهما بيحاولوا ينطوا من فوق سور المستشفى علشان يحاولوا ياخدوا صور للناجين - سمعتي عن الصحفي اللي وقع من فوق السطح؟ فيه كليب للحادثة على "نيكو نيكو". معتوه!

تشيوكو: لا لسه محدش كلمني. بس هم عرفوا مكان شغل بابا. الراجل مرضيش ياخد أجازة يوم من الشغل مع إن أخته متوفية. رفض يتكلم مع الصحفيين. بس هم مهتمين بـ"عمو أندرويد" أكتر طبعاً.

رو: أنا لحد دلوقتي مش مصدق إنك تقربي لـ"كنجي ياناجيدا"! أو إنك معرفتنيش كده من أول يوم عرفنا بعض فيه - كنت هتفشخر بالحكاية دي قدام العالم كله.

تشيوكو: وكنت عايزني أقولها لك إزاي يعني؟ إزيك، أنا "تشيوكو"، وحزر فزر؟ أنا قريبة "الرجل الأندرويد". مش كنت هتقول ان البنت دي بتشتغلني؟

رو: تشتغليني؟ ده أنا اللي المفروض اشتغلك بأي حاجة عشان تفضلي تكلميني.

تشيوكو: هنرجع تاني للبقين الحمضانين بتوع كتاب العذاب اللي انت عايش فيه، مش كده؟

رو: لا أبداً. الفضل ليكي إني طلعت من الجو ده. طيب قولي لي.. هو عامل إزاي؟ إحكي لي كتير عنه.

تشيوكو: قلت لك. أنا معرفهوش كويس. آخر مرة شفته فيها كانت لما زارونا هو و"هيرو" وعمتو "هيرومي" ليلة راس السنة من سنتين، وكنا لسه راجعين من أمريكا، لكن هما ماباتوش وأنا متكلمتش معاه كلمتين على بعض. عمتو كانت جميلة، بس مكنتش عِشَرية. أما "هيرو" فكان ولد لطيف. ماما مرة قالت لي إن عمو أندرويد يمكن ييجي ويقعد معانا فترة وجود "هيرو" في المستشفى. قالتها وهي مش مبسوطة. وسمعتها مرة بتقول لبابا عن "عمو أندرويد" إنه بارد زي الروبوتات بتاعته.

رو: بجد؟ بس الفيلم اللي عاملينه عنه بيدي انطباع إنه راجل"كوول" ومش معقد.

تشيوكو: أي فيلم؟ فيه آلاف البرامج والأفلام.

رو: مش فاكر. عايزاني أجيب لك اسمه؟

تشيوكو: سيبك. بس أي حد بيبقى قدام الكاميرا واحد تاني غير شخصيته. أعتقد دي وراثة في العيلة.

رو: وراثة؟ الوقوف قدام الكاميرات؟

تشيوكو: لأ! البرود. زيي أنا كده. أنا مش طبيعية. أنا باردة. حاسة إن مكان قلبي قطعة جليد.

رو: "تشيوكو"، أميرة الجليد.

تشيوكو: "تشيوكو"، "يوكي أونا".

تشيوكو: يبقى اتفقنا إني عندي حالة أميرة الجليد واللي مالهاش علاج إلا بحاجة واحدة.. تبقى إيه؟

رو: الشهرة؟ الفلوس؟

تشيوكو: ده اللي عاجبني فيك، "رو"، عندك دايماً الجواب الصح. افتكرتك هتقول الحب، ولو كنت قلتها كنت هتقفلني منك.

رو: o(__)o وإيه العيب في الحب؟

تشيوكو: مش موجود غير في الأفلام الأمريكاني.

رو: بس انتي مش باردة للدرجة دي. أنا عارف.

تشيوكو: أمال أنا باردة قدام الأحداث دي ليه طيب؟ اسمع، أنا هثبت لك. كم واحد ماتوا في حادثة "صن أير"؟

رو: 525. لأ.. دلوقتي 526.

تشيوكو: 526. بالضبط. شعوري الوحيد قدام الحقيقة دي

هو الارتياح.

رو: ??(•_•*)

تشيوكو: ماشي.. هاشرح لك. من ساعة الحادثة، ومن ساعة ما أمي سمعت خبر عمتو "هيرومي" و"هيرو" وهي بطلت تزن على دماغي إني أرجع المدرسة الخصوصي، ولا مرة رجعت تزن. يبقى أنا معنديش حق أحس الإحساس ده؟ إن بسبب مأساة حصلت ارتاحت دماغي من حاجة كانت قالبة حياتي الشخصية وملخبطاها؟

رو: على الأقل عندك حياتك الشخصية. أنا بحسدك. شوفي حالي أنا.

تشيوكو: هاه! كنت عارفة إنك هترجع لعادتك وبسرعة كمان. ميهمكش، ممكن تبقى "الهيكيكوموري" بتاعي. بحب أتخيلك قاعد في أوضتك الصغيرة، وشادد الستاير ومضلمها، وبتدخن وتدردش معايا في الأوقات اللي بتبطل فيها لعب "راجناروك".

رو: بس أنا مش "هيكيكوموري". وانا مالعبتش "راجناروك".

تشيوكو: مش اتفقنا منكدبش على بعض؟ أنا قلت لك كل حاجة عني.

رو: أنا بس مش عاجباني الكلمة.

تشيوكو: إيه.. هتقفل تاني؟

رو: 7O|_

تشيوكو: ORZ ؟؟؟؟؟ مش ممكن! هو لسه فيه حد بيستخدم الإيموشن ده يا بني؟ إنت متأكد إن عندك 22 سنة مش 38 ولا حاجة؟ وامتى هتبطل تبعت لي رموز الآسكي المقرفة دي؟

رو: <(_ _)>. خلينا نغير الموضوع طيب. إمتى هتحكي لي عن حياتك في الإستيت؟

تشيوكو: تاني؟ وليه الموضوع ده مهم بالنسبة لك؟

رو: مجرد فضول. وحشتك؟

تشيوكو: لأ. مبقاش فيه مكان أحسن من التاني، العالم كله فوضى. غيَّر الموضوع لو سمحت.

رو: مااااشي.. منتديات النت كلها مشغولة بحادثة الطيارة، وليه وقعت في "جوكاي" بالذات. فيه نظرية منتشرة إن الطيار وقع بيها متعمد هناك. طيار انتحاري يعني.

تشيوكو: عارفة. دي قديمة ومنتشرة. وانت إيه رأيك؟

رو: مش عارف. ممكن تكون هناك حاجات من اللي بيقولوها صح. سمعة الغابة معروفة للكل، بس هي بعيدة عن مسار "أوساكا"، ومفيش سبب منطقي يخلّي الطيارة تقع هناك؟

تشيوكو: يمكن كان عايز يبعد عن المناطق اللي فيها ناس. يمكن كان عايز يقلل من عدد الضحايا بالطريقة دي. أنا متعاطفة مع زوجته.

رو: متعاطفة؟ افتكرتك أميرة الجليد.

تشيوكو: ده ميمنعش إني متعاطفة معاها. وبعدين المتحدث باسم شركة "صن أير" وصف الكابتن بأنه ماهر ومحل ثقة، وإنه مش ممكن يعمل حاجة زي دي. وبعدين مكنش عنده مشاكل مالية، وبالتالي مكنش محتاج التأمين، وتقاريره الطبية بينت إن صحته ممتازة.

رو: يمكن بيكدبوا. ويمكن كان ملبوس بروح شريرة وده اللي خلّاه يعمل كده.

تشيوكو: هاه! سيرة الأشباح الجعانة تاني.

رو: بس لازم تعترفي إنها نظرية برضه.. وكمان إيه سبب كل حوادث الطيارات دي وفي يوم واحد؟ لازم فيه سبب.

تشيوكو: زي إيه؟ ما تقوليش.. علامة من علامات نهاية العالم؟

رو: وليه لأ؟ إحنا في 2012.

تشيوكو: شكلك بتقعد كتير قدام مواقع المؤامرة، "رو". ولو كان إرهاب كنا عرفنا دلوقتي.

رو: طيب ممكن "تشيوكو" الحقيقية تكلمني دلوقتي لو سمحتي؟ إنتي اللي كنتي دايماً تقولي لي إن الحكومة والإعلام بيشتغلونا ويحركونا زي ما هم عايزين.

تشيوكو: وده مش معناه إني لازم أصدق نظرية مؤامرة ساذجة زي دي. الحياة مش كده. الحياة مملة. وده ميمنعش إن بتوع السياسة بيشتغلونا. دي طريقتهم الوحيدة اللي تخلّيهم يسيطروا علينا طول الوقت.

رو: تفتكري كانوا هيقولولنا الحقيقة لو إنها عمليات إرهابية؟

تشيوكو: لسه قايلة إنهم كدابين. ولكن فيه أسرار أكبر من إن أي حد يقدر يخبيها. يمكن يقدروا هناك في أمريكا، ولكن هنا مش ممكن. أي خطة تمويه لازم تعدي هنا على 8 طبقات من البيروقراطية قبل ما يوافقوا عليها. وبعدين الناس دي عبيطة. مفيش عندهم حاجات تانية يتكلموا عنها غير

نظريات المؤامرة؟ بدل ما يشوهوا سمعة راجل مات وهو بيحاول إنقاذ حياة أكبر عدد ممكن من البشر؟

رو: أنا ابتديت أقلق.. الجليد بيدوب عن أميرة الجليد؟ هل ده معناه إن لسه عندها شوية عواطف؟

تشيوكو: مش للدرجة دي.. أوكيه.. ده بعض اهتمام مش أكتر. ولكن اللي بيحصل مجنني. المخابيل اللي في مواقع المؤامرة بيفكروني بالبنات اللي مبيبطلوش رقص ليل نهار في ديسكو "ميكسي". تخيل معايا كده لو البنات دي استغلت طاقتها في حاجات مهمة، تخيل؟

رو: زي إيه؟

تشيوكو: تغيير النظام. إن ما يبقاش فيه واسطة ولا محسوبية، وإن الناس متبقاش عبيد عند اللي مشغلينهم. وإن ما يبقاش فيه جرايم قتل، أو اعتداء أو تحرش.. كل حاجة.

رو: النسخة الثورية من ملكة الجليد.

تشيوكو: أنا مش بهزر. روح المدرسة، بعدين المدرسة الخصوصي، بعدين ذاكر، وذاكر، خلّي أمك وأبوك يفرحوا بيك، وبعدين روح الجامعة في "كييو"، وبعدين اشتغل كل يوم 18 ساعة متواصلة، وطيع الأوامر، وبطل

شكوى، وامشي جنب الحيط. أوامر.. أوامر.

رو: إنتي عارفة إني متفق معاكي، "تشيوكو".. لكن إيه في إيدينا نعمله؟

تشيوكو: ولا حاجة. مفيش حاجة نقدر نعملها. نخش المفرمة لحد ما نموت. مسكين "هيرو". كان قدامه المستقبل طويل.

رو: (_ _) .... o

تنويه من المترجم:

الآسكي: مصطلح Ascii مقصود به استخدام الرموز البسيطة لصنع تعبيرات (كما فعل "رو" في الدردشة السابقة). وكان هذا الأسلوب منتشراً لفترة في غرف الدردشة.

ORZ: هذا "إيموشن" مشهور في لغة الشات اليابانية يُعبِّر عن إنسان محبط أو ساخط. حيث تشبه هذه الأحرف شخصاً جاثياً على ركبتيه ويضرب الأرض برأسه (O هي الرأس – R هي الجذع واليدين – Z هي الساقين).

يوكي أونا: (سيدة الثلوج). من الفولكلور الياباني: روح أية امرأة تلقى حتفها أثناء عاصفة ثلجية.

هيكيكوموري: شخص غير اجتماعي لدرجة أنه نادراً ما يغادر غرفته، أو حتى لا يغادرها أبداً. وتشير الإحصاءات إلى أن في اليابان ما لا يقل عن مليون مراهق وشاب أسير هذه الحالة، وقرر باختياره أن ينعزل تماماً عن المجتمع بهذه الطريقة.

كانت "بولين روجرز"، الصحفية البريطانية المثيرة للجدل والمعروفة بأسلوب كتابتها "الاعترافي"، أول من أطلق مُسمّى "الثلاثة" للإشارة إلى الأطفال الذين نجوا من حوادث يوم الخميس الأسود.

كان هذا في مقال نشرته "الديلي ميل" يوم 15 يناير 2012..

مرت ثلاثة أيام على الخميس الأسود، وها أنا ذا جالسة في مكتبي الذي قاموا مؤخراً بتجديد ديكوراته، أحدق غير مصدقة ومذهولة في شاشة الكمبيوتر.

لا، لا تظن أن سبب ذهولي هو تلك الحوادث المروعة التي نجم عنها سقوط أربع طائرات ركاب وتحطمها في اليوم نفسه. مع أنني لا أنكر أن هذا واقع يذهلني. ومن هو ذا الذي لم يجن جنونه؟ أتصفح قائمة هائلة من مواقع المؤامرة، ولدى كل منها نظرية مختلفة وأشد غرابة من سابقتها حول السبب وراء هذه التراجيديا. ويكفي أن تجلس إلى جوجل

لخمس دقائق حتى تكتشف أن هناك عدة مواقع تُرَوّج لنظرية أن "توشينوري سيتو" - كابتن الطائرة الشجاع، الذي آثر أن يسقط بالطائرة "صن أير" 678 في منطقة غير مأهولة بالسكان بدلاً من أن ترتفع قائمة الضحايا - كان ملبوساً بأرواح ذات نزعة انتحارية. ومواقع أخرى تصر على أن الطائرات الأربع كانت فريسة كائنات فضائية شريرة. وكان محققو الحوادث أشاروا - من دون أسباب منطقية - إلى أن الأعمال الإرهابية أمر مستبعد - وخاصةً في حالة طائرة "دالو أير" في إفريقيا، حيث تؤكد تقارير المراقبة الجوية أن تلك الكارثة كانت نتيجة خطأ الطيار - ورغم هذا فإن كل دقيقة تمر تشهد إطلاق مواقع مناهضة للمسلمين. ولا يُضاهي هذه السرعة إلا صفحات مجانين نهاية العالم، وأن هذه إشارة من الرب!

لا جدال في أن كارثة بهذا الحجم تستحق اهتمام العالم كله، ولكنني لا أعرف السبب الذي يدفع الناس إلى المبادرة بالتفكير في الأسوأ أو إلى تضييع وقتهم في الاعتقاد في تلك النظريات الغريبة المفبركة؟ مؤكد أن احتمالات وقوع تلك الحوادث معاً ضعيفة للغاية، ولكن! هل وصلنا إلى هذا الحد من الملل؟ هل نحن جميعاً مجرد كائنات لا تعيش سوى على الإنترنت؟

وربما كان أكثر الشائعات والنظريات انتشاراً وتأثيراً سلبياً هي تلك التي تتحدث عن ثلاثة أطفال ناجين: "بوبي سمول"، "هيرو ياناجيدا"، و"جيسيكا كرادوك"، والذين سأسميهم اختصاراً "الثلاثة". وأنا ألوم الميديا التي تصر على أن جمهورها يريد أن يتابع أخبار هؤلاء المساكين الصغار لحظة بلحظة. ففي اليابان، تسلقوا الأسوار حتى يظفروا بصور للصبي المسكين الذي فقد والدته في الحادث، ويبدو أننا نسينا هذا. وهناك آخرون تدفقوا على موقع الحادث وأعاقوا جهود الإنقاذ. وفي بريطانيا والولايات المتحدة، تحتل "جيسيكا كرادوك" و"بوبي سمول" صدر الصحف وأزاحت أخبارهما أخبار أحدث زلات العائلة المالكة.

أنا أكثر من أعرف تأثير هذا الاهتمام المتواصل والتحفز والترقب. فحينما انفصلت عن زوجي الثاني، وقررتُ أن أكتب عن التفاصيل الدقيقة لهذا الانفصال في هذا العمود، وجدتني هدفاً لهوجة إعلامية. وبقيت لأسبوعين غير قادرة على الخروج من الباب من دون أن يظهر أحد الباباراتزي في وجهي بغتةً محاولاً التقاط صورة لي، حتى من دون أن أتحضر بأي مكياج. وأنا متعاطفة تماماً مع ما يمر به الثلاثة، وهكذا حال "زينب فرح"، الفتاة ذات الثمانية عشر ربيعاً والتي كانت منذ عشر سنوات مضت الناجية الوحيدة من حادث طيران كارثي آخر، حينما تحطمت طائرة "رويال أير"

715 عند إقلاعها من مطار أديس أبابا. فقد كانت "زينب" مثل الثلاثة؛ الطفلة الناجية الوحيدة. ومثل الثلاثة، وجدت نفسها تحت أضواء سيرك الميديا. وقد نشرت "زينب" مذكراتها مؤخراً، واختارت لها عنواناً بليغاً: "رياح تهب أسفل جناحيّ"، ونادت أكثر من مرة بأن تترك وسائل الإعلام "الثلاثة" وشأنهم حتى يمكنهم استيعاب المعجزة التي مروا بها. وكان هذا هو كلامها بالنص: "إنهم ليسوا كائنات غريبة الأطوار. إنهم أطفال. أرجوكم، كل ما هم بحاجة إليه الآن هو مساحة زمنية ومكانية تُمَكّنهم من التعافي واستيعاب ما يجري لهم".

كم أتمنى هذا. علينا أن نحمد السماء على أنهم قد نجوا، بدلاً من إضاعة وقتنا في بناء نظريات غريبة عنهم أو نجعل منهم موضوعاً للنميمة الصحفية. أيها الثلاثة، أنا أحييكم، وأتمنى لكم من كل قلبي السكينة وراحة البال وأنتم تتأقلمون مع تلك الأحداث المروعة التي حرمتكم من الأب والأم.

عثروا على "نيفيل أولسون"، مصور صحفي حر (باباراتزي) مقيم في لوس أنجلوس، مقتولاً في شقته يوم 23 يناير 2012. ومع أن خبر الطريقة العجيبة التي مات بها احتل الصفحة الأولى في كل الصحف، إلا أن هذه هي

المرة التي يتحدث فيها "ستيفي فلاناجان"، جاره الذي عثر على بقاياه، علانيةً.

لابد أن تكون صاحب شخصية مختلفة حتى تعيش نمط الحياة الذي عاشه "نيفيل". سألته ذات مرة عما إذا كان يشعر بالذنب لكونه يمارس هذه المهنة، أن يتخفى في انتظار أن يبتسم له الحظ فيلتقط صورة فاضحة لواحدة من المشاهير، ولكنه قال لي إنه يُنَفّذ ما يريده منه الجمهور. وقد تخصص في هذه القذارة، مثل تلك الصور التي التقطها لـ"كورينا سانشيز" وهي تشتري الكوكايين في "كومبتون" – ولم يُعَرّفني أبداً بالكيفية التي عرف بها أنها ستكون موجودة في ذلك الحي؛ لم يخبرني أنا على الأقل. كان متحفظاً في الكلام عن أسرار المهنة.

طبعاً كان "نيفيل" غريب الأطوار. يعيش وحده. وأعتقد أن مهنته كانت مناسبة لشخصيته. التقيته يوم أن كان ينتقل إلى الشقة في الدور الأسفل. كانت العمارة التي كنا نسكنها في ذلك الوقت في "إل سيجوندو". وكثير من سكان العمارة كانوا يعملون في مطار لوس أنجلوس الدولي، وهكذا كان مدخل العمارة لا يخلو من السكان على مدار الساعة. كنتُ أعمل في شركة "وان تايم" لتأجير السيارات، ولذلك كان السكن مناسباً لي. مريحاً. لا أقول بأننا كنا صديقان مقربان

أو شيء من هذا القبيل، ولكننا كنا نتبادل التحية لو صادفنا بعضنا. ولم أر أحداً يزوره ولم أره أبداً بصحبة امرأة، ولا مرة، ولا حتى مع شاب. ولكني أظن أنه من النوع الذي يهتم بالجنس. وبعد شهرين من انتقاله سألني إن كنت أحب أن أزوره في شقته وألتقي "رفاقه في السكن". ظننت أنه قد فضل أن يشاركه أحد الشقة وسداد الإيجار، فلم أمانع. بل كان لدي فضول أن أتعرف على طبيعة الشخص الذي يقبل أن يشاركه المعيشة.

كدت أتقيأ في أول مرة أدخل فيها شقته. لقد كانت "منتنة" فعلاً. لا أجد وصفاً مناسباً، ولكن يمكنك أن تتخيلي أن رائحتها كانت مزيجاً من رائحة سمك عطن ولحم نتن. والجو فيها حار كما أنها معتمة؛ فالستائر مسدلة والتكييف لا يعمل. أخذت أسب نفسي لمجيئي إلى هنا، حينما رأيت شيئاً يتحرك في ركن الغرفة – ذلك الظل الكبير – وبدا لي أنه يتجه نحوي مباشرةً. لم أتبين ما أراه في البداية، ولكني سرعان ما أدركت أنه تمساح كبير الحجم. صرخت فضحك "نيفيل" كالمجنون. كان ينتظر ردة فعلي. طلب مني أن أهدأ:

- لا تقلق.. إنه "جورج"؟

كنت أود لو خرجت من المكان بأقصى سرعة، ولكني لم أرغب في أن أظهر جباناً أمامه. سألت "نيفيل" عما يفعله

بمخلوق كهذا في الشقة، فهز كتفيه في لا مبالاة وأخبرني أن لديه ثلاثة تماسيح أصلها من إفريقيا أو هكذا قال – وأنه يتركها معظم الوقت تتجول في الشقة، أفضل من أن يحبسها في أقفاص أو أحواض. قال لي إنها ذكية، "لا تقل ذكاءً عن الخنازير والكلاب"، وسألته عما إذا كانت خطرة فأراني ندبة ظاهرة على رسغه. وقال وكأنه يتباهى بذلك:

- قضم قطعة كبيرة من هنا.. ولكنها عادةً ما تكون هادئة إن أحسنت التعامل معها.

وعندما سألته عما تأكله هنا، فاجأني:

- فئران صغيرة حية. أجلبها لهم من أحد المتعهدين.

تخيلي هذه المهنة.. متعهد توريد فئران صغيرة، هاه؟ أخذ يحاول إقناعي بكلام عن رقة بعض من يعترضون على إطعام تلك القوارض لمثل هذه الحيوانات، وكنت طوال الوقت أحدق في ذلك الكائن. وكأني أحذره من أن يقترب مني. ولم يكن هذا كل ما في جرابه، فقد عرض عليّ مجموعته الثعابين والعناكب في غرفة نومه. وعنده أحواض أسماك في كل مكان. وأخذ يحكي بالتفصيل عن أن الرتيلاء((1)) أفضل حيوان أليف عرفه الإنسان. وفيما بعد قالوا لي إنه كان مهووساً بالاحتفاظ بالحيوانات.

بعد الخميس الأسود بيومين، وجدته يطرق بابي، ويخبرني بأنه مسافر. إن أغلب عمله في المطار، ولكنه يضطر بين وقت وآخر إلى تنفيذ عمل في موقع آخر. وكانت هذه هي أول مرة يطلب مني أن أتفقد "أصحابه".

- لقد حبستها قبل أن أرحل.

كان في العادة يسافر ويتركها ثلاثة أيام من دون مشاكل. وطلب مني أن أتفقد مستويات المياه، وأقسم لي أنه حبس التماسيح بإحكام. لم يكن من المعتاد أن يخبرني عن المكان الذي يسافر إليه، ولكنه أخبرني هذه المرة، وعلّق بأنه هذه المرة سيواجه متاعب كبيرة.

أخبرني أنه قام "بالتربيط" مع أحدهم لينقله في طائرة هليوكوبتر خاصة متوجهة إلى ميامي، إلى حيث المستشفى الذي يُعَالج فيه "بوبي سمول"، في محاولة لالتقاط صورة للصبي. وقال لي إن عليه القيام بذلك في فترة زمنية محدودة، لأنهم سينقلون الصبي إلى نيويورك قريباً.

سألته عن خطته تلك التي ستمكنه من اجتياز كل تلك العقبات – فقد كنتُ شاهدتُ في الأخبار أن هناك إجراءات أمنية صارمة للغاية – ولكنه اكتفى بابتسامة، معلقاً بأن هذا تخصصه.

كان سيعود بعد ثلاثة أيام، فوجدت أن لا حاجة بي للذهاب إلى شقته. ولمحته وهو يخرج من تاكسي وقت أن كنت عائداً من الوردية. كان منظره مزرياً. يرتجف كالمريض أو الخائف. لما اقتربت منه سألته إن كان بخير، وعما إذا كان قد نجح في الحصول على صورة للصبي. لم يرد عليّ، ولكن حالته التي يُرثى لها دفعتني لأن أعزمه على شراب في شقتي. ذهب معي على الفور، ولم يمر على شقته ليتفقد رعاياه من الزواحف. ترين أنه كان يحمل داخله سراً يود أن يفضفض به بسرعة، ولكن لسانه انعقد. صببت له كأساً فجرعه على الفور، ثم أحضرت له بيرة بعد أن فرغ الخمر. جرع كوب البيرة مرة واحدة وطلب آخر. وجرعه مرة واحدة أيضاً.

بعد كل هذا الشرب انفكت عقدة لسانه، وحكى لي عما فعله. ظننت أنه سيخبرني بأنه تنكر كصحفي أو شيء من هذا حتى يدخل إلى المستشفى، متسللاً عبر المشرحة، مثلما نشاهد في الأفلام الرخيصة. ولكن الحقيقة كانت أسوأ. كانت الحقيقة أكثر براعة، ولكنها أسوأ بكثير. لقد توجه إلى فندق قريب من المستشفى، وكانت قصته المزيفة محبوكة مثل بطاقة هويته ولكنته التي استخدمها من قبل – رجل أعمال بريطاني يزور ميامي لحضور مؤتمر. حكي لي أنه فعلها من قبل وقت أن مات "كلينت مايسترو"، مغني فرقة "سبيس

كاوبويز"، بعد جرعة مخدرات زائدة. وهكذا تمكن من أن يلتقط صور "كلينت" وقد فارق الحياة في المستشفى. كان الموضوع سهلاً كما وصفه. فهو تعاطى جرعة إنسولين زائدة حتى يفقد الوعي. لم أكن أعرف أنه مريض بالسكر ويتعاطى الإنسولين، ولماذا أعرف أمراً كهذا أساساً؟ هكذا سقط في البار وطلب من البارمان أن ينقله إلى أقرب مستشفى. ثم فقد الوعي.

في قسم استقبال الطوارئ عَلَّقوا له المحاليل، ومن أجل أن يضمن أن يضعوه بغرفة في المستشفى تظاهر بأنه يمر بنوبة صرع. حركة كهذه كان يمكن أن تودي بحياته، لكنه قال لي إنها لم تكن أول مرة يفعلها، وأنه يحتفظ دائما بأكياس صغيرة من السكر في جوربه في حال خرج الأمر عن سيطرته. كانت صنعته التي يجيدها. حكى لي أن التجول في المكان وهو على هذا الوضع كان شاقاً جداً (كانوا قد أعطوه "فاليوم" بعد النوبة ولم يكن استفاق بعد من الجرعة التي أعطاها لنفسه).

سألته عما إذا كان قد نجح في الوصول إلى الصبي. ولكنه أخبرني أن الخطة فشلت، وأنه لم يستطع حتى الاقتراب من العنبر الذي كان فيه، في ظل التشديد الأمني.

ولكنهم عندما عثروا على الكاميرا فيما بعد عرفوا أنه نجح

في الدخول إلى غرفة الصبي. فهناك صورة لـ"بوبي" وهو جالس في الفراش، ويبتسم للكاميرا، وكأنه يلتقط صورة عائلية. لابد أنكِ شاهدتِ الصورة. سربها أحد العاملين في مكتب الطب الشرعي. وقد أرعبتني.

شرب كوب بيرة ثالث، وقال:

- لا فائدة، "ستيفي". لا فائدة من كل هذا.

- لا فائدة من ماذا؟

بدا وكأنه لم يسمعني. وكنت مغتاظاً لأني لا أعرف عما يتحدث. ثم تركني وانصرف.

أخذتني هموم العمل بعيداً عن حكايته. ويبدو أن فيروس القيء هذا بدأ ينتشر وأصيب أفراد كثيرون في العمل بالتعب والمرض. كنتُ أعمال لورديات مضاعفة واقفاً على قدميّ أغلب الوقت. ولم أدرك إلا بعد فترة أنني لم ألتقي بـ"نيفيل" منذ أسبوع بعد تلك المرة.

ثم جاءني أحد الذين يسكنون في القسم الذي به شقة "نيفيل"، اسمه السيد. "باتينكين"، وسألني عن رقم تليفونه، وأخبرني أن هناك مشكلة في مواسير الصرف. وقال بأن مصدر الرائحة ربما يكون شقة "نيفيل".

فكرتُ لحظتها أن مكروهاً قد حصل. فتوجهت إلى الشقة وطرقت الباب. كنت أسمع صوت التليفزيون، صوت ضعيف، ولا شيء سواه. كان المفتاح لا يزال معي، ويا ليتني اتصلت بالشرطة على الفور. ولكنني فتحت الشقة ودخلتها، ومن ورائي السيد "باتينكين". عرفت بعد ذلك أن المسكين احتاج إلى علاج نفسي من الصدمة؛ أما أنا فلا تزال الكوابيس تزورني. كانت الشقة معتمة، ولكنني كنت أرى "نيفيل" من مكاني عند باب الشقة؛ ظهره مستند بلا حراك إلى الحائط وساقاه ممددتان. كان منظر جسده – أو ما تبقى منه - مرعباً للغاية.

ذكروا في البداية أن سبب الوفاة جرعة إنسولين زائدة، ولكن التشريح أثبت أنه لم يكن قد فارق الحياة بعد وقت أن بدأت تلك الـ.. في التهام الـ.. تعرفين قصدي.

اهتم الإعلام بالخبر.. "مصرع رجل التهمته تماسيحه وعناكبه الأليفة". وانتشرت شائعة أن عناكب "الرتيلاء" نسجت شباكها حول جثته وأنها صنعت لنفسها عشاً داخل تجويف قفصه الصدري. لكن هذا هراء. أؤكد لكِ أن كل العناكب كانت في أحواضها المغلقة. ولكن التماسيح هي التي افترسته.

المضحك المبكي أنه تحول إلى قصة صحفية مثيرة. ماذا

تسميها؟ آه، مفارقة صنعها القدر. بل ورأيت أشخاصاً من الكار نفسه يتسللون على أمل أن يلتقطوا صورة لجثته وصوراً للمكان. هكذا نجحت حكايته في أن تحتل مكان حكاية "الثلاثة" في الصحف ولو ليوم واحد. وما هي إلا أيام حتى تحوّلت الحكاية إلى خزعبلات وعبث، خاصةً بعد أن أخذ ذلك الواعظ يتوعد الناس بكونها علامة أخرى من علامات نهاية العالم.. حيوانات تلتهم البشر.

أحياناً أجد العزاء في أن أحاول إقناع نفسي بأن "نيفيل" كان يرغب في أن تكون نهايته على هذه الشاكلة..

كم كان يحب تلك التماسيح اللعينة..

---

(1) نوع من العناكب؛ يُسميه ال « بُو شبت ˚ الرتيء: عامة في مصرَ أ « (المترجم)

الجزء الثاني

المؤامرة

يناير – فبراير

تُعتبر "ريبا لويس نيلسون"، التي كانت من أتباع كنيسة المخلص الأب "لين فورهيس"، نفسها "الصديقة الصدوقة لباميلا ماي دونالد". وهي لا تزال تعيش في مقاطعة "ساناه"، جنوبي تكساس، حيث تعمل منسقة في مركز "بريبيرز" للمرأة المسيحية. هي مُصّرة على أنها لم تكن أبداً عضوة في مجموعة "باميلا" لدى الأب "فورهيس"، ووافقت على أن تتحدث معي حتى "يعرف الناس أن في هذا المكان أشخاصاً طيبين، لا يتمنون مكروهاً لهؤلاء الأطفال". تحدثتُ مع "ريبا" في مناسبات عدة عبر التليفون خلال يونيو ويوليو 2012، وقمت بتجميع هذه المكالمات في عدة شهادات.

عرفتُ الخبر من "ستيفيني". كانت تبكي عبر التليفون، حتى إنني لم أسمع كلماتها بسهولة. قالت لي ثانيةً بعد أن هدأت بعض الشيء:

- إنها "بام" يا "ريبا". كانت على الطائرة التي سقطت.

طلبت منها ألا تمزح في مثل هذه المواضيع، وأن "بام"

كانت في اليابان تزور ابنتها، وليست في فلوريدا.

- ليست تلك الطائرة، "ريبا". بل اليابانية. الخبر مُذاع الآن.

شعرتُ أن قلبي سقط في قدمي. كنتُ بالطبع قد سمعت خبر الحادثة في اليابان، وكذلك تلك الطائرة التي سقطت في منطقة في إفريقيا عجزت عن نطق اسمها بشكل صحيح، وتلك التي كانت ممتلئة بسياح إنجليز وسقطت في البحر في أوروبا، ولكن لم يخطر ببالي ولو للحظة أن تكون "بام" من بين الضحايا. كان الأمر كله فظيعاً. حتى تخيلت أن طائرات العالم كله هوت على الأرض. كان مذيعو قناة فوكس يتناولون حادثة، وما إن ينتهي التقرير الإخباري حتى أسمعهم يقولون: "ولقد ورد إلينا للتو أن هناك طائرة أخرى سقطت.."، وأذكر أن زوجي "لورن" عَلّق ساخراً بأن هذه الجملة صارت إلزامية عند انتهاء كل تقرير.

سألت "ستيفيني" إن كانت قد أخبرت الأب "لين"، فقالت إنها اتصلت به ولكن "كندرا" لم تكن تعرف متى سيعود، كما أنه لم يرد على تليفونه المحمول. أغلقتُ الخط وهرعت إلى الصالون لأشاهد الأخبار بنفسي. وراء "مليندا ستيوارت" (مذيعتي المفضلة في فوكس، من النوع الذي تحبين أن تكون رفيقتك في كافيتيريا، تفهمين قصدي؟) صورتان ضخمتان، واحدة لبام والثانية لذلك الصبي اليهودي

الصغير الذي نجا من سقوط طائرة فلوريدا. لا أدري لماذا خطر لي أن "بام" كانت ستتذمر من اختيارهم لهذه الصورة بالذات، ولكن يبدو أنها صورة جواز السفر، وجميع صور البطاقات والجوازات تكون دائماً سيئة. كان شعرها في الصورة منكوشاً.. ما هذا الذي أقول؟ قرأتُ شريط النبأ العاجل الذي لا يتوقف عن الحركة والاختفاء والظهور: "مصرع 526 شخصاً في كارثة طائرة "صن أير" اليابانية. راكبة أمريكية وحيدة كانت على متن الطائرة: "باميلا ماي دونالد"، من ولاية تكساس".

جلست في مكاني، "إلزبيث"، أحدق في الصورة، وأقرأ تلك الكلمات، إلى أن انتبهت بغتةً إلى حقيقة أن "بام" ماتت. ظهر ذلك المحقق اللطيف، اسمه "أيس" ولا أعرف بقية الاسم، والذي يظهر في حلقات ذلك المسلسل الذي يحبه "لورن" عن حوادث الطائرات، وكان في فلوريدا، ليقول بأن التحقيقات لا تزال في بدايتها، ولكن لا يبدو أن للإرهاب أو أي عمل إجرامي صلة بذلك الحادث. سألته "مليندا" عما إذا كان يرى أن الحادث يعود إلى عوامل بيئية أو طبيعية غريبة.. "من فعل الرب" حسب تعبيرها. ولم يعجبني ذلك، "إلزبيث"! أن توحي للمشاهدين بأن الرب قرر أن يترصد الطائرات لتسقط من السماء. هذا أمر من فعل المسيخ الدجال. بقيت أشاهد ما يعرضونه، حتى عرضوا صورة علوية لمنزل بدا لي مألوفاً.

وسرعان ما أدركت أنه منزل "بام"، ولكنه كان يبدو صغيراً من الجو. عندئذ تذكرت "جيم".. زوج "باميلا".

لم يكن لي كثير كلام مع "جيم". كانت "بام" تتحدث عنه برهبة واحترام وبصوت خافت، حتى تخيلته عملاقاً يتجاوز طوله المترين، ولكني رأيته على الحقيقة أطول مني بالكاد. ومع أني لا أود الكلام في هذا الأمر، ولكنني كنت دوماً ما أشك في أنه يضربها. لم نشاهد أبداً أية كدمات أو آثار ضرب على جسد "باميلا". ولكن طريقة كلامها عنه هي التي دفعتنا إلى هذا الظن. يا لزوجي العزيز "لورن"، إن حدث ورفع صوته عليّ.. أنا مؤمنة بأن الرجل هو سيد المنزل بالطبع، ولكن الأمر يتعلق بالاحترام المتبادل، أليس كذلك؟ ولكنني مشفقة على ما مر به هذا الرجل، وعزمت على أن أفعل شيئاً يساعده.

كان "لورن" في المخزن بالخلف، يجرد علب الفواكه ويُعيد تنظيم البضائع المجففة. كان يتحسب لاحتمالات وقوع كارثة بغتةً، "الاحتياط واجب"، خاصةً مع هذه الفوضى التي تعم العالم بدءاً من الانفجارات الشمسية مروراً بالعولمة وحتى العواصف الذرية التي يتحدثون عنها، فلابد لنا من الاحتياط.. فهو واجب! من منا يعرف موعد عودة المسيح ليأمرنا أن نلتحق به في السماء؟ أخبرته بالحادثة، وأن "بام"

كانت على الطائرة اليابانية. كان هو و"جيم" زميلان في مصنع "بي آند بي"، وأخبرته أن عليه أن يتوجه إلى "جيم" وأن يكون إلى جانبه. وجدته متردداً – فلم تكن العلاقة بينهما وثيقة إلى هذا الحد، فقد عملا في قسمين مختلفين في المصنع – ولكنه راح إليه في النهاية. فكرتُ أن الأفضل لي أن أمكث في المنزل، وأن أعرّف كل من له صلة بـ"باميلا".

اتصلتُ بالأب "لين" على تليفونه المحمول؛ لم يرد وتركت له رسالة في البريد الصوتي. عاد واتصل بي وأدركت من ارتجاف صوته أنه عرف الخبر حالاً. كنتُ و"بام" عضوتان فيما أسماه "الدائرة الداخلية" لفترة طويلة. وقبل حضور الأب "لين" و"كندرا" إلى مقاطعة "ساناه" – كان هذا من حوالي خمسة عشر عاماً – كنت عضوة في كنيسة الوحي الجديد في "دنهام". وكان يتوجب عليّ أن أقود السيارة إليها لمسافة نصف الساعة أيام الأحد والأربعاء لحضور دروس الإنجيل، وكان من المستحيل عليّ أن أحضر في الكنيسة هنا، كنيسة الأسقفيين، وخاصةً مع آرائهم المتحررة تجاه الشذوذ الجنسي.

هكذا تتخيلين كم كنتُ سعيدة عندما حضر الأب "لين" إلى البلدة وصار راعياً لكنيسة "لوثيران" القديمة، والتي لم يكن أحد يقيم فيها أي نشاط ديني منذ أمد بعيد. لم

أكن متابعة وقتذاك لبرنامجه الإذاعي. ولكني عرفته من اللوحات الإعلانية على الطريق. كان يجيد تقديم أفعال الرب إلى جمهوره! وكان من عادته كل أسبوع أن يُعَلِّق لافتة عليها حكمة جديدة؛ من قبيل: "تحب القمار؟ الشيطان يقامر بالأرواح"؛ "الرب لا يؤمن بالملحدين، إذن لا وجود للملحدين". هاتان حكمتان محببتان إليّ. واللافتة الوحيدة التي لم تعجبني كانت تُصَوِّر الكتاب المقدس مع تليفونين محمولين من النوع القديم ذي الإريال، ومكتوب في أسفل الصورة "هذا أيضاً ينقذ روحك"، فقد اعتقدت أنها مبتذلة جداً. كان عدد من يحضرون قداس الأب "لين" في البداية قليل، وفي تلك الأيام تعرفتُ على "بام"، مع أنني كنت أشاهدها من قبل في اجتماعات مجلس الآباء في المدرسة طبعاً، كانت ابنتها "جواني" أكبر من ابنتيّ. لم نكن دائماً على وئام واتفاق، ولكن لا أحد ينكر أنها كانت مسيحية صالحة.

أخبرني الأب "لين" أنه سيعقد دائرة صلاة على روح "بام" في المساء التالي، ولأن "كندرا" في المنزل وقد أنهكها الصداع المزمن، طلب مني أن أتصل وأعرف عضوات مجموعتنا. عندئذ عاد "لورن" ودخل المنزل وهو يلهث قائلاً بأن منزل "جيم" محاصر بعربات القنوات التليفزيونية والصحفيين والمراسلين، وأن لا أحد في الداخل يرد على من بالخارج. وبطبيعة الحال أخبرتُ الأب بما قاله لي زوجي،

فقال بأن من واجبنا كمسيحيين أن نقف إلى جوار "جيم" في وقت الشدة، حتى ولو لم يكن عضواً في الكنيسة. لم تكن "بام" تتحدث معي عن الجانب الديني في حياة زوجها. أما "لورن" فكان يرافقني كل أحد، رغم أنه لم يلتحق بمجموعة دروس الإنجيل أو دائرة الصلاة وطلب الشفاء، ولابد أن "باميلا" قلقة لأنها رحلت وتركت زوجها وحده على الأرض ليواجه غضب المسيخ الدجال وليحترق في الجحيم الأبدي.

ثم تساءلت عما إذا كانت "جواني" ابنة "بام" ستقرر العودة إلى الوطن. فهي لم تعد منذ عامين؛ وكانت هناك مشكلات بينها وبين "جيم" منذ فترة وقت أن كانت طالبة في الجامعة. فهو لم يكن راضياً عن صديقها الذي ترافقه. فكان الموضوع سبباً لمشاكل لا تنتهي في العائلة. وكنت أعلم أن "بام" مستاءة أيضاً. فهي كانت تبدو حزينة دائماً كلما كنت أحكي لها عن أحفادي. فقد زوجتُ ابنتيّ ما إن أنهتا الدراسة، وتسكنان على بعد دقائق من منزلي. ولهذا السبب سافرت "بام" إلى اليابان. لقد كانت في غاية الشوق إلى "جواني".

كان الوقت متأخراً، لذا اقترح الأب "لين" أن نتوجه إلى "جيم" في الصباح الباكر. وكم كان لطيفاً منه أن يأتي ليصطحبني في الثامنة من صباح اليوم التالي! لن أنسى

هذا، إلزبيث. كان أنيقاً للغاية في بدلته والكرافتة الحريرية الحمراء. كان في تلك الأيام يعتني تماماً بمظهره، هذا قبل أن يفتح للشيطان قلبه. ورغم أنه لا يصح لي أن أقول هذا إلا أنني أعتقد أن "كندرا" لم تكن تليق بأن تكون زوجة الأب "لين". فهي نحيفة ومهملة في نفسها ودائماً ما تبدو منهكة ومهلهلة الثياب.

فاجأني أن "كندرا" معنا في ذلك اليوم؛ فعادةً ما تتحجج بأي شيء في مثل هذه المواقف. لا أقول إنها متعجرفة.. ولكنها دائماً ما تفضل أن تكون على البعد، مع ابتسامة بلا معنى على وجهها، ويبدو لي أن لديها مشاكل عصبية. هل صحيح أن نهايتها كانت في واحدة من تلك الـ.. ملاجئ؟ لم يعودوا يسمونها كذلك هذه الأيام، صحيح؟ المصحات.. هذه هي الكلمة التي كنت أبحث عنها! إنني أقول لنفسي كثيراً إن من رحمة الرب أنهما لم يحظيا بأولاد. حتى لا يتألم هؤلاء الأطفال وهم يرون أمهم تستسلم لتدهور حالتها العقلية. وظني أن تلك الإشاعة التي انتشرت عن علاقة الأب "لين" الغرامية هي التي أطاحت بعقلها – ولكني أريد أن أوضح لك، "إلزبيث"، أن تلك الإشاعات لا محل لها من الإعراب، خصوصاً حينما أفكر فيما فعله لاحقاً.

بعد صلاة سريعة، انطلقنا مباشرة إلى منزل "بام"

و"جيم". هو على طريق "سيفين سولز"، وكانت وسائل الإعلام بأنواعها محتشدة على طول الطريق، والمراسلون والمصورون عند بوابة المنزل، يثرثرون ويدخنون. سألت الأب "لين" عن الطريقة التي يتسنى لنا بها الوصول إلى المنزل.

ولكن الأب طمأنني بأننا نؤدي مهمة أوصانا بها المسيح ولن يمكن لأحد أن يمنعنا من تأدية هذه المهمة. وعندما أوقفنا السيارة عند البوابة، هرع نحونا جيش من المراسلين يمطرننا بأسئلة هي تنويعات لسؤالين لا ثالث لهما: "هل أنتما صديقين لـ"بام"؟ ما هو شعوركما تجاه ما حدث؟". كانوا يلتقطون الصور ويصورون لقطات الفيديو الحية، وعندئذ أشفقت على أولئك المشاهير الذين يبقون أسرى لهذه المهزلة طوال الوقت.

- وماذا تظنون أنه شعورنا في هذه اللحظات؟

صحت في فتاة تضع "مكياج" مبالغاً فيه، لأنها كانت أكثرهم إلحاحاً وبجاحة. رمقني الأب "لين" وكأنه يطلب مني الصمت وأن يتحمل هو عني عبء الرد عليهم، ولكنهم كانوا بحاجة إلى من يفحمهم. أخبرهم الأب "لين" أننا حضرنا لمساعدة زوج "بام" والوقوف بجانبه، وأنه سيخرج ليتحدث إليهم ما إن نطمئن على "جيم". وكأنه ألقى نحوهم

بعظمة يشتهونها، فقد عاد كل منهم قنوعاً إلى عربة قناته أو صحيفته.

كانت الستائر مسدلة وقرعنا الباب الأمامي بقوة ولكن ما من مجيب. دار الأب "لين" حول المنزل ليطرق الباب الخلفي ولكن ما من مجيب أيضاً. وعندئذ تذكرتُ أن "بام" اعتادت أن تحتفظ بمفتاح احتياطي أسفل قصرية الزرع جوار الباب الخلفي في حال نست المفتاح الأصلي في المنزل وهي بالخارج. وهكذا تمكنا من الدخول.

أوه، يا لتلك الرائحة! قوية لدرجة أني تخيلتها تلكمني في وجهي. شحب وجه "كندرا"، وأشفقت عليها. وفي تلك اللحظة نبح "سنوكي" وركض عبر الردهة نحونا. كانت "بام" لتصاب بأزمة قلبية لو أنها شاهدت في تلك اللحظة الوضع المزري الذي كان عليه مطبخها. فلم يكن مضى على غيابها سوى يومين، ولكن منظره يجعلك تظن أن قنبلة انفجرت فيه. هناك زجاج مهشم فوق الكاونتر وعقب سيجارة مُلقى في أحد الفناجين الصيني الأثيرة لدى والدة "بام". كما أن "جيم" لم يخرج "سنوكي" ولو مرة واحدة للخارج حتى يقضي حاجته، فبرازه في كل مكان فوق مشمع الأرضية الجميل. والصراحة أقولها لك، "الزبيث"، طالما قررتُ أن أكون صادقة معكِ، لم يكن أحد منا يحب ذلك الكلب. أو هي

كلبة بالأصح. فقد كانت رائحتها فظيعة دوماً، حتى لو قامت "بام" بتحميمها مائة مرة في اليوم. كما أن عينيها عليها تلك الغمامة الشفافة دائماً. ولكن "بام" كانت تشفق عليها، وأنا أشفقت عليها بدوري عندما وجدتها تتشمم أحذيتنا وتتطلع لأعلى وكأنها تتمنى لو أن "بام" تظهر لها من وسطنا.

أخذ الأب "لين" ينادي على "جيم"، خاصةً أننا وجدنا التليفزيون شَغَّالاً، وتوجهنا إلى غرفة المكتب.

كدتُ أصرخ حينما رأيته. كان "جيم" راقداً في مقعده الليزي بوي، ومسدس في حجره. كانت الستائر مسدلة، والغرفة معتمة، ولذلك خُيِّل إليّ للحظات أنه.. ولكنني وجدت أن فمه مفتوح تصدر عنه حشرجة خافتة. كانت زجاجات وعلب البيرة الفارغة تغطي الأرضية ورائحة الغرفة معبقة بالكحول. بيع الخمور ممنوع في مقاطعة "ساناه"، ولكن هذا لم يمنع تهريبها. وكان "جيم" يعرف أين تُباع تلك البضاعة المهربة. لم أمنع نفسي، "إلزبيث"، من التفكير فيما كان سيفعله بنفسه لولا أنه غاب عن الوعي. حتى إنني خشيتُ أن يطلق علينا النار. أزاح الأب "لين" الستائر، وفتح النافذة، وفي النور رأيت أن "جيم" قد تبول على نفسه.

قام الأب "لين" بكل ما يلزم كما توقعت. أخذ المسدس بهدوء من فوق حجر "جيم"، ثم هزه من كتفه ليوقظه.

جفل "جيم" ثم حدق فينا، عيناه حمراوان كالدم. قال له الأب:

- "جيم".. عرفنا خبر مصرع "بام". ونحن هنا من أجلك، "جيم". سوف نسهر على رعايتك وتلبية طلباتك.

- تباً لكم.. غوروا من هنا.

تمنيت لو انشقت الأرض وابتلعتني. وند عن "كندرا" صوت هو مزيج من الشهقة والضحكة والصدمة.

ولكن الأب "لين" لم يكن ليتأثر بهذا:

- أعرف أنك حزين، "جيم". ولكننا هنا لنساعدك. وسنعمل على إخراجك من هذه الحالة التي أنت عليها.

لحظتها بدأ "جيم" يبكي. كان جسده كله يرتجف وينشج. ولو أنكِ تصدقين ما يقولونه الآن عن الأب "لين"، إلزبيث، فيا ليتك كنتِ معنا لتشاهدي بنفسك كيف كان يتعامل مع "جيم". كان نموذجاً للرحمة والعطف. واصطحبه إلى الحمّام ليستحم.

بقيث مع "كندرا"، واقفتين من دون حراك لحظات، قبل أن أنبهها إلى أن علينا الكثير من العمل. فقمنا بتنظيف المطبخ، ورفعنا فضلات تلك الكلبة، ونظفنا مقعده الليزي بوي. وكانت

"سنوكي" تتبعنا طوال الوقت بتلك العينين.

عاد الأب "لين" مع "جيم" وأراحه في الصالون، ومع أن الرائحة الكريهة زالت عن الرجل المسكين، إلا أن دموعه لم تتوقف ولو لحظة. كان لا يزال يبكي وينتحب.

- إذا كان ليس لديك مانع، "جيم"، فإننا نود أن نصلي جميعاً معك لأجل "بام".

كنتُ أتوقع أن يسبه "جيم" مجدداً، وأقسم لكِ أنني تخيلت للحظة أن الأب "لين" فعل ذلك. ولكن الرجل كان محطماً، "الزبيث"، وكأن هناك من شطره إلى قسمين، وفيما بعد أخبرنا الأب "لين" أن هذه هي طريقة الرب في تعريفنا بأن علينا أن نسلم أرواحنا وقلوبنا للرب. ولكن على الإنسان أن يكون أهلاً لذلك. رأيت مثل هذا الموقف مرات عديدة. مثل ذلك اليوم الذي كنا نصلي فيه لأجل "لوني" ابن عم "ستيفيني"، ذلك الذي أصيب بمرض يسمونه "العصبون الحركي". ولكن تلك الصلاة لم تجدِ لأنه لم يكن أهلاً لذلك، ولم يسلم قلبه وروحه للرب. فماذا يفعل الرب بوعاء فارغ.

وهكذا جثونا جميعاً إلى الأرض جوار الأريكة، تحيط بنا علب البيرة الفارغة، وأخذنا نصلي.

- دع الرب يملأ قلبك، "جيم". إنه مغيثك. إنه مخلصك. ألا

تشعر به؟

كم كان جميلاً أن أكون حاضرة هذا الموقف. فها هو ذا أمامي رجل حطمه الحزن والأسى، حتى أنه لا يتوقف عن البكاء ويكاد ينهار، وها هو ذا الرب ينتظره ليأخذه في أحضانه ويعيد إليه كيانه من جديد!

بقينا مع "جيم" قرابة ساعة أو يزيد. ولم يتوقف الأب "لين" عن الصلاة:

- أنت الآن جزء من الجماعة، "جيم"، ونحن هنا لأجلك، تماماً كما أن الرب هنا لأجلك.

كان كلامه دافئاً يستولي على القلب. ولا أخجل من أن أقول إني بكيت مثل مولود جاء إلى الدنيا حالاً.

ساعده الأب "لين" على النهوض حتى يعاود الجلوس إلى الليزي بوي، ورأيت في وجهه تغيراً يسمح لنا بأن نتحدث في ما ينبغي علينا القيام به. قال له الأب:

- والآن، "جيم"، علينا أن نرتب للجنازة.

تمتم "جيم" بكلمات فهمنا منها أن "جواني" هي من تتولى الموضوع.

- ألن تسافر إلى هناك لتحضر جثمان "بام"؟

هز "جيم" رأسه في أسى ونظر إلينا بعينين مشدوهتين:

- لقد تركتني ورحلت. طلبت منها ألا تذهب، ولكنها لم تسمع كلامي.

في تلك اللحظة دوى صوت طرق رهيب على الباب فجفلنا جميعاً. لقد وصل المراسلون الملاعين إلى باب المنزل! كانوا يصيحون:

"جيم! جيم! ما تعليقك على تلك الرسالة؟".

التفت الأب "لين" إليّ مندهشاً:

- أية رسالة تلك التي يتحدثون عنها، "ريبا"؟

وطبعاً لم يكن لدي أي فكرة عنها.

عدل الأب "لين" من ربطة عنقه، ثم قال:

- سأذهب أنا لأتصرف مع عديمي الرحمة هؤلاء، "جيم".

تطلع إليه "جيم" بنظرة امتنان حلت محل ذلك الذهول.

- ستقوم "ريبا" و"كندرا" بتحضير بعض الطعام لك.

أسعدني أن أجد ما يشغلني، "إلزبيث"، ووجدت أن "بام"، يرحمها الرب، أعدت الكثير من الوجبات لجيم، ووضعتها بترتيب في الفريزر، فلم يكن عليّ سوى أن أخرج

واحدة وأضعها في الميكرويف. ولم تقم "كندرا" بكثير من المساعدة، فقط حملت الكلبة بين ذراعيها وأخذت تهمس لها. وهكذا كان عليّ وحدي أن أقوم بتنظيف غرفة المكتب وأن أقنع "جيم" أن يأكل فطيرة اللحم التي قدّمتها له على صينية.

عندما عاد الأب "لين" إلى داخل المنزل كان مذهولاً. وقبل أن أسأله عما يزعجه، التقط ريموت التليفزيون وانتقل إلى قناة فوكس. كانت "ميليندا ستيوارت" تتحدث عن مجموعة من الصحفيين اليابانيين الذين وصلوا إلى موقع سقوط طائرة "بام" في تلك الغابة، وأنهم نجحوا في العثور على مجموعة من التليفونات المحمولة للركاب. وكان بعض من الركاب - رحمهم الرب - قد قام بتسجيل رسائل صوتية على الهواتف عندما أيقنوا أن الموت قادم لا محالة، وقام أولئك الصحفيين بكل وقاحة بنشر نصوصها حتى من قبل أن تعرف بعض عائلات أولئك الضحايا أنهم رحلوا عن الدنيا.

كانت رسالة "بام" واحدة من تلك الرسائل، وكانت هذه هي أول مرة أعرف فيها أنها كانت تمتلك تليفوناً. كان نص رسالة "بام" يمر أمامنا على أسفل الشاشة، عندما صاح الأب "لين" بغتةً:

- لقد كانت تحاول أن تخبرني أنا بشيء، "ريبا". انظري، ها

هو ذا اسمي!

أعتقد أننا في تلك اللحظات كنا قد نسينا أمر "جيم" تماماً، لأننا اندهشنا حينما سمعناه يصرخ باسم "بام" باستمرار.. من دون توقف.

لم تساعدنا "كندرا" في تهدئته. بل اكتفت بالوقوف عند المدخل، والكلبة "سنوكي" بين ذراعيها، وانشغلت بمداعبته والهمس إليه بكلمات لم نسمعها..

كأنه طفل رضيع..

فيما سيلي عرض للرسائل التي سَجّلها ركاب الطائرة المنكوبة "صن أير" 678 في لحظاتهم الأخيرة (قمت بتفريغها من دون تصرف).

(ترجمة إريك كوشان، والذي نوّه إلى أن هناك بعض الكلمات التي قد تكون مفقودة).

"هيرونو". الأمور تزداد سوءاً هنا. طاقم الكابينة هادئ. لم يفزع أحد. أعرف أني سأموت وأريد أن أخبرك أن.. ما هذا .. كل شيء يسقط.. يسقط من كل مكان ويجب عليّ أن.. لا تنظري في خزانة مكتبي. أرجوكِ، "هيرونو".. أتوسل إليكِ. هناك أمور أخرى يمكنك أن تفعلينها. كل أملي أن..

("كوشان أودا" – مواطن ياباني – 37 سنة)

حولي دخان ولكنه ليس مثل الدخان. العجوزة الجالسة جواري تبكي في صمت وتصلي، وكنت أتمنى لو أني أجلس إلى جوارِك أنتِ. هناك أطفال في الطائرة. أوه.. خذي بالك من بابا وماما. معكِ فلوس كفاية. اتصلي بالسيد "موتوبوتشي"، وهو سيدبر موضوع التأمين. الكابتن هنا يحاول بكل جهده.. لابد أن أثق فيه. أشعر من صوته بأنه رجل بحق. وداعًا.. وداعًا.. الوداع.. الوداع.

("شو ميمورا" – مواطن ياباني – 49 سنة)

هيا فَكِّر.. فَكِّر.. فَكِّر. كيف حدث هذا.. طيب، شعاع ضوء قوي ضرب الكابينة. وصوت انفجار. لأ، أكثر من صوت. هل كان الضوء قبل الصوت؟ لا أعرف. المرأة الجالسة عند النافذة، "الجايجين" (الأجنبية) الضخمة تولول وتبكي لدرجة أن صوتها يخترق أذنيّ.. وأنا أفكر في جمع حاجتي في حالة.. أسجل هذا حتى تعرفوا ما يجري. لا يوجد فزع، رغم أني أعتقد أن المفروض أن نكون فزعين. كثيراً ما تمنيث الموت ولكن لما جاء الموت أدركث أني غلطان، وأن الموت أتاني أسرع مما تخيلت. أنا خائف مرعوب، ولا أعرف من هو الذي سوف يسمع هذه الرسالة. لو كان ممكن توصيل هذه الرسالة إلى أبي فقولوا له إن..

(“كيتا إتو” – مواطن ياباني – 42 سنة)

“شينجي”؟ رد أرجوك! “شينجي”!

هناك ضوء، ساطع، ثم.. ثم..

الطائرة ستسقط، ستتحطم، والكابتن يطلب منا الهدوء. ولا أعرف سبب ما يجري!

كل أملي.. خذ بالك من الأولاد يا “شينجي”. قل لهم إني أحبهم و..

(“نوريكو كاناي” – مواطنة يابانية – 28 سنة)

أعرف أن سيدي المسيح سيحتضنني وأن هذا هو قدره لي. ولكن كم تمنيت أن أراكِ مرة أخيرة. أحبكِ، “سو - جين”، ولم يسبق لي أن صارحتك بهذه الكلمة. أتمنى أن تسمعي هذه الرسالة؛ أتمنى أن تصلك. تمنيتُ أن نكون معاً يوماً ما، ولكنك بعيدة عني جداً الآن.. إنها تسقط.

(“سيوجين لي” – مواطن كوري جنوبي – 37 سنة)

إنهم هنا. أنا.. لا تطعم “سنوكي” الشوكولاتة، فهي ضارة بالكلاب، ولكنها ستتوسل إليك. ذلك الصبي. الصبي يرى.. الصبي يرى الموتى.. ويا ربي.. إنهم كثيرون.. يتجهون نحوي الآن. سنذهب عما قريب.. كلنا. كلنا. وداعاً “جواني”..

أعجبتني الشنطة.. وداعاً "جواني"، لقد حذرهم الأب "لين" من أن الصبي لا..

("باميلا ماي دونالد" - مواطنة أمريكية - 51 سنة)

تصف "لولا كاندو" (وهذا ليس اسمها الحقيقي) نفسها بأنها ممثلة بورنو سابقة وصاحبة موقع إلكتروني تجاري على الإنترنت حالياً. وشهادة "لولا" الواردة هنا تفريغ لعديد من الحوارات التي جرت بيننا عبر سكايب.

كان "ليني" يزورني مرة أو مرتين كل شهر طوال ثلاث سنوات أو أكثر قليلاً. كان يسافر إليّ من مقاطعة "ساناه"، أي يقود سيارته لمدة ساعة على الأقل، ولكنه كان يحب ذلك. يقول إنه يحب قيادة السيارات، حيث تمنحه وقتاً يفكر خلاله في أمور كثيرة. طباعُه محافظة وتقليدية. أقول هذا رغم أن الناس حاولوا أن ينقلوا عني أن له نزواته المنحرفة، ولكنه لم يكن كذلك. كما أنه لا يتعاطى مخدرات أو أي شيء من هذا. يفضل الوضع التقليدي عند ممارسة الجنس، مع قليل من شراب البوربون، ويحب الدردشة.

أنا دخلت المجال عن طريق "دينيشا".. رفيقتي. كانت محترفة، تقدم خدماتها لزبائن تنقصهم الخبرة مع النساء. فليس معنى أنك جليس البيت أو مُقْعَد على كرسي متحرك أن حياتك الجنسية انتهت. وأريد أن أقول لكِ إنني لست

محترفة مثلها. فأغلب زبائني كانوا عاديين.. يعانون الوحدة..أو انصرفت زوجاتهم عن الجنس. وأنا أتحقق من زبائني جيداً، فإن لم أرتح لهم أو وجدتهم يطلبون أموراً غريبة فعندها أعتذر. شكراً.." مفيش وقت ليك".

أنا لا أتعاطى مخدرات؛ فلم أشتغل هذه الشغلانة لأصرف على إدماني. ووسائل الإعلام لا تهتم بنساء مثلي أو مثل "دينيشا"، يعني من تمارس هذه المهنة للقمة العيش ليس إلا ومن دون جوانب سوداء أخرى من النوع المثير لشهية الإعلاميين. الحال مثل ما تقول "دينيشا" إن الدخل بيكفي مشتريات البقالة وسد الجوع.

كان عندي شقة استغلها في لقاء الزبائن، ولكن "ليني" لم يكن يحب الشقة. كان حذراً وحويطاً.. ممكن تسميها بارانويا. يُفَضِّل أن نلتقي في الموتيلات. وهي كثيرة، وسعر الساعة فيها معقول، ومن دون الكثير من الأسئلة. وكان يصر أن أقوم أنا بالحجز باسمي.

في ذلك اليوم جاء متأخراً. متأخر نصف ساعة، وكان هذا غريباً. كنت قد جهزت المشروبات، وأحضرت الثلج، وجلست أنتظره أمام الشاشة أشاهد حلقة من "بارتي تايم".. الحلقة المميزة لـ"ميكي" و"شاونا لي". كنت بدأت أقول لنفسي إنه لن يحضر، ولكنه حضر ودخل الغرفة سريعاً، متقطع الأنفاس

يتصبب عرقاً. رحبت به بعبارة اعتدناها معاً:

- حسناً، مرحب.. يا غريب.

- معلش، "لو"، ممكن أشرب أي شيء.

شعرت أن هناك شيئاً غريباً. كان يقول لي إنه لا يشرب إلا معي، وأنا صدقته. سألته إن كان يريد مني أن أبدأ الـ.. ولكنه لم يكن مهتماً أو راغباً.

- لأ.. كفاية الشرب.

كانت يداه ترتجفان، وظاهر جداً أن شيئاً قد حصل. حَضَّرت له كأس دوبل وسألته إن كان يريد مني تدليك كتفيه.

- لا لا.. عايز أهدى شوية بس.. دماغي مشغولة.

لكنه لم يجلس، ولم يتوقف لحظة عن الحركة داخل الغرفة، وكأن شخصاً طلب منه "يهري" السجادة مشي عليها. كنت أعرف طريقة تفكيره، وأعرف أنه لن يخبرني بأي شيء. وأنه لن يفعل ذلك إلا عندما يكون مستعداً للكلام. ناولني الكأس وملأته ثانيةً.

- "بام" كانت بتحاول توصل لي رسالة معينة، "لو".

طبعاً لم أكن أعرف معنى كلامه هذا أبداً.

- "لين".. قل لي الحكاية من أولها.

بدأ يحكي عن "باميلا ماي دونالد"؛ السيدة التي ماتت في حادثة الطائرة اليابانية، وأنها كانت من ضمن سيدات القداس لديه.

- "لين".. آسفة جداً على حزنك عليها. ولكني متأكدة من أن "بام" لا تريد منك كل هذا الحزن عليها.

وكأنه لم يسمعني. أخذ يفتش في حقيبته - كانت تلك الحقيبة معه دائماً، وكأنه طالب في مدرسة أو جامعة - وأخرج الإنجيل، ووضعه بقوة على الطاولة. حاولت أن أخفف الجو:

- إيه.. عايزني أضرب به على ضهرك ولا حاجة؟

كانت غلطة كبيرة مني. وجهه إحمر وانتفخ فجأة. كانت تعبيرات وجهه دائماً ميزة فيه.. وكانت الناس تثق فيه بسبب قوة تعبيرات وجهه. وكأنه مستحيل يكذب. لذلك سارعت بالاعتذار عما قلت؛ بعدما أرعبني بنظراته.

حكى لي عن رسالة "بام". واحدة من تلك الـ.. ماذا تسمونها؟ تلك الرسائل التي تركتها هي وبعض اليابانيين على هواتفهم والطائرة في طريقها لمصيرها.

- لازم يكون لها معنى، "لو". وأظن إني أعرف المقصود منها.

- وإيه المقصود.. "ليني".

- "بام" شافتهم، "لولا".

- شافت مين؟

- شافت العصاة.. عصاة الرب. شافت كل اللي هيفضلوا في البرزخ.

أنا كانت تربيتي دينية، ومن أسرة معمدانية متدينة. وأعرف كثيراً من نصوص الإنجيل. ورغم إن الناس ممكن تنظر لي نظرة ثانية، ولكني مؤمنة من كل قلبي إن الرب سيغفر لي. وكما كانت رفيقتي "دينيشا" تقول لي دائماً (هي الأخرى من أتباع الكنيسة الأسقفية).. الرب يغفر لكثير من العاهرات.

على كلٍّ، كان "لين"، حتى من قبل الخميس الأسود، مؤمن بعلامات نهاية الزمن. مثله مثل كثيرين يرون تلك العلامات في كل شيء حولهم: 11 سبتمبر، والزلازل، والهولوكوست، والعولمة، وحروب الإرهاب، وكل شيء. كان مؤمن بأنها مسألة وقت قبل أن يأخذ المسيح كل المؤمنين إلى السماء، ليترك الأرض ومن يبقى عليها للمسيخ الدجال. وبعضهم

مؤمن بأن المسيخ الدجال ظهر فعلاً. وأنه متجسد في أمين الأمم المتحدة أو رئيس الصين أو واحد من الطغاة العرب أو المسلمين. وبعضهم يبالغ ويرى علامة في كل خبر في نشرة الأخبار. فجنون البقر علامة.. والفيروس العصبي الذي أصاب العاملين على السفن علامة.

رأيي أنا؟ ليس لي رأي محدد. أن يأتي يوم و.. هووب.. يختفي كل المؤمنين في السماء تاركين كل ملابسهم وأغراضهم وراءهم. صعب إني أقتنع بحدوث هذا. فلماذا يهتم الرب بشيء كهذا؟ "ليني" أعطاني كتباً في هذا الموضوع لأقرأها - سلسلة روائية خيالية تتحدث عن صعود المسيحيين كلهم إلى السماء مرة واحدة، وإن العالم يكتشف أن رئيس وزراء بريطانيا هو المسيخ الدجال. قلت له إني سأقرأها، ولكني لم أفعل.

صببت لنفسي كأساً قوية. بعدما أدركت أن أمامي ساعة أو أكثر يختصني خلالها "ليني" بحلقة من حلقات محاضراته الإذاعية.. فيلقيها عليّ وحدي. تظاهرت أني أسمعه، ولكني لم أنصت لأي حرف منها. أنا أحب التليفزيون أكثر.

عندما التقيت "ليني" لأول مرة ظننت أنه واحد من رجال الدين المهووسين بجمع المال، الذين نشاهدهم على قنوات التليفزيون وهم يحاولون إقناع المشاهدين أن يتبرعوا

لكنائسهم، وأن الصدقة ضرورة حتى ولو كنت فقيراً. قلت لنفسي في البداية إنه مجرد نصاب، وإني التقيت الكثير منهم في حياتي! ولكني اكتشفت بعد فترة من العِشْرَة معه أنه فعلاً يصدق نفسه، ورغم إني أعرف في الدين ولكني لم أكن مستعدة للاقتناع بكل هذا الكلام الذي يصر على إسماعي إياه. الأكيد أن "ليني" يريد أن يكون واحداً من الكبار، ليس أقل من دكتور "لند".. صاحب "بليك" رئيس الجمهورية. "ليني" مستعد يعمل أي شيء ويكون ضمن هذه الدائرة. وكان برنامجه الإذاعي واحد من هذه الطرق، ولكنه لم يحقق النجاح الكبير المنتظر رغم مرور السنين. والموضوع لم يكن فلوس فقط. كان يبحث عن الاحترام واعتراف الناس به. وعن احترامه لنفسه، بعد سنين من العيش على فلوس زوجته.

- اسمعي الرسالة.

قرأها عليّ، فلم أفهم منها أي شيء. ظهر لي أن "بام" كانت مهتمة جداً بكلبتها أكثر من أي شيء آخر.

ثم بدأ يتكلم معي عن معجزة نجاة الثلاثة من دون أي أذى.

- فيه حاجة غلط.. دول كان المفروض يموتوا، "لولا".

الصراحة، كنت أنا أيضاً أشعر بشيء غريب في هذه الحكاية. ولكن هذا كان شعور الجميع في ذلك الوقت. أعتقد أنه من ضمن الموضوعات المجنونة التي يصعب على العقل استيعابها والاقتناع بها. مثل 11 سبتمبر. إلا إذا كان الواحد موجود في الحادث وعاشه من البداية للنهاية. ولكن الأيام كفيلة بأن يعتاد الناس أي شيء. كما هو الحال معي مؤخراً، فقد اعتدت في نهاية المطاف صراخ وصياح جاري الغاضب دائماً، بعدما انعدمت حيلتي في محاولة أن أفهمه أن ما يفعله يكدر عليّ حياتي.

- الصبي.. الصبي.

ظل يتمتم بهذه الكلمة. قرأ فقرة بصوتٍ عالٍ من سِفر زكريا، ثم انتقل إلى سفر الرؤيا. "ليني" يحب هذا الجزء من الكتاب، أما أنا فكنت أخاف منه منذ صغري. وأقول لكِ إنني من زرع الفكرة في رأسه. والصراحة أنني أحياناً ما كنت أتظاهر مع "ليني" بالغباء والجهل، وكان يحب ذلك (كلهم الحقيقة بيحبوا كده). قلت له:

- تعرف إيه اللي شاغل عقلي، "ليني"؟ حكاية الفرسان الأربعة. ليه هم فرسان، إيه السبب؟ وليه كل واحد له لون مختلف؟

تجمد "ليني" في مكانه وكأني أعلنت كفري الصريح.

- بتقولي إيه، "لو"؟

ظننت أنني قد قلت شيئاً أغضبه، وأخذت أحدق في وجهه وأنا أنتظر أن يلطمني على وجهي بغتةً. ولكنه بقى واقفاً كالتمثال، وعيناه لا تتوقفان عن الحركة.

- "ليني".. "ليني" حبيبي.. إنت كويس؟

لكنه شبك أصابعه وضحك. أول مرة أسمع ضحكاته. احتضن وجهي بين يديه وقبّلني.

- "لولا".. إنتي وصلتي للسرا!

- تقصد إيه، ليني؟

- اقلعي هدومك.

لم يتكلم ثانية في الموضوع.. نام معي.. وانصرف.

ما سيلي تفريغ لحلقة من حلقات برنامج "الأب لين" الإذاعي، My Mouth, God's Voice، والتي أذيعت يوم 20 يناير 2012.

المستمعون الأعزاء.. لا حاجة بي إلى أن أعرفكم أننا صرنا الآن نعيش في زمن الكفر، وبدرجة تفوق أي وقت مضى. فنحن نعيش في زمن منعوا فيه تدريس الإنجيل في

المدارس امتثالاً لأكاذيب التطور العلمي، في زمن لم تعد القلوب تعرف فيه الرب، في زمن صار فيه للوطيين وقتلة الأطفال والمشركين والإسلاميين الفاشيين حقوق في بلدنا هذه أكثر من المسيحيين والمسيحيات الأخيار. صبغت آثام سدوم وعمورة جميع جوانب حياتنا اليومية، بينما يبذل زعماء العالم جهدهم لأجل ترسيخ ثقافة العولمة والتي هي من صنيع المسيخ الدجال.

المستمعون الأعزاء.. معي بشرى سارة لكم. فلدي ما يثبت أن المسيح منصت إلينا، وأنه قائم على صلواتنا، وأنها مسألة وقت قبل أن يرتقي بنا إلى جواره.

سأحكي لكم، أعزائي المستمعين، حكاية.

كانت تعيش على ظهر هذه الأرض امرأة طيبة. اسمها "باميلا ماي دونالد"، وكانت تقية ورعة، وتراعي الرب في كل ذرة من كيانها.

قررت تلك المرأة القيام برحلة، لتزور ابنتها في بقعة قصية، هي آسيا. ولم تكن تعلم، وهي تجهز حقيبتها، وهي تودع زوجها وكنيستها، أنها ستكون قدر من أقدار الرب.

استقلت تلك السيدة الطائرة.. في اليابان، وتلك هي الطائرة التي سقطت وتحطمت، بفعل قوى خفية لم نتيقن منها حتى

الآن.

وبينما كانت تحتضر، راقدة فوق تلك الأرض الأجنبية الباردة، ودماء الحياة تفارق عروقها، كلمها الرب، أعزائي المستمعين، ومنحها رسالة. تماماً مثلما كلم الرب الرسول يوحنا في جزيرة بطمس عندما أظهر له رؤيا الأختام السبعة في سفر الرؤيا. وسجلت "بام" تلك الرسالة، أعزائي المستمعين، حتى يتسنى لنا فهم حكمة الرب.

لقد أنبأنا الرسول يوحنا أن الأختام الأربعة الأولى سوف تأتينا في هيئة أربعة فرسان. ونحن نعلم، وهذه حقيقة، أن الفرسان الأربعة مرسلون لتحقيق غرض إلهي. ونحن نعرف من (حزقيال) أن هذا الغرض هو معاقبة كل كافر وملحد. فلسوف يجلب الفرسان الطاعون والمجاعة والحرب والذعر إلى الأرض. وسوف تكون هذه إرهاصات المحنة.

يعتقد كثيرون، أعزائي، أن الأختام فُتحت بالفعل، وأنا كنت أقول بأن من الصعب ألا تكون فُتحت حتى الآن، مع ما كل ما يجري في العالم الآن. ولكن الرب أظهر لـ"بام"، بحكمته، أن تلك الأختام قد فضت الآن فقط.

ما ذكرته "باميلا ماي دونالد" في رسالتها إليّ، لأنها، أعزائي، قررت بحكمتها أن تُوجّه الرسالة لي شخصياً، هو أن الفرسان الأربعة صاروا هنا الآن. هنا على الأرض. وقالت

وهي تحتضر، "الصبي، الصبي، "الأب لين"، حذرهم".

جميعكم تابع الأخبار. وجميعكم يعرف الأطفال الناجين الثلاثة - وربما هم أربعة، فنحن لا نعرف على وجه اليقين بأن هؤلاء هم الناجين الوحيدين، فالفوضى تضرب كل مكان في أفريقيا، كما نعلم جميعاً. وكلكم تدركون غرابة أن ينجو أولئك الأطفال الثلاثة من مثل هذه الكوارث سالمين تقريباً من دون خدش. أكرر، أعزائي، أن هؤلاء الثلاثة هم الناجين الوحيدين حتى الآن. وحتى المحققين عجزوا عن تفسير ذلك، والأطباء، والخبراء، لا أحد.

أحبائي، اعتقادي هو أن أرواح الفرسان الأربعة قد حلت في هؤلاء الأطفال.

لقد قالت "باميلا ماي دونالد": "الصبي.. الصبي". فأي صبي كانت تقصده يكون غير ذلك الصبي الياباني الذي نجا؟

الأمر أوضح من أن يفسر. أهناك رسالة بمثل هذا الوضوح؟ إن الرب رحيم، أيها المستمعين والمستمعات، ولا يفعل أي شيء إلا بقدر. وبرحمته بيّن لنا أكثر من دليل على أن ما أقوله هو الصدق. ففي سفر الرؤيا السادس، الآية الأولى والثانية:

وَرَأَيْتُ الْحَمَلَ وَهُوَ يَفُكُّ أَوَّلَ الْخُتُومِ السَّبْعَةِ، وَسَمِعْتُ

وَاحِداً مِنَ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ الأَرْبَعَةِ يُنَادِي بِصَوْتٍ كَالرَّعْدِ: "تَعَالَ"!

فَنَظَرْتُ وَإِذَا أَمَامِي حِصَانٌ أَبْيَضُ، يَحْمِلُ رَاكِبُهُ قَوْساً، وَعَلَى رَأْسِهِ إِكْلِيلٌ، وَقَدْ خَرَجَ مُنْتَصِراً وَلِكَيْ يَنْتَصِرَ.

حصان أبيض، أعزائي. اسألوا أنفسكم.. ما هو لون شعار شركة "مايدين أيرلاينز" التي سقطت طائرتها في فلوريدا؟ حمامة بيضاء. بيضاء.

ثُمَّ فَكَّ الْحَمَلُ الْخَتْمَ الثَّانِي، فَسَمِعْتُ الْكَائِنَ الثَّانِي يُنَادِي: "تَعَالَ"! فَخَرَجَ حِصَانٌ أَحْمَرُ، أُعْطِيَ رَاكِبُهُ سَيْفاً عَظِيماً، وَمُنِحَ سُلْطَةَ نَزْعِ السَّلامِ مِنَ الأَرْضِ وَجَعْلِ النَّاسِ يَقْتُلُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً.

ما لون شعار شركة "صن أير"؟ أحمر. هكذا ترون، أخوتي وأخواتي. شمس حمراء كبيرة. حمراء. لون الشيوعية. لون الحرب. لون الدم، أحبائي.

وَعِنْدَمَا فَكَّ الْحَمَلُ الْخَتْمَ الثَّالِثَ سَمِعْتُ الْكَائِنَ الثَّالِثَ يُنَادِي: «تَعَالَ!» فَرَأَيْتُ حِصَاناً أَسْوَدَ، يَحْمِلُ رَاكِبُهُ مِيزَاناً بِيَدِهِ.

نعرف الآن أن الطائرة البريطانية التي هوت في البحر كانت تحمل شعاراً برتقالياً ناصعاً. ولكنني أسألكم: ما لون الكتابة التي كانت على هيكل الطائرة؟ أسود، أعزائي. أسود.

ثُمَّ فَكَّ الْحَمَلُ الْخَتْمَ الرَّابِعَ فَسَمِعْتُ الْكَائِنَ الرَّابِعَ يُنَادِي: "تَعَالَ"! فَرَأَيْتُ حِصَاناً لَوْنُهُ أَخْضَرُ «بَاهِتُ اللَّوْنِ»، اسْمُ رَاكِبِهِ «الْمَوْتُ»..

ألم يكن هذا اللون الأخضر هو لون شعار الطائرة الأفريقية المنكوبة؟ أخضر.

أعلم أن هناك من سيرفض كلامي هذا ويعلله بأنها محض صدفة. ولكن أقدار الرب ليست صدفة. هذه حقيقة نؤمن بها.

ستكون هناك المزيد من العلامات.. المزيد منها.. أعزائي المستمعين. وستكون هناك حرب، وباء، صراعات، ومجاعات.

لقد صدر على الأرض حكم الرب. وعندما يفض ملك الملوك ذلك الختم السادس، فإنه سيرفع المختارين إلى جوار يسوع في مملكة السماء.

لقد آن الأوان. ووضحت لنا العلامات. إنها أوضح ما يكون.. وكأن الرب يصرخ بها من عنان السماء.

وإني لأسألكم أيها المستمعين الأخيار..

.. هل أنتم مستعدون؟

لدواعي المساحة، لم يتسنى لي أن أدرج هنا مقتطفات من جميع مواقع نظرية المؤامرة والتي أصيبت بالهوس بعد

الخميس الأسود، ولكن أهم ما لفت نظري من بين أصحاب "النظريات البديلة" ما ذكره "سيميون لانكستر"، المؤلف والباحث في لغز الأطباق الطائرة، والذي نشر كتباً عديدة من بين أشهرها: "غرباء بيننا" و"سحالي في مجلس اللوردات". ولقد رفض "لانكستر" التحدث معي، ثم أنكر تماماً تأثره بأفعال "بول كرادوك". وفيما يلي مقتطف قصير من مدونة تنشر عبر موقعه، aliensamongstus.co.uk، وقد نشرت في 22 يناير 2012.

أيادي الكائنات الفضائية: الخميس الأسود.. الدليل القاطع الذي كنا نبحث عنه

أربع حوادث طائرات. أربع قارات. أحداث أذهلت وسائل الإعلام العالمية بصورة غير مسبوقة **في تاريخ العالم**. ولا يمكن أن يكون هناك أي تفسير آخر عدا أن هذا من صنيع **الآخرين**، الكائنات التي تعيش بيننا وتخترقنا، بعدما قررت أن **تمارس قوتها وتتباهى بها**.

تذكروا هذه الكلمات.. إنها مسألة وقت فحسب، قبل أن يقوم العظماء الإثنى عشر بخطة تعمية رفيعة المستوى. ولسوف ينكرون وجود أي سبب "خارق" في التقارير عن الحوادث، انتظروا وسترون. إنهم بدأوا بالفعل يلقون باللوم على الطيارين في حادث الطائرة الأفريقية. وبدأوا يروجون

أن عطلاً هيدروليكياً هو سبب الحادث الياباني.

ونحن نعلم أن هذا كذب. **وأنهم سيكذبون.** سيكذبون لأنهم متواطئون مع هؤلاء الغرباء. وسأندهش لو لم يكونوا قد نقلوا الأطفال الثلاثة (هذا إن كانوا أطفال أصلاً) بالفعل إلى المختبرات لحمايتهم (طالعوا خريطة الأماكن المحتملة).

ولنمعن النظر في الأدلة:

أربع طائرات

أربعة؟؟ نحن نعرف أن فرص ضلوع أي شخص في حادث تحطم طائرة لا تتعدى واحداً في 27 مليون. فما هي احتمالات أن تتحطم **أربع** طائرات في اليوم نفسه مع نجاة **ثلاثة** أشخاص فقط ؟؟؟ تكاد تكون هذه الفرص معدومة. وبالتالي فنحن أمام حوادث متعمدة. إرهابيون؟ فلماذا لم تعلن أي جماعة مسؤوليتها حتى الآن؟ **هذا ببساطة لأن الإرهابيين ليسوا المسؤولين.** الآخرون هم المسؤولون.

أضواء وامضة قوية

لماذا ذَكَر راكبان اثنان على الأقل من ركاب رحلة "صن أير" في رسائلهما أنهما شاهدا أضواءً ساطعة؟ فلا يوجد أي دليل على وقوع انفجار أو نشوب حريق على متنها. وكذلك ليس هناك ما يدل على فقدان مباغت لضغط الطائرة. **ولا يمكن**

أن يكون هناك إلا تفسير واحد. ونحن نعلم أن هناك حالات شوهدت فيها مركبات غامضة بُعيد ظهور أضواء ساطعة في السماء. أي أن **الأضواء الساطعة** علامة على أنهم كانوا هناك.

لماذا هم أطفال؟

نقطة الاتفاق الوحيدة هنا هي أن نجاة هؤلاء الثلاثة من الحوادث معجزة أكبر من أن يصدقها أحد.

ولكن لماذا اختار الآخرون أن يكون الناجون أطفالاً؟ أعتقد أن هذا لأننا نعطف ونحنو على الصغار، وأننا سنبادر بمضاعفة تلك الرعاية أضعافاً مضاعفة في حالة كهذه.

نحن نعلم أن طريقة الهجوم المفضلة لدى الآخرين هي التسلل والتخفي مثل **الأشباح.** وسيكون اختراق **الحكومات** لعبة واضحة جداً وكارتاً محروقاً لو أنهم كرروها مرةً أخرى. لقد حاولوا ذلك من قبل **وفشلوا !!!!!** إنهم هنا لمراقبتنا، لا تنسوا هذا. ونحن لا نعرف موعد الخطوة المقبلة. سيكون الثلاثة تحت سيطرة قوى الكائنات الفضائية هذه، فيتلاعبون بعقولهم وأجسادهم، وسنكون شهوداً على ذلك في المستقبل.

لقد نجحوا في **زراعة** هؤلاء الأطفال وسطنا، ومن ثم بدأوا

في مراقبة تصرفاتنا معهم.

هذا هو التفسير الوحيد !!!!

الجزء الثالث

الناجون

يناير – فبراير

ليليان سمول

كانت "زيلنا"، وهي واحدة من ممرضات مركز الرعاية النهارية لمرضى الزهايمر؛ حيث كنت أستبقي "روبن" فيه وقت أن كان لا يزال يتحرك، تسمي حالة زوجها "كارلوس" (إيه وان)، وكأنما هذه الحالة كيان مستقل بذاته، وشخص حقيقي وليست مرضاً. تقول لي "زيلنا" في أغلب المرات التي أحضر فيها "روبن":

- أتعرفين ماذا فعل "إيه وان" اليوم، ليلي؟

ثم تبدأ تحكي حكاية موقف مضحك أو مُربك فعله أو وقع فيه "كارلوس" "إيه وان" – مثل؛ أنها وجدته ذات مرة يلف أحذيتها بورق الجرائد حتى لا تشعر بالبرد، أو أنه يعتبر المجيء إلى المركز "زيارة عمل".

بل إنها خصصت مُدوَّنة على الإنترنت لتلك الحكايات، أسمتها ""إيه وان"، كارلوس، وأنا.. ثلاثة"، وظلت تنشر فيها لفترة، ونالت عنها جائزتين.

وهكذا، بدأت أنا الأخرى أسمي حالة "روبن" إيه وان. أعتقد أني كنت أجد في هذا شيئاً من الأمل في أن "روبن" الحقيقي لا يزال موجوداً، في مكان ما بداخله، يقاتل ويناضل حتى لا يسيطر "إيه وان" عليه تماماً. ومع أني أعلم أن هذا تفكير عبثي، إلا أنني بذلك توقفت عن لوم "روبن" على أنه خان عهداً قطعه على نفسه بأن تكون آخر سنواتنا معاً هي أجمل السنوات. صرت ألوم "إيه وان" بدلاً منه. صرت أمقت "إيه وان".. ولا شيء سواها.

اضطرت "زيلنا" إلى أن تضع "كارلوس" في مركز الرعاية منذ عامين، ولم نعد نتواصل منذ أن انتقلت إلى "فيلادلفيا" لتعيش مع ابنتها. لقد أوحشتني – وأوحشني مركز الرعاية، وأن أكون وسط الناس الذين يعرفون ما أمر به. كنا نتندر ونضحك أحياناً على ما يفعله الأزواج والآباء أو يقولونه تحت تأثير هذا المرض. وأتذكر أن "زيلنا" كادت تفقد الوعي ضحكاً حينما حكيت لها عن إصرار "روبن" أن يرتدي البوكسر فوق البنطلون، وكأنما يستعد لاختبار كاميرا لفيلم سوبرمان الجديد. وطبعاً لم يكن في الأمر ما يستدعي كل هذا الضحك، ولكن الضحك أفضل دواء لمن هم مثلنا، ألا تعتقدين ذلك؟ فأنتِ إن لم تضحكي تفتحين بابك للبكاء. وهكذا لم أكن أشعر بالذنب كلما ضحكت.. ولا مرة شعرت بالذنب.

ولما لم يعد بمقدور "روبن" التحرك إلى مركز الرعاية، وجدتُ أن من غير الممكن لي أن أبقيه في دار رعاية للمسنين. ولم يكن الأمر يتعلق بالتكاليف، فقد سبق لي زيارة تلك الأمكنة. بل هي الرائحة.. رائحتها. وقررت أن أرعاه بنفسي. وقامت "لوري" بما تقدر عليه، وكذلك هناك "بتسي" والوكالة إن كنت بحاجة إلى راحة لبعض الوقت. ولكنني لم أستعن بخدمات الوكالة كثيراً، فقد كانت تُغَيِّر الممرضة في كل مرة، حتى تعذر عليّ أن أعرف من ستأتيني مسبقاً.

لا أريدك أن تأخذي عني فكرة أني "شَكَّاية"، فالحياة كانت تمضي بنا، كما أنني كنتُ محظوظة. ولم يكن سلوك "روبن" عدوانياً. فبعض مرضى الزهايمر يصابون بحالة من البارانويا، ويعتقدون أن من يعمل على رعايتهم يحاول أن يستبقيهم سجناء المكان، وخاصةً أولئك الذين يفقدون القدرة على تمييز تعبيرات الوجه. كما أنه لم يكن من النوع الذي يحب الحركة الكثيرة، فلم يحاول الخروج من الشقة طالما كنت أنا معه. وتدهورت حالة "روبن" بسرعة، ولكنه حتى في أسوأ أيامه، تلك التي يسيطر عليه فيها "إيه وان" بالكامل، كان يميل إلى الهدوء، طالما أنه يرى وجهي وأنا أتحدث إليه. عانى من كوابيس مريعة. ولكنني اعتدت منه كثرة الأحلام.

هكذا نجحت في الإبحار بسفينة حياتنا.

وهكذا صار لدي ما أتذكره عنها.

كنا سعداء، "روبن" وأنا. كم إنسان يمكنه أن يصارحك بهذا صادقاً؟ هذا ما كان يمنحني الصبر والعزيمة. يقولون في المجلات التي كانت تجلبها "لوري": إن العلاقة تكون مثالية حينما يكون المرء أفضل صديق لشريك الحياة (أوه، كم أمقت هذا الوصف.. "شريك الحياة"! ألا ترين أنه وصف بارد؟)، وهكذا كنا. حينما جاءت "لوري" إلى الدنيا رسمت صورة رائعة لحياتنا. تحوّلنا إلى عائلة متماسكة يسود الروتين حياتها. وكان "روبن" زوجاً حنوناً. ووقت أن غادرتنا "لوري" للالتحاق بجامعة نيويورك، أصابني الوجوم، ربما كانت أعراض ما يسمونه "العش الفارغ"، ففاجأني "روبن" برحلة بالسيارة حتى "تكساس" .. "تكساس" بالذات، من دون بقية المدن! كان يريد استكشاف "سان أنطونيو" و"ألامو". وقبل أن يسلبه "إيه وان" روح الدعابة؛ كنا نتندر على تلك الرحلة قائلين: "لو غدرت بنا "تكساس"، فلدينا دائماً باريس".

ورغم ذلك، فلم تكن حياتنا قبل الزهايمر صافية رتيبة. أليس هذا هو حال كل حياة؟ فقد كانت هناك مشكلات على مدار السنين. مشكلات "لوري" في الكلية، وذلك الورم الذي عثرت عليه في صدري ونجحنا في علاجه في الوقت

المناسب، والعلاقة التي تورطت فيها أم "روبن" مع شاب التقته في "فلوريدا". تجاوزنا كل هذا بنجاح.

كان "روبن" هو من اقترح أن ننتقل إلى "بروكلين" حينما أخبرتنا "لوري" أنها حامل. كان يدرك حجم قلقي من حقيقة أن ابنتنا تعتني بطفلها وحدها. كانت المربية قد تركتها، وبالتالي فهي تحتاج إلى من يقف بجوارها. وأنا لن أنسى يوم أن دعتنا إلى أول عرض لها في أسبوع نيويورك للموضة. كم كنت فخورة بها أنا و"روبن"! كان هناك الكثير من الموديلات الرجال الذين يرتدون ملابس نساء، وهو الأمر الذي اندهش له "روبن" بعض الشيء، غير أننا كنا متفتحي العقول كفاية. كما أن "روبن" أحب "نيويورك"، لأنه يحب المدن بصفة عامة. لذا سافرنا كثيراً في سنوات زواجنا الأولى وقت أن كان يعمل مدرساً بالحصة. كنا معتادين على الانتقال من مكان لمكان. "ما المانع في أن نسير عكس التيار، "ليلي"، وننتقل للعيش في المدينة؟". الحقيقة أن مكان عيشنا لم يكن يمثل فارقاً لدى "روبن". كان يحب القراءة. يعشق الكتب. كل الكتب. روايات.. غير روايات.. تاريخ.. طبعاً. يقضي كل وقت فراغه بين الكتب، والمرء يمكنه القراءة في أي مكان، أليس كذلك؟ وكان هذا من بين مآسي الزهايمر العديدة – فقد سلب "روبن" قدرته على القراءة، مع أنه حاول أن يخفي عني هذه الحقيقة في بداية الأمر.

يؤلمني أن أتذكر تلك الأشهر الطويلة التي أمضاها راقداً في الفراش، وهو يُقَلِّب صفحات كتاب صار عاجزاً عن معرفة محتواه، لمجرد أن يتظاهر أمامي أنه يقرأ ويفهم. وبعد شهرين من معرفتنا بمرضه تبين لي إلى أي حد كان يحاول أن يخفي عني أعراض حالته. فقد وجدت في درج جواربه كومة من البطاقات، التي دوَّن فيها تعليمات لنفسه، لتساعده على التذكر. كتب على واحدة منها "زهور". تلك هي التي انفطر لها قلبي. فقد اعتاد أن يبتاع لأجلي زهوراً كل يوم جمعة، على مدار خمسة وأربعين عاماً، من دون أن ينسى ذلك ولو مرة واحدة.

لم أكن مرتاحة لفكرة الانتقال للعيش مع "لوري". ليس لأني لم أحب الرحيل عن "فلمينجتون". فلم أكن أنا و"روبن" من النوع الاجتماعي، وكان أصدقاؤنا القلائل قد رحلوا إلى "فلوريدا" هرباً من شتاء "نيو جرسي". كان المنزل ملكنا، وبالتالي معنا قدر من المال، ولكن أسعار العقارات في "فلمينجتون" كانت متدهورة مقارنة ببقية السوق. وخشيت "لوري" أن يكون الحي الذي تسكن فيه عصرياً زيادة عن اللزوم بالنسبة لنا، وأخبرتنا أن الحي "مليء بالهيبيز والفنانين الصعاليك"، ولكن في الحي طائفة من اليهود الحسيديين، وهو الأمر الذي كان يبعث شيئاً من الطمأنينة في نفس "روبن" في بدايات تدهور حالته. ربما تعلق الأمر

بشيء من ذكريات طفولته؛ فعائلته من الأرثوذوكس. وساعدتنا "لوري" في العثور على شقة لطيفة قريبة من المتنزه، على بعد خمس دقائق مشياً من شقتها في شارع "بيري". وكنا محظوظين، فالجيران من كبار السن مثلنا، وهكذا صادقت "بتسي" على الفور. كلانا يحب شغل الإبرة - وكانت "بتسي" ماهرة في الغرز - وكلانا يحب مشاهدة البرامج نفسها. شعر "روبن" في البداية أنها امرأة حِشَرية - كما أنه لم يرتح لكونها مدخنة، فهو يكره التدخين - ولكن "بتسي" هي من اقترح عليه أن يتطوع للمشاركة في مركز محو أمية الكبار. وكان هذا طبعاً من الأمور التي اضطر "روبن" إلى التخلي عنها. وهو كذلك من الأمور التي أخفاها "روبن" عني، وكان يتحجج برغبته في تمضية المزيد من الوقت في المنزل لمساعدتي مع "بوبي". آه.. كم أحببتُ الاعتناء بـ"بوبي" وقت أن كان رضيعاً! بقي على مدى أكثر من عام محور حياتنا؛ كانت "لوري" تأتي به إلينا كل صباح، وكنت أصطحبه مع "روبن" إلى المتنزه دائماً كلما كان الجو يسمح بذلك. ورغم مشكلاته، مثل كل الأطفال، إلا أنه كان صبياً لماحاً ذكياً، وكأنه طاقة نور انفتحت على حياتنا. كان شغلنا الشاغل!

وفجأة.. هبط علينا "الإيه وان". كان "روبن" في الحادية والسبعين. وقد أخفيت الأمر عن "لوري" لأطول فترة ممكنة،

ولكنها لم تكن ساذجة، وظهر لها أنه قد أضحى كثير النسيان، وأنه يتحدث بكلام غريب. وأعتقد أنها ظنت أنه يصير أكثر تقوقعاً حول نفسه مع تقدمه في السن.

أخبرتها الحقيقة مضطرة خلال حفل عيد الميلاد الثاني لبوبي. كنت قد صنعت للوري كعكتها المفضلة، وكنا نحاول تعليم "بوبي" كيفية إطفاء الشمع بنفسه. كان "بوبي" يتصرف بطريقة عصبية غريبة، مثل كل طفل في عمر العامين، تعرفين ذلك؟ وبغتةً، صاح فيّ "روبن":

- أوعي الولد يحترق.. أوعي الولد يحترق.

قبل أن ينفجر باكياً.

عندئذ التاع قلب "لوري"، وأخذت أهدئها، وأنا أخبرها بأنه يعاني من هذه الحالة منذ ستة أشهر. وبالطبع أصابها الحزن، ولكنني لن أنسى أبداً أنها أكدت لي حينذاك:

- سوف نتجاوز هذه المحنة معاً، ماما.

أحزنني كثيراً أن تكتشف حالة والدها. فقد كان الغرض من حضورنا للعيش في المدينة هو مساعدتها في تربية "بوبي"، وليس العكس أبداً. فلدى "لوري" عملها وكذلك "بوبي"، ولكنها كانت تحضر إلينا كلما تمكنت من ذلك. وكان "بوبي" أصغر من أن يفهم ما يجري لجده. وكنت قلقة من أن يشعر

بذلك، ولكنه بدا متعايشاً مع حركات "روبن" المضحكة.

أوه، "إلزبيث"، تلك الأيام التي عرفت بها بما جرى مع "بوبي"! وذلك الشعور بالذنب لعدم توجهي مباشرة إلى "ميامي" لأكون إلى جواره في تلك المستشفى. عندئذ أدركتُ مدى كراهيتي للـ"ألزهايمر". ووددت لو أمكنني أن أصرخ في وجه "إيه وان" بعدما سرق مني "روبن" في وقت تراكمت عليّ فيه كل المشكلات. أنا لا أستجدي عطف أحد، فهناك من هم في حال أسوأ من حالي بكثير، ولكني لا أستطيع الفكاك من الشعور بأن كل هذا عقاب لي على ذنب اقترفته. ففي البداية كان "روبن"، ثم "لوري". فماذا بعد؟

كثيرة هي الأمور التي تدور من حولي، حتى أن عقلي أضحى مشوشاً. التليفون يرن من دون توقف، والصحفيون ومراسلو التليفزيون يطاردونني. حتى أنني اضطررت إلى رفع سماعة التليفون، وأن استخدم المحمول الذي أعطته "لوري" لي. ومع هذا فقد توصلوا إلى رقمه بوسيلة شيطانية لا أعرفها.

كلما خرجتُ من الباب وجدت الكاميرا في وجهي. "ما هو شعورك؟".. "هل كنتِ تشعرين أنه على قيد الحياة؟". كانوا يريدون معرفة كل شيء عن "بوبي".. مشاعره.. تكيفه مع الواقع.. طعامه. ويسألونني حتى عن مدى تديني، وعن

موعد عودته إلى المنزل، وعما إذا كنت سوف أسافر إليه. عرضوا عليّ المال. الكثير من المال. وتوسلوا إليّ للحصول على صور له وللوري. ولا أدري من أين حصلوا على صورته في أول يوم له في المدرسة؛ وأشك في أن "منى" هي التي سَرَّبَتها. ومع أنني لم أتهمها صراحةً، إلا أنني متيقنة من أنها هي، من غيرها؟ أما شركات الإعلانات والإنتاج السينمائي فحكايتها حكاية! كانوا يريدون شراء حقوق قصة حياة "بوبي". لقد كان في السادسة من عمره فحسب! ولكن المال كان آخر ما أفكر فيه وقتذاك. أخبرونا أننا سنحصل على مبلغ التأمين حتى مع إعلان شركة "ميدين أير" إفلاسها بعد الكارثة. كانت "لوري" ميسورة ولكنها ليست غنية. وكانت قد خصصت جميع مدخراتها لي ولـ"روبن"، بما يكفي لشراء منزل في "فلوريدا". ولكننا لم نعد بحاجة إليه الآن، أليس كذلك؟

الصراحة.. كانت هناك بعض الفائدة من هذا الاهتمام. هناك من أرسل هدايا، ومن أرسل رسائل. بعضها كان ينفطر لها قلبي، خاصةً تلك التي من أُناس فقدوا أطفالاً لهم. حتى أنني عجزت عن الاستمرار في قراءة مثل تلك الرسائل. لم يعد قلبي يحتمل.

صارت أخت "روبن"، التي لم يسبق لها أبداً أن عرضت

عليّ المجيء للعناية بأخيها ومساعدتي، تتصل بي ثلاث أو أربع مرات في اليوم، تسألني عما رتبته من إجراءات الشيفا (الجنازة) لأجل "لوري". ولكن كيف لي أن أفكر في هذا الأمر بينما "بوبي" هناك في "ميامي"؟ وحمدت الرب على أنهم أوقفوا جميع رحلات الطيران، وإلا لكانت حضرت إليّ ودست أنفها في كل شيء. أما "بتسي" فليبارك الرب لها، فهي اهتمت بأمور الأكل والشرب في تلك الأيام الأولى. وكان هناك الكثيرين حولي – "كارمين" اهتمت بالتحقق من هوية كل شخص، حتى لا يكون صحفياً أو صحفية متخفية. أغلبهم من سكان الحي الذين عرفوا بأمر "لوري". وهناك طلاب "روبن" القدامى من مركز محو الأمية. وصديقات وزميلات "لوري". الكل كان من حولي. زنوج ولاتينيون ويهود. كلهم عرضوا عليّ المساعدة.

اتصلت "بتسي" بالحاخام الذي عرض خدماته لإقامة طقوس الجنازة، حتى بالرغم من علمه بعدم تديننا. ولم تكن الجنازة محلاً للنقاش؛ انتظاراً للإفراج عن الجثمان.. ولم أكن أرغب في الانشغال كثيراً بهذا. لا يمكنني الحديث عن ذلك اليوم.. يوم أن قمنا بدفنها.. لا يمكنني، "إلزبيث".

وذات ليلة، بعد يومين من معرفتنا أن "بوبي" نجا، كنت أنا و"روبن" وحدنا في الشقة. جلست في الفراش وقد اعترتني

موجة من اليأس والوحدة، حتى أنني رغبت في الموت. شعور لا يمكنني وصفه، "إلزبيث". لم أعد أحتمل. كنت أعرف أن عليّ أن أصمد لأجل "بوبي"، ولكنني لم أكن متيقنة من مقدرتي على ذلك. ولكنني لا أدري إن كان هذا بسبب شدة بأس ألمي، ولكنني وجدت "روبن" وقد تغلب على الزهايمر ولو لبضع ثوان، واقترب مني ليمسك يدي. ويعتصرها بين يديه. نظرت في عينيه، وللحظة رأيت أمامي "روبن" الذي أعرفه، الذي كان أعز الأصدقاء، وشعرت كما لو أنه يقول لي: "تماسكي.. "ليلي".. لا تيأسي". وما هي إلا لحظة حتى عاد كل شيء كما كان منذ لحظات.. وكأن كل هذا حلم.

ولكنها كانت لحظة كافية لتمدني بكل عزيمة وتصميم الدنيا.

كانت "كارمين" تعلم مدى شعوري بالذنب لكوني لست إلى جوار "بوبي"، ودفعتني إلى التحدث مع طبيبته النفسية في "ميامي" – د. "بانكوسكي". وقد ساعدتني كثيراً، وأخبرتني أنه سيعود إلى المنزل عما قريب. وعرفتني أن صور أشعة الرنين المغناطيسي أظهرت أنه بخير، كما أنه عاود الكلام، رغم قلة كلامه، ولكنه يفهم ما يدور حوله وما جرى له.

عندما عرفنا أنه سيعود للمنزل، زارني مساعد العمدة، وهو شاب زنجي لطيف. قال لي إن "بوبي" طفل معجزة. "ونحن

هنا في نيويورك نعتني بأمثاله كل العناية". عرض عليّ تعيين حراسة على البناية خاصة وأن الهوس الإعلامي زاد عن الحد، وأرسل إليّ سيارة ليموزين لتقلني إلى مطار "جي إف كي".

رافقتني "كارمين" إلى المطار بينما بقيت "بتسي" ومعها ممرضة - أرسلوها إلينا - مع "روبن". لم أشعر بكل هذا التوتر منذ يوم زفافي!

وصل "بوبي" على متن طائرة خاصة، وهبطت الطائرة في المنطقة المخصصة للسياسيين وكبار القوم، وهو ما يعني أن من المحال على الصحفيين الوصول إليه. خصصوا لي مقعداً في قاعة الانتظار، وكنت أشعر بأن جميع العاملين يبذلون جهداً حتى لا ينظروا ناحيتي. كنت قد أهملت مظهري في الأيام الأخيرة، وكنت أشعر بأني شبه غائبة عن الوعي. وظلت "كارمين" ممسكة بيدي طوال الوقت. لا أعلم ماذا كنت سأفعل من دونها. وهي لم تقطع اتصالها بي حتى الآن.

يومها كان الجو بارداً منعشاً، والسماء زرقاء صافية، ووقفت أنا و"كارمين" نراقب هبوط الطائرة. شعرتُ أن دهراً مر قبل أن ينفتح بابها. ثم رأيته وهو يهبط درج السلم، متشبثاً بيد فتاة. كانت د. "بانكوسكي"، يباركها الرب، قد رافقته. بدت لي أصغر من أن تكون طبيبة، ولكنني سأبقى

ممتنة لها ولما قامت به لأجل ابننا. كانوا قد أعطوه ملابس جديدة، وغطت قلنسوة سترته جزءاً كبيراً من وجهه.

اقتربت نحوه خطوة:

- "بوبي".. إنه أنا.. "بوب".

رفع رأسه نحوي وهمس باسمي متسائلاً. لقد بكيت لحظتها، "إلزبيث". بالطبع بكيت. لم أتوقف عن تلمس جسده، والتربيت على وجهه، حتى تيقنت من أنني لست سجينة حلم جميل.. كان هو.

أخذته بين أحضاني فشعرت أن نور الحياة دب في داخلي من جديد. هذا أفضل وصف يمكنني أن أقدمه لكِ، "إلزبيث". أيقنت لحظتها أن كل شيء سيكون على ما يرام.. بالرغم من كل ما حدث للوري، وما حدث لروبن.. طالما أن "بوبي" عاد..

عاد إليّ..

وافقت "منى جلادويل"، صديقة "لوري سمول" المقربة، على أن تتحدث معي عبر سكايب، وذلك في أواخر أبريل ـ العام 2012.

شوفي.. "لوري" كانت صديقتي، أعز صديقة، ولا أريد أن أظهر بمظهر من يتنكر لها، ولكنني أعتقد أن من المهم أن

يعرف الناس حقيقتها هي و"بوبي". لا تفهميني خطأ، فقد كانت للوري مكانة مميزة في قلبي، وفعلت الكثير لأجلي، ولكنها تكون.. تكون هشة أحياناً.

التقينا في المدرسة الثانوية. وكنا قد انتقلنا إلى "فلمينجتون"، نيوجرسي، من "كوينز" وقت أن كنت في الخامسة عشرة، وصادقتها منذ أول لقاء. تبدو "لوري" من الظاهر فتاة عادية طيبة. درجاتها جيدة، مؤدبة، وتتجنب المشاكل. ولكنها انغمست في حياة سرية لم يعلم عنها أهلها أي شيء. دخنت الحشيش والبانجو، وشربت الخمر، ورافقت الفتيان؛ كل تلك الأمور المراهقة. وكان "روبن" مدرساً للتاريخ الأمريكي في ذلك الوقت، وحرصت "لوري" على أن تحافظ على سمعة والدها. كان "روبن" ودوداً. ولم يعاديه أي من الطلبة في المدرسة. شخصية عادية.. "مستر سمول".. ليس بالمميز ولكن له أسلوبه الجذاب في الشرح. هادئ. وأعتقد أنه معتز بنفسه. كما أنه ذكي. ولكني متأكدة من أنه لو كان يعرف أن "لوري" تسكر وتعاشر الأولاد من وراء ظهره لما غفر لها أو سامحها أبداً.

أما عن "ليليان".. فأنا أعرف أنها لم ترتح لي أبداً، وتلومني على ما حدث للوري أيام الجامعة، ولكنها طيبة. وهي لا تختلف عن أهلي في شيء. وهي رأت ألا تعمل، ورضيت

بدور ربة المنزل – وتنشغل طول الوقت بأمور منزلها – وكان دخل "روبن" يكفيهم ليعيشوا ميسورين. وبعيداً عن أفكارهم وطباعهم – فهم متحررون إلى أبعد حد، وإلى درجة قد لا تتصورينها من مجرد التعامل الظاهري معهم – إلا أن من يعاشرهم يتأكد من أنهم لم يفارقوا حقبة خمسينيات القرن العشرين بعد.

وبعد التخرج، قررت أنا و"لوري" الالتحاق بجامعة نيويورك – وهو القرار الذي لم تسعد له "ليليان"، رغم أن الجامعة لا تبعد أكثر من ساعة عن "فلمينجتون". ولم يمر زمن طويل قبل أن تنخرط "لوري" في حياة العبث مجدداً.. مخدرات.. كوكايين بالذات. كان نظام مدينة الطلبة يتيح لنا أن نعرف مواعيد زيارة الأهل مسبقاً؛ فعندئذٍ ننظف غرفتنا تماماً، وتغطي هي الوشوم التي ترسمها على جسدها، ولكنها كانت قد وصلت إلى درجة صار من الصعب معها أن تخفي عن أهلها كل شيء. وجن جنون "ليليان" وأصرت على أن تعود "لوري" لبيت العائلة، وهكذا تركت "لوري" الجامعة. وبعدما شفيت من إدمان المخدرات عادت إلى المدينة وجربت مليون شغلانة.. مدربة يوجا.. كوافير.. مانيكيرست.. عاملة في بار. وفي ذلك الوقت التقيت زوجي الأول، في أحد البارات التي عملت هي فيها. ولم يستمر الأمر طويلاً.. تركت هي البار.. وتركت أنا زوجي.

فجأة.. قررت "لوري" الالتحاق بكورس لتعليم تصميم الأزياء - وأقنعت "ليليان" و"روبن" بتحمل مصاريف الدراسة، رغم أنني أعلم أنهما كانا بحاجة ماسة إلى أية أموال. ظننت أنها نزوة سرعان ما تستفيق منها، ولكن الواقع أثبت العكس، فقد كانت لديها الموهبة - خاصةً تصميم القبعات، وهي الموهبة التي احترفتها. وبدأت تتلقى طلبيات، وانتقلت إلى "بروكلين" حيث تسنى لها تجهيز استوديو خاص بها. صممت لي قبعة زفافي الثاني، ورفضت أن تأخذ أتعابها، حتى مع حاجتها إلى المال وقتذاك.

اكتشفت أنها حامل بعد مشاركتها في عرض "جاليانو" بفترة وجيزة. قالت لي:

- سوف أحتفظ بالجنين.. فالعمر يجري وقد لا تتاح لي فرصة أخرى للإنجاب.

لم تخبرني بهوية الأب، وهو الأمر الذي جعلني أشك في أنها تعمدت أن تحمل. لا أقصد من ذلك أنها كانت تنام مع كل رجل يصادفها، ولكنها كانت تحب إشباع نزواتها. وهي ليست من النوع الذي يوافق على علاقة طويلة مع رجل واحد. واخترعت قصة ملفقة أقنعت بها "ليليان" حتى لا تنهار.. أخبرتها أنها تلقحت صناعياً. لم أصدق أنها ستبقي الجميع من حولها مقتنعاً بهذه الكذبة طوال الوقت - فهذا

ليس منطقياً. وعندما تحدث الحاخام في المباركة عن أن "بوبي" مولود من غير أب – وأن هذا أمر مستغرب وغير عادي وبقية هذا الكلام – أوشكت أن أخبر الجميع بالحقيقة، ولكنني فضلت أن تطوي الأيام هذه الصفحة. فمن الذي يهتم؟

ووقت أن كانت حاملاً، مرت "لوري" بفترة تدين، وحدثتني عن رغبتها في إرسال "بوبي" إلى صفوف "شيدير" الدينية عندما يكبر، تقصد "الشول"، و"الشيبانج". أخبرتني أنها "أعراض" الأم اليهودية. وطبعاً لم تستمر على هذه الحالة. وتخيلت أنها ستتضايق من قرار "ليليان" و"روبن" الانتقال إلى "بروكلين"، ولكن هذا القرار أسعدها في الحقيقة. "قد تكون فكرة جيدة، "منى". وطبعاً كانت مساعدة "ليليان" مفيدة، هذا قبل أن يمرض "روبن". خاصةً حينما كان "بوبي" رضيعاً. وانقلبت الأمور رأساً على عقب حينما مرض "روبن" وكان على "لوري" أن تمد يد العون. وقد قامت بدورها على أكمل وجه. ولكنني أحياناً ما أتساءل عما إذا كانت ترغب في انتقال "ليليان" و"روبن" إلى "فلوريدا" حتى تتخلص من ذلك الهم، وظني الآن أنكِ تجدين في كلامي هذا وقاحة وفظاظة، أليس كذلك؟ ولكني لا ألومها. فقد كانت مشاكلها كثيرة.

أما "بوبي".. ولم أكن أحب أن أقول هذا.. ولكني أقسم بالرب أنه تحوَّل إلى صبي مختلف تماماً بعد الحادث. أعرف، أعرف.. ربما هو اضطراب ما بعد الصدمة أو شيء من هذا القبيل. ولكن قبل تلك الحادثة.. ووقت أن كان صغيراً.. شوفي، لا أجد طريقة أخرى لأقولها. ولكنه كان طفلاً شيطاناً تصيبه نوبات غضب مليون مرة في اليوم. أسميته "داميان" على اسم ذلك الولد في الفيلم، وهو الأمر الذي كان يغضب "لوري" دائماً. وكان "بوبي" يتحول أمام "ليليان" إلى ملاك هادئ، ربما لأنها كانت تتركه يفعل ما يحلو له. كانت حالة "روبن" قد بدأت في التدهور وقت أن كان عمر "بوبي" عامين أو أكثر قليلاً، ولذلك لم تكن جدته تمكث الكثير من الوقت معه. كما أن "لوري" دللته كل التدليل، وكانت تمنحه كل ما يريد، رغم أنني أخبرتها أن تدليلها هذا ليس في صالحه. أنا لا أقول إنها كانت أماً سيئة. على العكس. فقد كانت تفعل معه هذا من حبها له، وهذا هو كل ما يريدونه، أليس كذلك؟ وأقول لك الصراحة إني لم أعد أعرف ما إذا كان هذا الطفل مدللاً فعلاً، أم أنه مجرد بذرة فاسدة.. كما كانت أمي تصف أمثاله.

كانت "لوري" تأمل في أن تستقر أموره حينما يلتحق بالمدرسة. وقررت أن تلحقه بواحدة من مدارس المواهب التي افتتحت مؤخراً في الحي. ولكن هذا لم ينفع. فما هي

إلا أيام حتى اتصلوا بها بخصوص وجود "مصاعب في التأقلم" وهراء من هذا القبيل.

ذات مرة، وحينها كان "بوبي" في الرابعة من عمره تقريباً، كان لدى "لوري" موعد مهم مع عميل كبير. وكانت تبحث عن جليسة لابنها، خاصة وأن "ليليان" كانت ترافق "روبن" إلى طبيب جديد، فطلبت مني أن أجالس ابنها. كنت أعيش في شقة في "كارول جاردنز" في ذلك الوقت، وقد أحضر لي خطيبي السابق قطة صغيرة، لطيفة للغاية، أسميناها "سوسيج". على كلٍّ، تركت "بوبي" أمام شاشة التليفزيون ورحت أستحم، وبينما كنت أجفف شعري سمعت صراخاً حاداً مدوياً يصدر من المطبخ. أقسم لكِ، كانت أول مرة أكتشف فيها أن بوسع حيوان أن يطلق مثل هذا الصراخ. وجدت "بوبي" يمسك "سوسيج" من ذيلها ويطوح بها من ناحية إلى أخرى. بدا على وجهه أنه في غاية السعادة والمتعة. ولا أخجل من أن أخبرك بأني ضربته؛ وسقط وارتطمت جبهته بكاونتر المطبخ. وتدفق الدم كثيفاً من الجرح. وكان عليّ أن أهرع به إلى عيادة الطوارئ لتخييط الجرح بأقصى سرعة. ولكني وجدته لا يبكي. بل وبدا كأنه لم يُصب بأي أذى من الأساس. وبالطبع خاصمتني "لوري"، ولكن الخصام لم يدم طويلاً، فنحن في النهاية عِشْرَة عمر. ولكنها كانت آخر مرة تطلب فيها مني أن أجالسه.

ولكن بعد الحادثة..

وجدته شخصاً آخر تماماً..

تماماً..

من الفصل الثالث من كتاب "جيس الملاك الحارس: حياتي مع واحدة من الثلاثة" - تأليف "بول كرادوك" (شاركته الكتابة "ماندي سولومون")

وصل اهتمام الإعلام بأخبار "جيس" من بعد نقلها إلى بريطانيا إلى حد كان من الصعب عليّ تصوره. فقد أصبح "الأطفال الثلاثة المعجزة" قصة هذا العقد، وكان فضول البريطانيين يزداد نهماً كلما زادت مساحة التغطية الإخبارية لحالة "جيس". وصار مراسلو صحف التابلويد والباباراتزي شبه مقيمين عند أعتاب العمارة التي فيها شقتي، وكان المستشفى تحت الحصار. وحذرني "جيري" من التفوه بأي شيء شخصي عبر تليفوني المحمول، تحسباً لأن يكونوا يراقبونه.

أقول إن مساندة الشعب لجيس كانت تفوق حد التصور. وملأت الهدايا، والزهور، والبطاقات، والدمى التي يرسلها من يتمنون سرعة سلامة "جيس" غرفتها في المستشفى - غطت الأرضية تماماً. ولكنها كانت أبلغ طريقة لتعبير كل

هؤلاء رحيمي القلب عن اهتمامهم بها.

وفي الوقت نفسه، كانت علاقتي مع "مارلين" وبقية عائلة أدامز تتدهور يوماً بعد يوم. فلم أستطع تجنب اللقاء بهم في غرفة الانتظار، وتجاهل مطالب مارلين المتمثلة في تسليم مفاتيح منزل "ستيفن" و"شيلي"، والتي تلح عليها بصورة لا تطاق. لكن الحرب الباردة الحقيقية لم تبدأ بشكل جدي حتى يوم 22 يناير، عندما سمعت "جيسون" ينتقد بصوت عال أداء أحد الإخصائيين المشرفين على "جيس" خارج غرفتها. لم تكن قد أفاقت بعد في تلك المرحلة، ولكن أطباءها أكدوا لنا عدم وجود ما يدل على معاناتها من ضعف الوظائف الإدراكية.

- لماذا بحق الجحيم تعجزون عن إفاقتها؟

كان "جيسون" يدفع إصبعه المعبق برائحة النيكوتين في صدر الطبيب المسكين. بينما يطمئنه الطبيب بأنهم يقومون بكل ما في وسعهم لأجل تحقيق هذا.

- آه.. رعايتكم لها ظاهرة جداً والبنت في حالة لعينة، وكأنها نبتة ذابلة.

وكانت هذه هي القشة التي قصمت ظهر البعير. فقد كشفت عائلة "أدامز" هذه عن نواياها الحقيقية. ومع أني لا أستطيع

أن أمنعهم عن زيارة "جيس"، ولكنني أستطيع أن أضع حداً لمحاولاتهم التصرف وكأنهم هم من سيعتنون بها بعد خروجها من المستشفى. اتصلت بمحامية "شيلي" وطلبت منها أن تخطر عائلة "أدامز" رسمياً بإجراءات الوصاية على النحو الذي وثقته "شيلي" و"ستيفن".

وما هو إلا يوم حتى كانت سيرتهم على الصفحة الأولى للـ"صن".. "إبعاد جدة "جيس" عن حياتها نهائياً".

أما الصورة فكانت بارعة بالفعل، فقد نجح المصور في التقاط الصورة التي تُعَبِّر عما في نفوسهم أيما تعبير. كانت الأم تحدق في الكاميرا بكل غضب الدنيا، والأخوان وبقية الذرية متجمعون حولها وكأنه إعلان من إعلانات حملة تحديد النسل. ولم تخجل "مارلين" من التصريح برأيها، وهنا أنقل من الصحيفة بالنص:

تقول مارلين (58 عاماً): "هذه ليست بالخطوة الحكيمة. "بول" يعيش حياة غير طبيعية. فهو شاذ ونحن مواطنون شرفاء. عائلة. من الأفضل أن تكون "جيس" معنا".

بطبيعة الحال، لم تكن جريدة مثل الـ"صن" لتفوت مثل هذه الفرصة. فقد توصلوا إلى صورة لي وأنا أشارك في مهرجان المثليين الذي أقمناه العام الماضي، وأنا أرتدي تنورة توتو وابتسم للكاميرا بصحبة "جاكسون"، رفيقي في تلك

الأيام. ونشروا الصورة بالألوان بعرض الصفحة في مقابل صور عائلة "أدامز".

وسرعان ما انتشرت الأخبار كالنار في الهشيم، ولم يمض وقت طويل قبل أن تنشر بقية صحف التابلويد صوراً مماثلة لي - والفضل يعود بلا شك إلى أصدقائي ومن رافقتهم في الماضي. ولا ألومهم، فالمال له سحره دائماً، خاصةً وأن أغلبهم فنانين صعاليك مثلي.

ولكن ما قَلَبَ كل شيء رأساً على عقب في نهاية المطاف كان ظهوري مع "مارلين" في برنامج "روجر كلايدزديل". وكان "جيري" قد حذرني من الموافقة على المشاركة في البرنامج، ولكن من الصعب عليّ أن أترك "مارلين" تستغل الظهور فيه لتتحدث بأي هراء تشاء. كنت قد التقيت "روجر" خلال حفل إعلامي منذ بضع سنوات، وفي المرات القليلة التي تصادف فيها أن شاهدت برنامجه الإخباري الصباحي، كنت أراه قاسياً جداً على أولئك الذين يسميهم المنتفعين الاستغلاليين. ولذلك ظننت وبسذاجة أنه سيكون في صفي.

الجو داخل الاستوديو "مكهرب"، يسوده الترقب والحذر؛ وكنت أشعر بمدى تشوق جمهور الاستوديو للفرجة على العرض المثير المرتقب. ولم يخب ظنهم. والصراحة أنني ظننت في البداية أن مجرى البرنامج يسير في صالحي.

فقد كانت "مارلين" جاثمة على الأريكة أمامي وهي تتمتم بإجابات متلعثمة على أسئلة "روجر" التي اشتهر بها. هذا إلى أن وجدته يحدق نحوي بعين ثاقبة.

- هل لديك أية خبرة سابقة في التعامل مع الأطفال، "بول"؟

أخبرته بأني سبق وأن اعتنيت بكل من "جيس" و"بولي" أيام كانتا رضيعتين، ونبهته إلى أن "ستيفن" و"شيلي" قد اختارا أن أكون أنا الوصي على "جيسي".

عندئذٍ صاحت "مارلين":

- إنه يريد أن يحصل على المنزل فحسب! إنه ممثل! ولا يعنيه أمر هذه الطفلة في شيء!

الغريب أنني وجدت الحضور يصفقون لكلامها تصفيقاً حاداً. وسكت "روجر" لثوان حتى هدأ التصفيق، قبل أن يلقي بسؤال كان له وقع القنبلة داخل الاستوديو:

- "بول".. صحيح أنك عانيت في السابق من مرض نفسي؟

عندئذ شهق الجمهور مندهشاً، وحتى "مارلين" بدت متفاجئة بهذا السؤال.

باغتني هذا السؤال. ارتبكت وتلعثمت، وأخذت أقدم

تبريرات خائبة حول أن مرضي كان شيئاً من الماضي.

وطبعاً احتلت هذه المعلومة الصاعقة جميع العناوين الرئيسية في الصحف.. "جيس تحت رعاية مجنون".

كانت ضربة ساحقة لي بالطبع. لا أحد يحب أن يرى أشياء مثل هذه تُكتب عنه في الصحافة، ولا أحد ألومه غيري على وقوعي في فخ الصراحة الشديدة. وواجهت انتقادات كثيرة على طريقة تعاملي مع الصحافة بعد هذه الواقعة. حتى أن هناك من اتهمني بأني أفعل ذلك حباً في الشهرة، وأني نرجسي. ولكن مهما قالت الصحافة عني، فإن كل ما كنت أريده هو مصلحة "جيس". بل إنني على استعداد لأن أنحي مستقبلي جانباً حتى يكون كل وقتي لها. وأقول وبكل صراحة أنني لو كنت مهتماً باستغلالها لتحقيق مكاسب مادية، لأمكنني أن أتكسب الملايين. كما أن الأمور المالية لم تكن تمثل مشكلة، فقد كانت بوليصة التأمين الخاصة بكل من "شيلي" و"ستيفن" سارية المفعول وتستحق السداد، وهناك التعويض الذي كنت أنتوي وضعه كاملاً في وديعة لأجل "جيس". أي أنها لن تعاني من أية مصاعب مادية. ولا علاقة لظهوري في العديد من برامج التوك شو الصباحية بالحصول على المال ولكنني كنت أريد أن أوضح مختلف جوانب الأمور. ولو كان أي أحد آخر في مكاني لكان قد فعل

الشيء نفسه.

وكما ترون، كانت لدي الكثير من الشواغل، ولكن "جيس" كانت شاغلي الأول. لم تكن قد استفاقت بعد، ولكن صحتها وحالتها البدنية تحسنت، بخلاف الحروق التي لم تكن قد تعافت تماماً بعد. وكان عليّ أن أبدأ في الترتيب لأمور حياتها وتدبير معيشتها.

اقترح د. "كاسابيان"، الذي صار الإخصائي النفسي القائم على حالة "جيس" بعد أن استفاقت الأخيرة وبدأت تتكلم، أن من الأفضل أن يتم نقلها إلى مكان تألفه، وهو ما كان يعني أن ننتقل إلى منزل "ستيفن" في "تشيسلهرست".

كان التوجه إلى ذلك المنزل في أول مرة أصعب خطوة أقدمت عليها في حياتي. فقد كان كل شيء في المكان، بدءاً من صور الزفاف والمدرسة على الجدران، وحتى شجرة الكريسماس التي جفت عند مدخل المنزل، يذكرنا بحجم الخسارة التي تعاني منها "جيس". وعندما أغلقت الباب من خلفي، كنت بذلك أخفف من حجم صخب الصحفيين والإعلاميين بالخارج (أجل، لقد تعقبونا حتى خلال هذا المشوار الأليم)، وفي الآن نفسه انتابتني المشاعر نفسها التي اعترتني لحظة أن سمعت النبأ المشؤوم.

لكنني أجبرت نفسي على مواجهة الموقف. فعليّ أن أتحلى

بكل قوة الدنيا لأجل "جيس". مشيتُ بخطوات بطيئة عبر المنزل، ولكنني انهرت تماماً لما رأيت صوراً تجمعني مع "ستيفن" ونحن صبية صغار، وكان يحتفظ بها في مكتبه. ها أنا ذا، بديناً بعض الشيء وأفلج الأسنان؛ بينما هو نحيل، رشيق، جاد الملامح. من يتأمل الصورة لا يخطر بباله أبداً أننا توأمان، وكذلك كانت طبائع كل منا، مختلفة. كنت أهوى التمثيل حتى وأنا بعد في سن الثامنة، بينما كان "ستيفن" أكثر جدية مني في كل شيء. ورغم أن كل واحد منا انخرط في شلة مختلفة عن الآخر في المدرسة، إلا أننا كنا دوماً قريبين من بعضنا البعض، وزادت العلاقة بيننا عمقاً حينما التقي "شيلي". فما أن تعرفتُ على "شيلي" حتى شعرت أننا صديقان من زمان.

ورغم انفطار قلبي، إلا أنني تماسكت بما يكفي لأن أبيت الليلة في المنزل – كان عليّ أن أتأقلم لأجل خاطر "جيس". وجافى النوم عينيّ، وعندما غلبني سلطانه رأيتُ في الحلم "ستيفن" و"شيلي". كان الحلم واضحاً لدرجة أني شعرت أنهما معي في الغرفة، وأن روحيهما معلقة بين أركان المنزل. ولكني كنت موقناً بأني أقوم بما فيه صالح "جيس"، وأدركت أنهما يباركان خطواتي.

لم يتم انتشال جثتيهما حتى الآن. ولا جثة "بولي". وأجد

في هذا نعمة. بدلاً من الاضطرار إلى خوض رحلة رهيبة نتعرف فيها عليهم داخل مشرحة برتغالية باردة بلا روح. وقد كانت آخر ذكرياتي معهم هو ذلك العشاء الذي تناولناه سوية: وكانت "بولي" و"جيس" تتضاحكان، و"ستيفن" و"شيلي" يتحدثان عن عطلة اللحظات الأخيرة.. عائلة سعيدة.

ولا أنسى عبر كل تلك الأحداث فضل "ميل" و"جيف" وبقية مجموعة 277 الطيبة. ولا تنسى أن هؤلاء رجال ونساء فقدوا أحباءهم بأبشع صورة ممكنة، ولكنهم لم يتأخروا في الدفاع عني في كل مناسبة. بل رافقتني "ميل" ومعها "جيف" عندما كنت أنقل أمتعتي إلى البيت، وساعداني في تحديد مصير صور العائلة المنتشرة في كل مكان. فقد قررنا وضعها في مكان بعيد حتى تجد "جيس" الوقت الكافي لتقبل كامل لحقيقة وفاة والديها وشقيقتها. كانا سنداً لي، وأنا أعني ذلك من أعماق قلبي.

لم تكن مشاكل عائلة "أدامز" ومن يساندها من الإعلاميين هي أزمتنا الوحيدة، خاصةً مع انتشار نظريات المؤامرة. وكانت "ميل" تستشيط غضباً إزائها، فهي كاثوليكية متعصبة، حتى وإن لم يبد عليها ذلك، وأغضبتها بوجه خاص نظرية الفرسان الأربعة أيما غضب.

في تلك الأيام، حول ذلك الوقت، وصلتنا أخبار التخطيط لحفل تأبين. خاصةً وأنه لن يتم الإفراج عن بعض الجثث التي عثروا عليها إلا بعد انتهاء التحقيق، والذي يمكن أن يستغرق أشهراً طويلة، وكنا كلنا بحاجة إلى وقفة نطوي بها هذه الصفحة تماماً. لم يكونوا قد توصلوا بعد إلى سبب حادث رحلة شركة "جوا جوا"، ولكنهم استبعدوا أية عملية إرهابية، كما كان الحال مع بقية الحوادث. حاولت ألا أتابع مسار التحقيقات من خلال النشرات الإخبارية – ولكن هذا زاد الطين بلة – ولكنني عرفت أنهم يشكون في أن يكون لتلك الحوادث علاقة بعاصفة كهربية أحدثت اضطراباً فادحاً للرحلات الجوية. أخبرتني "ميل" أنها شاهدت الصور التي التقطتها غواصة عسكرية أرسلوها لمحاولة العثور على الصندوق الأسود في حطام الطائرة الغارق في قاع المحيط. أخبرتني أن تلك البقعة بالأسفل بدت ساكنة تماماً؛ وأن القسم الأوسط من الطائرة كان الأقل تضرراً، بدا وكأنه استقر للأبد في هذا القبر المائي. قالت لي إن الشيء الوحيد الذي أكسبها الصبر هو أنها تؤمن بأن ما جرى قد جرى وبسرعة كبيرة. لم تكن تحتمل فكرة أن "دانيال" وبقية الركاب كانوا يعرفون أنهم مقدمون على الموت، مثلهم مثل مساكين الطائرة اليابانية، والذين وجدوا وقتاً حتى لتسجيل العديد من الرسائل. وكنت أعلم تماماً ما تقصده، ولكن من أين للمرء أن

يفكر بهذه الطريقة.. من أين؟

سيقام التأبين في كاتدرائية سانت بول، وهناك حفل تأبين آخر متزامن في ميدان الطرف الأغر وهذا مفتوح للجميع. وكنت أعلم أن عائلة "أدامز" ستحضر، وبصحبتهم بلا شك ذلك الوغد من جريدة الصن، فكان من الطبيعي أن يزداد توتري.

ومجدداً، هرعت "ميل" و"جيف" وبقية الأصدقاء والعائلات ليكونوا في صفي. لم يفارقوني طيلة أحداث ذلك اليوم المشحون. وللأمانة أقول بأنهم كانوا من الخلفية نفسها التي تنتمي إليها عائلة "شيلي". وكان "جيف" عاطلاً عن العمل منذ أعوام، وكانوا يعيشون في مجمع عقاري في "أوربينجتون" وهي ليست بعيدة عن المنطقة التي تعيش فيها العائلة أدامز. وكان من المنطقي أن يختاروا الوقوف في صف "مارلين"، وخاصةً مع الصورة التي رسمتها بعض الصحف لي.. "صعلوك متطفل يعيش أوهاماً فنية". ولكنهم لم يفعلوا. وحينما وصلنا إلى حيث تُقام الطقوس، كانت عائلة "أدامز" تصل في اللحظات ذاتها (أتكون هذه صدفة؟ معقول؟ كان هناك آلاف غيرنا)، فرفعت "ميل" إصبعاً في وجه "مارلين" وهمست لها في صرامة:

- مشكلة واحدة تحصل هنا وعندها لن تعرفي أبداً ما

سيحل بكِ، أتفهمين؟

كانت "مارلين" ترتدي فستاناً أسود رخيصاً، جعلها تبدو مثل أنثى عنكبوت ضخمة، ورغم أنها حافظت على برودة ملامحها، إلا أن اختلاجات وجهها بدت واضحة. أما "جيسون" و"كيث" - وبرغم ما أبدياه من فظاظة ولا مبالاة – فكانا لا يغيبان عن أنظار "جافين" و"ميل" والابن الأكبر لجيف، وهو شاب حليق الرأس ممشوق القوام ومفتول العضلات. وعرفت فيما بعد أنه على صلة بالعصابات. أي أنه من النوع الذي من الحصافة أن تتجنبه.

وكنت أقاوم رغبة في أن أتوجه إليه وأحضنه.

لن أتحدث عن تفاصيل حفل التأبين ذاته، ولكن فقرة بعينها منه هي التي داعبت أوتاراً حساسة في قلبي – قراءة "كلفين". اختار قراءة قصيدة "أوقفوا كل الساعات" لـ"أودن"، وهي تلك القصيدة التي اشتهرت من خلال فيلم "أربعة زيجات وجنازة". كنت لأعتبر هذا الاختيار إسرافاً في العاطفة، لولا أن الشاب الطويل ذو الشعر المجدول كان يقرأها بكل اعتزاز. وعندما قرأ البيت الذي يقول "لتحوم الطائرات منتحبة فوقنا" فكأنه ألقى تعويذة على المكان ليُخَيِّم عليه صمت ثقيل وتام.

وما إن وصلت إلى خارج الكاتدرائية حتى اتصل بي د.

"كاسابيان". فقد استيقظت "جيس".

لا أدري من أين عرفت "مارلين" وعائلة "أدامز" بخبر خروجها من الغيبوبة – وظني أن واحدة من الممرضات هي من نقل إليهم الخبر – ولكنني حينما وصلت إلى المستشفى كدت أفقد أعصابي غضباً وغيظاً، وذلك لأنني وجدتهم أمامي عند غرفتها.

كان د. "كاسابيان" على علم بطبيعة العلاقة بيننا، وكان جريئاً وصارماً في إصراره على ألا تكون هناك أية أجواء متوترة من حول "جيس". فوافقت "مارلين" على مضض على أن تغلق فمها تماماً، وأمرت ابنيها أن ينتظرا في الخارج، فرافقنا الطبيب لرؤيتها. لاحظت أن زينة رأس "مارلين" ترتجف، وهي تسرع الخطى لتسبقني إلى فراش "جيس"، حتى أنها دفعتني عملياً بعيداً عن طريقها.

- أنا هنا، "جيسي"، أنا تيتة.

حدقت فيها "جيس" بنظرة خاوية. ثم مدت يدها نحوي أنا. أتمنى لو قلت لكم إنها كانت تعرف من الواقف أمامها، ولكن لم يبد على عينيها ذلك أبداً، وهو ما كان مفهوماً ومنطقياً في تلك اللحظات. ولكنني لن أنسى أبداً أنها تطلعت إلينا، وتأملتنا، وتمهلت، قبل أن تختار بنفسها من بين أخف الضررين..

اختارتني أنا..

تشيوكو و رو

رسالة مسجلة في الساعة 19:46 – يوم 21 يناير 2012

رو: موجودة ؟؟؟؟؟

رسالة مسجلة في الساعة 22:30 – يوم 21 يناير 2012

تشيوكو: رجعت.

رو: إمتى؟

تشيوكو: من خمس دقايق.

رو: 24 ساعة من غير ولا رسالة. ده مش انتي. أمرك غريب.

تشيوكو: وكنت بتعمل إيه وأنا مش موجودة؟

رو: العادي. نمت. أكلت. اتفرجت على حلقة من مسلسل *Welcome to the NHK*، بس أنا كنت باضيَّع وقت مش أكتر. وبعدين.. انتي كدبتي عليّ.

تشيوكو: قصدك إيه؟

رو: أنا شفتك في التليفزيون.. انتي جميلة. شبه.. شبه

"هازوكي هيتوري"(2)

تشيوكو: ..

رو: آسف. مش قصدي اضايقك. سامحي غبائي. (> A _ A <)\

تشيوكو: وعرفت إزاي إنها أنا؟ أنا مكنتش لابسة حاجة عليها اسمي.

رو: أكيد انتي. كنتي واقفة جنب "هيرو"، واقفة ورا عمك، صح؟ كانت هناك لقطات كثيرة لـ"هيرو" و"كينجاي" ولقطات لاسمها إيه دي، زوجة الوزير "أوري" المجنونة. اللي مصدقة إن فيه كائنات فضائية.

تشيوكو: "أيكاو أوري".

رو: أيوه، هي دي. انتي، مش كده؟

تشيوكو: يمكن.

رو: كنت متأكدا! مش كنتي بتقولي ملكيش في الموضة؟

تشيوكو: مليش. كفاية بقى كلام في أمور شخصية.

رو: متأسف. احكي لي طيب؟

تشيوكو: كان حفل تأبين، هيكون عامل إزاي يعني؟

رو: هو انا مضايقك في حاجة؟

تشيوكو: انت نسيت إني أميرة الجليد ولا إيه؟ دايماً متنرفزة. ممكن احكي لك لو انت عايز تعرف. قد إيه تفاصيل انت عايز؟

رو: عايز اعرف كل حاجة. اسمعي.. عارف إن ده ضد القواعد.. لكن هطلب منك: تحبي نتكلم على سكايب؟

تشيوكو: ..

رو: لسه موجودة؟

تشيوكو: خلينا نكمل زي ما احنا.

رو: اللي يريحيك يا أميرة الجليد. أنا على الأقل بقيت عارف شكلك. ومش هتقدري تستخبي مني (www -wwwwwwwwwww). آسف.. دي ضحكة الشيطان.

تشيوكو: غريب إنك بقيت عارف شكلي. وكأنك امتلكت قوة سيطرة عليّ.

رو: هاي! متنسيش إني عرّفتك بكل حاجة عني الأول. ومتتخيليش قد إيه ده كان صعب عليّ.

تشيوكو: عارفة. أنا معنديش بارانويا.

رو: عرّفتك حاجات معرفتهاش لحد قبلك أبداً. ولكن انتي مخدتيش مني موقف. ومتعاملتيش معايا زي الأغبيا اللي حواليا.

تشيوكو: وانا هتعامل معاك كده ازاي؟ هو انا عايشة جنبك؟

رو: انتي عارفة قصدي.. أنا باثق فيكي.

تشيوكو: الفرق انك بقيت عارف شكلي وانا مش عارفة شكلك.

رو: انتي أجمل مني (^_^)

تشيوكو: كفاية !!!!!!!

رو: حاضر. قولي لي طيب.. احكي لي؟ الظاهر انه كان حفل كله مواقف مؤثرة. خصوصاً بعد ما عرضوا صور الركاب.. وكأنها مالهاش نهاية.

تشيوكو: فعلاً.. عاطفي ومؤثر. حتى أميرة الجليد اتأثرت. دول 526 إنسان. مش عارفة أبدأ منين..

رو: من البداية.

تشيوكو: أوكيه.. قلت لك إن كان علينا نسافر بدري

قوي. ولأول مرة في حياته والدي خد أجازة وطلبت مني المخلوقة الأم إني البس اسود، وان اللبس ميكنش "على الموضة قوي". ومكنش عندي أي مانع.

رو: كنتي جميلة.

تشيوكو: وبعدين!

رو: آسف.

تشيوكو: طبعاً بسبب شهرة العم "أندرويد" لقينا مكان إقامة قريب جداً من "ليك سايكو"، وبكدا مكنش لازم نغادر أول ما المراسم خلصت زي بقية العائلات، رغم إن كتير منهم كان قاعد في منتجع "هايلاند" أو بقية فنادق جبل "فوجي".

تشيوكو: المكان ديكوراته يابانية، تحت إدارة عجوز وعجوزة ما رفعوش عينيهم عن العم "أندرويد". قعدت الست ترغي وتعرض علينا شاي وخدمات وتعرَّفنا بالمكان.. كأننا جايين سياحة.

رو: شبه الجيران عندي.

تشيوكو: آه.. كل العواجيز المشغولين كده. لما وصلنا كان فيه شبورة وكان الجو برد. المخلوقة الأم مبطلتش كلام في العربية طول السكة، وكل شوية تشاور لي ناحية جبل

"فوجي" رغم إنه كان مختفي ورا السحاب طول النهار. استقبلنا العم "أندرويد"، اللي كان وصل الليلة اللي قبلها من "أوساكا" ومعاه "هيرو" وأخت واحد من مساعدين المختبر عنده، وكانت موجودة عشان تاخد بالها من "هيرو".

كنتُ عارفة إن المخلوقة الأم متضايقة من إنه رجع "أوساكا" بعد ما "هيرو" خرج من المستشفى بدل ما كان يقعد معانا، ولكن ده مكنش ظاهر على وشها أبداً.

تشيوكو: كان العم "أندرويد" أكبر سناً مما تصوَّرت.

رو: تفتكري إنه ممكن يعمل روبوتات بتكبر في السن زيه كده؟

تشيوكو: رو! اللي انت بتقوله ده مش لايق عليك!!!

رو: آسف. و"هيرو"؟

تشيوكو: كان نايم لما وصلت أنا وماما وبابا، مع إن الوقت كان بدري. انحنت المساعدة لبابا وماما احتراماً، وابتسمت للعم "أندرويد". كان باين من تصرفاتها إنها بتخطط للزواج منه. ولما راحت ماما وبابا والعم "أندرويد" لغرفة تانية عشان يتكلموا براحتهم انشغلت بالشات في الموبايل، وكانت بتكتب بسرعة كبيرة قوي.

رو: افتكر إني شفتها! جسمها مليان وراسها كبيرة ووشها مدور زي الفطيرة.

تشيوكو: ومين قالك إن دي مش ممكن تكون أنا؟

رو: تفتكري؟ لو كانت دي الحقيقة يبقى لازم أتأسف لك.. مكنش قصدي تريقة.

تشيوكو: طبعاً مكنتش أنا.

رو: o(_ _)o اعذري غبائي بقى.

تشيوكو: إنت طيب قوي. لما بابا وماما والعم "أندرويد" خلصوا كلام رجعوا وقعدوا معانا وكان الحوار بينهم غريب فعلاً.

قال العم "أندرويد": "لازم أصحي "هيرو" دلوقتي". لكن المساعدة هي اللي طلبت تروح تصحيه. أنا هاسميها هنا "وش الفطيرة". انحنت "وش الفطيرة" بغباء ومشيت من الغرفة. كان موقف كوميدي فعلاً. سمعنا دوشة وبعد شوية لقيناها راجعة بتجري وبتقول إن "هيرو" ضربها!

رو: "هيرو" ضربها؟ بجد !!!!

تشيوكو: تستاهل. المخلوقة الأم قالت لها إن "هيرو" كان بيحلم وإنها فزعته لما صحي. كان باين إنها مش بتدي أي

اهتمام بوش الفطيرة برضه، وعشان كده لأول مرة كنت مبسوطة وأنا قاعدة معاها. وراح العم "أندرويد" عشان يجيبه. "هيرو" كان لابس بدلة سودا، وعينيه منفخة من النوم. وبعدها كان نادر لما العم "أندرويد" يبص له أو يتكلم معاه.

رو: قصدك إيه؟

تشيوكو: افتكر إنه كان بيتألم كل ما يبص في وش "هيرو"، وكأنه بيفكره بالعمة "هيرومي". ومع أن "هيرو" مكنش شبهها ولكن يمكن كان شبهها في الحركات والتصرفات. أكمل؟

رو: يا ريت.

تشيوكو: بص "هيرو" لينا واحد واحد، ولما شافني قرَّب مني ومسك إيدي. مكنتش عارفة أتصرف إزاي. كانت صوابعه باردة تلج. واندهشت ماما من إن "هيرو" اختارني أنا، وفضلت تحاول تلفت انتباهه عني. ولكنه متحركش. ومال عليّ وسمعته بيتنهد.

رو: تفتكري إنه شاف فيكي أمه؟

تشيوكو: يمكن. ويمكن كان عارف إن بقية اللي كانوا في الأوضة مجرد أغبيا.

رو: !!!!

تشيوكو: بعدها رحنا بالعربية على المكان. وصلنا بدري، ولكن كان هناك آلاف من الناس، وعشرات المراسلين والمصورين. ولكن الكل سكت أول ما شاف "هيرو" – كان لسه ماسك إيدي – ومكنش فيه أي صوت إلا صوت فلاشات التصوير. كتير من الناس انحنى احتراماً، بس مكنتش عارفة إن كان ده للعم "أندرويد" أو لـ"هيرو". شعور غريب إنك تكون محل اهتمام الناس، وكنت حاسة إن "وش الفطيرة" كانت مبسوطة بالشعور ده. تعبير وش بابا متغيرش وماما كانت متوترة. وتراجعوا للخلف عشان نقدر نمشي لحد صورة عمتي من غير ما نقف في الطابور. كان لسه فيه شبورة، وكان الهوا كله بخور. حاسة إني بقيت مملة، مش كده؟ تفاصيل كتيرة؟

رو: لا! أنا اندمجت في الحكاية. لازم تكوني مؤلفة. وصفك جميل.

تشيوكو: بتتكلم جد ؟؟؟؟

رو: طبعاً.

تشيوكو: قول الكلام ده طيب للي بيصححوا الامتحانات.

رو: كملي.

تشيوكو: واحنا واقفين هناك خرجت ست قصيرة من بين الزحام واقتربت مننا. معرفتهاش في الأول. وبعدها خدت بالي إنها زوجة الكابتن "سيتو". كانت كبيرة في السن، أربعين سنة على الأقل، ولكنها أجمل من الصور.

رو: التليفزيون ما ذاعش الموقف ده.

تشيوكو: كانت شجاعة منها إنها تحضر، خصوصاً وإن أغبيا كتير لسه مصرين إن الحادث كان غلطة الكابتن "سيتو". الموضوع ده هيجنني، خصوصاً وإن تسجيلات الصندوق السود أثبتت إنه كان هادي ومسيطر حتى آخر لحظة. وكمان الفيديو اللي صوَّره رجل الأعمال لما كانت الكابينة مليانة دخان، يعني بوضوح إن الحادثة سببها ميكانيكي. زوجته كانت واثقة من نفسها وهادية. انحنت لـ"هيرو" ومتكلمتش. واتمنى دلوقتي لو كنت شجعتها بأي كلمة. كنت عايزة أقول لها إنها لازم تكون فخورة بزوجها واللي عمله. وبعدين مشيت. ومشفتهاش تاني.

رو: موقف صعب.

تشيوكو: أكيد. وأكيد إنك شفت الباقي في التليفزيون.

رو: اتكلمتوا مع رئيس الوزرا؟

تشيوكو: لأ. هو في الحقيقة أقصر وأكبر سناً من التليفزيون. وشعره الشايب واضح جداً في الحقيقة. والريح أزاحت خصلات شعره فكانت صلعته باينة.

رو: !!!!!

تشيوكو: سمعت كلمة العم "أندرويد" عن العمة "هيرومي" وازاي كانت بتحب الحياة وانه هيبذل كل وسعه في سبيل تخليد ذكراها وفي تربية "هيرو"؟

رو: طبعاً.

تشيوكو: أنا كنت ها أبكي. مش بس عشان كلامه، كمان الجو العام كله. الظاهر إني قلبتها دراما وروحانيات، صح؟

رو: لا. أنا حاسس بالجو اللي تقصديه حتى وانا هنا في غرفتي المقلوبة فوق تحت.

تشيوكو: "هيرو" كان ماسك إيدي طول الوقت. كنت كل شوية أبص عليه عشان أتأكد إنه مضبوط، وخدت بالي إن ماما ووش الفطيرة بيتنافسوا على اللي يكون جنبه. وهو كان بيتصرف وكأنهم مش موجودين أصلاً.

رو: والست اللي اتكلمت كانت بنت الأمريكية اللي كانت على الطيارة؟ بتتكلم ياباني كويس.

تشيوكو: آه. وبالمناسبة.. إيه رأيك في الرسالة اللي سابتها.. تفتكر كانت تقصد إيه؟ "الصبي.. الصبي".. تفتكر شافت "هيرو" قبل ما تموت؟

رو: مش عارف. أنا الانجليزي بتاعي مش قد كده وقريت الترجمة بتاعتنا بس. كانوا بيحللوها ويتكلموا كتير عنها على "تشي تو" وعلى "طوكو زي".

تشيوكو: إنت بتضيّع وقتك ليه في المواقع دي؟ بجد؟ وإيه اللي بيقولوه دلوقتي؟

رو: بيقولو إنها قالت كده في رسالتها لأنها كانت شايفة أرواح الموتى.

تشيوكو: آه طبعاً. كأنها مكنتش قادرة تعبّر عن الشيء الواضح قدامها – إن كان فيه ناس حقيقيين ميتين في الحادثة؟ الناس دول قمة في الغباء.

رو: شفتي صورتها؟

تشيوكو: أي صورة؟

رو: الصورة اللي نشرها موقع أمريكي اسمه celebautopsy.net. الصورة اللي صوّرها مراسل قبل ما يمنعوا الصحفيين من دخول مكان الحادثة. كانت صورة

مرعبة.

تشيوكو: وإيه اللي خلاك تشوفها؟

رو: دخلت على لينك من خلال لينك.. يعني.. أنا آسف إني هاسألك السؤال ده.. بس.. هي عمتك سابت رسالة؟

تشيوكو: مش عارفة. عمي ما قالش حاجة. ولو كان فيه رسالة فأكيد الصحافة معرفتش توصل لها.

رو: طيب.. بعد الكلمات والدعوات.. إيه اللي حصل؟

تشيوكو: رحنا الفندق. كانت "وش الفطيرة" مُصرة إن "هيرو" ينام شوية، والمرة دي مشي معاها من سكات. وفضل طول اليوم ساكت متكلمش مع حد. المخلوقة الأم بتقول إن ده سببه الصدمة.

رو: بالتأكيد..

تشيوكو: بعد كده حاولت "وش الفطيرة" تتكلم معايا ولكن أنا اديتها أرخم وش عندي. وفهمت الرسالة على طول وفضلت مع تليفونها طول الليل. كلام العم "أندرويد" كان قليل جداً رغم إن ماما حاولت تتكلم معاه عن اللي ممكن يعملوه مع رفات عمتي بعد الإفراج عنه.

رو: سمعت إنهم هيعملوا محرقة جماعية، صح؟

تشيوكو: أيوه. بس هم هيعملوا محرقتين – واحدة هنا وواحدة في "أوساكا". عمتو اتولدت في "طوكيو" بس عاشت في "أوساكا"، عشان كده لازم يقرر هيعمل إيه. بس ماما أقنعته إنه يفضل معانا كذا يوم قبل السفر لـ"أوساكا".

رو: بجد؟ "كينجي ياناجيدا" في بيتكم ؟؟؟؟ دلوقتي؟

تشيوكو: أيوه. مش بس كده، و"هيرو" كمان نايم في سريري، على بعد متر من المكان اللي باكتب لك منه.

رو: و"وش الفطيرة"؟

تشيوكو: أمرتها ماما ترجع "أوساكا" – قالت لها إن وجودها مش مطلوب هنا.

رو: أكيد "وش الفطيرة" دمها اتحرق.

تشيوكو: طبعا. أول مرة أبقى مبسوطة إني بنت المخلوقة الأم.

رو: طيب سؤال صعب كمان بس لازم تجاوبيني عليه.. إنتي رحتي موقع الحادثة؟ سمعت إن بعض العائلات طلبوا يروحوا هناك في تاني يوم.

تشيوكو: لأ. كانوا مجهزين كذا باص عشان اللي عايز يروح من عند محطة "كاواتشيكو". كنت عايزة أروح، لكن ماما

وبابا كانوا عايزين يرجعوا المدينة. بس أنا أكيد هاروح هناك في يوم. أوه! نسيت أقول لك. بعد الحفلة جالنا الشاب اللي لقي "هيرو" عشان يسلم علينا.

رو: الشاب اللي بيرصد المنتحرين؟

تشيوكو: أيوه.

رو: ممكن توصفيه؟

تشيوكو: أممم.. هادي، لكنه من النوع اللي ممكن تثق فيه. حزين، بس مش مكتئب، إن كان للوصف ده معنى؟ بس كان باين عليه إنه دقة قديمة. لحظة معايا. المخلوقة الأم تنادي. لازم أروح أشوفها.

رو: (('-rn-')Y

رسالة مسجلة في الساعة 10:30 يوم 22 يناير 2012

تشيوكو: رو. موجود؟

رو: دايماً.. إيه الجديد؟

تشيوكو: العم "أندرويد" اكتشف إن "وش الفطيرة" بتبعت إيميلات لمؤسسة "شوكان بونشون" بتتفق معاهم على إنها تبيع مذكراتها. المخلوقة الأم في قمة الغضب والعم "أندرويد" شايط جداً. سألته ماما إن كان عايز يسيب

"هيرو" معانا وهو رايح "أوساكا" عشان يبعد عن دوشة الصحفيين. قالت له إنه هيكون تحت رعايتي أنا.

رو: إيه؟ إنتي اللي هتخلي بالك من الولد؟

تشيوكو: وفيها إيه. قصدك إني هبوظ الولد؟

رو: إنتي؟ مقصدش تبوظيه، بس أقصد إنك.. هتقدري تخدي بالك منه؟

تشيوكو: إنت عارف المواضيع ماشية ازاي هنا. وانا عندي إيه تاني أعمله؟ وكمان مبحبش أتنطط من وظيفة للتانية.. مش ستايلي.

رو: باب عصابة "ياكوزا" بتاعاتي مفتوح لك دايماً، حبيبتي. إحنا بندور على ناس جامدة.

تشيوكو: كلام. إسمع، أنا لازم أخرج. المخلوقة الأم بتستدعيني من جديد.

رو: ماشي.. عرفيني بالجديد أول بأول.

تشيوكو: أكيد. شكراً على وجودك معايا.

رو: دايماً.. .O.:*-°"-*

كان د. "باسكال دي لا كروا"، أستاذ علم الروبوت في

معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، واحداً من القلائل الذين وافق والد "هيرو ياناجيدا"، خبير الروبوت الشهير "كينجي ياناجيدا"، على التحدث معهم في الأسابيع التي أعقبت الحادث الذي لقيت فيه زوجته مصرعها.

أعرف "كينجي" منذ سنوات. التقيته في العام 2005 خلال معرض طوكيو الدولي، والذي كشف فيه النقاب عن (سورابوت 1) – أول إنسان آلي أندرويد يقوم بابتكاره. ومنذ ذلك الحين وأنا أتابع كل أخباره – إنه عبقري! فمع أن (سورابوت 1) كان (نموذج أولي)، إلا أنك تدرك منذ الوهلة الأولى أن "كينجي" وعمله يختلف عن غيره كل الاختلاف. ومع أن العديد في عالمنا اعتبر أن أعماله تنطوي على نرجسية أو حب للاستعراض، وتهكموا من تركيز "كينجي" على السيكولوجية البشرية أكثر من علم الروبوت، ولكنني كنت أرى عكس ما يرون. وهناك من أبدى قلقه من (سورابوت 1)، ومن كونه يسبر أغواراً عجيبة ومدهشة بداخل كل منا. وسمعت من ينادي بأن صُنع روبوت يشبه الإنسان تماماً يُعتبر فعلاً غير أخلاقي. ما هذا الهراء؟! إني أعتقد أن فهم الطبيعة البشرية وكشف أسرارها هو أسمى عمل يقوم به الإنسان.

لن أخوض في هذا كثيراً. بقينا على اتصال لسنوات، وفي

عام 2008 زارني "كينجي" وزوجته "هيرومي" وابنهما في باريس. لم تكن "هيرومي" تتحدث الكثير من الإنجليزية، ولذلك كان كلامي معها محدوداً، ولكن زوجتي أعجبت كثيراً بهيرو. "الأطفال اليابانيين مؤدبين جداً!". وأعتقد أن لو كان مسموحاً لها أن تتبنى هذا الطفل لكانت قد فعلت.

تصادف أن كنت في طوكيو عندما سمعت بخبر الطائرة وأن زوجة "كينجي" لقيت مصرعها على متنها. أدركت على الفور أن عليّ الذهاب لمواساته، وأنه سيكون في أمس الحاجة إلى أصدقائه. كنتُ فقدت والدي، وقد كنت قريباً جداً منه، في العام السابق بعد صراع مع السرطان، وكان "كينجي" إلى جواري. ولكن "كينجي" لم يرد على اتصالاتي، ومساعدته في جامعة أوساكا رفضت أن تعطيني عنوانه. وفي الأيام التالية كانت صوره منشورة في كل مكان. لم يكن هناك ذلك الصخب الإعلامي الذي صاحب نجاة الصبي الأمريكي والطفلة البريطانية المسكينة - فاليابانيون ليسوا على هذه الدرجة من التطفل - ولكن هناك اهتماماً إعلامياً ملموساً. كما كانت هناك تلك الشائعات المجنونة! وبدا لي أن طوكيو كلها تتحدث عن "هيرو". وسمعت حكايات من موظفي الفندق حول أن بعضهم يعتقد أن ذلك الصبي يحمل في داخله أرواح جميع الركاب الذين قضوا في الحادث. جنون!

فكرتُ أن أذهب إلى التأبين، ولكني قلت لنفسي إني سأبدو دخيلاً في المكان. ثم عرفت أن "كينجي" عائد إلى أوساكا. فصرفت نظر عن العودة إلى فرنسا وقررت محاولة زيارته، وحجزت على أول طائرة متوجهة إلى أوساكا، بعدما عادت حركة الطائرات إلى طبيعتها نسبياً.

ولا أخجل من أن أقول بأنني كنت أستغل سمعتي في الدخول إلى مختبره بالجامعة. وكان مساعدوه، الذين التقيت العديد منهم سابقاً، محترمون، ولكنهم أخبروني أن من غير الممكن مقابلته.

عند ذاك رأيت الأندرويد الذي صنعه. سورابوت 1. كان يقبع في ركن القاعة، وبدا أن مساعدة تتحدث إليه. أدركت على الفور أن "كينجي" يتحدث من خلاله؛ فقد رأيته يفعلها من قبل في مناسبات عدة. والحقيقة أنهم حينما كانوا يطلبون منه أن يذهب إلى قاعة المحاضرات وكان لا يستطيع أن يبارح الجامعة، فإنه كان يرسل الروبوت بدلاً منه ويتحدث من خلاله عن بُعد!

تريدين مني أن أشرح قليلاً كيف تعمل هذه الآلية؟ أبسط وصف لهذا أنه تحكم عن بعد من خلال الكمبيوتر. حيث يستخدم "كينجي" كاميرا لتصوير وجهه وحركات رأسه والتي يتم بثها إلى مستقبل حركي متناهي الصغر داخل

لوحة وجه الروبوت. وهكذا تحاكي اللوحة حركات وجهه – حتى رمش جفونه. ويقوم ميكروفون بتسجيل صوت "كينجي"، وينتقل الصوت عبر الروبوت. كما أن هناك آلية داخل الصدر لا تختلف عن تلك الموجودة لدى أرقى شركات تصنيع الدمى – والتي تحاكي عملية التنفس. ومربك بالفعل التحدث إلى ذلك الأندرويد. فهو بالتأكيد يشبه "كينجي" إلى حد بعيد. بل إن قصة شعره تتغير كلما غيَّرها "كينجي"!

كنت مُصّراً على أن أتحدث إليه، وقلت من دون تردد:

- "كينجي". أعرب لك عن أسفي البالغ لوفاة "هيرومي". وإني لمدرك لما تمر به. لذا أرجوك أن تتواصل معي في حال احتجت إلى أي شيء مني.

مرت لحظات صمت، قبل أن يتفوه الأندرويد بجملة يابانية للمساعدة. طلبت مني المساعدة أن أتبعها. قادتني عبر عدد مُربك من الممرات، وصولاً إلى منطقة القبو. رفضت بأدب الرد على أسئلتي عن حالة "كينجي"، فلم يسعني سوى الإعجاب بهذا القدر من الولاء.

طرقت باباً غير ظاهر، ففتح "كينجي" الباب بنفسه.

صُدمت حينما رأيته. فبعد أن تحدثت للتو مع قرينه الأندرويد، وجدت أن علامات تقدمه في العمر واضحة عليه

للغاية. كان شعره غير مصفف، وهناك هالات سوداء حول عينيه. ألقى بسخط أمراً سريعاً على مساعدته – وكانت أول مرة أجده فيها فظاً – فهرعت إلى الخارج، وتركتنا وحدنا.

عزيته، ولكن بدا أنه لم يسمعني. كانت ملامحه جامدة تماماً؛ ولا أثر للحياة فيه إلا من خلال عينيه. شكرني لأنني قطعت كل هذه المسافة لرؤيته، ولكنه أخبرني أنه لم تكن هناك ضرورة لذلك.

سألته لماذا يعمل في القبو وليس المختبر، فقال إنه تعب من تواجد الناس حوله. لم تتوقف الصحافة عن مضايقته منذ التأبين. ثم سألني إن كنت أريد تفقد أحدث ما صنع، ودعاني إلى داخل القاعة.

- أوه.. أرى أن ابنك في زيارتك.

أدركت خطأي قبل حتى أن أنتهي من الجملة. فذلك الطفل الجالس إلى الكرسي الصغير جوار أجهزة "كينجي" ليس بشرياً. إنه واحد من روبوتاته. نسخة سورابوت من ابنه. سألته وأنا أحاول إخفاء دهشتي:

- أحدث مشروعاتك؟

ابتسم لأول مرة:

- كلا. صنعته العام الماضي.

أشار نحو الركن البعيد في القاعة حيث تقبع سورابوت ترتدي الكيمونو الأبيض.

مشيت نحوها. جميلة؛ كاملة، وعلى شفتيها ابتسامة. صدرها يعلو ويهبط وكأنها تتنفس بعمق.

- هل هذه..؟

عجزت عن إتمام السؤال.

- أجل. إنها "هيرومي".. زوجتي. كما لو أن روحها موجودة فيها.

لم يرفع عينيه عنها.

حاولت أن أسأله عن سبب قيامه بصنع هذه الشبيهة لزوجته المتوفاة، ولكن الإجابة بدت لي واضحة، أليس كذلك؟ وقد تجنب أسئلتي ولكنه أخبرني أن "هيرو" يعيش في طوكيو مع أقاربه.

لم أخبره بما أفكر فيه.. "كينجي.. لديك ابن على قيد الحياة. يحتاج إليك. لا تنساه، صديقي".

لا تقتصر الحكاية على أن هذا تطفل مني لا داع إليه، ولكنني أعرف أيضاً أن أساه أعمق من أن يجعله ينصت إلى

ما أقول.

لذلك قمت بالخطوة المنطقية الوحيدة في تلك اللحظات. غادرته.

لم يفارقني توتري، حتى بعدما خرجت إلى المدينة الجميلة. كنت أشعر بخلل ما، وكما لو أن الكرة الأرضية خرجت عن محورها.

وقفتُ أتطلع إلى مبنى الجامعة..

بدأ الثلج يتساقط من جديد..

"ماندي سولومون" هي من شاركت "بول كرادوك" كتابة مذكراته التي لم تكتمل.. "جيس" الملاك الحارس: حياتي مع واحد من الثلاثة.

تمثَّل هدفي الرئيسي عندما التقيتهما لأول مرة في أن أكسب ثقتهما. وعادةً ما يطلب المشاهير الانتهاء من مذكراتهم في غضون فترة زمنية محدودة، ولذلك عليّ العمل بسرعة. ومن أتعامل معهم يمضون أغلب حياتهم بين فضيحة وأخرى أو في التخفي وراء ستار تُحسن شركات العلاقات العامة إسداله عليهم، ولذلك فهم متمرسون على إبقاء الحقيقة طي الكتمان. ولكن القراء ليسوا بأغبياء، فبوسعهم تمييز الزيف والكذب من على بُعد أميال. ومن

المهم بالنسبة لي أن ندرج على الأقل بعض الجديد، لنوازن بين الصورة الجميلة التي رسمتها شركات العلاقات العامة وبعض من تجليات الحقيقة الصادمة. وتلك مشكلة لم تصادفني مع "بول" بالطبع. كان صريحاً من البداية. فقد اتفق الناشر ووكيله خلال وقت لا يُذكر. كان الناشر يرغب في قصة تأقلم "جيس" مع الحياة والواقع؛ وكان يعرف أن الاهتمام بها هائل، وهو حدس لم يخطئ بالفعل. فقد كانت القصة تتنامى كل يوم.

كان أول لقاء لنا في مقهى في "شسلهرست" خلال أوائل فبراير. كانت "جيس" لا تزال في المستشفى و"بول" منشغل في الانتقال إلى منزلها، وتجهيزه لعودتها. انطباعي الأول عنه؟ له شخصية ساحرة، وهو ذكي، لماح، ولا تنسى أنه ممثل.. أو كان كذلك. واضح أن مصرع أخيه صدمه، وعندما حاولت أن أتكلم معه عن هذا أجابني بالدموع، لكنه لم يكن محرجاً على الإطلاق من التصريح بعواطفه أمامي. وكان صريحاً بشكل ملحوظ في كلامه عن ماضيه، وأنه كان يشرب كثيراً في العشرينيات من عمره، وأنه جَرَّبَ المخدرات، وأن علاقاته الجنسية كانت متعددة. ولكنه لم يتحدث كثيراً عن الفترة التي أمضاها في مستشفى "مودسلي" للطب النفسي، ولم ينكرها في الوقت نفسه. قال إن انهياره ارتبط بالاكتئاب بعد خيبة أمل في المهنة

التي أراد احترافها. لم أجد فيه ما يدفعني إلى التفكير ولو لثانية واحدة في أنه لن يكون قادراً على رعاية الطفلة. وإذا سألني أحد بعد هذا اللقاء الأول عن رأيي فيه لأخبرته بأنه شخص طيب، ربما مهووس بذاته قليلاً، ولكنه لا يُقارن أبداً بشخصيات تعاملت معها من قبل.

بعد أن فزت بثقتها، أعطيته ديكتافون - مسجل صوتي رقمي في الواقع – وطلبت منه أن يُسَجِّل من خلاله لأطول فترات تُتاح له من دون أن يفكر مسبقاً فيما سيقوله. وأنا دائماً ما أُطمئن عملائي بأنني لن أدوِّن أي معلومات لا يرتاحون لها. بل وأغلبهم يصر أن ينص العقد على ذلك في بند من بنوده، وهذا أمر جيد بالنسبة لي. فهناك دائماً وسائل للالتفاف حول مثل هذه البنود، وعلى أي حال، فإن معظمهم يود إضفاء شيء من الإثارة على قصة حياته. وسوف تندهشين لو عرفتي أنهم يعتادون بسرعة على طريقة الإملاء هذه، وبعضهم يستغل الجهاز وكأنه طبيبه النفسي الخاص. هل قرأتي Fighting for Glory؟ السيرة الذاتية الصريحة جداً التي أصدرها "ليني لي"، المصارع، العام الماضي؟ لم أكن أتخيل أن يبوح بكل هذه الأمور. لقد كان يترك جهاز التسجيل دائراً أثناء ممارسة الجنس، حتى آمنت في نهاية المطاف أنه كان يتعمد ذلك.

سرعان ما تأقلم "بول" مع الديكتافون. وكانت الأمور تسير على ما يُرام في البداية. وكتبت مسودة الفصول الثلاثة الأولى، وأرسلت إليه إيميل أبيِّن له فيه ما قد نحتاجه. كان يرسل إليّ بالتسجيلات على نحو غاية في الانتظام، ولكنه توقف بغتةً، بعد مرور أسبوع من عودة "جيس" إلى المنزل. قلتُ لنفسي إنه انشغل مع "جيس"، خصوصاً مع اهتمام الإعلام، وأولئك المجانين الذين لا يتركونهما لحالهما، لذلك أمهلته قرابة الشهر. وكان يعدني دوماً بأنه سوف يرسل المزيد. وفجأة، أخبرني أنه صرف النظر عن الكتاب. وجُن جنون الناشر وهدد بمقاضاته. وكانوا قد دفعوا قيمة العقد مقدماً.

وكانت "ميل" هي من عثرت عليها. فقد ترك "بول" وحدة ذاكرة في مظروف فوق ترابيزة الطعام، وعليها اسمي ورقم تليفوني. سلمتها بالطبع للشرطة، ولكن ليس قبل أن أحصل على نسختي منها. خطر لي أن أقوم بتفريغها على الورق، وربما نشرها لاحقاً، ولكنني عجزت عن الاستماع إليها ثانيةً بعد تلك المرة الأولى.

لقد أماتتني رعباً، "إلزبيث"..

أماتتني رعباً..

فيما يلي تفريغ نصي لتسجيل بصوت "بول كرادوك"،

بتاريخ 12 فبراير 2012

10:15 ليلاً

ها أنا ذا أعود مُجدداً، "ماندي". في كل مرة أنطق فيها باسمك تخطر لي أغنية "باري مانيلو"؛ "أوه ماندي.. تأتين وتعطين من دون.." لا أتذكر كلمات الأغنية جيداً. هل غنى هذه الأغنية لأجل كلبته حقاً؟ آسف، لا أعتقد أن هذا هو المجال المناسب لهذا الكلام، ولكنك أنتِ من أخبرني بأن أكون على سجيتي وأن أقول أي شيء يخطر ببالي، كما أن هذا الكلام يشغل عقلي قليلاً عنه، عن "ستيفن". وعن الحادث. وعن المأساة اللعينة.

(صوت نحيب)

آسف. آسف. لا بأس. هذا يحدث أحياناً، أن أظن أني أتحمل ومن ثم.. يحدث هذا. هذا هو اليوم السادس من بعد عودة "جيس". ولا تزال هي كالصفحة البيضاء - فهي لا تتذكر إلا لمحات من حياتها قبل الخميس الأسود، بل لا تتذكر أي شيء عن الحادثة على الإطلاق. تمارس طقوسها الصباحية كالمعتاد، وكأنما انفصلت عن العالم وتريد أن تُذَكِّر نفسها بمن هي: "أنا "جيسيكا" وأنت عمو "بول"، وماما وبابا وأختي راحوا عند الملايكة". ما أزال أشعر بالذنب على إقناعي لها بحكاية الملائكة هذه، فقد كان "ستيفن" و"شيلي" ملحدان،

ولكنك تحاول أن تشرح معنى الموت لطفلة في ربيعها السادس من دون أن تقحم السماء في هذا الشرح. وأبقى أُذَكِّر نفسي بأن د. "كاسابيان" (أوه، أخطأت أول أمس وناديته د. "كيفوركيان" – احذفي هذا من النص) قال إنها ستأخذ بعض الوقت قبل أن تعود إلى طبيعتها، وأن التغير السلوكي أمر طبيعي. وكما تعلمين، فلا أثر لتلف في الدماغ، ولكنني قمت بالبحث عبر الإنترنت وتبين لي أن اضطراب ما بعد الصدمة قادر على فعل الأفاعيل. المبهج في الموضوع أنها صارت تتواصل معي بقدر يفوق ما كانت عليه قبل الحادث، إن كان لهذا أهمية.

حدث موقف غريب هذا المساء وقت أن كنت أضعها في فراشها، ولكني لست متأكداً من هل من المناسب أن نضعه في الكتاب. تتذكرين أني أخبرتك أننا نقرأ كتاب "نارنيا .. الأسد والساحرة وخزانة الثياب"؟ هذا كان من اختيار "جيس". لقد وجدتها تقول لي ومن دون مناسبة:

- عمو "بول"، وهو مستر "تومنوس" بيحب يبوس الرجالة زيك كده؟

لقد صدمت، "ماندي". فقد كان "ستيفن" و"شيلي" يتحاشيان أي كلام من هذا القبيل أمام البنتين، كما أنني واثق أنهما لم يتكلما بشأني وشأن شذوذي أمام البنتين أبداً.

كما أنني لا أسمح لها بتصفح الجرائد أو الإنترنت، وخاصةً في ظل كل هذا الهراء في الصحف والمواقع الأمريكية عنها وعن الصبيين الآخرين. بصرف النظر عن الزبالة التي تلقي بها "مارلين" وعائلة "أدامز" إلى صحف التابلويد فتنشرها. فكرتُ أن أسألها عمن أخبرها بأني "بحب أبوس الرجالة"، ولكنني صرفت نظر. ربما وصلها كلام عن هذا وأنا في المستشفى، ولم تخبرني المستشفى به.

ولكنها أصرت: "قل لي، عمو "بول"؟". أنتِ تعرفين هذا الكتاب، "ماندي"، أليس كذلك؟ فقد كان المستر "تومنوس" أول الحيوانات المتكلمة التي تلتقيها "لوسي" عندما تعبر خزانة الملابس إلى "نارنيا" – ذلك النصف رجل نصف معزة. (إنه في الحقيقة أقرب شبهاً إلى ذلك الطبيب الذي رأيته بعد معرفتي بخبر الحادث مباشرة). والصراحة أنهم رسموا المستر "تومنوس" بطريقة غريبة الأطوار، خاصةً وذلك الوشاح ملتف بطريقة مميزة حول عنقه. بل أعتقد أن من غير المستبعد أبداً أن يكون بالفعل على علاقة شاذة مع كائن قنطور في أدغال الغابة. يا ربي. احذفي هذا الكلام أيضاً. أعتقد أنني أجبتها قائلاً: "إن كان هو كذلك فلأن ذلك هو اختياره، أليس كذلك؟"، ثم واصلت القراءة.

قرأنا صفحات، وتوترت أعصابي حينما وصلنا إلى الجزء

الذي يضحي فيه "أصلان"، الأسد المتكلم، بنفسه تحت قدمي الملكة الشريرة. فلقد أخبرني "ستيفن" في العام الماضي أنه حينما قرأ هذا الجزء على البنتين كانتا تبكيان، وعانت "بولي" من كوابيس.

ولكنني لم أجد "جيس" تبكي، بل سألتني:

- وإيه اللي يخلي "أصلان" يعمل كده؟ ده تصرف غبي، مش كده، عمو "بول"؟

فَضَّلت ألا أشرح لها أن في موت "أصلان" بهذه الطريقة استعارة رمزية مسيحية، مثل يسوع الذي مات لأجل جميع آثامنا وبقية هذا الكلام، وقلت لها بدلاً من ذلك:

- إسمعي، "إدموند" خان بقية صحابه، وكانت الملكة الشريرة هتقتله. و"أصلان" قرر يبقى مكان "إدموند" وده لأنه طيب ورحيم.

- برضه غباء. بس مش مشكلة، كده أحسن.. أنا عاجبني "إدموند".

لا تنسي، "ماندي"، أن "إدموند" هو الصبي المدلل الكذاب المستهتر الأناني.

- إشمعنى؟

- هو الوحيد من بينهم كلهم اللي مش جبان ابن كلب.

لحظتها لم أكن أدري هل أسكتها أم أضحك على ما قالته. تذكري أنني أخبرتك أنها قد التقطت بعض الشتائم خلال وجودها في المستشفى. ربما كان من كلام الحمّالين أو عمال النظافة، لأني لا أتخيل أن يكون الدكتور أو الممرضات هم من تلفظوا بمثل هذه الألفاظ وهم حولها.

- عيب تتكلمي بالطريقة دي، "جيس".

- طريقة إيه؟ وبعدين مفيش حاجة بتحصل زي كده. من دولاب عبيط.. وكأنه يا عمو "بول"..

راحت في النوم قبلما تُكمل الجملة.

ربما كان عليّ أن أسعد لكونها تتكلم وتتواصل معي. وهي لا تحزن عندما أذكر لها "ستيفن" و"شيلي" و"بولي"، ولكنها لا تزال صغيرة السن. أخبرني الدكتور أن عليّ أن أترقب لانتكاسة عاطفية، ولكن هذا لم يحدث حتى الآن. لا زال الوقت مبكراً على عودتها إلى المدرسة – فآخر شيء نريده الآن هو أن نترك الفرصة لزملائها أن يخبروها بما يقولونه عنها – ولكننا نخطو خطوات كبيرة نحو الحياة الطبيعية.

وماذا أيضاً؟ آه، في الغد سيأتي "دارين" من الخدمة الاجتماعية ليتأكد من "قدرتي على التعامل". هل حكيت لك

عنه؟ هو شخص لا بأس به، بلحيته وصندله وحبه للجرانولا، ولكنه في صفي، وهذا ما تأكدت منه. وقد أفكر في الاستعانة بشغالة أو شيء من هذا القبيل، رغم أن جارتنا العجوز، السيدة "إلينجتون برن" (اسمها في حد ذاته مشكلة!)، تلح عليّ دائماً أن أسمح لها بالاعتناء بـ"جيس". وأخبرتني "ميل" و"جيف" أنهما سوف يكونان سعداء لو أتيح لهما مجالستها. نِعْمَ الرفيقين هما. ما رأيك في جملة كهذه في الكتاب: "ميل وجيف دائماً في ظهري وأنا أكافح للتأقلم مع وضعي الجديد كأب وحيد" مبالغة، ها؟ يمكننا إعادة صياغتها بعض الشيء. قمتِ بعمل عظيم في الفصول الأولى، ولهذا أنا متأكد من أنه سيكون كتاباً معتبراً.

ثواني، سأحضر قدح الشاي. اللعنة! لقد انسكب مني. أوه، ساخن. حسناً..

لم يتصل بي أي من المجانين اليوم. أما الجماعة المؤمنة بأن "جيس" كائن فضائي فقد توقفت بعدما طلبت من الشرطة إنذارهم، وبالتالي لم يتبقى سوى جماعة الرب والصحافة. أما أصحابنا السينمائيين فـ"جيري" يتولى أمرهم. وهو لا يزال يرى أن علينا أن نتمهل قبل عرض قصة "جيس" لتحويلها فيلماً سينمائياً. وقد يبدو في الأمر بعض الطمع، خاصةً فيما يتعلق بأموال التأمين، ولكن "جيس"

سوف تشكرني حينما تكبر وتجد أنني أحسنت ترتيب أمورها المالية. وإن الأمر لصعب. فلا أتخيل كيف يتعامل ذلك الصبي الأمريكي مع واقعه، فلابد أن الاهتمام الإعلامي جنوني هناك. وإني لمتعاطف مع جدته، مع أنها محظوظة بعض الشيء لكونها في نيويورك وليس في واحدة من تلك الولايات المتطرفة دينياً. وأملي أن يخمد هذا الاهتمام تدريجياً مع مرور الزمن. هل أخبرتك أن هناك أحد برامج التوك شو يحاول إعداد حلقة تجمع بينهم هم الثلاثة؟ إنه واحد من أشهر تلك البرامج. يريدون مني أن أسافر مع "جيس" إلى نيويورك، ولكن من المستحيل أن أعرضها لهذا الآن. وعادوا واقترحوا أن يتم اللقاء عبر سكايب، ولكن الموضوع كله فشل لما رفض والد الصبي الياباني وجدة "بوبي" هذا العرض رفضاً قاطعاً. لا يزال الوقت مبكراً على كل هذا. وكم أتمنى لو كان بوسعي أن أغلق التليفون ولا أفتحه أبداً، ولكن يلزم أن أرد على مكالمات مسئولي الخدمة الاجتماعية وبقية المكالمات المهمة. أوه! هل تعرفين أنني سوف أظهر في برنامج توك شو صباحي مع "راندي" و"مارجريت" الأسبوع المقبل؟ شاهدي الحلقة واخبريني رأيك. ولقد وافقت لأن المعد طاردني من دون يأس! وأخبرني "جيري" أنها فرصة لتصحيح الأوضاع بعد كل هذا الهراء الذي نشرته (ميل أون صنداي) عني.

(صوت جرس التليفون بنغمة موسيقى فيلم د. زيفاجو)

انتظري دقيقة.

إنها "مارلين" اللعينة ثانيةً. وفي هذا الوقت من الليل! لم أرد عليها والفضل لإظهار رقم الطالب. أعرف أنها سوف تسأل عن موعد إحضاري "جيس" إليهم لتمكث معهم بعض الوقت. وأنا لا أستطيع أن أتملص منهم إلى الأبد، وإلا لجأوا إلى صاحبهم في "الصن"، ولكنني لا زلت أطلب اعتذاراً علنياً عن ما نشرته مجلة "تشات" من إساءات ضدي. أتمنى ألا تأخذي كل هذا الهراء مأخذ الجد، "ماندي". هل ترين أن علينا أن نورد تفاصيله بالكامل في الكتاب؟ خاصةً وأن "جيري" يطلب أن نِهَدي اللعب شوية في هذا الموضوع. والصراحة، لا أجد الكثير مما يصلح للحكي. شربت قليلاً، وكان هذا أمراً جللاً منذ عشر سنوات. أما الآن فهذه ثاني مرة أجد نفسي أريد شراباً منذ يوم الحادثة.

(يتثاءب)

يكفي هذا الآن. تصبحين على خير. سأنام.

3:30 فجراً

أوكيه. أوكيه. لا بأس. تنفس فحسب.

حدث أمر ما. "ماندي".. أنا..

تنفس بعمق، "بول". الأمر كله في عقلك فقط. في عقلك المنكوب فقط.

أبوح به. أجل. فيها إيه يعني. إيه المانع. ممكن بعد كده أحذفه من التسجيل، صح؟ هذا ما يسمونه العلاج النفسي بالفضفضة.. على رأي الدكتور.

(يضحك بصوت مرتجف)

سحقاً، العرق يغرقني تماماً. (يبكي منتحباً). إنه يتلاشى من ذهني الآن، ولكن هذا هو ما أذكره.

استيقظت بغتةً، وشعرت أن هناك شخصاً جالساً إلى طرف الفراش – فهناك ثقل ينزل بطرفه هناك. اعتدلت في الفراش، فاعترتني موجة فزع رهيبة. فقد أيقنت غريزياً أنه أيّاً كان ذلك الشخص الجالس إلى طرف الفراش فإنه بالتأكيد أثقل من أن يكون "جيس".

وأعتقد أني تساءلت بصوت عال عمن يكون.

سرعان ما اعتادت عيناي العتمة ورأيت كياناً عند طرف الفراش.

تجمدت في موضعي. خوف هائل لم يعترني من قبل.

إنه.. تباً لك "بول". يا للمسيح. شعرت وكأن.. وكأن أطناناً من الإسمنت تسري في عروقي. بقيت أحدق دهراً فيما هو أمامي. كان ماكثاً، ثقيلاً، وخيماً، لا حراك، ينظر فيما بين يديه.

وفجأة.. تكلم:

- ما الذي فعلته، "بول"؟ كيف سمحت لهذا الشيء بأن يدخل ويبقى هنا؟

إنه "ستيفن". عرفته من فوري، من صوته، رغم تغير هيئته. كان كالمومياء المحنطة. أحدب الظهر بعض الشيء، وقد كبرت رأسه عن طبيعتها. ولكنه كيان حقيقي أمامي، "ماندي". ورغم الفزع، آمنت للحظات أنه جالس أمامي بشحمه ولحمه، ويا للغرابة.. ابتهجتُ وفرحتُ بهجة وفرحة الدنيا. صحتُ باسمه بأعلى صوت. ومددتُ يدي لأتشبث به، ولكنه.. راح.

5:45 فجراً

ربي! لقد سمعت هذا حالاً. كم هو غريب، أليس كذلك، أن تكون الأحلام على هذه الدرجة من الواقعية وأن تتبخر من ذهن المرء بمثل هذه السرعة؟ لابد أن عقلي الباطن يريد مني أن أنصت إليه. وكم أتمنى أن يسرع فيوصلها. فلم

أحسم أمري، هل أرسلها إليكِ أم أستبقيها معي. لا أريدك أن تظني أني معتوه، خاصةً وأن هناك العديد من القصص التي شاعت عني وقد تدفعك إلى ذلك.

ثم.. ما الذي كان يقصده عندما سألني:

"كيف سمحت لهذا الشيء بأن يدخل ويبقى هنا؟"

ما قصده..

ما قصده..

---

(2) شخصية مشهورة من شخصيات أفلام الأنيمي اليابانية (المترجم).

الجزء الرابع
المؤامرة
فبراير – مارس

هذه هي الشهادة الثانية لريبا لويس نيلسون، "الصديقة الصدوقة" لباميلا ماي دونالد.

ذكرت "ستيفيني" أنها كادت تُصاب بنوبة هيستيرية حينما استمعت إلى حلقة برنامج الأب "لين" التي خصصها لرسالة "باميلا". فقد جرت العادة على أن يناقش موضوع حلقته الإذاعية الجديدة مع دائرته المقربة بعد درس الإنجيل، ولكنه لم يفعلها تلك المرة. طار النوم من عيني بعدما استمعت إلى تلك الحلقة. فقد حيّرني سبب عدم تعريفه بموضوع الحلقة بالغ الأهمية هذا مع دائرته في الكنيسة أولاً. وأخبرني فيما بعد أن الحقيقة قد واتته في ذلك اليوم وشعر بأن على عاتقه مهمة نشرها في أقرب فرصة ممكنة. كنت و"ستيفيني" على قناعة بأن يد الرب الراعية هي التي أنقذت الأطفال الثلاثة من تلك الحوادث، وكذلك حكاية تطابق ألوان شعارات الطائرات مع رؤيا "يوحنا"، فكيف تكون هذه مصادفة؟ ولكن كان من الصعب عليّ أن أقتنع بكلام الأب "لين" عن "باميلا" وكونها صاحبة رسالة، مثلها مثل الرسول "بولس" والرسول"

يوحنا"، وهناك غيري ممن شاطرني هذا الرأي.

الآن صرتُ أدرك أن خطط الرب التي يضعها لنا لا تكون واضحة مفهومة على الدوام، ولكن أن تكون "باميلا ماي دونالد" رسولة؟ "بام" البسيطة العجوز التي كانت تجزع وتهلع لو أن البسكويت الذي تحضره لحفل تبرعات الكريسماس احترق؟ فضلت أن أُطبق الصمت على شكوكي، ولم أبوح بها علانية إلا حينما زارتني "ستيفيني" وتحدثت في الموضوع بنفس رأيي. كنا وقتذاك نحترم الأب "لين" كل الاحترام، وبكل صدق، فقررنا ألا نتحدث بكلمة من هذا إليه أو إلى "كندرا".

لا يعني هذا أننا التقينا الأب "لين" كثيراً بعد الحلقة الإذاعية. وإني لا أعلم متى كان يجد وقتاً لينام! بل لم يحضر درس الإنجيل ذلك الأربعاء؛ فقد اتصل بي وطلب مني أن أترأس الدرس. أخبرني أنه متجه بالسيارة إلى "سان أنطونيو" للقاء أحد مصممي الويب، فهو يريد تأسيس منتدى عبر الإنترنت ليناقش منه ما أسماه "حقيقة بام"، وقال إنه سيعود في وقت متأخر.

سألته:

- هل أنت متأكد، يا أبانا، من رغبتك التعامل مع الإنترنت، أليست تلك الشبكة من عمل الشيطان؟

- نريد أن ننقذ أكبر عدد ممكن من البشر، "ريبا". نريد نشر الرسالة وشرحها بأي طريقة ممكنة. فعندما يعود يسوع ستراه كل عين.

فكيف لي أن أجادله؟

بعد يومين، عرضت علي ابنتي "داينا" ذلك الموقع بعد إطلاقه: أسماه !pamelaprophet.com حملت الصفحة الرئيسية صورة ضخمة لباميلا. ولابد أنها قديمة؛ فهي تظهر أصغر من سنها بحوالي ثلاثين عاماً. وأخبرتني "ستيفيني" أنها عرفت أن الأب "لين" صار يمتلك حساباً على تويتر وأنه يتلقى رسائل إلكترونية وبريدية من كل الأنحاء.

وبعد أسبوع أو أكثر قليلاً من تشغيل الموقع، بدأ من أسميتهم أنا و"ستيفيني" بالمتابعين في الظهور. كانوا في البداية من المقاطعات المجاورة، ولكن حينما "راجت" رسالة الأب لين (علمتني "داينا" أن هذه هي التسمية الصحيحة عبر الإنترنت) بدأ يكون هناك متابعين حتى من "لوبوك". وتضاعف العدد بين ليلة وضحاها. وكان من المفروض أن يطرب قلبي لهذا، فهناك الكثيرون ممن يلبون نداء الرب! ولكنني أعترف أن الشك ظل يراودني، وخصوصاً حينما وضع الأب "لين" شعاراً للموقع مصطنعاً ومن خارج الكنيسة: "مقاطعة ساناه، بلد باميلا ماي دونالد"، وبعدما صار يسمي

جمهوره "باميليستس".

أبدى كثير من متابعي الموقع رغبتهم في زيارة منزل "باميلا"، وتحدث الأب "لين" مع "جيم" حول تخصيص تذكرة للزيارة، حتى يتسنى له استخدام العائد في "الترويج للرسالة إلى أبعد الحدود". لم نكن نراها فكرة جيدة، ورأيت أن من واجبي أن أتحدث مع الأب "لين" بيني وبينه عن كل شكوكي. ربما يكون "جيم" قد عاد لإيمانه في نهاية المطاف، ولكنه ظل يشرب ويسكر أكثر من ذي قبل. واضطر الشريف "بومونت" أن يصدر له مخالفة قيادة تحت تأثير الخمر مرة أو مرتين، وكلما توجهت إليه لأحضر له طعاماً كنت أجد رائحته نتنة وكأنه كان يستحم في حوض من الويسكي. وكنت أعلم أن "جيم" لن يتعود على تواجد غرباء من حوله ليل نهار. وتنفست الصعداء حينما وافقني الأب "لين" الرأي:

- أنت محقة، "ريبا". أشكر الرب كل يوم لكوني أعتمد عليكِ مثل ذراعي اليمين.

وطلب مني أن أراقب "جيم"، "فهو لا يزال في صراع مع شياطينه". ووضعت بالتعاون مع "ستيفيني" وبقية أعضاء الدائرة جدولاً نتناوب من خلاله رعايته ورعاية المنزل أثناء فترة الحداد. وحرص الأب "لين" على إعادة رفات "بام" إلى أمريكا فور الانتهاء من التحقيقات، حتى يمكننا إقامة حفل

تأبين يليق بها، وطلب مني أن أتابع مع "جواني" لأعرف موعد إرساله. ورفض "جيم" حتى أن يسمع كلامي حول هذا الموضوع. وهو ليس من النوع الذي يبوح لك بأي شيء، حتى وهو تحت تأثير الخمر، ولكنني لا أعتقد أنه تحدث مع ابنته. كان الاستسلام واليأس بادياً عليه واضحاً وضوح الشمس. كانوا يحضرون له الوجبات والحليب الطازج، ولكنه كان يتجاهلها ولا يمسسها؛ ولا يهتم حتى بوضعها في الثلاجة.

كان كل شيء مرتبكاً على مدار أسابيع، "إلزبيث"!

بعدما أطلق موقعه الإلكتروني، بدأ الأب "لين" يتصل بي وبستيفيني يومياً، ويخبرنا أن العلامات التي توقعها بدأت تظهر بسرعة واضحة جلية:

- هل شاهدتي الأخبار، "ريبا"؟ هناك وباء جنون البقر في بريطانيا. وهذه علامة على حلول لعنة المجاعة على كل كافر ملحد.

ثم كان ذلك الفيروس الذي أصاب ركاب سفينة بأكملها – ذلك الذي انتشر حتى وصل إلى "فلوريدا" و"كاليفورنيا" – وهو ما يعني أن الوباء كان يطل برأسه القبيحة. أما عن الحروب، فأعتقد أنه كان هناك الكثير منها بالفعل، سواء ضد الإرهابيين الإسلاميين أو ضد الكوريين الشماليين. قال لي:

- هذا ليس كل شيء، "ريبا". لقد كنت أفكر في العائلات التي يعيش معها هؤلاء الأطفال، لماذا اختار الرب أن يضع رسله في تلك المنازل؟

أعترف أن في كلامه شيء من المنطق. وليس هذا فقط لأن "بوبي سمول" يعيش في منزل يهودي (رغم أني أعلم أن اليهود من رعايا الرب) ولكن "ستيفيني" أخبرتني أنها قرأت في (إنكوايرر) أن هذا الصبي طفل تخصيب. "لم يولد من صلب إنسان.. غير طبيعي". وهناك أيضاً تلك الحكايات عن البنت الإنجليزية التي قرروا أن تعيش تحت رعاية المثليين في لندن، ووالد الصبي الياباني الذي يصنع تلك الروبوتات. أرتني "داينا" مقطع فيديو لتلك الروبوتات على اليوتيوب؛ وكم صدمت! إنهم تماماً مثل البشر، وماذا قال الرب عمن يصنعون صورة زائفة لمخلوقاته؟ وكذلك كل هذا الكلام الكافر الملحد عن الأرواح الشريرة التي تقبع في الغابة التي تحطمت فيها طائرة "بام". أنا أشعر بالأسى على "بام"، خاصة لموتها في بقعة مروعة كتلك. أنهم يؤمنون بأمور غريبة في آسيا، أليس كذلك؟ مثل أولئك الهندوس وآلهتهم الزائفة التي تتخذ صور الحيوانات ولها أذرع لا حصر لها. هذه وحدها كافية لتصيب المرء بالكوابيس. وبالطبع وضع الأب "لين" كل هذا الكلام على موقعه.

لا أذكر كم مر من الوقت من بعد انتشار رسالة الأب "لين" حينما ذهبت و"ستيفيني" لزيارة "كندرا". كانت قد اصطحبت الكلبة "سنوكي" إلى منزلها، وعرفتني "سيتيفيني" أن واجبنا المسيحي يحتم علينا الاطمئنان على "كندرا". وكلانا يعلم أنها تعاني من مشكلات عصبية وقد تناقشنا كثيراً حول حالتها التي تدهورت، خاصةً مع تدفق الفضوليين على البلدة. اصطحبت "ستيفيني" معها واحدة من فطائرها المميزة، والصراحة أن "كندرا" لم تكن سعيدة لرؤيتنا. كانت قد نظفت الكلبة لتوها، وهكذا لم نجد رائحتها كريهة، نوعاً ما، ووجدناها قد طوقت عنق الكلبة بشريطة حمراء فبدت وكأنها كلبة واحدة من تلك النجمات المشهورة. لم يبد على "كندرا" أنها مهتمة بوجودنا من الأصل. وبقت تداعب الكلبة وكأنها طفلتها. إنها حتى لم تقدم لنا مشروباً.

وكنا نهم بالمغادرة حينما وصل الأب "لين" بسيارته. دلف إلى المنزل مسرعاً، ولم أر في حياتي شخصاً بكل هذا الرضا عن نفسه مثله في ذلك اليوم.

حيَّانا قبل أن يبادرنا:

- لقد فعلتها، "كندرا". لقد فعلتها!

بقيت "كندرا" شاردة، وبدا أنها لم تسمعه، فكان عليّ أنا و"ستيفيني" أن نسأله عن هذا الذي فعله.

- لقد تلقيت للتو مكالمة من د. "لند"! دعاني للتحدث خلال مؤتمره في "هيوستن"!

لم نصدق ما سمعناه! فكلانا يشاهد برنامج الدكتور "ثيودور لند" كل أحد، وكانت "بام" تغار مني لأن "لورن" اشترى لي نسخة موقعة من كتاب الطبخ الشهير لشيري لند، وكان هدية عيد ميلادي.

- أتدرين ما يعنيه هذا، حبيبتي؟

توقفت "كندرا" عن مداعبة الكلبة، وصاحت:

- ماذا الآن؟

فأجابها الأب "لين" بحماس جذل:

- تعرفين ماذا الآن – أخيراً صرت ألعب مع الكبار.

تم نشر المقال التالي، للصحفي ومخرج الأفلام الوثائقية البريطاني "مالكولم أدلشتاين"، في مجلة (سويتش أونلاين) يوم 21 فبراير 2012

أقف في بهو مركز هيوستن للمؤتمرات، حيث ينعقد مؤتمر نبوءة نهاية العالم الإنجيلية، وفي يدي نسخة من الكتاب المقدس على غلافها صورة صياد، وفي انتظار رجل اسمه "فليكسبل ساندي" حتى ننتهي من مسائل تتعلق بالترويج

لروايته الأخيرة. وبالرغم من أن رسم دخول المؤتمر يبلغ خمسة آلاف دولار، إلا أن هناك آلاف من الحضور الذين حضروا من جميع أنحاء تكساس والولايات المجاورة، حتى أنني وجدت في الموقف سيارات تحمل لوحات تينيسي وكنتاكي. ويبدو أنني أصغر الحضور سناً، وبفارق يتجاوز العقدين من الزمان - فهناك بحور من الشعر الأبيض من حولي. أي أنني وبكل اختصار.. غير مرتاح.

خلفية "فليكس ساندي" غريبة. فقبل أن يتحول إلى المسيحية الإنجيلية في أوائل السبعينيات، كان يتمتع بمسيرة مهنية ناجحة في السيرك؛ بهلوان ولاعب ترابيز - يمكنكم أن تتخيلوه نسخة جنوبية من "بي تي بارنوم". وبعد أن وجدت سيرته الذاتية، وقد أسماها "في رباط مع يسوع"، طريقها إلى النجاح في السبعينيات، تقول الأسطورة إن نجم عالم الديانات د. "ثيودور لند" اتصل به حتى يكتب له رواية صارت هي الأولى ضمن سلسلة من الروايات التي تتحدث عن نهاية الزمان. وكتبها على طريقة "دان براون" هذه الأيام، بكل تشويق وإثارة الدنيا، فحملت السلسلة تفاصيل ما سيجري في آخر الزمان واختفاء المؤمنين من الأرض في لمح البصر، فلا يبقى على ظهرها سوى الكفار والملحدين الذين سيواجهون المسيخ الدجال - وقد رسم الشخصية بطريقة تجعلها أقرب شبهاً إلى رئيس الوزراء البريطاني

السابق "توني بلير". وحتى بعد صدور تسع روايات من هذه السلسلة (وبعد بيع قرابة 70 مليون نسخة منها)، لا يزال "ساندي" محافظاً على مكانته القوية. كما أنه أطلق مؤخراً موقعه الإلكتروني: rapturesacoming.com، وهو موقع تخصص في تتبع الكوارث المحلية والعالمية حتى يعرف الأعضاء (وهي عضوية برسوم بسيطة بالطبع) مدى اقتراب العالم من نهايته. وهو يتمتع بجسد قوي مفتول لوّحته الشمس، فلا يبدو عليه أبداً أنه في الثمانين من عمره، بل ربما تصورته في الأربعين. ولم تفارق وجهه الابتسامة وهو يقوم بالتوقيع على نسخ من أعماله لجمهوره المخلص الذي يقف أمامه في طابور طويل. وأملي أن أقنعه بأن يشارك في السلسلة الوثائقية التي أنتجها عن بزوغ حركة نهاية العالم الأمريكية. وبقيت طيلة الأشهر الأخيرة أراسل وكيلته - وهي سيدة كفؤة وتعرف طبيعة عملها جيداً، وتنظر إليّ الآن في تشكك منذ أن وصلت - حتى أرتب لهذا الموعد. وقد ألمحت لي في الأسبوع الماضي أن هناك فرصة لهذا الاجتماع إن أنا حضرت إلى مؤتمر هيوستن حيث سيعلن عن إصدار أحدث رواياته.

ولمن لا يعلم ما أتحدث عنه، فإن نبوءة نهاية العالم تقول بالأساس إننا صرنا في الزمن الذي سيصعد فيه المسيحيون الأتقياء إلى السماء، بينما يواجه بقية البشر سبع سنوات

مرعبة يعانون فيها من المسيخ الدجال. وهذه المعتقدات، المبنية على تفسير حرفي لكلام عدد من الرسل الإنجيليين (ومنهم يوحنا في أسفار الرؤيا وحزقيال ودانيال)، منتشرة إلى حد قد لا يتصوره كثيرون. ففي الولايات المتحدة وحدها، يقدر عدد من يؤمنون بأنهم يعيشون بالفعل في سنوات نهاية العالم بحوالي 65 مليون شخص.

كثير من هؤلاء يخشون التحدث إلى الصحافة غير الإنجيلية، أتمنى - بسذاجة - أن تساعدني لكنتي الإنجليزية في إذابة الجليد بيني وبين "فليكس وكنت ". فأنا بالفعل دفعت ثمناً باهظاً للقاء – خمسة آلاف دولار – ولا يمكن أن أخرج بمجرد كلام موجود في الإنجيل بالفعل. (تصادف أنهم يبيعون في اللوبي نسخة من الإنجيل مخصصة للأطفال، وهناك أخرى للزوجات المسيحيات، وثالثة للصيادين ومحبي الأسلحة، ولكن النسخة التي معي هي التي اجتذبت عيني. ولست أعرف السبب. فأنا لا أهوى صيد السمك). كما أنا وبكل تفاؤل كنت آمل أن أنتهز فرصة موافقة "فليكس" على التحدث معي وأقنعه بأن يقدمني إلى الكبير – د. "ثيودور لند". (وهنا لم يكن لدي الكثير من الأمل؛ فقد أخبرني الزملاء الصحفيين أن فرصة مراقصة رئيس كوريا الشمالية "كيم جونج إل" أكبر من فرصة موافقة "لند" على لقائي). د. "لند" هو ميجا ستار الحركة الإنجيلية، ويمتلك محطة تليفزيون

خاصة، وسلسلة من كنائس (ترو فيث) تجلب له مئات ملايين الدولارات سنوياً، في شكل "تبرعات"، علاوة على أن الرئيس الجمهوري السابق "بيلي بوب" بليك من مريديه. وله تواجد قوي في هوليوود ومع نجومها: القداسات الثلاث التي يقيمها كل أحد لها رعاة عالميين، ويُقدر عدد من يشاهدونه كل أسبوع بأكثر من 100 مليون مشاهد، يتابعون كلامه حول النبوءة. ومع أنهم ليسوا متشددين مثل الحاكميين، إلا أنهم أصحاب حملة نشطة تنادي بأن يحكم الإنجيل الولايات المتحدة (وهو ما يعني تنفيذ حكم الإعدام عقاباً على جرائم الإجهاض، وعلى الشواذ، وكذلك الأطفال سيئي التربية)، ود. "لند" معارض قوي لزواج المثليين، ويجادل فيما يتعلق بالتغير المناخي، ولا يمانع في استغلال تأثيره في توجيه القرارات السياسية، وخاصةً فيما يتعلق بالتعامل مع منطقة الشرق الأوسط.

كان طابور الجماهير التي تنتظر أن يوقع "فليكسبل" على كتبها يتقدم ببطء للأمام. بادرتني السيدة الواقفة أمامي ومن دون سابق معرفة:

- هذه الكتب غيَّرت حياتي.

كان أمامها عربة تسوق كدست فيها مختلف نسخ وطبعات روايات Gone.

- لقد قربتني من الرب.

هكذا دردشنا حول شخصياتها المفضلة (هي تميل إلى شخصية "بيتر كين"، وهو طيار هليوكوبتر عاد إلى إيمانه متأخراً حينما شهد زوجته المؤمنة وأطفاله والطيار المساعد يتحولون إلى أشلاء أمام ناظريه). قلت لنفسي إنه سيكون من باب الخطيئة أن أقف أمام "فليكسبل" من دون أن تكون في يدي نسخة من أحد أعماله، وهكذا سحبت نسختين من فوق منضدة كانت إلى جواري. وإلى جوار تلال نسخ سلسلة Gone، لفت نظري كتاب طهي يُميِّزه غلافه المصقول. كانت على الغلاف صورة لسيدة ممتلئة الجسد ذات عينين ضيقتين في وجه أُجريت له عملية شد حديثة. أدركت أنها "شيري"، زوجة د. "لند"، والتي تشاركه تقديم برنامجه التوك شو الأسبوعي. عادةً ما تتصدر كتب الطهي التي تصدرها قائمة نيويورك تايمز للكتب الأكثر مبيعاً، كما أن كتابها الذي ألفته عن الجنس بمشاركة د. "لند": "الحميمية على الطريقة المسيحية"، كان قد حقق نجاحاً ساحقاً وقت صدوره في ثمانينيات القرن الماضي.

بينما كان "فليكسبل" يتعامل ببراعة مع جمهوره المتحمس، أخذت أتفقد الشاشات والاستاندات الدعائية التي تعرض إعلانات عن المحاضرات والمناقشات وجماعات

الصلاة حسب مواعيدها طوال الأسبوع، وأغلبها كان على شكل صورة بالحجم الطبيعي لأشهر الوعاظ، والذين كانوا نجوم هذا الحدث. وبالإضافة إلى العديد من المحاضرات تحت عنوان "هل أنت مستعد للنهاية؟"، كانت هناك ندوات حول الفكر الخلقي، وكذلك إعلانات عن محاضرات للأب "لين فورهيس"، الوجه الجديد بين جماعة نهاية العالم. وقد أحدث "فورهيس" ضجة كبيرة مؤخراً بين متابعي تويتر، عندما أعلن ومن دون مقدمات أن الأطفال الثلاثة الناجين من كارثة الخميس الأسود هم في الحقيقة ثلاثة فرسان الفرسان الأربعة الذين تحدث عنهم سفر الرؤيا.

وأخيراً، جاء دوري. وجدت وكيلة أعماله تهمس بشيء في أذنه، فتوجه بابتسامة إليّ. والتمعت عيناه الضيقتان وكأنهما زرين أسودين مصقولين.

- من إنجلترا؟ لقد كنت في لندن العام الماضي. إنها بلد كافرة تحتاج إلى من يأخذ بيدها، أليس كذلك يا بني؟

أكدتُ له أنه على حق بالطبع.

- ما المجال الذي تعمل به، بني؟ أخبرتني "باتي" أنك ترغب في إجراء مقابلة، صح؟

عندئذ أخبرته بالحقيقة. وأنني أنتج برامج وثائقية لصالح

التليفزيون، وأنني أود أن أدردش معه ومع د. "لند" حول مسيرتهما.

حدَّق فيّ بتركيز أكبر، وقال:

- هل تعمل مع "بي بي سي"؟

أخبرته أنني عملت من قبل مع "بي بي سي". ولم تكن كذبة في الواقع. فقد بدأت عملي متدرباً في "بي بي سي" مانشستر، رغم أنهم استغنوا عني بعد أسبوعين لتدخيني الحشيش داخل مكان العمل. وفَضَّلت ألا أذكر له ذلك.

استراحت أعصاب "فليكسبل":

- أمهلني قليلاً، بني، سأرى ما يمكنني فعله.

كان هذا أسهل بكثير مما توقعت. أشار إلى وكيلته من جديد، فاقتربت وهي تبتسم له ولي كذلك على ما أظن، وتهامسا ببعض الكلام.

- بني، "تيدي" مشغول جداً حالياً. لكن ما رأيك أن تأتينا في شقتنا بالأعلى في غضون ساعتين؟ وأنا سأحاول أن أرتب لقاءً بينكما. إنه من أشد المعجبين بـ"كافينديش هول".

لم أتبين سبب اهتمام رجل مثله بـ"كافينديش هول"، فهو مسلسل مشهور له جمهور في جميع أنحاء العالم، ولكنني

عرفت أن "فليكسبل ساندي" لا يزال يظن أنني أعمل لـ"بي بي سي". وسارعت بالانصراف قبل أن تدفعه الناشرة إلى تغيير رأيه.

وبدلاً من أن أتوجه عائداً إلى الفندق (ولحسن حظي أن سعر الغرفة مشمول في التذكرة)، قررت أن أحضر واحدة من المحاضرات. كنت متأخراً بنصف ساعة عن محاضرة الأب "لين فورهيس"، ولكنني أخبرت الواقف عند الباب بأنني صديق شخصي لـ"فليكسبل ساندي"؛ فسمح لي أن أدخل.

كانت القاعة وقوفاً فقط داخل قاعة ستارلايت، ولم يظهر لي من الأب "لين فورهيس" سوى قمة رأسه، بينما يتحرك متقدماً ومتأخراً أمام الحاضرين. كان صوته يتهدج بين الجملة والأخرى، ولكن واضح من الكورس الذي يؤمن من خلفه أنه قادر على إيصال رسالته. لدي فكرة نوعاً ما عن أن نظرية الأب "لين" الغريبة هذه أثارت جدلاً قوياً في عالم المصدقين بنهاية العالم، وخاصةً من حركة البريتر، والتي تعتقد – على العكس من غيرها – أن الأحداث التي وردت في سفر الرؤيا قد وقعت بالفعل. وأعلم أن سفر الرؤيا هو أساس كلام الأب "لين" وتأكيداته الغريبة. فحسب نبوءة يوحنا، فإن الفرسان الأربعة سيجلبون الحروب والوباء

والمجاعة والموت، وبدأ الأب "لين" في تعداد العلامات الحديثة والتي يقول إنها تثبت نظريته. ومن بينها حادثة مصرع مصور الباباراتزي وتحوّل جثته إلى كيان حرشفي بعدما اقتحم غرفة مستشفى "بوبي سمول" (هجمات الحيوانات مذكورة كذلك في سفر الرؤيا)، وتفاصيل البلاء الذي حل مؤخراً بمجموعة من السفن فأصاب جميع ركابها بوباء مجهول. واختتم كلامه بزعم مثير للفزع ينبئنا فيه بأن الحرب سرعان ما ستندلع بين الدول الإفريقية وأن إنفلونزا الطيور ستحصد الآسيويين حصداً.

كنت أتوق إلى شراب قوي، فانتهزتُ فرصة تأمينات الكورس وخرجتُ منتظراً موعد لقائي مع "فليكسبل ساندي" و"تيدي لند".

لدهشتي الشديدة وجدتُ د. "لند" بنفسه في استقبالي، ورحب بي إلى داخل جناحه وعلى وجهه ابتسامة أخاذة تكشف عن أسنان هي في حد ذاتها إعلان عن براعة الطبيب الذي أشرف عليها. احتضن يدي بين يديه وهو يرحب بي "أسعدني لقاءك، بني". لاحظتُ لمعة غير طبيعية في بشرته، ذكرتني بالفاكهة المشعة.

- هلا أحضرت لك شراباً؟ أنتم البريطانيون تحبون الشاي، أليس كذلك؟

تمتمتُ بكلمات موافقة، وسرتُ خلفه إلى حيث كان "فليكس" ورجل متأنق آخر يجلسان إلى مقاعد فاخرة وثيرة. سرعان ما أدركت أن ذلك الخمسيني المتأنق هو الأب "لين فورهيس". وكان من الواضح أنه ليس على راحته بين الرجلين الآخرين؛ وكأنه طفل يحاول الالتزام بأرقى السلوكيات أمام الكبار.

بعد التقديمات جلستُ فغاص جسدي في أريكة وثيرة قبالتهم. كانوا يبتسمون إليّ. وكان د. "لند" هو من بدأ الكلام:

- أخبرني "فليكسبل" أنك تعمل لـ"بي بي سي". وأحب أن أعرفك يا بني أنني لست مُغرماً بالتليفزيون، ولكنني مُعجب بمسلسل "كافينديش هول". كانوا ملتزمين بآداب السلوك في تلك الأيام، صح؟ وكانت هناك أخلاق قويمة. وأنت هنا ترغب في عمل برنامج وثائقي، أو شيء من هذا القبيل؟

بادرتُ بالرد، ولكنه أكمل معقباً:

- نحن نتلقى الكثير من طلبات المقابلات. من كل أنحاء العالم. ولكني أقول لك إنه الوقت المناسب لنرسل رسالة إلى إنجلترا.

هممتُ بالرد حينما ظهرت سيدتان لدى الباب المفضي إلى واحدة من غرف النوم. أدركتُ أن الأطول هي "شيري"

زوجة د. "لند" – وكانت شديدة الشبه بالصورة التي على غلاف أحدث كتبها. أما السيدة التي ظهرت من خلفها فكانت نقيضتها تماماً؛ نحيفة كعصا المقشة، وفمها الرفيع يخلو من أثر أحمر شفاه، وقد حملت بين ذراعيها كلبة بودل بيضاء صغيرة.

نهضتُ ولكن د. "لند" أشار إليّ أن أجلس. قدَّم "شيري" وقدَّم الأخرى – "كندرا"، زوجة الأب "لين". لم تنظر "كندرا" ناحيتي، بينما ابتسمت "شيري" في وجهي ابتسامة خاطفة، قبل أن تلتفت إلى زوجها:

- لا تنسى أن "ميتش" في طريقه إلى هنا للقائك، "تيدي".

ثم عقبت وهي تنظر نحوي وعلى وجهها ابتسامة مدروسة:

- سوف نتمشى قليلاً مع سنوكي في الخارج.

وهكذا اصطحبت "كندرا" والكلبة إلى خارج الجناح.

عاد إليّ د. "لند":

- لنتحدث في المهم. ما الذي تخطط لإنجازه، بني؟ ما نوع العمل الوثائقي الذي تنوي تصويره؟

- الحقيقة..

بغتةً، وجدتُ أن العرض التقديمي الذي تدربت عليه

وحفظته عن ظهر قلب قد تبخر من عقلي تماماً، ومن دون سبب واضح. وفي يأس تطلعت نحو الأب "لين فورهيس":

- ربما أمكنني أن أبدأ بـ.. لقد استمعت إلى كلمتك، أبانا "فورهيس".. وكانت.. مشوقة. هل يمكنني أن أسألك عن نظريتك؟

أجابني في ضيق، رغم أن الابتسامة لم تفارقه:

- إنها ليست نظرية، بني. إنها الحقيقة.

لا أدري لماذا كنت أشعر بالتوتر في وجود هؤلاء الثلاثة. ربما هي قوة كامنة في قناعاتهم وشخصياتهم الجمعية – فأنت لا تكون رجل دين من أغنى أغنياء العالم من دون أن تمتلك تلك الكاريزما. ولكنني سيطرث على أعصابي.

- ولكنك حينما تقول بأن الأختام الأربعة قد فضت، أفلا يتناقض هذا مع ما تعتقده؟ بأن الكنيسة ستنتهي قبل أن يجلب الفرسان الهلاك إلى الأرض؟

إن الإسكاتولوجي، دراسة نبوءة نهاية العالم، تزداد تعقيداً بإيقاع متسارع. وقادني البحث إلى الاعتقاد بأن د. "لند" و"فليكسبل" هما من أتباع نظرية الرحيل قبل المحنة، والتي تقول بأن نهاية الكنيسة ستكون قبيل سنوات المحنة السبع (أي قبل أن يهيمن المسيخ الدجال على الأرض ويجلب

التعاسة على من تبقى من البشر). أما الأب "لين" فيعتقد بالرحيل بعد المحنة، حيث يهبط المسيح على الأرض ويبقى فيها شاهداً خلال مرحلة النار والكبريت، والتي يؤمن بأنها قد بدأت للتو.

لانت تقاسيم وجه الأب الوسيم وهو يعدل من طية سترة بدلته، بينما كتم دكتور "لند" و"فليكسبل" بوادر ضحكة، كما لو أنني طفل تفوه بشيء غير مناسب ولكنه مسلي. قال لي "فليكسبل":

- لا يوجد تناقض هنا، بني. نحن نجد في إصحاح متى الرابع والعشرين أن هناك أعراقاً سوف تسود على أعراق وحكومات تعادي حكومات. وستكون هناك مجاعات وزلازل في بقاع مختلفة. فكل هذه هي بداية آلام الولادة.

وتدخل د. "لند" في الحوار:

- إن هذا يحدث في كل مكان. في عصرنا الحالي. ونحن نعلم أن آلام الولادة هذه تشير إلى فض الأختام الأربعة الأولى. ونحن نعلم أيضاً من سفر الرؤيا وسفر زكريا أن الفرسان الأربعة يرسلون في جميع أنحاء العالم. الأبيض إلى الغرب، والأحمر إلى الشرق، الأسود إلى الشمال، والجواد الشاحب إلى الجنوب. الآن وبعد أن تم فض الأختام، سيحل العقاب على آسيا وأمريكا وأوروبا وإفريقيا.

كنتُ أجد صعوبة في استيعاب هذا المنطق، ولكنني نجحتُ في فهم النقطة الأخيرة بعض الشيء.

- وماذا عن أستراليا؟ والأنتراكتيكا؟

ابتسم "فليكسبل" وهز رأسه من عدم فهمي:

- إنها ليست جزءاً من الانحدار الأخلاقي العالمي، بني. ولكن دورها سيأتي. وسوف تجتمع حكومات العالم والأمم المتحدة معاً لتصير هي الوحش متعدد القرون.

اعترتني ثقة، ربما لأنهم لم يطردوني حتى الآن. فأخبرتهم أن المجلس الوطني لسلامة النقل أشار في تقريره إلى أن أسباب الحوادث تعود جميعها إلى أخطاء يمكن تفسيرها – خطأ الطيار، ارتطام الطيور بالمحركات، عطل ميكانيكي – ولا تعود إلى أسباب روحانية (نجحت في أن أنطق بهذه الأخيرة من دون أن أبدو وكأني أتحدث عن كائنات فضائية أو الشيطان).

هَمَّ الأب "لين" بأن يُعَلِّق، ولكن د. "لند" قاطعه:

- سأجيبه أنا على هذا، "لين". أتعتقد بأن الرب غير قادر على أن يجعل تلك الحوادث تبدو وكأنها غير متعمدة؟ إنه يريد أن يختبر إيماننا، وأن يميز بين المؤمن والكافر. ولقد

لبينا نداءه. ولكن دورنا هو أن ننقذ الأرواح، بني، وعندما يعثروا على الفارس الرابع سيكون هذا إيذاناً بأن يُلَبِّي كل متردد النداء.

قلت من دون أن أدري:

- الفارس الرابع؟

- صحيح، بني.

- ولكن أحداً لم ينجو من طائرة إفريقيا.

تبادل الأب "لين" النظرات مع د. "لند"، فأوما له الدكتور أن يتكلم هو.

- نحن نعتقد بأن هناك ناج.

تمتمت بأن المجلس الوطني لسلامة النقل وجميع جهات التحقيق في إفريقيا أثبتت عدم وجود ناجين على الإطلاق في حادثة طائرة "دالو أير".

عندئذ ابتسم د. "لند" ساخراً:

- وهذا ما ذكروه عن بقية الحوادث الثلاث، ولكن انظر إلى أقدار الرب.

سكت قبل أن يسألني السؤال الذي كنت أنتظره منذ

البداية:

- هل أنت مؤمن، بني؟

كان "فليكسبل ساندي" يُحَدِّق فيّ بعينيه الضيقتين، وشعرتُ بأن الزمن عاد بي إلى أيام المدرسة، وأني واقف في ارتباك أمام ناظر المدرسة. راودتني رغبة في أن أكذب وأقول نعم، وأنني مؤمن، ومنيب إلى ربي. ولكنني بُحت لهم بالحقيقة:

- أنا يهودي.

أطرق د. "لند" مستحسناً الرد. ولم تتغير ابتسامة "فليكسبل ساندي". وقال لي د. "لند":

- ونحن بحاجة إلى اليهود. أنتم جزء مهم من الأحداث المقبلة.

أعرف ما يقصده. فبعد النهاية وحكم المسيخ الدجال، سوف يهبط المسيح ليهزم الكفار ويطيح بالمسيخ الدجال عن عرشه. وتلك معركة ستجرى فوق أرض إسرائيل، والدكتور "لند"، مثله مثل العديد من المؤمنين بالنبوءة، مؤيد قوي لإسرائيل. وهو يعتقد، كما جاء في الكتاب المقدس، أن إسرائيل مِلك لليهود واليهود وحدهم، وهو يصر على معارضة أي مبادلة للأراضي وعقد اتفاقات السلام مع

الفلسطينيين وبكل قوة. ولقد أشيع أنه خلال فترة حكم الرئيس "بيلي بوب" بليك، كان الدكتور "لند" يزور إسرائيل بانتظام. وأنا أريد حقاً أن أسأله الذي لم يجرؤ أحد على سؤاله - لماذا يهتم شخص يؤمن حقاً بأن نهاية العالم باتت وشيكة بأن يكلف نفسه عناء التدخل في معترك السياسة؟ ولكن الدكتور "لند" نهض قبل أن أتمكن من صياغة السؤال في عقلي أولاً.

- حسناً، بني. تواصل مع مسؤولة العلاقات العامة، وهي سوف تساعدك.

وهكذا تصافحنا وانصرفتُ. (بعد بضعة أيام عملت بنصيحته واتصلت بها، ولكنني توقعتُ ردها المهذب: "د. لند مشغول في هذه الفترة"، بينما كانت اتصالاتي بفليكسبل ساندي تفضي إلى طريق مسدود).

هكذا غادرتُ المؤتمر وتحت ذراعي نسخة الكتاب المقدس وروايات Gone، ومررت على ثلاثة من الحرَّاس الشخصيين يحيطون برجل يرتدي بدلة أغلى بكثير من بدلة د. "لند". عرفته على الفور. إنه "ميتش رينارد"، حاكم ولاية تكساس السابق، والذي أعلن عن نيته الترشح للانتخابات الرئاسية عن الحزب الجمهوري منذ عدة أسابيع مضت.

مقتطف من موقع rapturesacoming.com الخاص

بفليكس "فليكسبل" ساندي.

هذه رسالة شخصية مني إليكم أيها المؤمنون. لقد أظهر لي أخواي د. "تيودور لند" (والذي لا يحتاج إلى تعريف!) والأب "لين فورهيس"، من مقاطعة "ساناه"، الحق والدليل الذي لا يدحض على أن الأختام الأربعة كما وردت في سفر الرؤيا قد فضت، وأن الفرسان ظهروا في العالم لعقاب الكفار بالمجاعة والوباء والحروب والآفات والموت. وقد يقول بعضكم: ألم تنفض الأختام منذ زمن بعيد؟ أليس العالم في انحلال أخلاقي منذ أجيال؟ أقول بأن هذا قد يكون صحيحاً، ولكن الرب بحكمته أظهر لنا الحق. ولو فكرتم في الأمر، أيها المؤمنون، فإن الأحداث المقبلة هي نفسها التي جرت في "لص في الليل"، الرواية التاسعة من سلسلة Gone، وغني عن القول إن بمقدوركم طلب نسخ منها من خلال هذا الموقع.

وليس هذا كل شيء، سوف ترون أن العلامات ستتوالى بسرعة، وستحدث وقائع كبرى هذا الأسبوع. وإنها لأنباء سارة لنا نحن المتقون المنتظرون لأن نكون إلى جوار يسوع!

فليكسبل

يمكنكم الاطلاع على القائمة الكاملة تحت العناوين عند **الضغط** عليها، ولكن هذه اختياراتنا لكم:

الوباء (النسبة حسب الموقع: 74٪)

الفيروس المسبب للقيء والذي ظهر على متن سفن سياحية وانتشر عبر الولايات المتحدة:

www.news-agency.info/2012/february/norovirus-spreads-to-US-East-Coast

(نوجه الشكر إلى "إسلا سميث" من نورث كارولينا لإرسال هذا إلينا! وفليكسبل يقدر لك إيمانك، "إسلا"!)

الحرب (النسبة حسب الموقع: 81٪)

ما الذي يمكنني قوله؟ فدوماً ستكون الحرب مؤشراً قوياً! فلا تزال الحرب المقدسة على الإرهاب قائمة في أفغانستان وطالعوا هذا الرابط:

www.atlantic-mag.com/worldnews/north-korea-nuclear-threat-could-be-a-reality

المجاعة (النسبة حسب الموقع: 81٪)

يبدو أن مرض جنون البقر انتشر في بقية أنحاء أوروبا. طالعوا هذا العنوان: "الحكومة البريطانية تحذر من جيل جديد من مرض جنون البقر له تأثير مدمر على المزارع".

(المصدر: www.euronewscorp.co.uk/ /footandmouth)

الموت (النسبة حسب الموقع: 91٪)

فنظرت وإذا فرس أخضر والجالس عليه اسمه الموت والهاوية تتبعه واعطيا سلطاناً على ربع الأرض أن يقتلا بالسيف والجوع والموت وبوحوش الأرض. (الرؤيا – 6:8)

كانت هناك مؤخراً سلسلة من هجمات الحيوانات؛ تماماً على النحو المذكور في الآية 6 : 8. طالعوا هذه الروابط:

"مصرع سائح أمريكي سقط فريسة للضباع في بوتسوانا" (www.bizarredeaths.net)

"تأجيل التحريات في قضية مصرع مصور لوس أنجلوس نتيجة هجوم تمساح" (www.latimesweekly.com)

ملحوظة: هذه الحادثة الأخيرة لها أهمية خاصة، لأن المصور كان على علاقة ببوبي سمول، وهو ما يجعل منها واقعة مهمة للغاية! قد تقارب أحداث الحادي عشر من سبتمبر!

لولا كاندو

لم ألتق "ليني" منذ فترة، منذ أن أخبرني عن رسالة "باميلا

ماي دونالد". ثم وجدته يتصل بي ويطلب مني أن ألتقيه في أحد الموتيلات التي اعتدنا الالتقاء فيها. من حظه أن كان لدي موعد تم إلغاؤه. كان أحد الزبائن الدائمين، عسكري متقاعد، أخبرني أنه "مش في المود" وطلب تأجيل اللقاء.

على كلٍّ، في ذلك اليوم دخل "ليني" الغرفة مندفعاً، واختطف من يدي شراباً كنت قد صببته له وشربه وهو يجوب الغرفة بلا توقف. أخبرني أنه عائد حالاً من مؤتمر في هيوستن. كان مثل طفل اصطحبوه إلى ديزني لاند لأول مرة في حياته. وأذكر أنه لم يتوقف عن الكلام على مدار نصف الساعة على الأقل. حكى لي عن صحبته للدكتور "لند"، والذي دعاه للظهور معه في برنامج التوك شو يوم الأحد. وقال إنه تناول العشاء مع "فليكسبل ساندي" – ذلك الذي ألف روايات لم يصدف أن قرأتها. وكان مبسوطاً وهو يحكي لي كيف كانت قاعة محاضرته تعج بمريديه المؤمنين.

سألني وهو يفك ربطة عنقه:

- خمني من كان هناك أيضاً، "لو"؟

لم أجد ما أقول، ولم أكن لأتفاجأ لو أخبرني أن يسوع نفسه كان هناك، خصوصاً مع طريقة كلامه عن أصحابه هؤلاء بكل توقير واحترام.

- "ميتش رينارد". "ميتش رينارد"! بعد أن أعلن د. "لند" عن دعمه له.

لم أكن مهتمة بالسياسة، ولكن مع هذا فقد كنت أعرف ذلك الرجل. شاهدته في أكثر من فترة إخبارية، خصوصاً و"دينيشا" تحب متابعتها. شخص ناعم كالثعبان، كان واعظاً في السابق، يُذكِّرني ببيل كلينتون، فلديه دوماً إجابة مقنعة عن أي سؤال، وكان في السابق أحد أعضاء حزب الشاي. وسلط الإعلام الأضواء عليه منذ أن أعلن عن اعتزامه الترشح للرئاسة من خلال الحزب الجمهوري. وناله الكثير من هجوم الليبراليين لآرائه حول وضع المرأة ورفضه لزواج المثليين.

كانت جذوة الحماس لم تنطفئ بعد في "ليني"، وهو يتحدث عن أن هذه هي فرصته للدخول في عالم السياسة.

- كل شيء ممكن، "لو". يقول الدكتور "لند" إن علينا أن نبذل جهدنا لنجعل الرجل يفوز بالانتخابات، حتى تكون هناك فرصة لإعادة هذه البلاد إلى الدرب القويم.

وبمناسبة الأخلاق، وعن خبرة معه، فلم يكن "ليني" يجد أي غضاضة في أن يتلقى خدماتي ويدفع مقابلها كذلك. ربما لم يكن يعتبر الأمر زناً في الأساس. وهو لا يتحدث عن زوجته كثيراً، ولكن لدي انطباع أنهما في حكم المنفصلين

فيما يتعلق بممارسة الجنس. كما أنه في آخر مرتين التقينا فيهما لم يمارس معي أي شيء؛ فقد كان منشغلاً أكثر بإسماعي ما لديه من حكايات.

هل أعني أن الشهرة لعبت بدماغه؟ أجل، بالتأكيد. بعدما أسس ذلك الموقع الإلكتروني وأصبح على علاقة بالدكتور "لند"، صار مثل صبي حصل على لعبة جديدة استهوته. أخبرني أنه أصبح على صلة بأُناس من جميع أنحاء العالم. حتى من إفريقيا. فهناك شخص يعيش في الجبال يراسله كل يوم، وجندي مارينز في معسكر ما في اليابان. اسمه "جيك" تقريباً. نسيت لقبه رغم كثرة ظهوره في الأخبار، تلك الفترة. حكى "ليني" عنه وكيف أنه كان في تلك الغابة اليابانية التي تحطمت فيها الطائرة. "حيث لفظت "بام" أنفاسها الأخيرة". وقال إن الدكتور "لند" حاول الاتصال بجدة "بوبي"، لأنه كان يريد استضافة "بوبي" في برنامجه أيضاً، ولكن محاولته فشلت. تعاطفت مع السيدة المسكينة. وكذلك تعاطفت معها "دينيشا". إنني لم أكن لأطيق أن تُسلط عليّ كل هذه الأضواء وأنا بعد في فترة حداد.

لم يصمت "ليني" ولو للحظات، وأخذ يحكي لي عن الطلبات التي يتلقاها لإجراء مقابلات؛ برامج توك شو، برامج إذاعة، مدونات إنترنت، ولم يقتصر الأمر على تلك الدينية

فقط. سألته:

- ألم تفكر في أنهم قد يستخفون بآرائك، "ليني"؟

رد بأن فريق العلاقات العامة الخاص بالدكتور "لند" حَذَّرَه وطلب منه توخي الحذر أثناء التعامل مع الصحافة العلمانية، وقال بأنها كانت نصيحة حكيمة. ترين أن مجرد كلامه عن أن هؤلاء الأطفال هم الفرسان وبقية هذا الكلام، سيجعله يبدو معتوهاً في نظر الكثير من عامة الناس.

- إنني أنشر الحق، "لو". فإن أرادوا أن يتجاهلوه فهذا شأنهم. فعندما تأتي النهاية سنرى من يضحك عندئذٍ.

وهكذا لم يكن هناك أي جنس في تلك الليلة. كلام ثم كلام. وذكَّرني وهو يغادرني أن أشاهد برنامج الدكتور "لند" – "صحبة الحق" – في نهاية الأسبوع.

كان لدي فضول أن أشاهد كيف سيتصرف "ليني" في ذلك البرنامج، لذا هيأتُ نفسي لمشاهدته يوم الأحد. لم تفهم "دينيشا" سبب هذا الاهتمام. فأنا لم أخبرها بأن "ليني" واحد من الزبائن. وأنا أحترم خصوصية زبائني، وبالطبع تعتبريني كذابة وأنا جالسة هنا أتحدث إليكِ! ولكنني لم أطلب ذلك، أليس كذلك؟ كما أنني لست من بدأ بالذهاب إلى الصحافة. على كلٍّ، بدأ البرنامج، وظهر الدكتور "لند" عند

منبر الوعظ الكبير المذَّهب، ومن خلفه كورس ضخم. كانت كنيسته في حجم مول كبير، وبدت مزدحمة عن آخرها. كان يُكرِّر النظريات التي حكاها "ليني" عن رسالة "باميلا ماي دونالد"، ويتوقف كل خمس دقائق حتى يمكن للكورس أن يشدو وللجمع أن يؤمّن ويبارك يسوع. عاد ليتكلم عن أننا في زمان حكم الرب، خصوصاً بعد انعدام الأخلاق، وكثرة المثليين ومناصري تحرر المرأة وقتلة الأطفال ومناهج المدارس التي تُرَوِّج لنظرية التطور. بقت "دينيشا" ساكتة وأمسكت نفسها عن التعليق. كنيستها تعلم عن حقيقة مهنتها، وليس لديها مشاكل مع المثليين أيضاً. كانت تقول لي:

- إنهم لا يُميِّزوا بين هذا وذاك، "لو". إن يسوع لم يحكم على أي شخص، أليس كذلك؟ عدا المتعاملين بالربا.

إن رجال الدين المشاهير هؤلاء "مَيَّه من تحت تبن"، ومع كل يوم نسمع عنهم فضيحة جديدة تطول واحداً منهم. ولكن ليس الدكتور "لند". فالناس تعرف عنه أنه نظيف. غير أن "دينيشا" مؤمنة بأنه يمتلك العلاقات الكافية لأن تستر كل غلطاته عن الإعلام؛ فهو يعلم من أين تُؤكل الكتف. ومثلما يقولون: "دافنينه سوا".

بعد خطبته، إتجه الدكتور "لند" إلى بقعة في جانب

المسرح، ديكوراتها على هيئة غرفة معيشة؛ سجاد غالي ولوحات زيتية وأباجورات مذهبة. كان في انتظاره، يجلس على الأريكة كلٌّ من زوجته، "شيري"، و"ليني"، وسيدة نحيفة بدت وكأنها لم تأكل منذ سنين. كانت هذه هي أول مرة أشاهد فيها زوجة الأب "لين".. "كندرا". كانت على النقيض من "شيري"، التي علقت "دينيشا" عليها بأنها تشبه "تامي فاي باكير" (المنشدة الدينية الشهيرة) – بكل هذا المكياج المبالغ فيه والرموش الصناعية والإكسسوارات المبتذلة. ولكن ظهور "ليني" كان لا بأس به. كان متوتراً بعض الشيء، ويتنحنح حتى يحافظ على نبرة صوته، ولكنه لم يفقد رباطة جأشه. كان الدكتور "لند" هو من يتحدث أغلب الوقت. ولم تعلق "كندرا" ولو بكلمة. وحَيَّرتني بالفعل تلك النظرة الجامدة على وجهها. لم أتبين ما إذا كانت متوترة أم لا، أو ربما أصابها الملل.

وافق الأب "لين" (ل) على المشاركة في التوك شو الإذاعي المشهور Mouthing Off للمقدم "إريك كافاناف" (ك) عبر محطة "إن واي سي". وفيما يلي تفريغ نصي لذلك الحوار الذي أذيع في 8 مارس 2012.

ك: معانا على الهوا النهارده الأب "لين فورهيس" من مقاطعة ساناه بولاية تكساس. أبونا.. بالمناسبة هل تسمح لي

أن أناديك باللقب ده النهارده؟

ل: بالطبع، سيدي، لا بأس على الإطلاق.

ك: دي أول مرة يناديني فيها أي أحد بكلمة "سيدي". لازم اعترف لك إنك أكتر حد مؤدب حاورته في البرنامج ده. بقيت مشهور جداً يا أبونا على تويتر. رأيك إن مفيش مانع في أن يستغل رجل دين موقع تواصل اجتماعي بالشكل ده؟

ل: أعتقد إن علينا استغلال أي وسيلة ممكنة لنشر الحق والخير، سيدي. ومنذ أن تلقيت تلك الرسالة والناس تتدفق على مقاطعة ساناه، يريدون الخلاص. وهم يحتشدون بالفعل داخل كنيستي. (يضحك)

ك: بتفكرني بمشهد من فيلم "الفك المفترس". لازم تبني لهم كنيسة أكبر أكيد، مش كده؟

ل: (يسكت قليلاً) لست متأكداً من قـ..

ك: نرجع دلوقتي للكلام اللي بتنادي بيه. فيه ناس ممكن تقول إن اعتقادك إن الأطفال الناجين هم الفرسان هو مجرد – واعذرني في الوصف لأني مش لاقي غيره – نصب وكلام فاضي.

ل: (يضحك بعصبية) الحقيقة إن الوصف ده وبالطريقة دي

ما ينفعـ..

ك: هل صحيح إن اللي أوحت لك بالنظرية دي هي واحدة من رعايا كنيستك، "باميلا ماي دونالد"، الراكبة الأمريكية الوحيدة اللي كانت في الطيارة اليابانية اللي وقعت في الغابة، بعد رسالتها اللي سجلتها على محمولها؟

ل: آه.. هذا صحيح، سيدي. فرسالتها كانت موجهة إليّ وكان معناها واضح بالنسبة لي وضوح الشمس. قالت لي: "أبونا "لين".. حَذِّرهم من الصبي". والصبي الوحيد الذي كانت تقصده هو ذلك الصبي الياباني الناجي الوحيد من الحادثة. الناجي الوحيد. ثم هناك شعار الطائـ..

ك: لكن هي في رسالتها اتكلمت برضه عن كلبتها. فإذا كنت تعتقد إن الصبي الياباني من علامات نهاية العالم، فده بالتأكيد معناه إنك مؤمن برضه بإن فيه شيء إلهي في كلبة عيلتهم، مش كده ولا إيه؟

ل: (ثواني من الصمت التام) مش هقدر أكمل بالطريقـ..

ك: على الويب سايت بتاعك، باميلا بروفيت دوت كوم – وبالمناسبة، أنصح المستمعين إنهم يزوروا الموقع ده.. نصيحة عن ثقة – بتقول إن فيه حقائق مساندة لكل اللي بتنادي بيه. علامات على أن العذاب اللي هيحل على

الرض من خلال الفرسان بدأ يحصل بالفعل. وأنا هَدي مثل لمستمعينا اللي يمكن يكونوا مسمعوش بتفاصيل نظريتك. إنت بتقول إن تفشي مرض جنون البقر في أوروبا سببه ظهور الفرسان، صح؟

ل: صح، سيدي.

ك: لكن المرض ده مش جديد؟ بريطانيا اتعرضت لنفس المرض من سنين فاتت.

ل: لكن هذه ليست العلامة الوحيدة، سيدي. إذا قمت بتجميع العلامات فهتشوف بوضوح إن هناك علاقة بينـ..

ك: والعلامات اللي انت بتقول إنها كلها بتشير إلى أن نهاية العالم هتكون بعد خلاص جميع المؤمنين. هل معنى ده إنكم - أقصد الإنجيليين - منتظرين الحدث ده؟

ل: لا أعتقد أن كلمة منتظرين هي الوصف الصحيح، سيدي. فمن المهم أن أعرف مستمعيك أنهم من خلال العودة إلى الـ..

ك: إذن العلامات دي هي طريقة الرب في إنه يعرفنا إن خلاص كل شيء انتهى، وإما نؤمن أو نتحرق في الجحيم للأبد؟

ل: أوه.. أنا مش متأكد..

ك: لكن معتقداتك كانت هدف لهجوم رجال الدين التقليديين. كتير منهم قال إن اللي بتقوله ده، وأنا هنا بانقل كلامهم بالحرف، "مجرد هراء غرضه نشر الخوف".

ل: سيبقى هناك مشككين، سيدي، ولكنني أحث مستمعيك على أ..

ك: ورغم كده فيه ضهر جامد إنت بتستند إليه. قصدي الدكتور "ثيودور لند" زعيم حركة نهاية العالم. هل صحيح إنه كان بيطلع في رحلات صيد مع الرئيس السابق "بيلي بوب بليك"؟

ل: أوه.. الأفضل إنك تسأله هو عن الموضوع ده، سيدي.

ك: أنا مش محتاج أسأله عن رأيه في حقوق المرأة، وعن اتفاقيات السلام الإسرائيلية، وعن الإجهاض، وعن زواج المثليين. هو بيرفض كل ده تماماً. ده رأيك برضه؟

ل: (صمت طويل آخر) رأيي إن علينا الرجوع إلى الكتاب المقدس ليرشدنا في تلك المسائل، سيدي. ففي سفر الأحبار يقو..

ك: مش سفر الأحبار ده اللي مبيحرمش تجارة العبيد

وامتلاكهم، وبيقول إن الولد اللي يجادل أبوه عقابه الرجم؟ ليه بتتكلموا بس عن الجزء المتعلق بالمثليين، وتسكتوا عن بقية الأجزاء؟

ل: (سكوت لثواني) سيدي.. أنا أرفض طريقة كلامك. أنا حضرت برنامجك لكي أخبر المستمعين أن الوقت قد حـ..

ك: سيبنا من النقطة دي. نظريتك عن "الثلاثة" مش هي السبب الوحيد للضجة اللي حواليك. فيه كثير من المهاويس بيقولوا إن الأطفال دول ملبوسين من كائنات فضائية. ليه بتعتبر إن نظريتهم مجنونة وإن نظريتك إنت هي الصحيحة؟

ل: أنا لست متأكداً من..

ك: الأطفال الثلاثة مجرد أطفال، مش كده؟ هو مش كفاية اللي جرالهم؟ مش المفروض إن المسيحية ترفض التعامل معاهم والحكم عليهم بالطريقة دي؟

ل: (سكوت طويل آخر) أنا مش عارف إنت..

ك: لنفرض إنهم ملبوسين، فهل بكده تكون روحهم الحقيقية لسه جوه أجسادهم؟ ولو كده، هيبقى كل جسد فيه روحين، مش كده؟

ل: الرب.. يسوع له حكمته وطريقته وليس لنا أن نـ..

ك: آه.. وصلنا للجملة المتكررة.. "الرب له تصاريفه التي لا نعقلها".

ل: أوه.. ولكن لا يمكنك.. لا يمكنك أن تتجاهل العلامات التي.. وإلا قل لي، كيف أمكن لهؤلاء الأطفال النجاة من كوارث مثل هذه؟ إنها..

ك: هل صحيح إنك مؤمن بإن هناك طفل رابع نجا من حادثة إفريقيا؟ الفارس الرابع يعني؟ وإنت بتقول كده رغم إن التحقيق الرسمي لمجلس سلامة النقل أكد بما لا يدع مجالاً للشك إن الحادثة دي مفيش حد نجا منها؟

ل: (يتنحنح) أوه.. موقع الحادث.. كانت هناك ربكة كبيرة هناك. وإفريقيا.. إفريقيا..

ك: طيب إزاي تَمَكَّن الفرسان من إسقاط الطائرات؟ من الناحية العملية يبدو إن دي مهمة صعبة جداً، مش كده؟

ل: مممم.. لا يمكن أن أؤكد لك أي شيء. ولكن كل ما أقوله لك هو إنهم عندما ينشرون تقارير الحوادث، سوف نجد علامات على .. على..

ك: على وجود قوة خارقة؟ زي ما بيقول أصحاب نظرية

الكائنات الفضائية؟

ل: إنت بتلعب بكلامي، سيدي. أنا لم أقصد أن..

ك: أشكرك كل الشكر، الأب "لين فورهيس". دلوقتي هنفتح الباب قدام اتصالات المستمعين بعد هذا الفاصل.

تحدث "أيس كيلسو"، محقق المجلس الوطني لسلامة النقل، إليّ ثانيةً، حديثاً مطولاً بعد الكشف عن النتائج الأولية للتحقيقات في جميع الحوادث الأربعة، عبر مؤتمر صحفي انعقد في واشنطن بولاية فيرجينيا يوم 13 مارس 2012.

كما ذكرت في المؤتمر الصحفي، فقد كانت من المرات النادرة التي نقوم فيها بالكشف عن النتائج التي توصلنا إليها في زمن قصير. ولكن هذه قضية خاصة – كان الناس في حاجة إلى التأكد من أن هذا الحادث ليس إرهابياً أو ناجماً عن أحداث خارقة للطبيعة، وكانت أُسر الناجين بحاجة إلى طي هذه الصفحة من حياتهم. لن تصدقي عدد المكالمات التي تلقاها مكتب واشنطن من "معاتيه" على قناعة تامة بأننا نتعاون بشكل وثيق مع جهات حكومية سرية شريرة. ولا ننسى بالطبع أن "الخميس الأسود" ألحق بصناعة الطيران خسائر مالية كارثية، وكانوا بحاجة إلى العودة إلى المسار الصحيح. هل سمعتي عن أن هناك شركات طيران،

معدومة الضمير، قررت أن تستفيد مادياً من حقيقة أن جميع الناجين الثلاثة كانوا يجلسون قرب الجزء الخلفي من الطائرة؟ وقامت بتحديد سعر أعلى لتذاكر المقاعد في المؤخرة؛ بل وفكرت في نقل الدرجة الأولى ودرجة رجال الأعمال إلى ذلك الجزء لتعويض الأرباح المفقودة.

وكان واضحاً لنا منذ وقت مبكر أن الإرهاب خارج اللعبة. أدركنا من خلال عملية انتشال الجثث وتفقد الحطام أن أيّاً من الطائرات الأربع لم تتعرض لتفجير مفاجئ وهي في مسارها في الجو، وهو الأمر الذي ينجم عن تنشيط عبوة ناسفة. وبالتأكيد درسنا سيناريو الاختطاف في البداية، ولكن لم تُعلن أي منظمة مسؤوليتها عن أي حادث.

كما تعلمين، فلا يزال العمل جارياً وعلى نطاق واسع لأجل العثور على جهاز تسجيل قمرة القيادة أو الـ CVR والصندوق الأسود الخاص بطائرة "جو جو"، ولكننا واثقون من أننا صرنا على دراية بتسلسل الأحداث التي أدت إلى الكارثة. أولاً، ومن واقع مسار الرحلة وبيانات الطقس، نعلم أن الطائرة كانت تحلق وسط عاصفة رعدية شديدة. وكان آخر اتصال من الطائرة، وهي رسالة آلية من جهاز القياس الآلي إلى المركز التقني بشركة الطيران، يشير إلى أن الطائرة تعرضت لأعطال كهربائية متعددة، أبرزها في نظام التدفئة

الثابت. وأدى هذا إلى تشكيل بلورات الثلج في المنافذ الثابتة، وهذا بدوره أدى إلى قراءات غير دقيقة لسرعة الطيران. واعتقاداً منهما أن سرعة الطيران كانت منخفضة جداً، قام الطياران بزيادة سرعة الطائرة تدريجياً لتجنب وصول السرعة إلى الصفر. ونحن نعتقد أنهما استمرا في ذلك حتى تجاوزا قدرات الطائرة، وأدى هذا إلى أن تفقد الطائرة جناحيها بالفعل. ونحن نكاد نكون على يقين من أن إصابات وحروق "جيسيكا كرادوك" ناجمة عن حريق الوقود بعد وقوع الحادث، أو عن حريق ناجم عن عطل.

أما طائرة "دالو أير" فقصتها مختلفة. حيث تشير سلسلة العوامل التي أدت إلى ذلك الحادث إلى أن الطائرة لم تكن سوى حادثة تنتظر الوقوع. ونبدأ من التصميم، حيث يعود تصميم الطائرة التي هي من طراز أنتونوف أيه إن 124 إلى سبعينيات القرن الماضي، أي أنها على مسافة سنوات ضوئية من التكنولوجيا التي صارت تستخدمها طائرات أيرباص. وكانت الطائرة تحت تشغيل شركة نيجيرية أغلب رحلاتها عبارة عن رحلات شحن بضائع، وسجل السلامة لديها به الكثير من الثغرات. ولن أخوض في العديد من التفاصيل الفنية هنا، ولكن من الواضح أن نظام الهبوط الآلي بمطار كيب تاون الدولي لم يكن يعمل في ذلك اليوم. كما أن طراز أنتونوف لم يكن متوافقاً مع أجهزة الملاحة الحديثة مثل

نظام LNS، وهو غير مجهز للتعامل مع نظام الأساليب البديلة. وقد أساء الطياران التعامل، حتى وصلا إلى ارتفاع منخفض قدره حوالي مائة قدم، وعلق الجناح الأيمن بكابلات الضغط العالي فهوت الأنتونوف على بلدة كثيفة السكان قريبة من أرض المطار. وعليّ أن أقول بأننا أعجبنا بالطريقة التي تعامل بها المحققون في جنوب إفريقيا وفريق إدارة الكوارث هناك. كانوا خبراء مهرة. لا تتخيلين وجودهم في دولة من دول العالم الثالث. حيث قام رئيس المحققين – اسمه "نومافو نكاتا" (لا أعتقد أنني أنطق الاسم بصورة صحيحة، "إلزبيث"!) – بجمع شهادات شهود العيان فور وقوع الحادث، كما أن هناك كثيرون صوروا لحظات ما قبل الارتطام بكاميرات تليفوناتهم المحمولة.

كان على المحققين الانتهاء من مهمة التعرف على جثث القتلى في موقع الحادث. ويبدو أن الكثير منهم كانوا من اللاجئين أو طالبي اللجوء، وبالتالي كانت مهمة شبه مستحيلة أن يتعقبوا أفراد الأسرة للقيام بمضاهاة الدي إن أيه. وقد عثروا على الـ CVR. وهناك من قام بجمع حطام الطائرة وباعه على هيئة قطع صغيرة للسياح، هل تصدقين هذا؟ ولكنني أعود فأحيي ذلك الفريق.

الآن أتناول حادثة طائرة "مايدين أير"، وهي التي كنت

أتولاها قبل أن يطلبوا مني الإشراف على التحقيقات جميعها. ما لدينا من أدلة يشير إلى أن الطائرة عانت من انقطاع للكهرباء في كلا المحركين، ربما بسبب ارتطام العديد من الطيور بهما. حدث هذا تقريباً بعد دقيقتين من الإقلاع، والتي هي المرحلة الأكثر ضعفاً في الرحلة. وعجز الطياران عن العودة إلى المطار فتحطمت الطائرة في "إيفرجليدز" بعد ذلك بحوالي ثلاث أو أربع دقائق. عثرنا على الصندوق الأسود لتلك الرحلة، ولكننا لم نتمكن من استخلاص البيانات لتلفها، ولم نجد أية آثار تدل على ارتطام طيور بمحركات الطائرة. وتبعاً لتوصياتي، قرر المجلس أن عطل المحركين ناجم عن ارتطام الطيور، وأن هذا هو السبب الأقرب لوقوع الحادث.

نأتي الآن إلى الحادث الأكثر إثارة للجدل. أقصد حادث طائرة "صن أير". كثيرة هي الشائعات التي انتشرت حول سبب الحادث – وأبرزها الأكاذيب حول النزعة الانتحارية للكابتن "سيتو" وأنه أسقط الطائرة عن عمد. وعلاوة على ذلك، فقد صرحت زوجة وزير النقل الياباني علانيةً أنها تعتقد بأن للكائنات الفضائية دور في الحادث. وكان الضغط علينا كبيراً حتى ننتهي من التحقيق في أسرع وقت ممكن. وقد عثرنا على الـ CVR والذي أشار إلى أن الطائرة قد فقدت هيدروليكيتها، وعرفنا من الصندوق الأسود أن

الطائرة سقطت بسبب عيوب في تصنيعها. وقد أدى عدم اتباع الإجراءات الأساسية لإصلاح قسم الذيل في تطاير المسامير. وكانت هناك عيوب في السلامة الهيكلية لجسم الطائرة، مما أدى إلى انخفاض مباغت وهائل في الضغط بعد الإقلاع بحوالي أربع عشرة دقيقة. كما تضررت الدفة وانهارت هيدروليكية الطائرة، وعندما يحدث ذلك، يكون توجيه الطائرة ضرباً من المستحيل. وقاتل الطياران لإنقاذ الطائرة وبذلا أقصى ما في وسعهما. وقد أعجبت بما قاما به. وأجرينا اختباراً مقارناً في جهاز المحاكاة، ولم يتمكن أحد من إبقاء الطائرة في الجو لفترة تقارب الفترة التي أبقى الطياران خلالها الطائرة في الجو.

وبطبيعة الحال، كان علينا أن نرد على مئات الأسئلة في المؤتمر الصحفي، فأغلب المراسلين يريد أن يعرف مصدر ذلك الضوء الوامض الذي ذكر بعض الركاب أنهم شاهدوه. وهناك أكثر من تفسير لمصدر ذلك الضوء. وأقربها هو البرق. ولذلك قررنا أن ننشر التفريغ النصي لمحتوى جهاز CVR في أسرع وقت ممكن، حتى ننتهي من تلك الشائعات.

تم نشر هذا التفريغ النصي، لمحتوى جهاز تسجيل قمرة القيادة لطائرة "صن أير" الرحلة رقم SAJ678، لأول مرة على الموقع الإلكتروني للمجلس الوطني للنقل والسلامة،

يوم 20 مارس 2012.

الاختصارات:

ك: كابتن

م: مساعد الطيار

ب: برج المراقبة الجوية

يبدأ النص من الساعة 21:44 م (بعد مرور 14 دقيقة على الإقلاع من مطار "ناريتا")

م: نجتاز مستوى التحليق ثلاثة ثلاثة صفر، كابتن، وباقي 1000 قدم. يبدو أنه سيكون من المريح أن نحلق عند ثلاثة أربعة صفر، فلا توقعات CAT كبيرة.

ك: جيد.

م: هل لديك..

[صوت انفجار عال. وانطلاق صفارات إنذار فقدان اتزان الضغط الجوي]

ك: الكمامة! ضع الكمامة!

م: وضعت الكمامة!

ك: نحن نفقد ضغط الكابينة، هل يمكنك التحكم فيه؟

م: الكابينة عند ضغط 14 ألف بالفعل!

ك: راجع المانويل واغلق صمام التدفق. يبدو أن لدينا انهياراً في الضغط.

م: كابتن، لابد أن نهبط بالارتفاع!

ك: حاول مجدداً.

م: الصمام مغلق تماماً، ومن غير المكن أن أتحكم فيه!

ك: هل أغلقت صمام التدفق؟

م: بالتأكيد!

ك: أوكيه. مفهوم. قم بتعريف برج المراقبة بأننا سنقوم بهبوط طوارئ.

م: ماي داي، ماي داي، ماي داي – إس إيه جيه ستة سبعة ثمانية ستقوم بهبوط طوارئ. وقع انهيار في الضغط الجوي.

ب: عُلم. ماي داي إس إيه جيه ستة سبعة ثمانية، يمكنكم الهبوط، لا يوجد مسار آخر يعيقكم. ستاند باي.

ك: معي التحكم. أي مستوى نحن فيه؟

م: المستوى 140

ك: نقوم بفصل الطيار الآلي، ثبت مستوى التحليق 140

م: تم التثبيت عند 140

[صوت الكابتن في الإنتركم الموجه للركاب]

ك: السيدات والسادة، الكابتن يتحدث إليكم. لقد بدأنا في عملية الهبوط الاضطراري. برجاء ارتداء أقنعة الأكسجين واتباع تعليمات طاقم الطائرة.

ك: تنفيذ الهبوط الاضطراري، تثبيت عجلة القيادة، وتشغيل مكابح السرعة. اقرأ قائمة فحص الهبوط الاضطراري.

م: تم تثبيت عجلة القيادة، تم تشغيل المكابح، وتحديد الوجهة، واختيار المستوى الأدنى، وتحويل المفاتيح إلى وضعية الاستمرار، وإضاءة مصباح حزام المقعد، ومفتاح الأكسجين، ونحن عند 7700، تم إخطار برج المراقبة.

ك: لا يمكنني التحكم في الوجهة – الطائرة تنحرف نحو اليمين. لا أستطيع موازنة الجناحين!

م: الدفة أم الجنيح؟

ك: لدي جنيح أيسر كامل لا يستجيب!

م: التحذير الرئيسي للهيدروليكية. سألغي الضوء. لقد فقدنا الهيدروليكية، ولدي أضواء الضغط المنخفض نظام أ ونظام

ب! سأقرأ قائمة فحص الهيدروليكية.

ك: أعد لي بعضاً من الهيدروليكية!

م: [غير واضح]

ك: سأحاول تنشيط المحركين ثلاثة وأربعة.

م: يبدو أننا فقدنا نظام الاستاند باي. وجميع الكميات الهيدروليكية فارغة!

ك: لا تتوقف عن المحاولة.

م: أمامنا 2000 قدم لموازنة الطائرة.

م: 1000 قدم لموازنة الطائرة!

[صوت إنذار انخفاض ارتفاع الطائرة]

ك: إنني أقوم بتفعيل مكابح السرعة وتنفيذ المزيد من الدفعات على المحركين واحد واثنين.

م: مقدمة الطائرة تنحرف للأسفل - ارفعها!

ك: إنها لا تستجيب! مزيد من الدفعات لإبطاء السقوط.

ك: حسناً. بدأت تتوازن - ولكنني لا زلت غير مسيطر على التوجيه. الطائرة ما زالت تنحرف نحو اليمين.

م: جَرِّب مزيداً من الدفعات على المحركين ثلاثة وأربعة.

ك: حسناً. مزيد من الدفعات على ثلاثة وأربعة..

ك: لا فائدة من ذلك – لا زالت تتجه بقوة نحو اليمين!

ب: ماي داي إس أيه جيه ستة سبعة ثمانية، ما هي وجهتكم؟

م: ماي داي إس أيه جيه ستة سبعة ثمانية. لقد فقدنا الهيدروليكية، سنعاود الاتصال بكم.

ك: فقدنا الدفة!

م: علينا استخدام الإرجاع اليدوي!

ك: يبدو أننا على الإرجاع اليدوي بالفعل! إنني أفقد السيطرة. دعنا نجرب تخفيف السرعة 300 عقدة.

م: المقدمة تهوي مجدداً!

ك: هل هناك مجال جوي قريب منا؟

م: الـ..

ك: دفعات أكثر على ثلاثة وأربعة!

[صوت تحذيرات GPWS الصوتية.. ووب ووب.. اسحب. ووب ووب.. اسحب.. الأرض قريبة جداً.. الأرض قريبة جداً..

ووب ووب.. اسحب.. ووب ووب.. اسحب.. الأرض قريبة جداً]

ك: دفع كامل على جميع المحركات الأربعة.. اسحب! اسحب!

م: [سباب]

ك: اسحب! اسحب!

[هنا ينتهي التسجيل]

تم نشر المقال التالي في موقع Crimson State Echo يوم 24 مارس 2012

قس نهاية العالم يبدأ البحث عن "الفارس الرابع"

في مؤتمر صحفي عُقِدَ مؤخراً في هيوستن، أعلن الدكتور "ثيودور لند"، واحد من أبرز رجالات حركة نهاية العالم الإنجيلية، أمام جمع من الصحافة العالمية عن أن: "الفارس الرابع قد خرج وإنها فقط مسألة وقت قبل أن يتم العثور عليه". وهنا يشير الدكتور "لند" إلى النظرية التي أعلن عنها لأول مرة أحد القساوسة المغمورين في ولاية تكساس، ومن أن الأطفال الثلاثة الذين نجوا بمعجزة من أحداث طائرات الخميس الأسود المنكوبة قد تلبسهم فرسان نهاية العالم،

الذين بعثهم الرب إيذاناً بنهاية الأزمنة. وقد استند في نظريته إلى الكلمات الأخيرة لباميلا ماي دونالد، المواطنة الأميركية الوحيدة التي كانت على متن الطائرة التي تحطمت في "غابة الانتحار" في منطقة أوكيجاهارا سيئة السمعة في اليابان. ويصر الدكتور "لند" وأتباعه على أنه لا يوجد أي تفسير آخر لما أسموه بمعجزة الثلاثة، ويعتقدون أن الأحداث العالمية المختلفة، مثل تلك الفيضانات غير المسبوقة في أوروبا وموجة الجفاف في الصومال والوضع المتصاعد في كوريا الشمالية، كلها علامات على نهاية وشيكة للعالم.

والآن ألقى الدكتور "لند" بياناً غريباً قال فيه إن هناك طفلاً آخر - فارس رابع - نجا من كارثة طائرة "دالو أير" في كيب تاون بجنوب إفريقيا. واستشهد بقائمة نُشرت مؤخراً لأسماء ركاب تلك الرحلة، وقال بأنه كان هناك على متن الرحلة طفل واحد فقط عمره مقارب لعمر الأطفال الثلاثة الذين نجوا من الكوارث الأخرى - صبي نيجيري عمره سبع سنوات واسمه "كينيث أودواه": "إننا نؤمن بأن "كينيث" فارس آخر من فرسان الرب".

وتجاهل الدكتور "لند" بياناً صدر عن هيئة الطيران المدني في جنوب إفريقيا يؤكد على "عدم وجود أي ناجين من

حادثة الرحلة 467 لطائرة دالو أير".

"لسوف نعثر عليه. لقد عمت الفوضى موقع الحادث. وإفريقيا فوضى أصلاً. ومن السهل أن يتوه الطفل أو يُهمل. وحينما نعثر عليه فسيكون هذا هو الإثبات القاطع لكل متردد لم ينضوي تحت جناح يسوع بعد".

وحينما سألوه عن معنى كلامه، قال:

"عليكم أن تلتحقوا بركب المؤمنين حينما يظهر المسيخ الدجال، وإلا فإن معاناة تفوق الخيال هي بانتظاركم. وكما ورد في تسالونيكي: (ولكن سيأتي مثل لص في الليل يوم الرب الذي فيه تزول السماوات بضجيج وتنحل العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها)، ويسوع ينادي علينا الآن في كل يوم".

مكافأة 200 ألف دولار أمريكي !!!

لم يُعثر على "كينيث أودواه"، راكب نيجيري يبلغ من العمر سبع سنوات كان مسافراً على متن طائرة شحن وركاب من طراز أنتونوف تحطمت في بلدة "خاييليتشر"، في كيب تاون بجنوب إفريقيا يوم 12 يناير 2012. ويُعتقد أن "كينيث" غادر ملجأ الأطفال الذي نقلوه إليه بعد الحادث وحالياً قد يكون هائماً على وجهه في شوارع كيب تاون.

وحسب أقوال خالته "فيرونيكا أليسي أودواه"، فإن سمات "كينيث" المميزة هي: رأس كبيرة، بشرة سوداء داكنة، وندبة على شكل هلال في فروة رأسه. فإذا كنت تعرف مكانه أو تعتقد ذلك، فيرجى التواصل مع الموقع findingkenneth.net أو الاتصال على الرقم التالي وترك رسالة: 007-896-5437-7646 وهي مكالمة بالسعر العادي.

الجزء الخامس

الناجون

مارس

تشيوكو و رو

رسالة مسجلة في الساعة 16:30 – 5 مارس 2012

رو: كنتي فين طول النهار؟ كنت قلقان عليكي.

تشيوكو: جالنا النهارده ستة إزوكو((3)).

رو: في وقت واحد؟

تشيوكو: لأ. فيه اتنين جم الصبح؛ والباقي متفرقين. موضوع متعب. ماما بتقوللي إن احنا لازم نعاملهم باحترام دايمًا. وعارفة إن حالتهم صعبة، بس إزاي فكّرت إنها تخلي "هيرو" يسمع لهم طول النهار؟

رو: وكان شعوره إيه؟

تشيوكو: أكيد كان الموضوع ممل بالنسبة له. كلهم كانوا بينظروا له في حرج وينحنوا له، وبعدها يسألوا الأسئلة نفسها من غير تغيير: "هل كانت موتة "يوشي"، "ساكورا"، "شينجي"، أو فلان أو علان موتة سريعة مريحة؟ هل قالوا

أي حاجة قبل ما يموتوا؟" وكأن "هيرو" عارف هم مين! كنت مرعوبة قوي، "رو".

رو: لو كنت مكانك كنت اترعبت برضه.

لو كانوا جم وماما بره مكنتش هاسمح لهم يدخلوا. ماما كانت في الزيارات اللي قبل كده. كل شوية تنبههم إنه لسه مش قادر يتكلم، ولكن ولا كأنهم سامعينها. النهارده خليتها في المطبخ بتجهز الشاي وقلت اعمل تجربة. قلت لهم إنه في الحقيقة بيتكلم، بس هو خجول. وقلت لهم إنه بيقول لنا إن مكنش فيه حد خايف أو مرعوب والطيارة بتقع وإن محدش اتعذب إلا الأمريكية واتنين تانيين نجوا بس ماتوا في المستشفى. هل تعتبر ده تصرف شرير مني؟

رو: إنتي قلتي لهم اللي هم عايزين يسمعوه. أنا شايف إن ده تصرف طيب منك.

تشيوكو: أوكيه، طيب.. أنا قلت كده بس لإني كنت عايزاهم يمشوا. أنا مش كل شوية اقعد أقدم شاي وارسم على وشي الحزن والتعاطف معاهم. آه.. كنت عايزه أقول لك. إنت عارف إن أغلب الإزوكو اللي جم عشان يشوفوا "هيرو" كانوا من العواجيز. لكن النهارده كانت فيه واحدة شباب. وأقصد بشباب هنا إنها بتقدر تمشي من غير عكاز وما أغماش عليها لما قدمت الشاي بطريقة مخالفة للتقاليد.

قالت لنا إنها زوجة الراجل اللي كان قاعد جنب الأمريكية في الطيارة.

رو: أنا عارف تقصدي مين.. "كيبيتا إتو". ده ساب رسالة، مش كده؟

تشيوكو: أيوه. أنا قريت الرسالة مرة تانية لما هي مشيت. ملخصها إنه كان بيعاني من رغبة في الانتحار قبل ما يركب الطيارة.

رو: تفتكري مراته كانت عارفه إنه كان كده قبل ما يموت؟

تشيوكو: الأكيد إنها بقت عارفة دلوقتي.

رو: الموضوع صعب عليها. إيه اللي كانت عايزه تعرفه من "هيرو"؟

تشيوكو: العادي. كانت عايزه تعرف إن كانت تصرفات زوجها وقت الحادثة تدل على شجاعته ولا لأ، وإذا كان قال أي شيء تاني غير اللي سابه في الرسالة. كانت بتسأل بطريقة عادية ومن غير إلحاح. أفتكر إنها كانت متشوقة أكتر إنها تشوف "هيرو". وكأنه شو مثلاً. الحكاية دي هتجنني.

رو: قريب هيبطلوا ييجولكم.

تشيوكو: تفتكر؟ دول خمسميت واحد ماتوا في الحادثة. يعني فيه مئات العائلات اللي لسه ممكن يحضروا.

رو: متفكريش بالطريقة دي. على الأقل دلوقتي عارفين سبب الحادثة. وده ممكن يقلل العدد.

تشيوكو: طبعاً. يمكن تكون صح. أتمنى إن بال زوجة الطيار يكون ارتاح.

رو: الظاهر مأثرة فيكي جامد.

تشيوكو: طبعاً. أنا بافكر فيها كتير.

رو: إيه السبب تفتكري؟

تشيوكو: لأني عارفة طبيعة إحساسها. إن الكل يهاجمك، ويتهمك بأفظع الاتهامات.

رو: وده حصل لك لما كنتِ في أمريكا برضه؟

تشيوكو: إنت بتحب تنبش ورا أي معلومة، مش كده؟ ولكن إجابتي هي لأ، مفيش حد وجّه لي اتهامات وأنا في "الستيتس".

رو: كان ليكي أصحاب هناك؟

تشيوكو: مجرد معارف. إنت عارف إني بامل من البشر،

"رو". والأمريكان مش استثناء. رغم إني أعرف إنك معجب بيهم.

رو: بالتأكيد لأ! إيه اللي خلاكي تفكري كده؟

تشيوكو: وهو فيه سبب غير كده يخليك مهتم بحياتي هناك بالشكل ده؟

رو: سبق وقلت لك.. مجرد فضول. أنا عايز أعرف عنك كل حاجة. متزعليش مني. _|70

تشيوكو: أها! رجعنا للرموز تاني.

رو: كنت عارف إنها هتهدي الجو. وكمان.. أنا سعيد لأن أميرة الجليد المنعزلة شايفة إني استحق إنها تكلمني.

تشيوكو: إنت و"هيرو" الاتنين الوحيدين اللي ممكن أقعد معاهم.

رو: الفرق إن فيه واحد إنتي ماقبلتهوش أبداً، والتاني ما بيردش عليكي. عاجبك ده؟ العلاج بالصمت؟

تشيوكو: إنت غيران من "هيرو"؟

رو: طبعاً لأ! مش ده اللي أقصده.

تشيوكو: مش ضروري تتكلم عشان تكون مفهوم. مش

هتصدق كم العواطف اللي ممكن لهيرو يعبِّر عنها بس بعينيه ولغة الجسد. وأيوه.. مع إني باعترف إني بارتاح لأني باتكلم مع حد مش قادر يرد عليّا.. بس برضه موضوع يغيظ. متقلقش.. مش هاختار الولد الساكت وافَضَّله عليك. وكمان هو مهتم أكتر بمتابعة "واراتي ليتومو" ومسلسل "أبرون أوف لف"، وده طبعاً ملكش فيه.

رو: يا بنتي ده لسه عنده ست سنين.

تشيوكو: أيوه. بس هم عاملين البرامج دي للعالم الكبار العبيطة. مش عارفة هو شايف فيها إيه. وماما قلقانة من مساءلة المسؤولين ليها لو عرفوا إنه لسه مرجعش المدرسة. رأيي إن المفروض ميرجعش. مش قادرة أتخيل عنه هيختلط بأطفال تانيين.

رو: أنا معاكي.. الأطفال متوحشين.

تشيوكو: وازاي هيدافع عن نفسه إذا كان هو مش قادر حتى يتكلم؟ ده محتاج حماية.

رو: بس مينفعش يفضل كده للأبد، صح؟

تشيوكو: لازم ألاقي طريقة أعلمه بيها إزاي يحمي نفسه. مش عايزاه يمر باللي احنا مرينا بيه. مش قادرة أتخيل كده.

رو: عارف

تشيوكو: على فكرة. هو معايا هنا.. مش عايز تسلم عليه؟

رو: إزيك.. "هيرو"؟!

تشيوكو: كويس! هز لك راسه بالتحية. ماما بتقول إنها عايزة ترجع بيه المستشفى عشان يعملوا فحوصات ويعرفوا هو ساكت ليه. وأنا مش موافقة على كده. إيه الفايدة؟ هو مفهوش حاجة بيشتكي منها في جسمه.

رو: يمكن معندهوش حاجة يقولها.

تشيوكو: يمكن.

رو: سمعتي اللي بيقولوه الأمريكان؟ عن الطفل الرابع؟ اللي في إفريقيا؟

تشيوكو: طبعاً. كلام فاضي. ماما قالت لي إن فيه صحفي أمريكي اتصل بيها امبارح. بيشتغل في جرنان "يوميوري شيمبون". زيهم زي نظرية "أيكاو أوري" وكائناتها الفضائية. إزاي زوجة وزير تكون بالغباء ده؟ باسحب الكلام ده.. المفروض زوجة الوزير تكون بالغباء ده. اللي قالقني إنها ممكن تطلب إنها تيجي تزور "هيرو".

رو: آه.. وتقول له "خذني إلى قائدك الأعلى، "هيرو".

تشيوكو: !!! اسمعني، "رو". كنت عايزة أقول لك شكراً إنك بتسمع لي.

رو: منين الأدب ده؟

تشيوكو: كنت عايزة أقول لك كده من فترة. عارفة إني صعب أتقمص شخصية أميرة الجليد على طول. ولكن لازم أقول كده.

رو: مممم.. "تشيوكو"، فيه حاجة عايز أقول لها لك برضه. مع إنه صعب.. بس لازم أخرج. أكيد عرفتي السبب.

تشيوكو: خليني أقول لك المرة الجاية. المخلوقة الأم بتنادي عليّ.

***

رسالة مسجلة في الساعة 17:10 – 5 مارس 2012

تشيوكو: عمو أندرويد هنا! مقالش إنه جاي وعشان كده ماما مش عارفة تعمل ايه. هاعرفك التفاصيل لما ارجع اكلمك.

***

رسالة مسجلة في الساعة 2:30 فجراً – 6 مارس 2012

تشيوكو: رو.. رو!!

***

رسالة مسجلة في الساعة 2:40 فجراً – 6 مارس 2012

رو: أنا موجود! آسف.. كنت نايم. صحيت على جرس الرسالة.

تشيوكو: اسمع.. عندي شيء مذهل عايزة أقوله لك. لكن أوعدني إنك متقلش لحد.

رو: لازم تطلبي الطلب ده يعني؟

تشيوكو: أوكيه.. عمو أندرويد جاب لهيرو حاجة معاه. هدية.

رو: أيه هي؟ قولي بسرعة!!!

تشيوكو: إنسان أندرويد

رو: !!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

تشيوكو: حالته بتتحسن. نسخة كربون من "هيرو". شبهه بالضبط، ولكن الشعر مختلف. ياريتك سمعت صرخة ماما لما شافته.

رو: بتتكلمي جد؟ نسخة روبوت من "هيرو"؟

تشيوكو: أيوه. عمو أندرويد قال لنا إنه كان شغَّال عليها من قبل عمتو هيرومي ما تموت. لكنه شيء مخيف. غريب جداً. أغرب من الروبوت بتاعه هو نفسه. وده مش كل حاجة.

رو: فيه حاجات تاني؟ إيه الأغرب من كده؟

تشيوكو: استني. عمو أندرويد جابه هنا لما عرف من ماما إن "هيرو" مش راضي يتكلم. شاف إن ده ممكن يساعده. إنت طبعاً عارف إزاي الأندرويد ده بيشتغل، مش كده؟!

رو: أفتكر كده. هو بيستخدم كاميرا عشان تصوّر حركات الوجه والصور دي بتتنقل من خلال كمبيوتر للمستشعرات الحسية بتاعة الأندرويد.

تشيوكو: برافو! الأندرويد الواحد بيحتاج من عمو أندرويد وقت طويل قوي. كنت قاعدة اتفرج أنا وماما عليه وهو بيضبط عدسات لاقطة للحركة على وش "هيرو" وبيطلب منه إنه يجرّب يقول شوية كلمات. حرّك "هيرو" شفايفه – وكأنه بيهمس – ولكن الأندرويد قال.. قال.. "إزيك يا بابا".

رو: !

تشيوكو: ماما كان هيغمى عليها. وفيه ماكينة معينة جوّه

صدره بتخليه يبان وكأنه بيتنفس. ده كمان بيرمش كل شوية.

رو: إنتي متخيلة إيه اللي ممكن يحصل لو إنك صوّرتي فيديو عن ده ورفعتيه على موقع نيكو نيكو ؟؟؟

تشيوكو: أكييييد!!! الصحفيين ممكن يتجننوا!!!!

رو: بس طالما هو قادر يتكلم.. مش ده معناه إن المحققين هيكونوا عايزين يسألوه عن اللي شافه أثناء الحادثة؟

تشيوكو: وإيه المهم في كده؟ هم عندهم الإجابات كلها دلوقتي. إنت قريت نص كلمات الطيار الأخيرة. والحكومة عرفت سبب الحادثة. وأحسن حاجة نعملها إن احنا نستنى ونشوف إذا كان الأندرويد ده هيساعد "هيرو" في إنه يكلمنا ولا لأ. والظاهر إنه هينفع. حزر فزر قال لنا إيه على العشا؟

رو: إيه ؟؟؟؟

تشيوكو: عشان عمو أندرويد وصل.. ماما قررت إنها تعمل طبق الناتو اللي بيحبه.

رو: يع!!

تشيوكو: عارفه. أنا برضه مش باحبه. إديت "هيرو" الطبق بتاعي، بص له، وبعدين حرّك شفايفه ولقينا الأندرويد بيقول:

أنا مش باحبه، ممكن شوية شوربة. حتى ماما ضحكت. طلبت مني ماما إني أوديه ينام، وبعدها اتسحبت عشان اتصنت عليها وعلى عمو أندرويد. بابا كان بره كالعادة.

رو: وبعدين؟؟؟

تشيوكو: ماما كانت بتقول إنها قلقانة على "هيرو" ورجوعه المدرسة الابتدائي - وإن السلطات مش هترتاح للموضوع. وقال لها عمو أندرويد إنه هيعتمد على اتصالاته في إن "هيرو" يفضل شوية بعيد عن المدرسة، على الأقل لحد ما يتكلم طبيعي وما يلفتش الانتباه. وقعد عمو أندرويد يتكلم ويطلب مننا إن احنا نخلِّي موضوع أندرويد ده سر. وكانت ماما موافقة.

رو: لازم يكون شاكر لكم رعايتكم لهيرو.

تشيوكو: المفروض. بس اسمع، "رو". الكلام ده كله سر وأوعى حد يعرفه.

رو: وأنا هقول لمين يعني؟

تشيوكو: ما أعرفش. إنت دايماً موجود على موقع "تو تشان". إنت والرمز بتاعك.

رو: بجد. إنتي اللي استدعيتيه مش أنا: _|70

تشيوكو: يووووه!!! امسحه!!!! لازم اروح انام. بس قل لي.. إنت كنت عايز تقول لي إيه؟

رو: موضوع ممكن يستنى. أكلمك بعدين؟

تشيوكو: طبعاً. خليك معانا عشان تعرف الجديد عن (العالم المجنون لأميرة الجليد والصبي المتكلم العجيب).

رو: دمك خفيف.

تشيوكو: عارفة.

ليليان سمول

كان "بوبي" يعيش معنا منذ ستة أسابيع عندما استيقظ "روبن" للمرة الأولى. كنت قد اتفقت مع ممرضة لتعتني بـ"روبن" كي أتمكن من اصطحاب "بوبي" إلى الحديقة. قلقت لعدم ميل "بوبي" إلى اللعب مع الأطفال الآخرين، ولكن لم يبد لي أن من المناسب إعادته إلى المدرسة، خاصةً مع اهتمام وسائل الإعلام المستمر. وانتابتني كوابيس أرى نفسي فيها وقد تأخرت عن إعادته من الحديقة فيقوم المتعصبون الدينيون باختطافه. ولكن كان علينا الخروج من الشقة بعد أيام طويلة لم نكن خلالها قادرين على تركها. المنطقة كلها كانت تعج بعربات القنوات الإخبارية. ولكننا على الأقل صرنا نعرف أخيراً سبب سقوط الطائرة. فقد

أخبرتني محققة المجلس القومي لسلامة النقل – وقد تفاجأتُ أنها سيدة - بنتائجهم قبل أن تعقد مؤتمراً صحفياً، وقالت إن الحادث وقع في ثوانٍ وأن "لوري" لم تشعر بأي شيء. ارتحت بعض الشيء لما عرفت أن "لوري" لم تتعذب في موتها، لكن هذا فتح الجرح مرة أخرى، وكان عليّ أن أستأذن منها لبضع دقائق بكيت خلالها على انفراد. لم ترفع المحققة عينيها عن "بوبي"؛ ويبدو أنها لم تكن تصدق أنه نجا. ولكن حقيقة أن الطيور هي التي أسقطت الطائرة.. الطيورا كيف يمكن لشيء كهذا أن يحدث؟

ما إن هدأت الأمور بعض الشيء، حتى خرج علينا معاتيه نهاية الزمان بتخاريفهم، زاعمين أن طفلاً رابعاً قد نجا حتماً من حادثة الطائرة الإفريقية. وهو ما دفع إلينا بموجة جديدة من الصحفيين ومصوري البرامج والأفلام، وآخرين من المتدينين بأعينهم الجاحظة ولافتات نهاية العالم. غضبت "بتسي" بشدة لذلك. "أولئك المخابيل، لابد من القبض عليهم بتهمة نشر الأكاذيب!". كنت قد توقفت عن قراءة الصحف بعد السم الذي نشروه عن أن "بوبي" "غير طبيعي"، فما بالك بما ذكروه عن كونه "ملبوس". وكان عليّ أن أطلب من "بتسي" ألا تعرض علي أي شيء من الصحافة أو حتى تحكي لي عنه. لم أعد أحتمل حتى السماع.

وازداد الوضع سوءاً، حتى أنني كنت أحتال لأخرج من الشقة أنا و"بوبي". فأطلب من "بتسي" في البداية أن تلقي نظرة على الخارج وتتأكد من عدم وجودهم ومن أن أولئك المخابيل لا يمكثون في الحديقة، ومن ثم يرتدي "بوبي" تنكره - قبعة بيسبول ونظارة ليس بها عدسات. أحب الموضوع كلعبة. "حان وقت ارتداء الملابس، "بوب"! ". وكان عليّ أن أصبغ شعري بعد كل تلك الصور التي نشروها لي أنا و"بوبي" خلال تأبين "لوري". كانت فكرة "بتسي"، وأمضينا نصف الساعة في "والجرينز" نختار اللون. اخترنا اللون الكستنائي، رغم أنني خشيت أن يجعلني أبدو سمراء بعض الشيء. وكم تمنيت لو أمكنني أن آخذ رأي "روبن" في هذا اللون!

أمضيث مع "بوبي" وقتاً طيباً في ذاك اليوم. كان الجو ممطراً، فلم يكن هناك أطفال في الحديقة، ولكن هذا كان في مصلحتنا. وسعدتُ لأنني شعرت ولو لساعة واحدة أننا نعيش عيشة طبيعية.

وضعت "روبن" في فراشه بعدما عدنا من الحديقة. ازداد هدوءاً، إن صح هذا الوصف، منذ أن جاء "بوبي" ليعيش معنا. ينام كثيراً من دون أن تعتريه الكوابيس.

أعددتُ لكلينا ساندوتشات روزبيف، وجلسنا نشاهد فيلماً

على قناة "نتفليكس". اخترت فيلم Nim's Island، وهو اختيار ندمت عليه فوراً، فقد كان المشهد الأول لأم تتوفى. ولكن "بوبي" لم يتأثر. فهو لم يستوعب بعد ما حدث للوري. لقد تأقلم مع الحياة معي أنا و"روبن" وكأنه كان يعيش معنا دائماً. ولم يذكر "لوري" أبداً إلا إذا تحدثت أنا عنها أولاً.

حكيت له كثيراً عن أن أمه كانت تحبه أكثر من الحياة نفسها، وأن روحها ستبقى دوماً معه، ولكن يبدو لي أنه لم يستوعب ما أقول. كنتُ قد قررت التوقف عن اصطحابه إلى الطبيبة النفسية – بدا لي أنه لم يعد بحاجة إليه – ولكنني ظللت على اتصال بالدكتورة "بانكوسكي"، والتي أخبرتني ألا أقلق. تقول إن لدى الأطفال آلية داخلية تمكنهم من التأقلم مع الصدمات المفاجئة، وأن عليّ ألا أفزع لو لاحظت بعض التغير في سلوكه. ولم أكن أحب أن أشتكي للوري، ولكن في المرات القليلة التي كنت أجالس فيها "بوبي"، بعدما عرفنا بمرض "روبن"، كنت ألاحظ تصرفات غريبة عليه. وكانت تصيبه نوبات غضب. أما بعد الحادثة وبعد وفاة أمه.. "لوري".. فيظهر لي أنه نضج بين ليلة وضحاها؛ وكأنه يدرك أن علينا أن نتعاون سوياً كي نتجاوز هذه المرحلة. كما أنه صار أرق قلباً. حاولتُ أن أخفي حزني عنه، ولكنه كلما رآني أبكي كان يحتضنني ويطلب مني ألا أحزن.

احتضنني بينما كنا نشاهد الفيلم وسألني: "مش ممكن "بو بو" يتفرج معانا، "بوب"؟". "بو بو" هو الاسم الذي ينادي به على "روبن". ولا أذكر سبب اختياره لهذا الاسم، ولكنه أعجب "لوري"، وشجعته على أن يستخدمه.

- "بو بو" نايم، "بوبي".

- "بو بو" بينام كتير، مش كده؟

كيف يمكنني أن أشرح "ألزهايمر" لطفل.

- أيوه. وده لأنه.. إنت عارف إن "بو بو" بقاله مدة مريض، صح؟ أكيد إنت عارف كده حتى من قبل ما تيجي تعيش معانا.

- أيوه، "بوب".

قالها بكل حزن الدنيا.

لا أتذكر متى غالبني النوم وأنا على الأريكة، ولكنني نمت بالتأكيد. فقد استيقظت على صوت ضحك. كان الفيلم قد انتهى وأيقنت أن الصوت لا يصدر عن الشاشة.

كان "روبن".

جمدت في مكاني، "إلزبيث"، وكتمت أنفاسي. سمعت "بوبي" يقول شيئاً – لم أميز الكلمات – أعقبه الضحك من

جديد.

لم أسمع ذلك الصوت منذ أشهر.

كانت رقبتي تؤلمني بسبب نومي على الأريكة في وضع غير مريح، ولكنني تجاهلت ذلك وأنا أتحرك بخطوات لم أمشها بهذه السرعة منذ سنوات!

كانا في غرفة النوم، و"روبن" جالس، شعره هائش، بينما "بوبي" جالس إلى طرف الفراش. قال لي:

- أهلاً، "بوب". "بو بو" كان صاحي.

وجدت ذلك القناع – قناع الإيه وان – قد اختفى عن وجهه. ووجدته يكلمني:

- أهلاً. متعرفيش حطيت فين نضارة القراية بتاعتي؟ "بوبي" عايزني أقرا له قصة.

كتمت صرخة قوية تصارع حنجرتي لتخرج منها.

- بجد؟!

جسدي يرتجف. مرت شهور طويلة منذ آخر مرة كان "روبن" فيها واعياً، ما عدا ذلك الموقف الذي أمسك فيه بيدي يوم أن عرفنا أن "بوبي" قد نجا. كانت القدرة على الكلام المفهوم أول شيء سلبه "ألزهايمر" من "روبن"، ولكن

"روبن" أمامي يتكلم بوضوح وبشكل مفهوم تماماً.

ظننتُ أنني أحلم.

- أنا دوّرت في "التيرفي" لكن مش لاقيها.

لم أهتم بكونه قد استخدم كلمة خطأ بدل من الشوفونيرة.. كل ما كان يهمني في تلك اللحظات هو أنني أمام معجزة تتحقق.

- أنا هادور لك عليها.

مرت أشهر منذ آخر مرة ارتدى فيها نظارته. ولماذا يرتديها طالما أنه لن يقرأ.. بعدما تغلب "ألزهايمر" عليه. كان قلبي ينبض في جنون، وبحثت عنها في كل مكان خطر على بالي، ونقبت كل شبر في المكان. خشيت أن ينتكس مجدداً لو لم أعثر على النظارة. وأخيراً وجدتها في قاع درج جواربه.

- متشكر، عزيزتي.

وجدت غرابة في ذلك، فروبن لم ينادني بكلمة "عزيزتي" من قبل.

- "روبن".. إنت.. حاسس بإيه؟

لا زلت أجد صعوبة في الكلام.

- تعبان شوية. بس كويس.

ركض "بوبي" نحو غرفة النوم، وعاد ومعه كتاب قصص مصورة. كتاب غريب كانت "لوري" قد اشترته له منذ سنوات. اسمه "صمغ الخضراوات". ناوله إلى "روبن".

- مممم.. الكلمات دي.. مش مضبوطة.

انتكاسة من جديد. كان "إيه وان" يُعاود حضوره في عينيه.

- ممكن أطلب من بوب إنها تقرالنا، "بو بو"؟

نظرة ارتباك، ثم ومضة حياة:

- طبعًا. فين "ليلي"؟

- أنا هنا، "روبن".

- لكن إنتي شعرك أحمر. "ليلي" شعرها أسود.

- أنا صبغت شعري. عاجبك؟

لم يرد عليّ. عاجز عن الرد. لقد راح من جديد.

- اقريه إنتي، "بوب"!

وقفتُ عند الفراش وبدأت أقرأ من الكتاب بصوت مرتجف.

راح "روبن" في النوم على الفور. وعندما وضعت "بوبي" في فراشه سألته عما كانا يتحدثان فيه عندما سمعت "روبن" يضحك.

- كان بيكلمني عن أحلامه الوحشة، وقلت له إنه مش لازم يشوفها تاني طالما مش عايز يشوفها.

وطبعاً لم أكن أتوقع أن أنام لحظة في تلك الليلة. ولكنني نمت. واستيقظت لأجد أن "روبن" ليس في الفراش. جريت إلى المطبخ وقلبي يكاد ينخلع عن صدري.

كان "بوبي" جالساً على كاونتر المطبخ، يثرثر مع "روبن" الذي كان يضع السكر في كوب مملوء بالحليب. لم أهتم بأن الكاونتر كان مُغطى بنثار القهوة وبقايا حليب مسكوب، فكل ما شغل بالي هو أنني وجدت أن "روبن" قد غيَّر ملابسه بنفسه. مظهره جيد، وإن كان قد ارتدى السترة بالمقلوب. إنه حتى جَرَب أن يحلق ذقنه، ويبدو أن الحلاقة لم تكن سيئة أبداً. رمقني ولوَّح لي بيده:

- كنت عايز أروح اشتري "باجل" لكن ملقيتش المفتاح.

حاولت أن أبتسم:

- إزيك النهارده، "روبن"؟

- كويس ومتشكر على السؤال.. أي خدمة.

الظاهر عليه أن هناك شيئاً ما لا يزال غير سليم – شيء في عينيه – ولكنه عاد.. وصار يرتدي ملابسه.. ويتكلم.

أمسك "بوبي" بيد "روبن":

- تعالى، "بو بو". تعالى نتفرج على التليفزيون. ممكن، "بوب"؟

أومأت له برأسي موافقة، وأنا لا زلت بعيدة عن الاتزان.

لم أكن أدري ماذا أفعل. هاتفت وكالة الرعاية وأخبرتهم بأنني لا أحتاج ممرضة اليوم، وبعدها حددت موعداً لدى الدكتور "لوميه". فعلت كل هذا بخطوات أوتوماتيكية.

سيكون الخروج من الشقة، حتى مع حدوث هذه المعجزة، أمراً شاقاً. "روبن" لم يخرج منذ أسابيع وأخشى أن أصيبه بالتعب. فكرت في أن أطلب من "بتسي" أن تقوم بمسح المنطقة والتأكد من عدم وجود صحفيين، ولكن شيئاً ما منعني من طرق بابها. وبدلاً من ذلك، اتصلت أطلب تاكسي رغم أن المسافة بيننا وبين عيادة "بيث إسرائيل" ليست بعيدة، وطلبت من "بوبي" أن يرتدي تنكره. وكنا محظوظين في ذلك اليوم. لم ألمح أيّاً من الصحفيين، كما أن من مروا علينا – رجل يهودي ومجموعة من المراهقين اللاتينيين

– لم ينظروا إلينا. نجح سائق التاكسي في التوقف عند باب العمارة الخارجي. نظر إلى "بوبي" نظرة شك، ولكنه لم يعقب. كان من أولئك السائقين الأجانب. ربما بنغالي أو من دولة أخرى في تلك المناطق. ولا أعتقد أنه تحدث بالإنجليزية؛ وكان عليّ أن أوجّهه عبر الطريق إلى العيادة.

ربما عليّ أن أخبرك ببعض المعلومات عن الدكتور "لومييه". إنني لم أرتح إليه، "الزبيث". لا شك في أنه طبيب ممتاز، ولكنني تضايقت من طريقة كلامه عن "روبن" وكأنه غير موجود معنا. دائماً ما يبادرني كلما أحضرت "روبن" للكشف: "كيف حال "روبن" اليوم، سيدة "سمول"، هل نعاني من أية متاعب معه؟".

كان أول طبيب يقول بأن "ألزهايمر" هو سبب حالات النسيان التي يعاني "روبن" منها. "لماذا عليّ أن أعرف خبراً مثل هذا من معتوه مثله؟" كان الإخصائي الذي نقصده أفضل منه كإنسان، ولكنه في مانهاتن، وصعب جداً أن آخذ "روبن" حتى هناك. يكفيني الدكتور "لومييه" مؤقتاً. فقد كنت بحاجة إلى إجابة. كنت أريد أن أعرف حقيقة ما يجري.

دخلنا إلى غرفته، فوجدت أن الدكتور "لومييه" أكثر وداً من المعتاد.

- هل هذا "بوبي"؟ أعرف كل شيء عنك أيها الفتى؟

- إيه اللي بتعملوا على الكمبيوتر؟ عندك صور. عايز أتفرج عليها!

بوغت الدكتور "لومييه"، ولكنه أدار شاشة الكمبيوتر. كان على الشاشة صورة لجبال الألب.

- لأ مش الصورة دي. عايز الصورة اللي فيها ستات ماسكين البي بي بتاعهم.

خيّم صمت غريب إلى أن وجدت "روبن" يقول له بصوت واضح كصوت الجرس:

- أوكيه.. وريه الصور، دكتور.

نظر "بوبي" إليه في سرور بالغ.

فتح الدكتور "لومييه" فمه عن آخره في ذهول. قد تقولين إنني أبالغ، "إلزبيث"، ولكن ليتك رأيتِ وجه ذلك الرجل لحظتها.

- سيدة "سمول". من إمتى وهو على الحال ده؟

أخبرته أن "روبن" بدأ الكلام ليلة أمس.

- بدأ الكلام بالشكل الواضح ده امبارح؟

- أيوه.

- أوكيه.

اعتدل في مقعده.

كنت أنتظر من "روبن" أن يصيح فيه أو يسبه مُنبهاً إياه إلى وجوده، ولكنه بقي صامتاً.

- الصراحة، سيدة "سمول"، أنا مندهش جداً لو كان الكلام اللي بتقوليه صحيح. حالة "روبن" المتدهورة كانت.. الحقيقة أنا مذهول من إني أشوفه بيمشي أساساً. كنت هاحولك على واحدة من دور الرعاية من فترة.

عندئذ لم أتمالك نفسي، وصحتُ فيه بكل غضب:

- ما تتكلمش عنه بالطريقة دي! هو قدامك هنا! وده إنسان يا.. يا..

أكمل "روبن" متطوعاً وبكل سرور:

- معتوه؟

بينما صاح في "بوبي":

- "بوب"؟ ممكن نمشي؟ الراجل ده مريض.

رد الدكتور عليه مدافعاً:

- جدك هو اللي مريض، "بوبي".

- لا طبعاً. "بو بو" مش مريض.

تشبث بيدي وهو يقول لي:

- ياللا بينا، "بوب". ده مجنون.

كان "روبن" قد نهض بالفعل على قدميه، واتجه نحو الباب.

نهضت بدوري.

كان الدكتور "لوميه" لا يزال حائِراً.. مُرْتَبِكاً.. مُضْطَرِباً، وقد استحال وجهه إلى اللون الأحمر:

- سيدة "سمول".. أرجوكي أن تحجزي موعداً جديداً حالاً. ممكن أحوّلك على د. "ألين" في "ماونت سيناي" مرةً تانية. إذا كانت حالة "روبن" بتظهر تحسن قدراته الإدراكية فده معناه إن جرعات الديماتين اللي هو ماشي عليها لها مفعول قوي مكناش نتخيله أبداً.

أنا لم أخبرك بأن "روبن" توقف عن تناول ذلك الدواء منذ أسابيع، رافضاً له..

وأيّاً كان السبب في هذا التحول المعجزة.. فالمؤكد أنه ليس الديماتين.

الديماتين الذي رفض أن يتناول منه ولو.. قطرة واحدة.

"إيزابيل"، ابنة "ستان موروا ويلسون"، زميلة "بوبي سمول" في الفصل. وقد وافق السيد. "موروا ويلسون" على التحدث إليّ عبر سكايب في مايو 2012

غني عن القول إن كل واحد منا نحن الآباء في مدرسة "روبرتو هرنانديز" كان في حالة صدمة بالغة عندما سمعنا عن حادثة "لوري". نحن لم نصدق أن شيئاً من هذا القبيل يمكن أن يحدث لشخص عرفناه. ولا أعني من هذا أن "لوري" كانت صديقة مقربة لي أو شيئاً من هذا القبيل. وليست زوجتي، "أنّا"، من النوع الغيور، ولكنها كانت غير مرتاحة لسلوك "لوري" خلال بعض اجتماعات مجلس الآباء. كانت "أنّا" تراها متحررة أكثر من اللازم. ولم أكن لأشاركها الرأي إلى هذا الحد. فبالنسبة لي كانت "لوري" شخصية عادية. ومعظم الأطفال في "روبرتو هرنانديز" من أصل إسباني - ولكنها مدرسة تتسم بروح التكامل والتنوع - ولم تكن "لوري" من النوع المتعالي الذي يريد أن يعطي لمن حوله رسالة مضمونها أنها تعطفت وتنازلت وألحقت طفلها بمدرسة حكومية حتى يختلط بأطفال الحي. تعلمين أن هناك من الآباء البيض الذين يلحقون أطفالهم بمدارس المواهب يكونون من هذا القبيل؛ أي، كما تعلمون، من النوع المعتد بنفسه. وكان بمقدور "لوري" وبسهولة أن تلحق "بوبي" بإحدى المدارس الخاصة في الحي. وأعتقد أن جزءاً

من مشكلة "أنّا" مع "لوري" كان "بوبي".. فلم يكن بالصبي سهل التطويع، وهذه هي الحقيقة.

لقد تخصصت في دراستي في اللغة الإنجليزية، وكنت أخطط لأمتهن التدريس قبل أن أرزق بإيزابيل، وذكّرني سلوك "بوبي" – قبل الحادث بالطبع - وتعامل "لوري" معه، بقصة قصيرة لشيرلي جاكسون، اسمها "تشارلز". تعرفينها؟ وهي تدور حول صبي اسمه "لاوري" يعود للمنزل كل يوم من رياض الأطفال وبجعبته حكايات عن طفل شيطان اسمه "تشارلز"، مسيطر على الفصل، ويبلطج على الأطفال الآخرين ويقتل فأر الفصل وأشياء من هذا القبيل. وكان أبوا "لاوري" يشمتون في ذلك الصبي، ويرددون تساؤلات متعالية من قبيل "لماذا لا يؤدبه أبواه؟". ولما ذهبا في النهاية إلى المدرسة لحضور اجتماع الآباء والمعلمين، اكتشفا أن لا وجود لطفل اسمه "تشارلز" في الفصل – وأن الطفل الشيطان كان في الحقيقة ابنهما.

وقد حاول الآباء التحدث إلى "لوري" بشأن "بوبي"، ولكن لم تكن النتيجة هي المرجوة. وقد غضبت "أنّا" العام الماضي عندما عادت "إيزابيل" إلى المنزل ذات يوم وأخبرتها أن "بوبي" حاول أن يعضها. وهمت "أنّا" بالتوجه لمديرة المدرسة، ولكنني أقنعتها بأن تصرف النظر عن هذا. كنت

أعرف أن الأمور قد تتطور، أو أن "لوري" ستعود إلى صوابها وتعطي ابنها "ريتالين" أو شيئاً من هذا؛ فقد كان الطفل يعاني من حالة قصور في الانتباه وفرط في الحركة. وكانت حالته واضحة جداً.

أيمكنني أن أقول إنه صار طفلاً مختلفاً بعد الحادث؟ هناك الكثير من الكلام حول هذا، مع كل هذا الهراء حول النبوءة، ولكن لأن جدة "بوبي" – "ليليان" - قررت إلحاقه ببرنامج التعليم في المنزل - أعتقد أن هذا بسبب كل هذه الضجة الإعلامية ومطاردة المجانين له – فإن من الصعب بالنسبة لي أن أحدد هذا. ولكنني التقيته بالصدفة ذات مرة، في أواخر مارس. لم يكن الطقس جيداً، ولكن "إيزابيل" كانت تُلّح عليّ طول النهار كي أصطحبها إلى الحديقة، حتى استسلمت لها في النهاية.

عندما وصلنا إلى هناك، صاحت "إيزابيل": "دادي، "بوبي" هناك". وركضت إليه قبل أن أتمكن من منعها. كان يرتدي قبعة بيسبول ونظارة، لذلك لم أتعرف عليه من فوري، ولكن "إيزابيل" عرفته في لحظة. وكان "بوبي" بصحبة امرأة مسنة قدَّمت نفسها لنا باسم "بتسي"، جارة "ليليان". قالت إن حالة زوج "ليليان"، "روبن"، سيئة، ولذلك تطوعت بأن تصطحب "بوبي" في نزهة لبعض الوقت. والحق أن "بتسي"

متحدثة لبقة!

سألته "إيزابيل": "عايز تلعب معايا، "بوبي"؟ ". هي بنت طيبة. وافق "بوبي" ومد لها يده. وذهبا معاً إلى المراجيح. كنت أراقبهما عن قُرب، وأنا شبه مصغٍ لما تقوله "بتسي". كان من الواضح أنها وجدت أن من الغريب أنني بقيت في المنزل وأرعى "إيزابيل" بينما تذهب "أنّا" الى العمل. ظلت تكرر: "لم يكن هذا ليحدث أبداً على أيامنا". ولكن الكثير من رفاقي في المنطقة في وضع مثل وضعي. وهو أمر لا يقلل من رجولتك أو أي من هذا القرف الذي يرددونه. فنحن لا نشعر بالملل. فلدينا نادٍ للجري. ونلعب الراكيت وغيره من الرياضات.

قالت "إيزابيل" شيئاً لبوبي فضحك. عندئذ ارتاحت أعصابي. فها هما أمامي يدردشان ويتضاحكان. مستمتعان بالوقت.

تنبهتُ إلى أن "بتسي" لم تتوقف عن الكلام:

- إنه لا يلتقي عدداً كافياً من الأطفال. وأنا لا ألوم "ليليان".. فكم هي مشغولة.

في الطريق إلى المنزل، سألت "إيزابيل" عما تحدثت و"بوبي" عنه. كنت قلقاً من أن يكون "بوبي" حكى لها عن الحادث ووفاة أمه. فلم أكن قد تحدثت معها بعد

عن موضوعات الموت وما يتصل به من أفكار. كان لديها "هامستر" يزداد بطءاً يوماً بعد يوم، ولكنني كنت أخطط لأن أستبدله بآخر أصغر منه من دون أن تعرف هي ذلك. فأنا ـ الصراحة ـ جبان في هذه الأمور. أما "أنّا" فتختلف عني. دوماً تقول إن "الموت حقيقة من حقائق الحياة". ولكن مثل هذه الحقائق تجعل الأطفال تنضج قبل الأوان، أليس كذلك؟

- كنت باحكيله عن الست.

هكذا أخبرتني. وكنت أعرف بالضبط ما تقصده. فمنذ أن كانت في الثالثة و"إيزابيل" تعاني من رعب وخوف من الليل. وهلوسة بعينها ترى فيها صورة مرعبة لامرأة عجوز حدباء تدور حول نفسها أمام عينيها. وكان جزءاً من المشكلة أن حماتي كانت تحكي لإيزابيل جميع أنواع القصص الخرافية؛ من قبيل "تشوباكابرا" وبقية التخاريف من هذا النوع. وكان هذا الأمر موضوع شجار بيني وبين "أنّا" في كثير من الأحيان.

وساءت حالة "إيزابيل" العام الماضي لدرجة أنني لجأت إلى طبيبة نفسية. وقد أخبرتني أن "إيزابيل" ستتجاوز هذه المرحلة في النهاية، وتمنيت أن يصح كلامها.

- بوبي عامل زي الست دي.

سألتها عن قصدها، ولكنها قالت:

- هو كده وخلاص.

وأصابني ردها بمزيد من القلق.

قد لا يعني هذا الموقف أي شيء، ولكن.. بعدما التقت "بوبي" في ذلك النهار لم تعد "إيزابيل" تستيقظ مفزوعة أثناء الليل وهي تصرخ وتشتكي من "الست". وبعد أسابيع سألتها عن قصدها مرة أخرى – وكيف أن "بوبي" يشبه الست – ولكنها تظاهرت بأنها تجهل ما أحدثها عنه..

تجهله تماماً..

تفريغ نصي لتسجيل "بول كرادوك" الصوتي – مارس 2012

12 مارس – الساعة 5:30 فجراً

إنه مجرد كوب شراب واحد، "ماندي". واحد فحسب.. لقد عانيت من ليلة سيئة، وقد أتاني "ستيفن" من جديد، ولكنه لم يتكلم هذه المرة، فقط..

(صوت ارتطام أعقبه صوت سيفون الحمَّام)

ليس ثانيةً. اللعنة.. ليس ثانيةً. "دارين" – موظف الشؤون الاجتماعية – سيكون هنا خلال ساعات ولا يمكن أن يشم

رائحة الخمر التي تعبق جسدي. ولكن الشراب ساعدني.. لن أنكر هذا.

أوه يا إلهي.

12 مارس – 11:30 صباحاً

لقد أفلتّ هذه المرة. وحرصتُ على ألا تفوح مني رائحة غسول الفم، فهي اعتراف صريح في حد ذاته. وعثرت في صيدلية الحمَّام على سبراي مزيل عرق من النوع الرخيص، فعبقت جسدي برائحته التي حلت محل رائحة الخمر. ولكنها آخر مرة تلوح لي فيها فرصة مثل هذه.

على أني لم أمكث كثيراً مع "دارين". فقد أنقذتني "جيس" منه كالمعتاد.

- "دارين". تحب تيجي تتفرج معايا على حلقة "ماي ليتل بوني"؟ عمو "بول" اشترى لي كل الحلقات.

المؤكد أنها لم تكن عِشَرية على هذا النحو قبل الحادث. أنا متأكد من هذا. لم تكن هي و"بولي" من نوعية الأطفال الأكبر من سنها. كانتا خجولتين في حضور الأغراب، ولكنني أعتقد أن أي تغير طفيف في سلوكها أمر متوقع. وأخبرني "دارين" أن علينا التفكير في إعادتها للمدرسة بعد إجازة عيد الفصح. فقلت له إننا سنأخذ رأي الدكتور.

أشكرك لتفهمك سبب عدم إرسالي التسجيلات إليكِ لفترة طويلة. الموضوع إن.. الكلام بصراحة على هذا النحو.. مريح بالفعل، تعرفين هذا؟ وأعدك أن أعود إلى النظام الذي اتفقنا عليه. لابد أنه الحزن، صح؟ أو هو الإنكار أو غيره. أليست هذه مرحلة من المراحل التي نمر بها في مثل هذه الحالات؟ وإنني سعيد لأن "جيس" لا تمر بأي من هذه المراحل. يبدو لي أنها متقبلة لكل شيء، بل أنها لم تبكي حتى الآن – ولا حتى بعدما نزعوا الضمادات في أول مرة ورأت آثار الحادث. ليست بالندبات الظاهرة إلى هذا الحد؛ جميعها سيخفيه المكياج عندما تكبر. وبدأ شعرها ينمو مجدداً. وقد أمضينا وقتاً ممتعاً في اختيار قبعات عبر الإنترنت. وقد اختارت قبعة سوداء على الموضة. ولم أكن أتخيل أن تختارها "جيس" التي أعرفها قبل الحادث. صار ذوقها شيك جداً.

ولكنني لا زلت لا أشعر بارتياح وأنا أجدها متقبلة لكل شيء على هذا النحو، فهل هذا طبيعي؟ لقد كدت أعرض عليها صور العائلة التي كنت رفعتها عن الجدران قبل عودتها إلى المنزل، حتى أتبين أي رد فعل عاطفي يظهر عليها، ولكن أنا نفسي غير مستعد حتى الآن لرؤيتها، وأخشى أن أظهر حزني أمامها. والآن بعدما أعلنوا عما يسمونها نتائج التحقيق الأولية فإن أملي أن أجد في هذا بعض السلوان. كما أن

مشاركتي في مجموعة 277 تساعدني. ولم أحكي لهم عن الكوابيس بعد. ولن أفعل. أنا أثق فيهم، وخصوصاً "ميل" و"جيف"، ولكنني أخشى هذا. سوف تنشر الصحف أي شيء يصل إليها، أليس كذلك؟ ألم تقرأي تلك القصة التي نشرتها "الديلي ميل" - كان "ستيفن" يسميها "الديلي هيل" - عن "مارلين"؟ تقول بأنها أُصيبت بانتفاخ في الرئة. "كل ما أتمناه هو أن أرى "جيسي" قبل أن أموت". رخيصة.. لحظة أبكي. ابتزاز عاطفي واضح. وصرت أتوقع أن أشاهد ولديها - فيستر وجوميز - يعسكران أمام المنزل. ولكنني أعتقد أن حتى عائلة أدامز هذه ليست بهذا الغباء. كما أنني سوف ألجأ في أي وقت إلى الفتوة "جافين" ابن "ميل" ليحضر ويلقي في قلوبهم الرعب في حال فَكّرا في الظهور أمام المنزل.

إسمعيني، أنا أثرثر بأي هراء. أفضفض بأي كلام مثل أي مجنون. لم أحظ بقدر كافٍ من النوم. لا عجب في أن الأوغاد في معسكرات التعذيب الأمريكية يلجأون إلى حرمان المساجين من النوم.. أكبر عذاب.

(صوت رنين التليفون - نغمة فيلم دكتور زيفاجو)

لحظة أرد على التليفون.

الساعة 11:45 صباحاً

جميل. كان هذا لطيفاً. واحد من "الإندبندنت" هذه المرة. ألا يقولون إنها صحيفة رصينة؟ كان يريد أن يعرف شعوري تجاه الشائعات التي تقول بأن معتوهاً من رجال الدين سيبدأ عملية البحث عن الفارس الرابع، هذا إن كنتِ تصدقين ذلك.

وما علاقة هذا بي بحق الجحيم؟ طفل رابع؟ مجانين. بل لقد جرؤ على أن يسألني عما إذا كنتُ لاحظتُ أي تَغَيّر على سلوك "جيس". بجد؟ هل هذه هي المواضيع التي تنشرها الصحافة اليوم؟ هل صارت تؤمن بالسحرة والثعابين ومجانين الدين؟ هل صار يديرها حفنة من المعاتيه؟ أوه.. ولا تفرق. عليّ أن أتذكر أن أبقي هذا الجزء من التسجيل عندما أقوم بمسح كل ما يتعلق بالحلم.

حسناً. القهوة، ثم ترتدي "جيس" ملابسها قبل الذهاب إلى "ويتروز". ليس هناك في الخارج سوى اثنان باباراتزي من هولندا. سنخرج من دون مشاكل.

15 مارس – الساعة 11:25 ليلاً

همممم.. لا أدري كيف أحكي هذا. كان يوماً غريباً.

كنت قد قررت في هذا الصباح، سواءً كان هناك باباراتزي أو لم يكن، أن نخرج لنتنزه قليلاً في الهواء الطلق. فقد كاد يجن جنوني، كما أن "جيس" تشاهد التليفزيون بصورة مُبالغ فيها.

ولكن لم يتسنى لنا الخروج في أغلب الأوقات، إلا إذا كنا مستعدين لتحمل عواقب ذلك الخروج. وأشكر الرب أنها غير مهتمة بالقنوات الإخبارية، ولكنني صرتُ أصاب بالجنون كلما سمعت موسيقى مقدمة ذلك المسلسل الذي لا تمل منه أبداً. مشينا عبر الشارع الضيق إلى حيث الاسطبلات في نهايته، يتبعنا جماعة من الصحفيين. يصيحون فيها متسولين: "ابتسمي للكاميرا، "جيس"! "

تمالكت أعصابي حتى لا أنفجر في وجوههم، ورسمت على وجهي ابتسامة "العم الطيب"، وتعاملت "جيس" معهم ببساطة كالمعتاد، والتقطوا لها صوراً مع الخيول وأخرى وهي تمسك بيدي في طريق عودتنا للمنزل.

ولأننا كنا على موعد مع الدكتور في اليوم التالي، فكّرت في أن نتحدث بعض الشيء مع "جيس" عن "بولي" و"ستيفن" و"شيلي". كنت قلقاً بسبب عدم فتحها لتلك المواضيع، و.. سعيداً في الوقت نفسه. فهذه هي طبيعتها. طول الوقت. مثل طفل يظهر في مسلسل أمريكي من مسلسلات الثمانينيات. بل لقد لاحظت أنها لم تعد تستخدم ألفاظاً بذيئة.

وكالمعتاد، استمعت إليّ في هدوء، وقد ارتسم ذاك التعبير الوقور على وجهها.

أومأت تجاه حلقة المسلسل التي أعادت تشغيلها – وهنا يجب أن أعترف، وبرغم موسيقى التترات، إلا أن المسلسل يغريك على مشاهدته. صرت الآن أحفظ كل حلقة عن ظهر قلب. قلتُ لها بنبرة العم الحنون:

- فاكرة لما رفضت "أبلجاك" قبول أي مساعدة من صديقاتها ولقيت نفسها في مأزق، "جيس"؟ في النهاية ساعدتها "تويلايت سباركل" وبقية صديقاتها، وساعتها فهمت إن ساعات بتكون الطريقة الوحيدة للتعامل مع المشاكل إن الواحد يخلِّي اللي حواليه يساعدوه فيها.

لم تعلق "جيس" بأي كلمة. نظرت إليّ وكأنني مجنون.

- اللي أقصده إنك ممكن تعتمدي عليّ، "جيس". وطبيعي إنك تبكي لما تكوني حزينة. وأنا عارف إن "بولي" ومامي ودادي وحشوكي جداً. وأنا عارف إني مستحيل أملى فراغهم.

- بس أنا مش حزينة.

ربما وضعت حاجزاً عقلياً بينها وبينهم. وربما هي تتظاهر بأنهم لم يكونوا موجودين من الأصل.

سألتها للمرة الألف:

- ممكن أسأل صحابك إذا كان فيه حد عايز ييجي ويلعب معاكي بكرة؟

تثاءبت في ملل:

- لأ.. شكراً.

وعادت تتابع المسلسل.

الساعة 3:30 فجراً

(صوت بكاء)

"ماندي". "ماندي". لم أعد أحتمل. لقد كان هنا.. لم أتبين وجهه. وقال لي الكلام نفسه من جديد، وكان هذا هو كل ما قاله:

"لماذا سمحت لهذا الشيء بالدخول إلى هنا؟"

أوه.. يا إلهي.. أوه.. ألف لعنة.

الساعة 4:30 فجراً

مستحيل أن يواتيني النوم. مستحيل.

إنها حقيقية للغاية. تلك الأحلام. حقيقية لدرجة لا تصدق. و.. تباً. إنه لأمر يتجاوز قدرات العقل.. ولكنني هذه المرة متيقن من أنني أشم رائحة – رائحة سمك متعفن. كما لو

أن جسد "ستيفن" يتحلل مع مرور الوقت، ولكنني لا أرى وجهه..

بالفعل. يكفي هذا.

عليّ أن أوقف هذا الأمر.

إنه جنون.. جنون مطبق.

لكن.. لكن يمكن أن يكون كل هذا إيهام صنعه الإحساس بالذنب. ربما هذا هو اللاوعي ويريد أن يجبرني على التعامل معه.

إنني أبذل قصارى جهدي لأجل "جيس". ولكني دوماً ما أشعر بأن هناك شيئاً ما ناقص. وإنني مهما فعلت مقصر.

تماماً مثل وقت أن توفيت أمي وأبي. فقد تركت المسؤولية كلها على عاتق "ستيفن". تركته يقوم بكافة ترتيبات الجنازة. كنت في جولة مع فرقة مسرحية في ذلك الوقت، أؤدي دور "آلان بينيت" في "إيكستر". ظننت أن مهنتي أهم؛ وأقنعت نفسي بأن ماما وبابا يرغبان في ألا أفوّت هذه الفرصة الكبيرة.. هاهاها. ويا لها من فرصة. كنا نرقص فرحاً لو ملأ الجمهور نصف مقاعد الصالة. وأعتقد أنني كنت غاضباً منهما. لم ألجأ أبداً إليهما، ولكنهما كانا يعرفان. كانا واضحان في أني البطة السوداء وأن "ستيفن"

هو الذي على الحِجر. أعرف ما أخبرتك به من قبل، "ماندي"، ولكن علاقتي مع "ستيفن" ونحن صغار لم تكن قوية. لم يصل الأمر إلى حد الشجار. لكنني كنت أكره حقيقة أن الكل كان يحبه هو فقط. ليست غيرة، ولكنه لم يعاني. أما أنا فعانيت. وأشكر الرب على دخول "شيلي" حياته. لولاها لما وصلت علاقتي بأخي إلى هذا الحد من الارتباط.

ولكنني عرفت.. بل كنت أعرف دوماً.. أنه طيب القلب إلى حد بعيد. وأفضل مني بمراحل.

(بكاء)

لقد دافع عني في وقت لم أكن أستحق هذا الدفاع.

وأنا على يقين تام من أنه كان يعلم أنني لست كفؤاً لدرجة أن أكون الوصي على "جيس".

هو و"شيلي" ناجحان، أليس كذلك؟ أما أنا..

(صوت نشيج عالٍ)

ها أنتِ تسمعيني. وكأني أرملة ثكلى ترثي حالها.

لكنه الذنب. هذا هو كل شيء. ولكنني سأبذل جهدي مع "جيس". وسأثبت لستيفن و"شيلي" أنهما كانا على حق في ذاك القرار. وربما عندئذ يتوقف عن الظهور لي.

21 مارس – الساعة 11:30 ليلاً

استسلمت وطلبت من السيدة "إلينجتون برن" أن تجالس "جيس" بينما ذهبت لاجتماع المجموعة 277. عادةً ما كنت اصطحب "جيس" معي، وكنت تتصرف كالملاك. كانت "ميل" تشغلها بشيء تفعله أثناء جلوسها في ردهة المركز، مثل التلوين، وكنت أجلب معي آي باد "ستيفن" حتى يمكنها أن تشاهد المسلسل. ولكنني أحسست أن المجموعة غير مرتاحة لتواجدها معي أثناء الاجتماع. هم ودودون معها بالطبع، ولكن.. على كلٍّ أنا لا ألومهم. فأنا وعن دون قصد أذكّرهم بأقاربهم الذين قضوا في الحوادث، أليس كذلك؟ وفي هذا ظلم لهم. وأعرف أنهم لابد سألوها عن تلك الثواني التي سبقت سقوط الطائرة. تقول إنها لا تتذكر أي شيء، وما الذي يدعوها إلى التذكر؟ فهي فقدت الوعي قبيل سقوط الطائرة. وقد بذل المحقق الذي استجوبها كل حيلة حتى يحفز ذاكرتها، ولكنها كانت تكرر أن آخر ما تتذكره هو تواجدها في حمّام السباحة بفندق في "تينيريفي".

فرحت السيدة "إلينجتون" فرحاً شديداً بطلبي حتى أنها كانت متلهفة على مغادرتي للمنزل، حتى تجلس مع "جيس". ربما كانت تعاني من وحدة بالغة. ولم يسبق لي أن رأيت أحداً يزورها. بعض السيدات المتدينات، وخلاف ذلك تمكث

في المنزل كبقرة عجوز تعسة. وأشكر الرب أنها قد تركت كلبها في المنزل، لذلك ليس عليّ أن أقلق من أن يتناثر شعر هذا الكلب الحقير على الوسائد والأغطية. ولا أعتقد أن تكبر تلك الكلبة تجاهي بسبب موقف شخصي. فقد قال "جيف" لي ذات مرة أنها تحدق في وجهه كما لو أن حذاءً متسخاً بالفضلات (الحقيقة أن حذاءه كذلك في كثير من الأحيان). ولم أكن مرتاحاً لمفارقة "جيس" معها، ولكن "جيس" كانت فرحانة ولوّحت لي في مرح. وأنا لم أبح بهذا من قبل، ولكن.. أحياناً أشعر وكأن وجودي حولها مثل عدمه بالنسبة لها.

على كل.. أين توقفت؟.. آه حسناً. اجتماع مجموعة 277. ويبدو أنني كدتُ أتسرع في التحدث إليهم بصراحة. فأخبرهم عن "ستيفن". وعن الكوابيس. ولكنني عوضاً عن ذلك أخذت أثرثر حول اهتمام الصحافة، وكيف أن هذا يصيبني بالإحباط. كنت أعلم أنني أتعدى على الوقت المخصص لغيري، ولكنني لم أتوقف عن الكلام.

وفي النهاية كان على "ميل" أن تقاطعني، خاصةً وقد تأخر الوقت. وبينما كنا نتناول الشاي، نهض "كيلفين" و"كيلي" وقالا إن لديهما ما يودان الإعلان عنه. احمر وجه "كيلي" خجلاً، وثنت يديها، بينما أخبرنا "كيلفين" أنهما بدآ يتواعدان ويلتقيان والآن ينتويان الخطوبة. تصايحنا وصفقنا بسعادة.

وللأمانة شعرتُ بشيء من الغيرة. فلقد مرت شهور منذ آخر مرة تناولت فيها الشراب مع رفيق، كما أن فرصة قيامي بهذا الآن قد أضحت نادرة، أليس كذلك؟ يكفي أن أتخيل عناوين "الصن". "عم جيس المعتوه يحوِّل المنزل إلى عش لنزواته الجنسية".. أشياء من هذا القبيل. قلت لهما إنني سعيد لأجلهما، رغم أنه أكبر سناً بكثير منها، وبدا لي أنه قرار متسرع - فلم يمر على تعارفهما أكثر من شهر.

ولكنه رجل طيب. ومن حُسن حظ "كيلي" أنها سوف ترتبط به. فجسده مفتول العضلات يحوي قلباً حساساً للغاية. وكنت قد بدأت أهتم به شخصياً بعدما سمعته يقرأ تلك القصيدة في حفل التأبين. مع أني أعلم أن هذا من طرف واحد. فلم يكن "كيلفين" ليبادلني تلك المشاعر نفسها. جميعهم هكذا. فقد كنت المثلي الوحيد في المجموعة. وبعد أن تلقيا تهنئة الكل، أخبرنا "كيلفين" أن أبواه - اللذان فقدهما في الحادث - كانا ليحبا لقاء "كيلي"؛ خاصةً وأنهما كانا يلحان عليه طيلة سنوات وسنوات كي يتزوج. وقد أثارت كلماته تعاطفنا معه مجدداً. وكان "جيف" أعلانا صياحاً. كلنا كان يعلم أن رحلة الأبوين إلى "تينيريفي" كانت هدية من "كيلفين" بمناسبة ذكرى زواجهما. وتلك في حد ذاتها حقيقة يصعب عليه التعايش معها. وتذكرني بوالدة "بوبي سمول". فقد كانت في فلوريدا بغرض أن تبحث عن

منزل يليق بوالديها، أليس كذلك؟ أمر فظيع. الـ"كارما" لا تحتمل.

كانت هناك شلة من المجموعة تنوي تمضية بعض الوقت في بار بعد الاجتماع كنوع من الاحتفال، ولكنني رأيت أن من غير المناسب لي الالتحاق بهم. رغم أني كنت أصارع نفسي حتى لا أستسلم لغواية الشراب مجدداً. ولست متأكداً من هذا، ولكنني أتخيل أن بعضهم قد ارتاح لأني لم أنضم إليهم. ربما هي البارانويا تطل برأسها مجدداً من داخل نفسي.

عندما عدت، كانت السيدة "إلينجتون" مسترخية على الأريكة تقرأ رواية لباتريشيا كورنويل. لم يبد عليها أنها في عجلة من أمرها للعودة إلى منزلها، لذلك رأيت أن أسألها عما إذا كانت قد لاحظت غرابة في تصرفات "جيس" – بغض النظر عن مظهرها بالطبع - منذ الحادث. فقد أردت أن أتأكد مما إذا كنت أنا وحدي الذي يرى أن شخصية "جيس" تحوّلت تحولاً يليق بالدكتور "هو"(4) وحده.

فكرت في السؤال تفكيراً طويلاً، ثم هزت رأسها نفياً، وقالت لي إنها ليست متأكدة من ذلك. ولكنها ذكرت أن "جيس" كانت مثل الملاك ذلك المساء، على الرغم من أنها طلبت مشاهدة شيء آخر خلاف المسلسل الذي لا تمل من

تكرار عرض حلقاته. وهذا غريب في حد ذاته. وحكت لي السيدة أنهما شاهدا عدداً كبيراً من البرامج - بداية من "بريتين جوت تالنت" وحتى "أمريكا نكست توب موديل". وبعد ذلك توجهت "جيس" إلى الفراش من تلقاء نفسها.

ولما كانت ميالة إلى عدم المغادرة حتى الآن، فقد كان عليّ أن أشكرها متبسماً في وجهها. عندئذ نهضت على قدميها وحدقت مباشرة في وجهي، ووجدتُ ذلك اللغد في وجهها الضخم يرتعش وهي تقول لي:

- سوف أسدي إليك بنصيحة، "بول". خذ بالك مما تضعه في سلال المهملات.

اعترتني موجة بارانويا جديدة، وتخيلت لثوان أنها قد عثرت على واحدة من زجاجات الخمر، وأنها سوف تبتزني. لقد بذلث جهداً كبيراً لكي أعطي انطباعاً بأني قد فارقت الخمر للأبد، ومن الصعب أن أعود لأدفع عني تلك التهمة من جديد.

- إنني أقصد أولئك الصحفيين. لقد رأيتهم أكثر من مرة ينبشون سلال المهملات. ولكن لا تقلق، فقد كنت أطردهم.

ثم ربتت على ذراعي وهي تردف:

- أنت تبذل قصارى جهدك. و"جيس" بكل خير. إنها في أيدٍ

أمينة.

رافقتها حتى الخارج، قبل أن أنفجر باكياً بعدما انصرفت. كانت دموع ارتياح. شعرت براحةٍ كبيرة لمجرد أن وجدت ولو إنساناً واحداً يُقَدِّر ما أقوم به لأجل "جيس". حتى ولو كان هذا الإنسان هو هذه البقرة العجوز.

عليّ الآن أن أسيطر على ذلك الكابوس. وأن أتخلص من هذا الإشفاق على الذات.. وللأبد.

22 مارس – الساعة 4 عصراً

عدنا حالاً من عند الدكتور.

بعد أن انتهت جلسته المعتادة مع "جيس"، وكلامه المعتاد عن أنها تتحسن، وأن علينا التفكير في إلحاقها بالمدرسة قريباً، حاولت أن أتحدث معه عن ما يقلقني. أخبرته أنني أعاني من كوابيس، ولكنني لم أذكر له كل التفاصيل، والسبب واضح. وهو من النوع الودود، وهو سمين ولكن بدانته تليق بتكوينه الجسماني، أشبه بالدب. أخبرني أن كوابيسي علامة على أن اللاوعي يحاول تجاوز مرحلة الحزن والقلق، وأن هذه الأمور ستذهب لحالها مع انحسار موجة الاهتمام الإعلامي. وقال بأن عليّ ألا أستهين بحجم الضغط الواقع عليّ بفعل كل تلك المضايقات، وكذلك عائلة أدامز، والمخابيل

الذين لا تتوقف اتصالاتهم. ونصحني بتناول أقراص تساعدني على النوم، وكتب لي نوعاً منها، مُعلقاً بأنه يضمن لي أنها كفيلة بأن تجعلني أنام كالقتيل.

لذلك.. سأرى إن كانت ستجدي معي نفعاً.

وللأمانة أقول لك بأنه حتى مع هذه الأقراص المنومة فإنني صرتُ أخشى أن أنام.

23 مارس – الساعة 4 فجراً

(بكاء)

لا أحلام. لا "ستيفن". ولكن هذا.. هذا.. هو ليس أسوأ.. ولكن..

استيقظت – في حوالي الوقت الذي يظهر فيه "ستيفن" عادةً – ووجدتني أسمع أصواتاً تأتي من مكان ما. ثم صوت ضحكة. ضحكة "شيلي". واضحة كالشمس. فزعت من الفراش وهرعتُ إلى الطابق السفلي، وقلبي يكاد يخرج من جوفي. كنتُ أجهل ما ينتظرني بالأسفل، فربما أجد "شيلي" و"ستيفن" واقفين في الردهة.. تباً.. لا أدري، ربما ليخبراني أنهما كانا مختطفين لدى قراصنة صوماليين، ولهذا كانت أخبارهما مقطوعة. كنت شبه صاحٍ ولهذا بدا تفكيري مشوشاً.

ولكنها كانت "جيس". جالسة على بعد بوصات من الشاشة تشاهد أسطوانة حفل زفاف "شيلي" و"ستيفن".

ناديث عليها بنبرة هادئة حتى لا أفزعها، وأنا أقول لنفسي إنها قررت أخيراً أن تواجه حقيقة خسارتها.

وجدتها تسألني من دون أن تلتفت نحوي:

- إنت كنت بتغير من "ستيفن"، عمو "بول"؟

- وليه أكون غيران؟

لم يخطر ببالي لحظتها أن أسألها لماذا نادته "ستيفن" وليس بابا أو دادي.

- عشان كانوا بيحبوا بعض وانت مفيش حد بيحبك.

كم تمنيت لو تعرفت على طبيعة نبرة صوتها تلك التي تحدثني بها. مثل أي عالم مهتم بعينة غريبة.

- ده مش صحيح، "جيس".

- إنت بتحبني؟

قلت لها أجل. ولكنها كانت كذبة. فقد كنت أحب "جيس" التي كانت. "بول" القديم يحب "جيس" القديمة.

تباً لي. لا أصدق أنني تفوهت بهذا حالاً. ما الذي أعنيه

بجيس القديمة؟

تركتها وهي تعاود مشاهدة الفيديو، ورحت إلى المطبخ ووجدتني أخرج زجاجة معتقة من شراب الكرز الذي يستخدمونه في الطهي. كنت خبأتها - بعيداً عن عيني.. بعيداً عن عقلي.

هي لا تزال تتفرج على الفيديو. مراراً وتكراراً. هذه هي المرة الرابعة الآن، وأسمع الموسيقى التي كانت في حفل الزفاف. إنها أغنية "من الأفضل أن نكون معاً" للوغد جاك جونسون. وهي تضحك. تضحك على شيء أجهله. ولكن ما هو ذاك الشيء المضحك؟

أحدثك الآن، "ماندي"، وأنا أنظر إلى الزجاجة..

ولكني لن أمسها..

لن أمسها..

كان لكلٍّ من "جيفري موران" وزوجته، "ميلاني"، دور كبير في تأسيس المجموعة 277، وهي مجموعة الدعم لأولئك الذين فقدوا أقارب وأصدقاء في كارثة الرحلة (جو جو). وقد وافق "جيفري" على التحدث إليّ في بداية شهر يوليو.

أنا ألوم الصحافة. هم من عليهم تقديم الإجابات. هل سمعتي عن مضايقتهم لنا بالمكالمات التليفونية، وكل هذا حتى يخرجوا بكذبة ينشرونها؛ فلا يمكنني لوم "بول" على أنه استسلم لتلك البارانويا. هؤلاء التافهون حاولوا أن يدفعوني أنا و"ميل" لذكر أمور سيئة عنه عدة مرات، من خلال مجموعة من الأسئلة الإيحائية. وبالطبع لم تنطلي حيلتهم على "ميل" التي عنفتهم. كلنا على قلب واحد في المجموعة 277؛ ونعتني بأنفسنا وبالآخرين. ورأيي الآن أنها معجزة، أن يبقى هؤلاء الأطفال على قيد الحياة، فهذه من تلك الألغاز التي نصادفها في الحياة وتبقى من دون تفسير. ولكن جَرِّبي أن تصرحي بهذا الرأي أمام المتعصبين لنظرية الكائنات الفضائية أو الأمريكان هواة نظريات المؤامرة. ولولا حثالة الصحفيين لما كان لكل هذا الهراء أن ينتشر ويفرض نفسه. هم من نشروا هذه الخزعبلات على عموم الناس. هم ليسوا سوى تافهين، والكثير منهم يستحق الإعدام رمياً بالرصاص.

كلنا نعرف طبيعة شخصية "بول"، وهذه حقيقة. وأنا لا أقصد هنا كونه شاذاً. فكل شخص حر في تصرفاته وليس لأحد الحق في التدخل في شؤونه. بل أقصد أنه يحب أن يكون محور الاهتمام دوماً. لقد كان يتفاخر بين الحين والآخر أمامنا بأنه كان ممثلاً. ولم يسبق لي أن سمعت عنه،

على الرغم من أنه أخبرنا أنه ظهر في بعض المسلسلات التليفزيونية في الماضي، في أدوار أقرب إلى ضيف الشرف، كما تعلمين. مجرد ظهور في مشهد أو مشهدين. ولابد أن كرامته قد أصيبت في مقتل حينما فشل في تلك المسيرة. وهو يذكِّرني بدانييل. كانت أصغر كثيراً منه بالطبع، ولكنها ضيَّعت الكثير من الوقت في تحديد ما تود أن تقوم به، وجَرَّبت كل أنواع المهن قبل أن تعجبها علاجات التجميل. بعض الناس يحتاجون وقتاً أطول قبل أن يجدوا طريقهم في الحياة، أليس كذلك؟

قبل أن يبدأ سلوك "بول" في.. حسناً.. قبل أن يصير منطوياً زيادة عن اللزوم، كان يضايق "ميل" قليلاً. كان من الممكن أن يتحدث لساعات خلال الاجتماعات طالما أن أحداً لم ينبهه أن يتوقف. ولكننا حاولنا قدر الإمكان مساعدته في التعامل مع "جيس". ولم يكن الأمر سهلاً دوماً؛ فلدينا أحفاد علينا الاهتمام بهم أيضاً. لدى "جافين" ثلاث صغار عليه الاعتناء بهم، ولكن "بول" كان حالة خاصة. كان بحاجة إلى كل المساعدة التي يمكن الحصول عليها، المسكين، فالصحافة من ناحية وتلك العائلة من ناحية أخرى – تصفهم "ميل" بالبذرة السيئة – وهذا كافٍ لأن يملؤه بالأسى والحزن. كان "جافين" على استعداد لأن يتدخل في حال أساءت تلك العائلة التصرف خلال حفل التأبين. وسوف

يلتحق "جافين" بالشرطة العام المقبل. يقولون دوماً إنه سيكون ضابطاً ناجحاً. ولكنني لا أذكر أنه قد ورط نفسه في متاعب حقيقية.

وكذلك تلك الجارة كانت تفعل ما يمكنها أن تفعله. ورغم أنها متعالية، إلا أنها عطوفة. لما شافت الباباراتزي المزعجين ألقت عليهم جردل ماء بارد. لقد تلقوا جزاءهم العادل، مرحى لها.

عندما كانت قناة ديسكفري تخطط لإنتاج ذلك البرنامج الخاص عن الخميس الأسود، بعد الإعلان عن نتائج التحقيق، حضر المنتج للقائي أنا و"ميل" للاتفاق على الظهور والتحدث في البرنامج، وطلب منا أن نتحدث عن مشاعرنا وقت أن علمنا بنبأ الحادث. وكم هو صعب عليّ أن أتذكر هذا الآن، ولكنني و"ميل" كنا من هواة مشاهدة البرامج التي تتحدث عن تحقيقات حوادث الطيران إلى أن فقدنا "دانييل"، وخصوصاً برنامج "أيس كلسو". أما الآن فمن المستحيل أن أشاهد تلك البرامج. رفضت "ميل" طلب المنتجين رفضاً قاطعاً، وكذلك فعلت "كيلي" و"كلفين". كانا قد ارتبطا. فقدت "كيلي" شريك حياتها في الحادث و"كلفين" كان أعزب، وكان من الطبيعي أن يرتبطا. هو بالطبع أكبر منها سناً بكثير، ولكن مثل هذه العلاقات تنجح

في كثير من الأحوال، أليس كذلك؟ انظري إلى علاقتي بميل. هي أصغر مني بسبع سنوات ورغم هذا فعلاقتنا مستمرة منذ عشرين عاماً. "كيلي" و"كلفين" ينتويان الزواج في أغسطس، ولكنهما الآن يفكران في تأجيل الزفاف. ولكنني أخبرتهما بأننا بحاجة إلى شيء من البهجة، وأن عليهما ألا يؤجلا الزفاف بسبب ما حدث لجيس.

وعندما رفض "بول" الظهور في برنامج "ديسكفري" أدركت يقيناً أنه ليس على ما يرام. وإنني لأشكره على أنه كان يُبعد "جيس" عن الأضواء. ولكنه كان في البدايات حريصاً على الظهور في القنوات. وكان ضيفاً دائماً على برامج التوك شو الصباحية خلال أول شهرين، ولا يمل من التحدث عن "جيس" وتعاملها مع واقعها الجديد. ولكنني لا أعتقد أن في هذا ما منح الحق للصحافة في نبش حياته الخاصة ومطاردته كما فعلت. ظننت أنهم تعلموا الدرس من سيرة الأميرة ديانا وتعاملهم معها بتلك الطريقة التي أدت إلى نهايتها المأساوية، ولكن هيهات. فكم هي الدماء التي لابد أن تُسفك قبل أن يشبع هؤلاء؟ أعرف أنني أتكلم كثيراً في هذا الموضوع، ولكنه بالفعل مثير للأعصاب.

أما "جيس".. فهي ملاك حقيقي. كنز. تعطيكي انطباعاً بأنها أكبر وأعقل من سنها بسنوات وسنوات، وهو أمر لا أتعجب له

بالنظر إلى ما مرت به. وابتسامتها دائماً حاضرة، ولم تشتكي أبداً من تلك الآثار التي خلفها الحادث في وجهها. مشرقة ومتفائلة؛ وإني لأندهش من مقدرة الصغار على الانطلاق من جديد بعد مرورهم بمآسٍ من هذا القبيل. قرأت ذات مرة سيرة ذاتية لفتاة مسلمة كانت الناجية الوحيدة من حادث تحطم طائرة في إثيوبيا، وكانت تقول إنها ظنت لسنوات أنها تعيش في عالم خيالي. فربما كانت هذه هي طريقة "جيس" في التعامل مع واقعها. لم تجرؤ "ميل" على قراءة هذا الكتاب. مثلها مثل أغلب أعضاء المجموعة 277. ويخبرني "كلفين" إنه وإلى الآن يطلب من أصحابه التحقق مما سيتم عرضه على التليفزيون قبل أن يتسنى له مشاهدته. لا يريد أن يرى أو يسمع أي شيء له علاقة بالطائرات وحوادثها، ولا حتى التحقيقات والتحريات الشرطية عنها.

أقول لكِ إني لم ألحظ أي شيء غريب في "جيس". وأود أن أسَجِّل هذا. كم هم أوغاد أولئك الأمريكان بأكاذيبهم حول هؤلاء الأطفال المساكين. إنهم يصيبون "ميل" بالجنون من شدة الغضب. كما أننا لسنا وحدنا في رأينا عن "جيس"، أليس كذلك؟ فالمدرسة لم تشتكي منها. ومعلمتها من النوع الجاد الذي لن تعجبه أية سخافات وما كانت لتسكت عنها. وكذلك حال طبيبها النفسي ومسؤول الخدمة الاجتماعية.

آخر مرة التقيث فيها "جيس" كنث وحدي. حيث كانت "ميل" تساعد "كيلي" في اختيار مكان حفل الزفاف وكان "بول" في اجتماع مع وكيل أعماله، كما قال لي. أحضرتها من المدرسة واصطحبتها إلى اسطبل الخيول في آخر الشارع. كنت أسألها دائماً عن أدائها في المدرسة، وكنت أخشى أن يكون هناك من التلاميذ من يتعرض لها بالأذى. لم تكن ندبات "جيس" ظاهرة بشكل قوي، ولكنها موجودة وكثير من التلاميذ قد يسخر منها بسببها. ولكنها أخبرتني أن لا أحد يسخر منها. قوية هي تلك الحلوة. أمضينا ساعات ممتعة في تلك الظهيرة. وعندما عدنا إلى المنزل طلبت مني أن أقرأ لها كتاباً. كان جزءاً من حكايات نارنيا: "الأسد والساحرة وخزانة الملابس". بوسعها أن تقرأ لوحدها بصورة جيدة، ولكنها أخبرتني أنها تود مني أن أقلد أصوات الشخصيات. وكانت تحب الكتاب وتجده مسلياً لا تمل منه.

لما أدركنا أن "بول" وصل، وجدتها تبتسم لي ابتسامة فيها جمال الدنيا، ذكّرتني بابتسامة "دانييل".

- إنت طيب قوي.. عمو "جيف". أنا آسفة لموت بنتك.

كل ما خطرت لي "جيس" أتذكر ذلك الموقف..

وأبكي..

تشيوكو و رو (هذا الشات كان قبل ثلاثة أشهر من اختفائهما)

تسجيل الرسالة – الساعة 13:10 – 25 مارس 2012

رو: موجودة؟

تسجيل الرسالة – الساعة 13:31 – 25 مارس 2012

رو: موجودة؟

تسجيل الرسالة – الساعة 13:45 – 25 مارس 2012

تشيوكو: أنا موجودة.

رو: كنت قلقان عليكي. أول مرة متتكلميش لفترة طويلة زي كده.

تشيوكو: كنت مع "هيرو". كنا بنتكلم. ماما خرجت ومفيش في البيت إلا احنا.

رو: كلمك عن الحادثة؟

تشيوكو: آه.

رو: وبعدين؟؟؟؟؟؟

تشيوكو: بيقول إنه فاكر لما رفعوه بالحبل للهليوكوبتر. قال إنه كان مبسوط. "كأني طاير". وقال إنه نفسه يجرب

الحركة دي تاني.

رو: غريبة.

تشيوكو: عارفة.

رو: هو ده كل اللي فاكره عن الحادثة؟

تشيوكو: ده كل اللي اتكلم فيه لحد دلوقتي. ولو كان يعرف حاجات تانية فأكيد هو مش عايز يتكلم عنها. وأنا مش عايزة اضغط عليه.

رو: اتكلم عن أمه؟

تشيوكو: لأ. وإنت مهتم قوي كده ليه؟

رو: لازم أكون مهتم! وليه ما اكنش مهتم؟

تشيوكو: اتعصبت عليك تاني، صح؟

رو: خلاص اتعودت على كده.

تشيوكو: اعتبرها عضة تلج من أميرة الجليد.

رو: تشيوكو.. لما كان بيكلمك من خلال الأندرويد كنتي بتبصي لمين؟ لهيرو ولا لأندرويد؟

تشيوكو: ها! سؤال وجيه. لهيرو في أغلب الأوقات، بس هي حالة غريبة.. واتعودت عليها دلوقتي. كأني مع واحد

وأخوه التوأم. إمبارح لقيت نفسي باكلمه وكأنه إنسان حي.. بعدما كان "هيرو" ساب الأوضة.

رو: !!!!

تشيوكو: أنا مبسوطة إن في واحد فينا بيضحك. ولكن طريقة تعاملي معاه ونسياني إنه مش كائن حي هي بالضبط الطريقة اللي كانت في دماغ عمو أندرويد لما صنع الأندرويد.

رو: ؟؟؟

تشيوكو: كان عايز يعرف إذا كان البشر مع الوقت هيتعاملوا مع الأندرويد وكأنهم بشر ولا لأ. ودلوقتي بقيت عارفة إنهم هيعاملوهم كبشر في الآخر. أو على الأقل ده اللي عملته أميرة الجليد.

رو: فاتت عليّ دي.. آسف.

رو: إنتي شفتي المقابلة اللي قال فيها إن ساعات لما الناس بتلمس الروبوت وهو بيكون بعيد عنه بمسافات بس بيشعر بلمسات صوابعهم على جلده؟ المخ ده لغز الألغاز.

تشيوكو: طبعاً. نفسي بس أعرف ليه "هيرو" ما يقدرش يتكلم إلا من خلاله. أنا عارفه إن عنده صوت، وبالتالي قادر

إنه يتكلم. يمكن للموضوع علاقة بالعواطف والأحاسيس، رغم إننا في البيت هنا مفيش أي حاجة عاطفية بتربطنا ببعض.. هههههه.

رو: زي المصور اللي بيصور مشاهد مرعبة من غير ما يفكر يبعد عنها. أنا شايف إن عندك حق في النقطة دي.

تشيوكو: اسمع دي: سألته إذا كان نفسه يرجع المدرسة الابتدائي النهارده.

رو: وبعدين؟

تشيوكو: قال لي لما روحي ترجع لي.

رو: إيه؟

تشيوكو: هو مسمي الأندرويد روحه.

رو: هَدّي اللعب. وخصوصاً إن "أيكو أوري" بدأت تظهر في التليفزيون تاني وتتكلم عن نظرية الفضائيين. مش لازم تنتهزها فرصة يعني.

تشيوكو: واتكلمت عن إيه؟ اتكلمت عن "هيرو" تاني؟

رو: مش المرة دي. ولكنها مؤمنة بإن الفضائيين خطفوه. فيه مقطع فيديو مرفوع على موقع نيكو نيكو بتتكلم فيه عن ده. أدمن الموقع عاملينه بطريقة كوميدية ومدخلين

عليه لقطات من فيلم "إي تي".

تشيوكو: مفيش فرق بينها وبين تجار الدين الأمريكان وخزعبلات الطفل الرابع. بيحطوا بنزين على النار عشان تفضل والعة. ويفضل فيه اهتمام. كل ما الموضوع يبرد تلاقي حد طلع شعللها.

رو: ها! إيه الكلام الكبير ده. لازم تبقي كاتبة. أعمل أنا وانتي قصص مصورة.

تشيوكو: وتبقى لينا سلسلة "مانجا" بتاعتنا احنا. يمكن في.. استنى. فيه حد على الباب. يمكن مندوب مبيعات أو واحد بيجرب حظه.

تسجيل الرسالة: 15:01 بعد الظهر – 25 مارس 2012

تشيوكو: حزر فزر كان مين؟

رو: ما اعرفش.

تشيوكو: بس قول.

رو: زوجة الكابتن "سيتو".

تشيوكو: لأ. جرّب تاني.

رو: "أيكو أوري" والفضائيين؟

تشيوكو: لا طبعاً!

رو: "توتورو" وأوتوبيس القطط؟

تشيوكو: ها! حلوة دي.. هابقى أقولها لهيرو. قلت لك قبل كده إنه بيتفرج على مسلسل "توتورو"، مع إن أمي طلبت مني أخليه يتفرج على حاجة تانية غيره؟

رو: لا ما قلتيش. طب المسلسل ده ما زعلوش؟ والأندرويد ما زعلش؟

تشيوكو: لأ. ده كان بيضحك. ده عجبه المشهد اللي كانت فيه أم البنات في المستشفى.

رو: الولد ده غريب فعلاً. طيب؟ لو مش أوتوبيس القطط، يبقى مين؟

تشيوكو: كانت بنت الست الأمريكانية.

رو: Σ(O_O;)!! .. بنت "باميلا ماي دونالد"؟

تشيوكو: أيوه.

رو: وعرفت عنوانكم منين؟

تشيوكو: يمكن عرفته من أعضاء مجموعة الإيزوكو. لكن ممكن تجيبه من أي مصدر تاني. المجلات والجرايد دايماً

تقول إن البيت جنب محطة يويوجي، وكمان صور البيت موجودة على موقع طوكيو هيرالد.

رو: شكلها إيه؟

تشيوكو: افتكرت إنك شفتها في حفل التأبين؟

رو: قصدي شخصيتها عاملة ازاي؟

تشيوكو: في البداية افتكرتها أجنبية عادية. وهي كده نوعاً ما. بس لقيتها هادية جداً ولبسها محافظ. سلمت عليّ بكل تبجيل واحترام وكأنها عارفة إني أميرة الجليد.

رو: دخلتيها البيت؟؟؟؟

تشيوكو: وليه لأ؟ هي زي غيرها.. إيزوكو. ومش بس كده. أنا خليتها تتكلم مع "هيرو".

رو: مع "هيرو" ولا روح "هيرو"؟

تشيوكو: روح "هيرو".

رو: خليتيه يتكلم معاها من خلال الأندرويد؟؟؟؟ كنت فاكرك زعلانة منها؟

تشيوكو: وليه أكون زعلانة منها؟

رو: علشان اللي اتسببت فيه أمها.

تشيوكو: ده مش ذنبها. الذنب ذنب الأمريكان الأغبياء. وكمان كان باين عليها التوهان والحيرة. وأكيد كانت شجاعة منها إنها تسافر من أوساكا لحد هنا عشان تشوفه.

رو: فيه حاجة مش مضبوطة. دي مش طريقة أميرة الجليد.

تشيوكو: يمكن كنت عايزة أعرف رأيها في "هيرو". فضول يعني.

رو: وإيه كان رد فعلها لما شافت روح "هيرو" وعرفت إنها لازم تتكلم معاه من خلاله؟

تشيوكو: بصت له وبعدين انحنت له زي ما الأجانب متعودين يعملوا لما يحبوا يبانوا مؤدبين. لدرجة إني حسيت الأندرويد بيضحك من جواه. كان ورا الشاشة في أوضتي مع الكمبيوتر والكاميرا. عجبني منها إنها ما صرختش أو خافت.

رو: وسألته عن إيه؟

تشيوكو: في الأول شكرته على إنه وافق يكلمها. وبعدين سألت السؤال التقليدي عن إذا ما كانت والدته اتعذبت قبل ما تموت ولا لأ.

رو: وبعدين؟

تشيوكو: "هيرو" قالها إنها اتعذبت.

رو: آخ. وردت قالت له إيه؟

تشيوكو: شكرته على صدقه.

رو: يبقى "هيرو" اعترف إنه اتكلم مع أمها؟

تشيوكو: مش بالضبط. هو ما ردش ردود مباشرة. لدرجة إني افتكرت إنها هتزعل، ولكن لقيت "هيرو" بيقول لها ما تزعليش.. قالها بالانجليزي!

رو: "هيرو" بيتكلم إنجليزي؟

تشيوكو: أكيد عمتو "هيرومي" وعمو أندرويد علموه شوية إنجليزي قبل الحادثة. بعد كده عرضت عليه صورة أمها، وسألته إذا كان متأكد من إنه شافها. ومرة تانية قالها ما تزعليش. بدأت تبكي؛ تبكي بحرقة. وخفت على "هيرو" فطلبت منها تمشي.

رو: تشيوكو.. أنا مش من حقي أقول كده..لكن.. أنا شايف اللي عملتيه ده غلط.

تشيوكو: إني مشيتها؟

رو: لأ. إنك خليتيها تتكلم مع روح "هيرو".

تشيوكو: أنا ما طلبتش رأيك. وكلامك ده عادي.. ما انت بتحب الأمريكان.

رو: إنتي ليه بتصعبي الأمور عليّ؟

تشيوكو: لأن مش من العدل إنك تطلعني أنا الغلطانة.

رو: أنا مش باحاول أطلعك غلطانة. أنا باحاول أكون صديقك.

تشيوكو: الأصدقاء ما بينتقدوش بعض.

رو: أنا مش باحاول انتقدك.

تشيوكو: لأ إنت بتحاول. وانا مش ناقصة. كفاية عليّ ماما. أنا هاطلع.

رو: استني! ممكن على الأقل نتكلم في الموضوع ده؟

تشيوكو: ما فيش حاجة نتكلم فيها.

تسجيل الرسالة: 16:34 مساء – 25 مارس 2012

رو: لسه زعلانة؟

تسجيل الرسالة: 16:48 مساء – 25 مارس 2012

رو: _|7O

تسجيل الرسالة: 3:19 فجراً – 26 مارس 2012

تشيوكو: رو.. صاحي؟

رو: أنا آسف. شفتي.. ده انا حتى بعت لك ORZ

تشيوكو: شفتها.

رو: إنتي كويسة؟

تشيوكو: لأ. ماما وبابا اتخانقوا. أول مرة تحصل من ساعة "هيرو" ما جه هنا. خايفة إن ده يأثر عليه.

رو: وإيه السبب؟

تشيوكو: أنا السبب. ماما قالت لبابا إنه لازم يشد عليّ شوية ويخليني أرجع أروح المدرسة. قالت لي إني لازم اهتم بمستقبلي أكتر. طيب مين هيخلّي باله من "هيرو"؟

رو: بقيتي مرتبطة جداً بالولد.

تشيوكو: فعلاً.

رو: طيب.. وإيه اللي انتي راسماه لحياتك؟

تشيوكو: أنا زيك؛ عايشة يوم بيوم. ثم إيه الاختيارات؟ أنا مش عايزة أبقى موظفة، وأفضل عبدة طول حياتي. ومش عايزة أربط نفسي بشغلانة غبية. أكيد في الآخر هاقضي

حياتي في خيمة وسط المشردين. ماما هتبقى أسعد واحدة في الكون لو إني اتجوزت وخلفت وبقى ده هدف حياتي.

رو: تفتكري ده ممكن يحصل؟

تشيوكو: مستحيل!!!!! أنا باحب "هيرو" ولكن فكرة إني أبقى مسؤولة عن حياة شخص تاني.. أنا هعيش لوحدي وأموت لوحدي. ده مصيري.

رو: إنتي مش لوحدك، يوكو.

تشيوكو: متشكرة، رو.

رو: إيه ده؟ أميرة الجليد بتقول شكراً ؟؟؟

تشيوكو: لازم أمشي دلوقتي. "هيرو" صحي. أكلمك بكرة.

رو: ☆・*:.｡(≧▽≦•).｡.:*・☆

---

(3) إزوكو (izoku) (こちら): كلمة عامية يابانية تعني الثكالى أو من فقد أحداً من أهله. (المترجم)

(4) دكتور «هو»: Doctor Who هو بطل مسلسل تليفزيوني بريطاني شهير. (المترجم)

الجزء السادس

المؤامرة

مارس - أبريل

لولا كاندو

آخر مرة التقاني فيها "ليني" كان غاضباً جداً. فما إن دخل إلى غرفة الموتيل حتى شرب كأسيّ بوربون على الفور، ثم كأس ثالث. وأخذ وقته حتى يهدأ ويخبرني عما يجري.

فقد تبين أن الدكتور "لند" نَظَّم حملة تأييد لميتش رينارد في "فورت وورث". وكان المؤتمر أشبه بالمؤتمرات المؤيدة لإسرائيل، اجتماع لأصحاب الديانتين، أما ما حرق دم "ليني" فهو أنهم تجاهلوه ولم تتم دعوته لكي يلقي كلمة. وهذا ليس كل شيء. فبعد تلك الحلقة الإذاعية - الحلقة التي تلقى فيها ضربة قاضية من مذيع الدي جي في نيويورك - أرسل إليه الدكتور "لند" ناشرته. وأخبرته الناشرة (التي وصفها "ليني" بأبشع الصفات) أن عليه ألا يلفت إليه الأضواء، وأن يفسح المجال للدكتور "لند" و"فليكسبل ساندي" لكي يعرفوا الناس برسالة "باميلا" على طريقتهما. وأحنق "ليني" أن الدكتور "لند" لم يرغب في أن يشركه في مهمة البحث عن الطفل الرابع.

- عليّ أن أجد طريقة لإقناعه بأنه يحتاجني، "لو". "باميلا" اختارتني أنا.. أنا.. حتى أنشر الرسالة. عليه أن يفهم ذلك.

لا أقول بأنني لم أشعر بالأسف لأجل "ليني"، ولكن قيام الدكتور "لند" بإبعاده والبلطجة على رسالته، جعله يبدو أشبه بتلميذ بليد في فصل من المتفوقين. ولا أعتقد أن للمسألة علاقة بالمال. أخبرني "ليني" إن الموقع الإلكتروني يجلب له تبرعات من جميع أنحاء العالم. رأيي أنها مسألة كرامة وليست مسألة فلوس.

وربما قرر الدكتور "لند" أن يحجمه، ولكن رسالة "ليني" تنتشر مثل النار. ناس أعرف أنهم بعيدين عن الدين تحولوا وصاروا من مريديه. اثنان من زبائني من بينهم. وبالتأكيد أن البعض قام بذلك من باب الاحتياط – يعني لو تبين لهم أن الموضوع بحق وحقيقة. ولم يهتموا بنداءات الأسقفيين بل وزعماء المسلمين التي تنبههم أن ليس هناك داع للفزع، أي أنهم بدأوا يصدقون، أليس كذلك؟ كما أن هناك كل هذه العلامات التي تحدث في جميع أنحاء العالم - علامات الطاعون والمجاعة والحرب وأيّاً كان. فيروس التقيؤ ومرض الحمى القلاعية يزدادا سوءاً، ثم جاء الجفاف في إفريقيا والذعر الكبير عندما هددت كوريا الشمالية باختبار أسلحتها النووية. كان ذلك مجرد بداية. ثم كانت هناك كل

تلك الشائعات عن جد "بوبي" وذلك الروبوت قرين الطفل الياباني. كان الحال كما لو أنه في كل مرة يصيب فيها أحدهم نظريات "ليني" في مقتل تظهر علامة أخرى تحييها من جديد. ولو سألتني خلال الأيام التي التقيت فيها "ليني" للمرة الأولى إذا كان من الممكن أن يسبب مثله هذه الضجة، لما خطر لي ذلك أبداً.

يقول لي دوماً:

- أريد أرضية أقوى، "لو". الدكتور "لند" بيكوّش على كل شيء. وكأن الفكرة فكرته.

- هو مش الهدف في الآخر إنقاذ البشر من مصيرهم الأسود، حبيبي؟

- آه.. طبعاً.. إنقاذ البشر.

وكأنني أثرت جنونه من جديد، فأخذ يحكي عن أن الوقت يجري وأن من الضروري أن يتعاون معه الدكتور "لند". إنه لم يرغب في ممارسة أي شيء في ذلك اليوم. لم يكن في المزاج. قال لي إن عليه الذهاب للقاء ذلك المرسال الجبلي، وأن عليه أن يضع خطة تمكنه من العودة إلى صدارة المشهد من جديد. وأخبرني أن هناك مجموعة من المراسيل مثل صاحبه الجبلي يقيمون بالفعل في منزله في المزرعة، وأعتقد

أنه يفكر في استضافة المزيد منهم.

بعدما غادر، قمت بجمع أغراضي، مستعدة للعودة إلى شقتي وإلى زبوني التالي، عندما سمعت طرقاً على الباب. ظننت أن "ليني" عاد، بعد أن ندم على أنه أضاع ساعة في الكلام وبس. فتحت الباب لأجد أمامي امرأة. عرفتها على الفور. عرفتها من تلك الكلبة التي معها.. "سنوكي". بدت أنحف من تلك المرة التي ظهرت فيها في برنامج الدكتور "لند". نحيفة جداً، وكأنها مريضة بفقدان الشهية. غير أن تعبيرات وجهها كانت مختلفة. لم تكن تائهة محتارة كما كانت في تلك الحلقة. ولم تكن كذلك غاضبة أو ساخطة، ولكن نظرة عينيها وحدها تحذرني بأن لا مجال للعبث معها.

نظرت إليّ من أعلى لأسفل، وكأنها تبحث عما يعجب "ليني" في جسدي.

- منذ متى وهو على علاقة بك؟

أخبرتها الحقيقة. أومأت برأسها ودفعتني لتدخل الغرفة.

- تحبينه؟

كدت أضحك. ولكنني قلت لها إن "ليني" مثله مثل أي زبون آخر. فأنا لست صديقته أو عشيقته أو حبيبته. وإن العديد من زبائني متزوجين؛ وهذا شأنهم.

كان ردي أشبه ببلسم مسكن. فجلست إلى الفراش، وطلبت مني شراباً. ناولتها كأساً من مشروب "ليني" المفضل. تشممته، ثم شربته مرة واحدة. ويبدو أن هذا قد جعلها تشرق، ولكنها تحكمت في نفسها تماماً. لوَّحت بيدها تجاه أنحاء الغرفة، وقالت:

- كل هذا، وما تفعلينه معه. أنا الذي أدفع ثمنه. أنا أدفع ثمن كل شيء.

سكت محتارة في الإجابة. أعرف أن "ليني" يعتمد على مالها، ولكنني لم أدرك أنه يستغلها لهذه الدرجة. وضعت الكلبة على الفراش جوارها. تشممت الكلبة الأغطية ثم انقلبت على جنبها وكأنها ستموت الآن. أعرف أن الحيوانات ممنوعة في الموتيلات، ولكنني لم أجرؤ على أن أخبرها بذلك.

سألتني عن طريقة ممارسة الجنس التي يحبها "ليني"، ولم أكذب عليها. أخبرتني أنها على الأقل عرفت أنه لا يخفي عنها طوال تلك السنوات أي ميول جنسية غريبة.

ثم سألتني عما إذا كنت أصدق ما يقوله عن أولئك الأطفال وأنهم فرسان. أخبرتها أنني لست متأكدة من الحقيقة. أومأت برأسها قبل أن تنهض لتغادر. لم توجه إليّ أي كلام من بعد

ذلك. هناك حزن راسخ في أعماقها. أكاد أراه متجسداً أمامي. ولابد أنها هي من فضحت علاقتي بليني لمراسل مجلة "إنكوايرر". فلم يمر سوى يوم حتى وجدت ذلك المراسل يتصل بي مدعياً أنه زبون. ومن حُسن حظي أنني لم أكن سكرانة، ولكن هذا لم يمنع ترصد المصورين لي فيما تلى ذلك من أيام.

رحت إلى "دينيشا" في تلك الليلة، وأخبرتها أن "ليني" زبون من زبائني. وجدت أنها لم تندهش. صعب أن يدهش "دينيشا" أي شيء. فهي خبرة. وربما تتساءلين عن مشاعري تجاه "ليني" الآن. كما قلت لكِ، هناك كثيرون يريدون مني أن أقول بأنه كان مثل الوحش. ولكنه لم يكن. مجرد إنسان. وأعتقد أنني عندما أقرر أن أنشر هذه القصة في كتاب كما يلح عليّ الكثير من الناشرين، ربما أوردت المزيد من التفاصيل عن تلك العلاقة..

ولكن هذا هو كل ما لدي عن هذا الموضوع الآن..

تم نشر المقال التالي، والذي كتبه "فويو موليفي" - الصحفي والمدوِّن الحر الشهير - في صحيفة أمبوزو Umbuzo الإلكترونية في 30 مارس 2012

عودة الجثث: التكلفة الشخصية لحادثة دالو أير

نحن الآن في اليوم السابق على حفل تأبين ضحايا حادثة "دالو أير" وإزاحة الستار عن النصب التذكاري في "خايليتشا"، ورغم ذلك فهناك حشد كبير من المصورين الصحفيين. تم نقل فرق عمال المجلس بالأتوبيسات لتطويق المنطقة المحيطة بالنصب التذكاري الذي شيدوه على عجل - عبارة عن هرم زجاجي أسود غامض أقرب إلى تلك النماذج التي نشاهدها في فيلم خيال علمي من الدرجة الثالثة. ولماذا الهرم؟ سؤال وجيه، ولكن على الرغم من كم المقالات التي هاجمت هذا الاختيار، إلا أنني لم أجد إجابة منطقية مباشرة عند أحد، لا عند "رافي مودلي"، عضو مجلس مدينة كيب تاون الذي كلف بالمشروع، ولا عند الفنانة التي نحتته، "مورنا فان دير ميرفي".

يزدحم الموقع أيضاً بأفراد الأمن مفتولي العضلات من الرجال والنساء، يرتدون بدلات سوداء نمطية وسماعات الأذن البلوتوث، يراقبونني وبقية ممثلي الصحافة الآخرين بمزيج من الاحتقار وعدم الثقة. ومن بين العظماء والأخيار المصطفين لحضور حفل الغد كلّ من "أنديسوا لوسو"، الذي صار الرئيس الجديد للجنة الشباب في حزب المؤتمر الوطني الإفريقي، و"جون ديوبي"، وهو واعظ نيجيري شهير وفي الوقت نفسه قطب من أقطاب رجال الأعمال يُقال إنه على علاقة وثيقة بالكنائس الأمريكية الكبرى، بما في ذلك تلك

التي تحت سيطرة الدكتور "تيودور لند"، الذي يتصدر عناوين الصحف في جميع أنحاء العالم بنظريته عن الثلاثة وإرهاصات نهاية العالم. وقد أشيع أن "ديوبي" ورفاقه قد رصدوا مكافأة مالية لمن يعثر على "كينيث أودواه"، الراكب الذي من المرجح أن يكون الفارس الرابع. ومع أن هيئة الطيران المدني في جنوب إفريقيا ومجلس سلامة النقل الوطني يصران على أن أحداً لم ينجو من كارثة الرحلة 467، إلا أن قيمة المكافأة المالية أثارت جنوناً هستيرياً كافياً لأن يتسابق السكان المحليين والسياح على حد سواء على نيل الجائزة. وقد أثار وجود اسم "كينيث" محفوراً على النصب التذكاري، على الرغم من عدم العثور على رفاته أو تحديد الحمض النووي، غضب العديد من الإنجيليين النيجيريين ومجموعات مسيحية أخرى، وهذا هو سبب وجود إجراءات أمنية مشددة.

ولكنني لست هنا لمناكفة مسؤولي الأمن أو لتصيد حوار مع أحد كبار الشخصيات. فأنا اليوم غير مهتم بحكاياتهم.

يلتقيني "ليفي بانداه" (21 عاماً)، الذي ينحدر من "بلانتير" في مالاوي، في مدخل قاعة بلدية "ميو واي". وقبل ثلاثة أسابيع، كان قد سافر إلى كيب تاون من أجل البحث عن رفات شقيقه "إلياس"، والذي يعتقد أنه واحد من

الضحايا الذين قُتلوا على الأرض عندما اخترق جسم الطائرة مساكن البلدة. وكان "إلياس" يعمل بستانياً في كيب تاون ليساعد عائلته الكبيرة في مالاوي، وقد أحس "ليفي" بوجود مصيبة ما عندما مر أكثر من أسبوع من دون يتصل "إلياس" بالعائلة.

- يرسل لنا رسالة نصية كل يوم، ويرسل المال كل أسبوع. ولم يكن أمامي سوى أن أسافر إلى هنا حتى أعثر عليه.

اسم "إلياس" غير مدرج بين المتوفين، ولكن في ظل وجود الكثير من الأشلاء مجهولة الهوية - يعتقد أن أغلبها لمهاجرين غير شرعيين – والتي ما زالت تنتظر فحص الحمض النووي لتحديد الهوية بصورة رسمية، فإن كل شيء وارد.

في العديد من الثقافات الإفريقية، ومنها بلدتي - خوزا، يكون من الأهمية بمكان أن تُعاد جثث المتوفين إلى أرض آبائهم وأجدادهم حتى يلتئم شملهم مع أرواح الأجداد. وإذا لم يتم ذلك، فإنهم يعتقدون أن روح المتوفي ستبقى غير مستقرة وتبث الحزن والأسى في نفوس الأحياء. والواقع أن عملية إعادة الجثمان عملية مكلفة. فهي يمكن أن تكلف ما يصل إلى 14 ألف راند لنقل الجثمان إلى مالاوي وزيمبابوي عن طريق الشحن الجوي؛ وإذا لم يتحصل أصحابها على

مساعدة فإنه سيكون من المحال عليهم جمع مبلغ مثل هذا. وبالنسبة لأسر اللاجئين، فإن نقل جثمان عبر أكثر من ألفي كيلومتر عن طريق البر هو الحل، مهما بدا لك ذلك شاقاً شنيعاً. ولقد سمعت قصصاً عن مديري الجنازات الذين اتفقوا مع الأُسر على شحن الجثث تحت بند (سلع مجففة) من أجل خفض تكاليف الشحن الجوي.

وفي الأيام التي أعقبت الحادث، ساد صخب مكبرات الصوت جميع أنحاء "خايليتشا"، حيث كانت أُسر الضحايا تنادي متوسلة البلدية للتبرع بكل ما يمكن حتى يتسنى لها إعادة الجثامين إلى أوطانها. وكان من المألوف أن تجد الثكالى وقد جمعن ضعف المبلغ الذي يحتجنه؛ فمع كثرة الناس الذين يهاجرون من الكاب الشرقية إلى كيب تاون للعمل، صار لا أحد يعرف متى سيكون بحاجة للمساعدة. ولا فارق هنا بين المجتمعات المحلية ومجتمعات اللاجئين.

"لقد كانت البلدية هنا كريمة معنا".

هكذا يقول "ديفيد أماي" (52 سنة)، وهو رجل لبق الكلام نشيط الحركة من بلدة "تشيبينجي" في زيمبابوي، وافق على أن يتحدث معي. وهو مثل "ليفي"، أتى إلى كيب تاون لينتظر موافقة السلطات على تسليمه رفات ابن عمه "لف مور" – وهو من ضحايا الحادث. ولكنه وقبل أن يغادر

زيمبابوي تحصل على شيء لم تتحصل عليه عائلة "ليفي" – تحصل على دليل قاطع على مصرع قريبه. وهو دليل لم يتلقوه من أحد العاملين في موقع الحادث.

عندما انقطعت أخبار "لف مور" لم نكن قد تأكدنا بعد من أنه من بين القتلى. فلجأت عائلتي إلى استشارة سانجوما (ساحر بالأعشاب) وقام هذا الأخير بطقوس تحدث خلالها مع أجداد ابن عمي. والذين أكدوا له أنه قد تواصل معهم وعندئذ تيقنا من وفاته.

تم تحديد هوية جثة "لف مور" من خلال تحليل الدي إن إيه، ويأمل "ديفيد" في العودة بها سريعاً إلى بلدته الأم.

ولكن ماذا لو لم تكن هناك جثة يمكن دفنها؟

إذا لم يجد "ليفي" بقايا جثة يمكنه العودة بها إلى عائلته، فإنه في تلك الحالة يجمع بعض الرماد من أرض موقع الحادث، ويبادر بدفنه فور وصوله البلدة. وفي هذه النقطة تحوّلت حكاية صاحبنا إلى نوع من الكوابيس (أو كوميديا الفارس في واقع الأمر). فبينما حاول جمع كيس صغير من التراب، انقض عليه شرطي متحمس، وقبض عليه بتهمة سرقة تذكارات لبيعها للسياح ولجماعة البحث عن "كينيث أودواه". وبالرغم من محاولاته وتوسلاته كي يشرح لهم الحقيقة إلا أنهم ألقوا به في الحبس طيلة عطلة نهاية

الأسبوع، وخلال تلك الفترة أصابه الضعف والوهن من شدة الخوف على حياته. ومن حُسن حظه أن سمعت بحكايته مؤسسات أهلية فساعد ذلك على تدخل سفارة مالاوي، حتى تم إطلاق سراحه في نهاية المطاف. وقد أخذوا منه عينة الدي إن أيه، وهو الآن ينتظر التأكيد على أن "إلياس" كان من ضمن الضحايا.

- يقولون إن الأمر لن يستغرق وقتاً. والناس هنا طيبين معي. ولكن لا يمكن أن أعود لبلدي وعائلتي من دون أي شيء من جثة أخي.

وبينما أغادر الموقع، أتلقى رسالة نصية من رئيس التحرير يخبرني فيها أن "فيرونيكا أودواه"، خالة "كينيث" المفقود، وصلت إلى كيب تاون لحضور مراسم الغد، لكنها رفضت التحدث إلى الصحافة. فانشغل عقلي بالتفكير في طبيعة مشاعرها وأحاسيسها في هذه اللحظات. فهي مثل "ليفي"، تعيش في شك وعدم يقين، على أمل واهٍ يتمثل في ألا يكون ابن أختها من بين قتلى الحادث..

أمل واهٍ يتشبث بمعجزة بعيدة المنال..

الرقيب "راندال أريينديس" هو الذي يدير مركز الشرطة في الموقع ج، في "خاييليتشا" بكيب تاون. وقد تحدث إليّ في أبريل 2012

تباً لأصحاب نظرية الفارس الرابع هؤلاء.. كل هذا هراء. يحضرون في كل يوم إلى المركز ومعهم طفل جديد يدعون أنه "كينيث أودواه". ويتبين في النهاية أنه مجرد طفل من أطفال الشوارع أعطوه نقوداً وطلبوا منه أن يَدّعي أنه "كينيث". ولا يقتصر الأمر علينا فحسب، فهم يفعلون ذلك في كل مراكز الشرطة في الكيب. هؤلاء الأغبياء في أمريكا لا يدركون حجم ما سببوه من ضرر. مائتا ألف دولار؟ أي قرابة 2 مليون راند، وهو مبلغ لا يمكن لكثيرين في جنوب إفريقيا أن يحلموا بامتلاكه. لدينا صورة للولد، ولكن لا نجد فائدة من مقارنتها مع كل هؤلاء الأطفال. لقد كان رفاقي في موقع الحادث يومها. ومن المستحيل أن يكون أحد من ركاب تلك الطائرة قد نجا، حتى ولو كان هو فارس الجحيم الذي يتحدثون عنه.

في البداية كنا نتعامل مع السكان المحليين الذين كانوا يجربون حظهم ولكن بعد ذلك بدأ الأجانب في الظهور. لم يكن هناك الكثير منهم في البداية، ولكن سرعان ما تدفقوا. وانتهزها النصابون عندنا فرصة. والمحترفون منهم صاروا يعرضون خدماتهم عبر الإنترنت. وهكذا وفي زمن لا يُذكر تكوَّنت عصابات متخصصة تنظم عمليات البحث التي شملت كل البلدات. ومن دون أي تصاريح. وبالتالي صرنا أمام

مقامرين سُذج وعصابات تنصب عليهم. بل لقد وصل غباء البعض منهم إلى أن يدفع قيمة كل شيء مقدماً. إنها أسهل عملية نصب واحتيال يمكن تخيلها، ولا أخفي عنكِ سراً حينما أقول إن بعض رجال الشرطة متورطون ومشاركون.

لا يمكن أن أصف لك عدد ونوعية هؤلاء المقامرين الذين تقطعت بهم السبل في المطار بعدما طاروا حتى هنا وبلغت بهم السذاجة حداً جعلهم يصدقون بالفعل أن هناك من سيكون بانتظارهم ليقدم لهم "باقة الخدمات" التي تعاقدوا عليها عبر الإنترنت. كما صار يأتي إلينا صائدو الجوائز المحترفون، ومنهم رجال شرطة سابقين! البعض منهم يبحث عن المال ولا يهمه أبداً إذا كان الأمر صحيحاً أم لا، ولكن قليلون هم من جاءوا مقتنعين ومؤمنين بهراء أولئك القساوسة. ولكن كيب تاون منطقة ليست بالسهلة. فمن الصعب أن يأتيها أحد مكتفياً بأنه يستقل سيارته المستأجرة ويتجول عبر بلداتها مكتفياً بطرح الأسئلة. فعدد غير قليل منهم تلقن الدرس، وكان الدرس قاسياً، حينما وجد نفسه وقد تم تجريده من كل ما يمتلك وبكل سهولة؛ فهو إذا أفلت من النصب والاحتيال لن يفلت من البلطجة والسرقة والنشل.

لن أنسى أبداً اثنين من الأمريكان حضرا إلى المركز ذات

مساء. كانا حليقي الرأس ولهما عضلات نمت فوق عضلات. كلاهما من العسكريين المتقاعدين، كانا في مشاة البحرية. ظننت أنهما صعبي المراس، وأخبرانا أنهم لعبا دوراً فعَّالاً في القبض على عتاة إجرام أمريكان مطلوبين للعدالة. ولكنني عندما التقيتهما أول مرة كانا يرتجفان مثل البنات. كانا قد التقيا بشخص زعم أنه "دليلهما" في المطار واصطحبهما إلى قلب "خايليتشا". وعندما وصلوا إلى وجهتهم، أمرهم ذلك المرشد بتسليم السلاح، وكان معهما مسدسين من طراز "جلوك"، وكل الأموال وبطاقات الائتمان وجوازي السفر، بل والأحذية، والملابس، وترك كلاهما عارياً إلا من البوكسر. بل وعذبهما. أمرهما بأن يمشيا حافيا الأقدام حتى منزل مهجور في المرتفعات، وهناك ربطهما وهددهما بأن أي صرخة تند عنهما تعني الموت الفوري. ولما نجحا في النهاية في الفرار كان الظلام حل، وأما ذلك المرشد فإنه فص ملح وذاب. عطف عليهما القرويون وأحضروهما إلى المركز. كانت حكايتهما نكتة تندرنا عليها هنا لأيام. قمتُ بتوصيلهما إلى السفارة الأمريكية عاريين إلا من البوكسر؛ لأننا لم نجد ملابس على مقاسيهما في المركز.

ما أريد أن أقوله هو أن الناس هنا يقاتلون في كل يوم لأجل لقمة العيش بل ولكي يبقوا على قيد الحياة فحسب، ولن يتورعوا عن انتهاز أية فرصة تلوح لهم. لا أقصد الكل،

ولكن الحياة صعبة بالفعل. من يريد أن يتجول في شوارعنا لابد وأن يكون هو الآخر "شوارعي". ولابد أن تبدي تفهمك واحترامك لما قد تصادفه أو تكون أنت الضحية التالية. أنا عن نفسي لا يمكن أن أتخيل أن أذهب إلى لوس أنجلوس ومن ثم أتجول في شوارعها بكل بساطة وكأني واحد من أهلها. لقد كنا مضطرين إلى وضع لافتات في المطار لنحذر القادمين من النصابين، بل واقترحنا أن يقوم هؤلاء بتسليم متعلقاتهم الثمينة لدى مكتب الهجرة. هذا الوضع العبثي يُذَكِّرني بفيلم "تشارلي ومصنع الشوكولاتة"؛ لما جن جنون الجميع وهم يبحثون عن تلك التذكرة الذهبية.

أعني أننا رجال الشرطة أمام مشكلة كبيرة، ولكن هذه المشكلة صارت نعمة كبيرة لصناعة السياحة. الفنادق كاملة العدد، والأتوبيسات السياحية مكتظة، والفائدة على الجميع، بدءاً من أطفال الشوارع وحتى أصحاب الفنادق. وأكبر مستفيد هم أطفال الشوارع هؤلاء. لا تنسي أن الشائعات في البداية كانت تقول إن "كينيث" يعيش في الشوارع في مكان ما. والناس على استعداد لتصديق أي كلمة تمنحهم ولو نصف أمل.

وإني لأشعر بالأسى لأجل خالة "كينيث". إنها سيدة مؤدبة لطيفة. وكان ابن عمي "جامي" مسؤولاً عن تأمينها عند

إزاحة الستار عن النصب التذكاري وقد حضرته بعدما أتت من لاجوس. أخبرني أنها كانت شاردة مذهولة، وتقول بأنه طالما أن هولاء الأطفال الثلاثة نجوا فما الذي يمنع أن يكون "كينيث" قد نجا هو الآخر؟

لقد منحها أولئك المتعصبين الأوغاد أملاً زائفاً غير منطقي..

بالتأكيد.. مجرد أمل زائف.

ولم يخطر ببالهم ولو للحظة أن ما يعتبرونه مهمة دينية مقدسة هو في الحقيقة..

أشد الأفعال وحشية.

ريبا نيلسون

لم أعد أفهم أو أحتمل كل هذا. شعرث أن الأب "لين" يتجاهل مريديه لأجل أناس مثل هذا الجبلي. هل أخبرتك عن حكايته، إلزبيث؟ أنا لا أذكر أنني حكيتها. كان أول من قرر البقاء في ذلك المنزل - وكان حضر إلى مقاطعة "ساناه" بعد عودة الأب من مؤتمر هيوستن. وما هي إلا أيام حتى كان لا يفارق الأب "لين"، مثل كلب ضال وجد من يطعمه ويحنو عليه. لم أهتم به في البداية، ولست أقول هذا بسبب ما فعله مع "بوبي" المسكين. هناك شيء غريب فيه، ولست

أنا وحدي الذي يقول ذلك. كانت "ستيفاني" دوماً ما تقول ذلك. تميزه تلك الوشوم التي تغطي ذراعيه - بعضها لا يبدو أنه مسيحي - وشعره هائش بحاجة إلى كثير من العناية. هو أقرب إلى عبدة الشيطان منه إلى مسيحي متدين.

ومنذ حضور الجبلي والأب "لين" يتجاهل "جيم". بالطبع يصطحبه الأب إلى الكنيسة أيام الأحد في بعض الأحيان، وأنا أعلم أنه لم يصرف النظر عن فكرة تنظيم رحلات إلى منزل "بام"، ولكن "جيم" في أغلب الأوقات يبقى وحده في المنزل ليسكر حتى يغيب عن الوعي.

طلب الأب "لين" من "بيلي"، ابن عم "ستيفاني"، نشر إعلان لطلب خدمات مقاول بناء لبعض الأعمال في المزرعة، لذلك كان "بيلي" من أخبرنا أن هؤلاء سيمكثون هناك بصفة مستمرة. وقال لنا إن العملية تبدو وكأنهم ينوون إقامة مجتمع مغلق، مثل مجتمعات الهيبيز.

أمضيت ليالٍ طوال من دون نوم خلال تلك الأسابيع، "إلزبيث". لا يمكنني أن أصف لكِ كم عانيت. عندما كان الأب "لين" يتحدث عن العلامات.. كان لكلامه معنى.. ولكنني غير مقتنعة بأن تكون "باميلا".. تلك العجوز البالية.. مرسالة.

لقد أصبت "لورن" بالملل من كثرة كلامي معه في هذا الموضوع.

- "ريبا". تعلمين أنكِ مسيحية تقية وأن يسوع سينقذك مهما حصل. فإذا كنتِ لا تريدين المضي قدماً في اتباع الأب "لين"، فربما كانت هذه هي إرادة يسوع.

الشعور نفسه يراود "ستيفاني"، ولكن هذا الانفصال ليس بالأمر السهل. ليس في مجتمع صغير مثل مجتمعنا. يمكنك أن تقولي إنني كنت أنتظر الوقت المناسب.

قلقت أنا و"ستيفاني" من أن "كندرا" ستعجز عن التعامل مع كل هؤلاء القادمين، وقررنا أنه وبرغم أننا نرفض كل ما كان يقوم به الأب "لين" في الآونة الأخيرة إلا أن من المناسب أن نذهب إلى هناك ونطمئن عليها. خططنا للذهاب في عطلة نهاية الأسبوع، ولكن في تلك الجمعة انتشرت حكاية المرأة التي على علاقة بالأب "لين". جاءتني "ستيفاني" أول ما عرفت بالخبر، ومعها نسخة من مجلة إنكوايرر. كان كل شيء على الغلاف: المواعيد الغرامية لقس آخر الزمان. وفي الصور سيدة ممشوقة القوام ترتدي بنطلون أرجواني وتوب ضيق، ولكن الصور لم تكن واضحة تماماً، فلا تستطيعين التأكد من كونها بيضاء أو سوداء أو لاتينية. لم أصدق تلك الأخبار أبداً. حتى بعدما استسلم للشيطان، فأنا أؤمن بأن الأب "لين" الحقيقي، الرجل الصالح الذي كان على رأس كنيستنا لمدة خمسة عشر عاماً، كان ولا يزال موجوداً

في مكان ما بداخله. وأرفض أن أصدق أن نكون كلنا مغفلين طوال تلك السنوات العديدة. وإلى جانب ذلك، وكما قلت لستيفاني: أين يمكن للأب "لين" أن يجد وقتاً للتسكع مع الساقطات؟ إنه بالكاد يجد وقتاً للنوم، بالنظر إلى جدوله اليومي المشحون.

وخلال كلامي مع "ستيفاني" حضر إلينا الأب "لين" نفسه. واختلج قلبي لما رأيت ذلك الجبلي إلى جانبه. بادرني ما إن دلف عبر الباب:

- "ريبا".. "كندرا" موجودة؟

أخبرته أني لم ألتقيها.

جلس الجبلي من دون دعوة إلى الترابيزة، وصب لنفسه كوب شاي مثلج من دون دعوة أيضاً. راقبته "ستيفاني" وقد ضاقت عيناها، ولكنه لم يلق لها بالاً.

- اختفت "كندرا" وملابسها، وكلبتها. ألم تخبرك بأي شيء، "ريبا"؟ ولكن إلى أين يمكنها أن تذهب؟ لقد هاتفت أخاها في "أوستن" وأخبرني أنه لم يرها.

أخبرته أن ليس لدي أي فكرة عن مكانها، وكذلك أخبرته "ستيفاني". وبالطبع لم أقل له بأنني لا ألومها على تصرفها هذا، خاصةً في ظل تدفق هؤلاء الناس على منزلها.

- ربما كان هذا أفضل لها. ولنا. لقد كنا مختلفين حول دور يسوع في حياتنا.

صاح الجبلي: "آمين"، رغم أنني لم أجد أي مناسبة لهذه الصيحة.

كانت "ستيفاني" تحاول أن تُخفي المجلة بذراعيها، ولكن الأب "لين" لمحها.

- لا تصدقا هذه السخافات التي ينشرونها عني. أنا لم أرتكب أي تصرف غير أخلاقي. إن الرب يسوع هو كل مبتغاي من الحياة.

صدقته، "إلزبيث". هذا رجل يمتلك قناعة حقيقية، ورأيت فيه أنه صادق.

أعددت الشاي المثلج، ثم قررت أن أصرح له بما يدور في عقلي:

- كيف تخطط لإطعام كل هؤلاء الناس الذين في منزلك، يا أبانا؟

ولا أخجل من أن أقول بأنني وجهت السؤال بينما أتعمد النظر إلى الجبلي.

- الرب هو الرازق. سوف نعتني كل الاعتناء بهؤلاء الطيبين.

لم أعتبرهم أبداً طيبين. خاصةً من هم أمثال هذا الجبلي. وقلت له إنهم يستغلون طيبته هو، فوجدته قد غضب مني بشدة.

- "ريبا". ما الذي قاله يسوع عن الحكم على الناس؟ إنتِ مسيحية متدينة وتعلمين أن هذا لا يصح.

بعدها انصرف هو والجبلي.

كنتُ مستاءة من هذا التلاسن، مستاءة بالفعل، ولذلك، وللمرة الأولى منذ سنوات، لم أذهب إلى الكنيسة يوم الأحد. وأخبرتني "ستيفاني" لاحقاً أن الكنيسة كانت مليئة بالوافدين الجدد، ولم يكن هناك من دائرتنا سوى عدد قليل.

ما سوف أحكيه الآن حدث بعد يومين تقريباً. كنت مشغولة في الانتهاء من التعليب ذلك الأسبوع (في ذلك الوقت كان لدينا ما يكفي لعامين من الفاكهة المعلبة، ولكن لا يزال هناك الكثير مما ينبغي عليّ القيام به). كنتُ و"لورن" نتناقش حول إمكانية أن نرسل في طلب بعض الخشب وتخزينه لاستخدامه في حال انقطعت الكهرباء، عندما سمعت صوت محرك سيارة بيك أب تقترب قبل أن تتوقف عند مدخل المنزل. ألقيتُ نظرة على الخارج ورأيت أنه "جيم". لم أكن رأيته منذ أسبوع عندما ذهبت إليه بالفطيرة. ورفض أن

يفتح لي الباب، وهو ما آلمني، ولكنني تركتها له على العتبة الأمامية.

ما إن فتح باب السيارة حتى سقط متهالكاً منها، وعندما هرعت أنا و"لورن" نحوه، قال لنا:

- اتصلت بي "جواني" يا "ريبا".

كانت رائحته عطنة، مزيج من العرق والخمر. وبدا أنه لم يحلق ذقنه منذ أسابيع.

تساءلت عما إذا كانت ابنته هاتفته لتخبره بأن رفات "بام" في الطريق، وربما كان هذا هو سبب حزنه الشديد.

أجلسته في المطبخ. سألني:

هل يمكنك أن تتصلي بالأب "لين" لأجلي؟ اطلبي منه أن يأتي على الفور.

- ولماذا لم تتجه إليه بالسيارة؟

سألته رغم أنه لم يكن في حال تتيح له قيادة أي شيء. رائحة الكحول تفوح منه بقوة تكاد تعمي أبصارنا. ولو كان الشريف "بومونت" صادفه في هذه الحالة لكان حبسه بلا شك. أعددتُ له كوب كوكا كولا حتى يستفيق قليلاً. وبرغم ذلك التلاسن الذي حدث بيني وبينه، إلا أنه لم يكن هناك بد

من الاتصال بالأب "لين". ولم أتوقع منه أن يرد على اتصالي، ولكنه رد. وأخبرني أنه في الطريق.

لم يتحدث "جيم" كثيراً أثناء انتظاره الأب "لين"، رغم أنني و"لورن" حاولنا أن نخرجه من تلك الحالة. ولم يكن لكلماته القليلة أي معنى واضح. وبعد ربع الساعة وصل الأب "لين"، ومعه الجبلي يتبعه كالكلب.

بادره "جيم" قائلاً:

- ذهبت "جواني" والتقت ذلك الصبي، "لين". ذلك الصبي الياباني.

تجمد الأب "لين" في مكانه. كان الأب "لين" قبل أن يقطع علاقته بالدكتور "لند" يقول بأن الدكتور بذل جهوداً مضنية لأجل التحدث مع أحد هؤلاء الأطفال. عقب "جيم" بصوت متهدج:

- أخبرتني "جواني" أن الصبي الياباني تحدث إليها وأنها تحدثت إليه، ولكنه لم يكن هو تحديداً.

لم نكن نفهم من هذا الكلام أي شيء. فقال له الأب:

- لم أفهم، "جيم".

- قالت إنه كان يتكلم من خلال روبوت أندرويد. وأن ذلك

الأندرويد كان صورة طبق الأصل منه.

- روبوت؟ يتكلم من خلال روبوت؟ مثل ذلك الذي يعرضونه عبر اليوتيوب؟ ما هذا بحق السماء؟

سأله الجبلي:

- ما الذي يقصده، أبانا "لين"؟

بقي الأب "لين" ساكتاً لما لا يقل عن دقيقة، قبل أن يقول:

- أعتقد أن عليّ أن أهاتف "تيدي".

كان يقصد الدكتور "لند". هكذا كان يدعوه الأب "لين"، وكأنهما صديقان حميمان، برغم أننا جميعاً نعرف المشكلات بينه وبين الدكتور "لند". لاحقاً أخبرني "لورن" أنه يعتقد أن الأب "لين" وجد في هذه الحكاية فرصة يغطي بها فضيحة المرأة التي كان على علاقة بها؛ نوع من إصلاح بعض الضرر.

ولكن "جيم" عاجله بالضربة القاضية. أخبره أنه حكى هذه الحكاية للصحف. حكى لهم كل شيء؛ أن "جواني" ذهبت لزيارة الصبي الياباني وأنها تحدثت إلى روبوت صورة طبق الأصل من الصبي.

إحمر وجه الأب "لين" بشدة:

- "جيم". لماذا لم تعرفني بهذا أولاً قبل أن تلجأ إلى

الصحافة؟

أجابه "جيم" في عناد:

- "بام" كانت زوجتي. وهم عرضوا عليّ مالاً مقابل القصة. ولم أكن لأرفض هذا. أنا بحاجة إلى المال لأعيش.

كنا نعرف أن هذا ليس بالمبرر المنطقي؛ خاصةً وأنه سوف ينال مبلغاً هائلاً من المال بعد تسوية التأمين على "بام". ولكن كان من الواضح، كما قال لي "لورن"، إن الأب "لين" متذمر لأنه كان يريد استغلال هذه المعلومات لصالحه وحده فحسب.

ضرب "جيم" بقبضته على الترابيزة وهو يصيح:

- ولابد أن يعرف الناس أن هؤلاء الأطفال ليسوا سوى الشر بعينه. وإلا قل لي أيها الأب "لين"، لماذا نجا هذا الصبي ولم تنجو "بام"؟ هذا ليس عدلاً. هذا خطأ. كانت "بام" امرأة طيبة.. امرأة طيبة.

انخرط "جيم" في البكاء، وهو يردد أن هؤلاء الأطفال قتلة.. مجرد قتلة. وكيف أنهم قاموا بقتل كل ركاب الطائرات.. وأنه لا يفهم كيف أن أحداً لا يستوعب هذه الحقيقة.

أخبرنا الأب "لين" أنه سوف يوصله إلى منزله، وأن الجبلي سيعود بسيارة "جيم" وراءه. حملاه إلى سيارة الأب "لين" الجديدة. ولم يتوقف "جيم" عن البكاء، والصياح، وجسده كله يرتجف. لم يكن من المنطقي أبداً أن نترك هذا الرجل وحده بعد ذلك اليوم. كان من الواضح أنه انهار ذهنياً تماماً. ولكنه عنيد، وأنا على يقين من أنه كان سيرفض تماماً طلبي بأن اصطحبه للعيش معنا.

(نجحتُ قبيل طبع هذا الكتاب في إجراء مقابلة مع زوجة الأب "لين" التي هجرته؛ "كندرا فورهيس". تحدثت معها في مركز راقي للطب النفسي صارت تقيم فيه حالياً (قبلت طلبها بعدم نشر اسم المركز أو مكانه).

قادتني مشرفة متأنقة إلى حيث غرفة "كندرا"، التي وجدت أن تهويتها جيدة، ومشمسة. كانت "كندرا" تجلس إلى مكتب، وأمامها كتاب مفتوح (تبينت لاحقاً أنها كانت أحدث رواية ضمن سلسلة Gone لفليكسبل ساندي). الكلبة "سنوكي" في حجرها، وهي تهز ذيلها في فتور بينما اقترب، ولكن "كندرا" بالكاد تشعر بوجودي. وعندما نظرت نحوي في النهاية، وجدت عينيها صافيتين وتعبيرات وجهها أشد حضوراً مما أتوقع. كانت نحيلة لدرجة أن بوسعي أن أرى كل وريد تحت بشرتها. لكنة تكساس واضحة نوعاً ما في صوتها،

وتتكلم بعناية، وربما كان هذا نتيجة للدواء الذي تتعاطاه.

وجهتني إلى مقعد وثير مقابل المكتب، ولم تبد اعتراضاً حينما وضعتُ جهاز التسجيل أمامها.

سألتها عن سبب موافقتها التحدث إليّ أنا بالرغم من رفضها طلبات بقية الصحفيين. فقالت:

- قرأتُ كتابك. ذلك الذي حاورتي فيه هؤلاء الأطفال الذين أطلقوا النار عن طريق الخطأ على أشقائهم من مسدس أمهم، وكذلك الذين قاموا بقتل زملائهم في المدرسة بمسدس أبيهم شبه الآلي. لقد جن جنون "لين" عندما رآني أقرأه. وهذا طبيعي، فهو كان من أشد المعارضين للتعديل الثاني، والحق في حمل السلاح وكل ما له علاقة بهذه القضية.

لا تظني أنني أريد انتقاماً من "لين" بعد فضح علاقته مع تلك العاهرة. ألا يصفون أمثالها بهذا الوصف؟ الحقيقة أنها أعجبتني. كانت صادقة مع نفسها ومعي إلى حد بعيد، وهو أمر نادر هذه الأيام. أتمنى أن تكتفي بهذا القدر من الشهرة وتتوارى عن الأنظار. وأن تستغلها حتى آخر قطرة.

سألتها إن كانت هي من سَرَّب هذه الفضيحة إلى الصحافة. تنهدت، وداعبت "سنوكي" وأومأت برأسها إيماءة سريعة. فسألتها عن السبب، طالما أنها لا تريد الانتقام.

- لأن.. الحرية في البوح بالحقيقة! (ضحكت ضحكة قصيرة حزينة). وبالمناسبة، أنا موافقة على أن تقومي بصياغة كلامي هذا كما يحلو لكِ وقتما تجلسين لكتابة هذا. أفضل صياغة من فضلك. ولكن إذا كنتِ تريدين الحقيقة الواقعية، فقد فعلت ذلك لكي أبعد "لين" عن الدكتور "لند" إلى الأبد. فقد كان "لين" كسير القلب عندما ركله الكبار خارج العصابة بعد أن جعل من نفسه أضحوكة في ذلك البرنامج الإذاعي، ولكنني كنت أعرف أنه لن يمضي وقت طويل قبل أن يعود إليه زاحفاً متوسلاً إذا قصقص الدكتور "لند" جناحيه. ظننت أنني أفعل هذا لصالح "لين"، فكل ذي نظر يعرف أن الدكتور "لند" يتلاعب به. وبالطبع من غير المنطقي أن يستبقيه الدكتور بعد تلك الفضيحة الجنسية، وهو أحرص الناس على صورته وسمعته التي ترسخت في العقول، خاصةً وهو يمتلك الآن تلك الطموحات السياسية. ولكن اتضح لي أن ما أقدمت عليه كان أسوأ ما فعلت. وإنني لأفكر ألف مرة في كل يوم وأسأل نفسي عما كان سيحدث لو أنني لم أتعقبه في ذلك اليوم. وأقول لنفسي: لو أن "لين" نجح في العودة إلى كنف الدكتور "لند" فهل كان هذا سيحدث أي فارق في النهاية؟ هل كان سيمنعه ذلك من الإنصات إلى هراء "جيم دونالد" المجنون؟ الكل يقول إن "لين" هو من أدخل الشيطان، ولكن الأمر ليس بتلك البساطة. الحقيقة هي أن

خيبة الأمل هي التي أودت بلين. يكفي أن يكون المرء كسير القلب.

هممت بأن أتكلم، ولكنها استمرت:

- أنا لست مجنونة. عقلي لم تسكنه العصافير بعد. ولكنني سئمت كل هذا الادعاء والتظاهر والكذب. هل يمكنكِ أن تمثلي الدور نفسه طوال حياتك؟ يقولون إني أعاني من الاكتئاب. إكلينيكياً. يقولون إنه ثنائي القطب، ولكن ما الذي يعنيه هذا الوصف؟ أنا في مكان ليس برخيص. أخي الذي لا منفعة من ورائه هو الذي يسدد الفاتورة. وضع يده على أموال أبي، ونال نصيب الأسد، وها قد آن أوان أن يزكي عن هذه الأموال. وإلى من غيره ألجأ؟ بل إنني فَكَّرت في اللجوء إلى الدكتور "لند" نفسه. كنت موقنة حتى ونحن في ذلك المؤتمر أنه لا يراني سوى مصدر إحراج لا داعي له. وكذلك كنتُ موقنة من أنه لم يكن يريدني أن أظهر إلى جوار "لين" في حلقة برنامجه. كما أن زوجته أهملتني. والمشاعر بيننا متبادلة. كان ينبغي أن تري وجهها حينما رفضت أن انضم إلى رابطة السيدات المسيحيات. كانت تُلح عليّ: "علينا أن نضع الفيمينست ومؤيدات الإجهاض في حجمهن الحقيقي، كندرا".

ضاقت عيناها وهي تنظر إليّ، قبل أن تسألني:

- أنتِ في الغالب واحدة منهن.. من الفيمينست، أليس كذلك؟

أخبرتها أنني كذلك.

- هذا كفيل بأن يزيد من جنون "لند" عندما يقرأ ما سأقوله. أما أنا فلا. أعني أنني لست فيمينست. أنا لست أي شيء. لا شيء أُصنف إليه، ولا أسباب. أوه، أنا أعرف رأي هؤلاء النساء السخيفات في ذلك المكان الفظيع. عشتُ هناك خمس عشرة سنة. ظنوا أني دخيلة علقت في المكان، وكان لديهم حكم مسبق بسبب الأصل الذي أنتمي إليه. كما كن يعتقدن أنني ضعيفة. والضعفاء يرثون الأرض. وكان "لين" يجيد التلاعب بهن بالطبع. وكم أنا مندهشة أنه لم يرافق إحداهن. ولكن أعتقد أنني ممتنة أنه فضَّل ألا يخونني في ملعبي.

يا لها من حياة! عالقة في مقاطعة منعزلة مع زوج واعظ. لم يكن هذا ما كان أبي يحلم به لأجلي. ولم يكن هذا ما حلمت به أنا لنفسي. كانت لدي طموحات، وإن كانت ليست كثيرة. ربما فكرت مرة أن أكون مُدَرِّسة. فمعي شهادة جامعية، كما تعلمين. وقد حاولت تلك النساء اجتذابي للاهتمام بأي هراء يقمن به. إذا حدث التوهج الشمسي أو وقعت حرب نووية، فإن ألف عبوة من مخلل اللفت لن تجدي.

كانت باميلا أفضل واحدة فينا. ربما في حياة أخرى كان يمكن أن نكون أصدقاء. حسناً، ربما لم نكن صديقتين، ولكنها لم تكن مملة مثل الباقيات. لم تكن مملة أو كثيرة الكلام. كنت متعاطفة معها، خاصةً وهي تعيش مع زوج مثل زوجها. وضيع مثل كلب ضال. كما أعجبت بجواني، ابنتها، أيضاً. وكم كنتُ فرحة لأجلها حينما قررتْ أن تسافر لترى العالم.

انشغلت بمداعبة "سنوكي" مجدداً.

أرتاح لفكرة أن "باميلا" سعيدة لأن هناك من يعتني بسنوكي.

سألتها كيف تعرفتِ على الأب "لين".

- وأين كان يمكن أن ألتقيه؟ التقيته خلال اجتماع ديني حاشد. اجتماع حاشد في ولاية تينيسي، حيث كانت كليتي. التقينا عند خيمة مزدحمة (تضحك ضحكة مريرة) وكان حباً من النظرة الأولى، بالنسبة لي على الأقل. ولم أقتنع إلا بعد سنوات أن الشيء الوحيد الذي اجتذب "لين" إليّ كان ثروتي. كان أمله أن تكون لديه كنيسته الخاصة، "هذه هي رسالتي على الأرض. أن أعظ بكلمات الرب وأن أخلص النفوس".

كان معمدانياً في ذلك الوقت، وكذلك كنت أنا. التحق

بالكلية في سن متأخرة، فهو من الولايات الجنوبية. كان شاباً متديناً متحمساً، فعمل لفترة شمّاساً للدكتور "صموئيل كيلر". وأنا أشك في أن تكوني تتذكرينه. بدأ من مستوى متدني، ولكن كان من الواضح أنه يسير على الدرب لأن يصير "هاجي" آخر قبل أن تنتهي حكاية هذا الأخير بفضيحة في التسعينيات. ودائماً ما تبقى الفضيحة، كما كان أبي يقول، فبعد اكتشاف علاقة "كيلر" الشاذة بذلك الصبي الصغير، تبين لـ"لين" أن إيجاد وظيفة أخرى لن يكون سهلاً، على الأقل حتى تهدأ كل تلك الضجة. وكان خياره الوحيد أن يبدأ من الصفر. تنقلنا كثيراً نبحث عن المكان المناسب. حتى وصلنا إلى مقاطعة "ساناه". كان والدي قد توفي للتو، وترك لي ميراثاً محترماً، فاشترينا المزرعة. وأعتقد أن "لين" كان يفكر في زراعة الأرض، ولكن ما الذي يعرفه عن الزراعة؟

كان وسيماً. ولا يزال. وهو يدرك ذلك ويستغله. ولم يكن أبي مرتاحاً إليه حينما زارنا. "تذكري كلماتي، هذا الولد سيكسر قلبك".

وكان أبي مخطئاً. "لين" لم يكسر قلبي، ولكنه حاول قدر استطاعته أن يفعل.

بدأت الدموع تنسال على خديها، ولكنها بدت شاردة عن ذلك. ناولتها منديلاً، فمسحت على عينيها في شرود.

- لا تشغلي بالك بي. فأنا لم أكن كذلك دائماً. كنت مؤمنة.. يااه.. أجل كنث. فقدتُ إيماني عندما ارتأى الرب أنني لا أستحق أن أكون أماً. رغم أن هذا هو كل ما أردت. ربما كان الأمر قد اختلف لو كنت رزقت بولد أو بنت. لا أعتقد أنني كنت أطلب الكثير. ولم يقتنع "لين" بفكرة التبني. "الأطفال ليسوا جزءاً من الخطة التي رسمها يسوع لنا، كندرا".

- لكن صارت لدي واحدة الآن، أليس كذلك؟ أوه.. أجل. واحدة تحتاجني. تحتاج إلى الحب. وتستحق أن تُحب.

ربتت على "سنوكي" ثانيةً، ولكن الكلبة لم تبد أي رد فعل.

- لا أعتقد أن "لين" شرير. كلا. لا يمكنني أن أصفه بذلك. إنه رجل قد خاب أمله، وحطمه طموحه. كما أنه ليس بارعاً بما يكفي، ولم تكن لديه الكاريزما اللازمة – إلى أن صارت عيناه تعكسان لمعة الشره والنهم إلى الشهرة والمال منذ أن ذكرته تلك السيدة في رسالتها.

- تجدين مرارة في كلامي، هاه؟

لا ينبغي أن أكون غاضبة من "باميلا". أنا لا ألومها. وكما قلت، فقد كانت امرأة طيبة. أما أنا و"لين".. فأعتقد أن علاقتنا وصلت إلى حد الركود، وبقت كذلك لسنوات، وكان التغيير حتمياً. كان لديه برنامجه الإذاعي وجلسات كتابه

المقدس وجماعات الشفاء، وأمضى سنوات في محاولة لفت أنظار "الكبار" إليه. فلم أره على ذلك القدر من السعادة والحماسة من قبل إلا عندما وصلته الدعوة لذلك المؤتمر. كان هناك جزء مني – ذلك الجزء الذي لم يمت حتى ذلك الحين - أعتقد أن هذه هي فرصتنا. لكنه سَلَّمَ عقله للمستحيل. وآمن بالفعل بتلك الرسالة. ولا يزال يؤمن بتلك الرسالة. الناس يقولون إنه دجال، إنه مثله مثل أصحاب نظرية الكائنات الفضائية أو أولئك الذين كوّنوا جماعات من المجانين، ولكنني أعرف أنه في هذا الأمر تحديداً لا يُمَثِّل.

طفح الكيل حينما بدأ كل هؤلاء الناس في التدفق على المزرعة. وأزعجوا "سنوكي". وأعتقد أن "لين" تخيل أنه سيجمع ثروة من ورائهم. وقد فعل ذلك لكي يثبت للدكتور "لند" أنه هو الآخر قادر على حشد مريدين. ولكن كل من أتوا إليه كانوا من الصعاليك المشردين. وأولهم ذلك الجبلي. أكاد أشعر به يراقبني في بعض الأحيان. هذا الغريب عقله خربان. أمضيت الكثير من الوقت في غرفتي، أتفرج على التليفزيون. وحاول "لين" اصطحابي إلى الكنيسة أيام الأحد، ولكنني كنت قد بلغت نقطة اللا عودة في ذلك الحين. وفي أوقات أخرى كنت أستقل السيارة مع "سنوكي" وأقود على غير هُدى، غير مبالية بالمكان الذي سأصل إليه.

بدأت الأمور تخرج عن السيطرة. وطلبت من "لين" ألا يحضر ذلك البرنامج الإذاعي في نيويورك. ولكن "لين" لم يعد يسمعني. وهو لا يحب من يعارضه أو يقف في طريقه.

كنتُ أعرف أن الدكتور "لند" سينتهز أي فرصة ليوقفه عند حده في نهاية المطاف، وهذا ما فعله. فقد استغل كلام "لين" لتحقيق مصلحته الخاصة. وغضب "لين"، وحاول الاتصال بالدكتور "لند" أو "فليكسبل ساندي"، ولكنه فشل حتى في إقناع تلك الناشرة بأن تطلب منهما الاتصال به. وكانت الأخبار تتحدث عن تزايد عدد المؤمنين المريدين الراغبين في الخلاص، وكانوا يسدون الفضل إلى الدكتور "لند". لديه اتصالاته، كما ترين. وعندما ساند "ميتش رينارد" ولم يوجه دعوة إلى "لين" كي يلقي كلمة في تلك المظاهرة المؤيدة لإسرائيل، كان "لين" في غاية الاستياء والغضب، بصورة لم أعهدها من قبل. ولم أكن إلى جواره لأعرف رد فعله على ما نشرته مجلة "إنكوايرر"؛ فقد غادرت في يوم صدور المجلة. أنكر تلك العلاقة، تماماً مثلما توقعتُ منه. ولكن ما أصابه في مقتل كان أن يُطاح به من نادي الكبار - فقد حطم هذا احترامه لذاته بصورة فاقت نشر أي فضيحة مهما كانت مثيرة. وأنا في الواقع لا أشك في أن فعلة "لند" آلمت "لين" بدرجة أكبر بكثير من فراقي له.

لقد كانت وحشية منهم. وكان الدكتور "لند" يتعمد أن يترك له الباب موارباً، حتى يشهد "لين" كل شيء.. الشهرة والأبهة والسطوة، ثم.. أغلق الباب في وجهه بكل عنف الدنيا.

تنهدت.

- "سنوكي" تريد أن تنام. يكفيكِ هذا الوقت. لقد قلتُ ما لدي.

وقبل أن أغادر سألتها عن شعوردها تجاه "لين" الآن، وعندئذ اشتعلت عيناها غضباً.

- لم يعد للين مكان في قلبي بعد الآن. لم يعد في قلبي مكان لأحد.

قَبّلت رأس "سنوكي"، وشعرت وهي تُحَدِّث الكلبة أنها قد نسيت أنني لا زلت موجودة لم أغادر.

- أنتِ لا يمكن أن تؤذيني، أليس كذلك، "سنوكي"؟ كلا.. كلا.. لن تؤذيني.

الجزء السابع
الناجون
أبريل

ليليان سمول

كنتُ أعيش حياةً غريبةً. نصف حياة. ففي أيام يكون "روبن" قادراً على التواصل معي بكل وضوح ومثلما أتحدث إليكِ الآن، ولكنني كلما جئتُ على سيرة منزلنا القديم أو صديق من الأصدقاء القدامى أو كتاب كان معجباً به، أرى تعبيراً قلقاً ظهر على عينيه، وتأخذ عيناه في الحركة السريعة وكأنه يحاول ـ مرة بعد المرة ـ تذكر ما أتحدث عنه ولكن من دون جدوى. كما لو أن عقله لا يحتفظ بأي شيء عن الزمن السابق على يقظته. ورأيتُ ألا أضغط عليه. هذا أمر صعب التحدث عنه.. ولكن حقيقة أنه لم يعد يتذكر ماضينا معاً أو حتى أن يفهم نكتة "باريس..تكساس" التي كنا نضحك عليها سوية – لا تقل إيلاماً عن أيام عودة "ألزهايمر" إليه.

ولأن "ألزهايمر" يعود في بعض الأيام. صرتُ أعرف فور أن يستيقظ ما إذا كان هذا الذي أمامي هو "روبن" أم أنه "إيه وان"؛ أتيقن من ذلك من خلال عينيه عندما أناوله قهوة

الصباح. أما "بوبي" فكان يُكيِّف نفسه مع كلتا الحالتين، ولا تتغير معاملته مع "روبن" سواء كان على طبيعته أم كان "إيه وان"، أما أنا فلا. كل هذا القلق والشك؛ فلم أعد أعرف ما سيكون عليّ أن أتعامل معه في الصباح التالي. ولا أتصل ببتسي أو بوكالة الرعاية إلا حينما أتأكد أنه يوم من أيام "ألزهايمر". لا أقصد أنني لا أثق في "بتسي"، ولكنني لا يمكن أن أنسى رد فعل الدكتور "لوميه" حينما تحدث "روبن" إليه. ولا يمكنني التفكير فيما قد يفعله هؤلاء الأغبياء لو عرفوا ما يجري لروبن. لن يتركوننا نعيش في سلام. كم ألف مرة أغلقت فيها التليفون في وجه أحد هؤلاء المتاجرين بالدين، وهو يتوسل إليّ أن أسمح له بالتحدث مع "بوبي".

وحتى حينما يكون يوم من أيام "روبن" العادية فإنه لا يكون على طبيعته تماماً. فقد وجدت أنه تعود على مشاهدة The View، وهو البرنامج الذي كان يكرهه قبل أن يمرض، ويمضي هو و"بوبي" الساعات في مشاهدة الأفلام القديمة، رغم أنه لم يكن من قبل من هواة الأفلام. كما أنه لم يعد يهتم بالقنوات الجديدة، رغم أنها لا تتوقف عن بث برامج التوك شو السياسية التي يحبها.

وذات صباح، كنتُ في المطبخ أجهز إفطار "بوبي" وأنا أشجع نفسي قبل الذهاب لإيقاظ "روبن"، عندما وجدتُ

"بوبي" يدخل عليّ المطبخ مسرعاً:

- "بوب".. بو بو عايز يتمشى النهارده. عايز يخرج.

أخذني "بوبي" من يدي ومشى بي إلى غرفة النوم. كان "روبن" جالساً في الفراش، ويحاول ارتداء جوربه.

- إنت كويس، "روبن"؟

- ممكن نروح وسط البلد، "ريتا"؟

منذ تلك اللحظة بدأ يناديني "ريتا". يقصد "ريتا هيوارث"! حمراء الشعر، لو فهمتي قصدي.

- وعايز تروح فين؟

تبادل "بوبي" و"روبن" النظرات، قبل أن يصيح "بوبي" بحماس:

- المتحف، "بوب"!

كانا قد شاهدا ليلة أمس فيلم "ليلة في المتحف"، وكان "بوبي" معجباً بفكرة أن تدب الحياة في جميع مقتنيات المتحف. وكان اليوم هو يوم من أيام "ألزهايمر"، لذلك كنت أشك في أن يكون "روبن" وَعَى أو استوعب أي شيء مما شاهده، وكان هذا من حُسن حظي، خاصةً وأن "بوبي" صاح أثناء الفيلم:

- الديناصور ده شبهك، بو بو. بترجع له الحياة زي ما بترجع لك بالضبط!

سألت "روبن":

- "روبن"؟ تفتكر إنك قادر تخرج النهارده؟

أومأ برأسه في ترقب طفل صغير:

- أيوه.. لو سمحتي، "ريتا". عايز أروح أتفرج على الديناصورات.

وصاح "بوبي":

- أيوه! الديناصورات! "بوب".. هي كانت موجودة فعلاً؟

- طبعاً.. "بوبي".

- عاجباني أسنانها. وفي يوم من الأيام هقدر أرجعها تعيش تاني.

كان حماس "بوبي" مثل العدوى، وإن كان هناك من شخص يستحق مكافأة فبالتأكيد هو. لقد بقي الولد المسكين حبيس المنزل عدة أيام، ولكنه لم يشتكي ولا مرة واحدة. ولكن الخطر يكمن في أن قضاء وقت طويل خارج المنزل يزيد من احتمالات وقوع ما لا تُحمد عقباه. ماذا لو تعرف عليهما أحد؟

ماذا لو تعقبنا أحد هؤلاء المتعصبين الدينيين وحاول خطف "بوبي"؟ كما أنني قلقة من أن تخور قوى "روبن". قد تكون قواه العقلية في تحسن، ولكنه لا يزال ضعيف الجسد.

غير أنني نحيت كل تلك المخاوف جانباً، واتصلت بخدمة التاكسي قبل أن أغيِّر رأيي.

التقينا ببتسي ونحن في طريقنا للخارج، ودعوتُ الرب ألا يتفوه "روبن" بأي شيء. كنت قد مررت بهذا الموقف ألف مرة من قبل بالطبع، وهناك بداخلي ما يدفعني إلى التحدث إلى أي أحد عنها – ولكنني لم أخبر أي إنسان، خلاف الدكتور "لوميه". أخبرت "بتسي" أننا في طريقنا إلى الدكتور، ولكنها ذكية، وأحسست أنها تدرك أنني أكذب عليها.

نجح سائق التاكسي في التوقف أمام باب العمارة تماماً، وكان هذا من حُسن حظنا، وخاصةً لما رأيث أن شلة من المجانين بدأت تتجمع بما معها من لافتات ورايات حول الحديقة، رغم أن الساعة كانت التاسعة صباحاً.

كما أن من حظنا أن سائق التاكسي، وهو أحد هؤلاء الهنود، لم يتعرف علينا، أو قد يكون عرفنا ولكنه فضل السكوت. طلبت منه أن يوصلنا إلى المتحف عبر جسر ويليامسبرج حتى يتمتع "روبن" بالمنظر من فوقه، وكم استمتعت يا "إلزبيث" بهذه الفسحة! كان الجو صحواً، فبدا لنا المشهد

خلاباً يليق بأن توضع صورة له على بطاقة بريدية، خاصةً وأشعة الشمس تنعكس فوق صفحة المياه. شرحتُ لبوبي كل منظر مررنا به، ونحن نمر على مانهاتن؛ بناية كرايزلر، ميدان روكفيلر، برج ترمب، وكان وجهه ملتصقاً بالنافذة وفمه لا يتوقف عن توجيه الأسئلة. كلفتني هذه الفسحة بالتاكسي أربعين دولاراً بالبقشيش؛ كثير جداً ولكنها كانت تستحق. وقبل أن ندخل المتحف سألت "بوبي" و"روبن" إن كانا يريدان تناول الهوت دوج، وهكذا جلسنا نتناول إفطارنا في سنترال بارك وكأننا سياح. أخذتني "لوري" أنا و"بوبي" إلى هنا ذات مرة – ليس إلى المتحف، ولكن إلى البارك. كان مزاج "بوبي" متعكراً في ذاك اليوم، والجو بارد جداً، ولكنني أسعد كلما تذكرت تلك الفسحة. كانت ابنتي تتحدث بحماس عن العمولات التي صارت تتحصل عليها؛ وسعيدة بمستقبلها في تلك الأيام!

وبرغم أننا كنا في وسط الأسبوع، إلا أن المتحف كان مزدحماً وكان علينا الانتظار في طابور التذاكر لفترة طويلة. وبدأت أشعر بالقلق من أن يتعرف علينا أحد، ولكن معظم الناس من حولنا كانوا من السياح - الكثير من الصينيين والأوروبيين. وبدأ "روبن" يتعب. وظهرت حبات من العرق على جبينه. أما "بوبي" فكان يشع طاقة وحماساً. وعيناه لا تبتعدان عن هيكل عظمي لديناصور منتصب في وسط

القاعة.

نظر إليّ موظف التذاكر، وهو شاب زنجي ثرثار، أكثر من مرة، قبل أن يسألني:

- ألا أعرفك، مدام؟

- لا..

كانت نبرتي عنيفة بعض الشيء. ودفعت ثمن التذاكر وانصرفت، ولكنني سمعته يصيح فيّ أن أنتظر.

ترددت؛ وخفت أن يصيح للمتحف كله بأن هذا هو "بوبي". ولكنني وجدته يسأل:

- هل أحضر لزوجك كرسي متحرك، مدام؟

شعرتُ بامتنان شديد. الكل يقول بأن أهل نيويورك ليسوا اجتماعيين ولا يهتمون إلا بأنفسهم، ولكن هذا ليس صحيحاً.

كان "بوبي" يجذبني من يدي في إلحاح:

- "بوب"! الديناصورات.

غاب الرجل ثم عاد ومعه كرسي متحرك. استقر فيه "روبن" على الفور. زاد قلقي عليه. فالحيرة بدأت تظهر على وجهه، وخشيت أن يهيمن عليه "ألزهايمر" ويزيد من

متاعبنا.

أرشدنا موظف التذاكر نحو المصاعد قائلاً:

- هيا، بني، خذ جدك وجدتك وفرجهم على الديناصورات.

- عمو، إنت مصدق إن الديناصورات بتصحى بالليل؟

- وليه لأ؟ هو مش فيه معجزات؟

غمز الرجل لي، وعندئذ أيقنت أنه يعرف من نحن.

- لا تقلقي، مدام. سرك في بئر. هيا استمتعوا بوقتكم.

توجهنا مباشرة إلى الطابق الذي يحتوي على معرض الديناصورات. وقررتُ أن نمضي فيه بعض الوقت لأجل خاطر "بوبي"، ومن ثم نعود إلى المنزل على الفور.

طلبت من "بوبي" ألا يفارقني، خاصةً وأن المكان مزدحم، ونجد صعوبة في الدخول إلى القاعة الأولى.

نظر "روبن" نحوي وقال:

- ما هذا؟ أنا خائف.

ثم بدأ يبكي، وكانت هذه أول مرة يبكي فيها منذ أن "صحي تاني".. كما يقول "بوبي".

بذلت ما في وسعي حتى أجعله يهدأ. وبدأ من حولنا

ينظرون نحونا، وهو آخر شيء أتمنى أن يحدث في تلك اللحظات. ولما انتبهتُ لما حولي، اكتشفتُ أن "بوبي" قد اختفى. أخذت أصيح، أنادي عليه.

كنت أبحث محاولة تمييز قبعته؛ قبعة نادي اليانكيز، ولكنني لم أرها.

اعتراني الفزع بكل عنف، فتركت "روبن" حيث كان، وأخذت أجوب المكان بخطوات سريعة.

أخذت أدفع الناس بعيداً عن طريقي، متجاهلة صيحات الاعتراض، وبدأ العرق البارد يغمرني. أخذت أصيح باسمه بكل ما فيّ من قوة. وتوالت الصور المرعبة في ذهني مثل فيلم قصير مخيف: أن تختطف تلك الجماعات الدينية "بوبي"، وتمارس معه كل الطقوس المروعة التي تنادي بها. ها هو "بوبي" تائه في نيويورك.. تائه ولا أعرف أين.

اقتربت مني حارسة من حراس المتحف:

- هدوء سيدتي.. لا يمكنكِ الصياح بهذه الطريقة هنا.

ربما ظنت أني مختلة، ولا ألومها. فأنا بالفعل أكاد أجن.

- حفيدي! حفيدي تاه.

- حسناً، مدام، ما هي أوصافه؟

لم يخطر ببالي أن أفصح لها عن هوية "بوبي" – وأنه "بوبي سمول"، واحد من الثلاثة، الطفل المعجزة، وبقية هذا الهراء. كل هذا تبخر من عقلي لحسن حظي – فسرعان ما كانوا سيتصلون بالشرطة لنكون في لحظات الخبر الرئيسي على صدر جميع الصحف. أخبرتني الحارسة أنها ستقوم بتنبيه بقية الحراس والعاملين عند المداخل والمخارج، ولكنني في تلك اللحظة سمعت أجمل كلمة في الدنيا..
"بوب؟"

كاد يُغمى عليّ من فرط الارتياح عندما رأيته يسرع نحوي.

- أين كنت، "بوبي"؟ لقد كدت أموت رعباً.

- كنت عند الكبير. عنده أسنان ضخمة زي الديب! تعالي، "بوب"، بو بو محتاجنا.

تصدقي أني في تلك اللحظات كنت نسيت "روبن" تماماً، وهكذا ركضنا نحو القاعة التي تركته فيها. ومن رحمة الرب أني وجدته قد نام.

لم أشعر بالأمان مجدداً إلا ونحن في التاكسي عائدين إلى المنزل. كان "روبن" قد هدأ بعد أن استيقظ من نومه القصير، ورغم أنه لم يكن على طبيعته إلا أنني لم أضطر إلى التعامل مع حالة "ألزهايمر" وهي في ذروتها.

- بس هي ما صحيتش، "بوب". الديناصورات ما صحيتش.

أجابه "روبن":

- ده لأن الديناصورات ما بتصحاش غير بالليل.

لقد عاد. وأمسك بيدي بقوة:

- برافو عليكي، "ليلي".

ناداني "ليلي"، وليس "ريتا".

- تقصد إيه؟

- إنك فضلتي قوية، وماستسلمتيش.

عندئذ بكيت. انهرت وتركت دموعي تنساب.

انتبه "بوبي" إليّ، فسألني:

- إنتي كويسة، "بوب". إنتي ليه زعلانة؟

- أنا كويسة. بس كنت خايفة عليك. كنت خايفة تتوه مني في المتحف.

- مستحيل أتوه عنك. ده مستحيل يحصل، "بوب".

هذه هي آخر دردشة مسجلة بين رو وتشيوكو

رسالة مسجلة في الساعة 20:46 – 3 أبريل 2012

تشيوكو: أنا كنت فاكراك صاحبي!!! ليه عملت معايا كده؟؟؟؟؟؟؟ www.hirotalksthroughandroid/ tokyoherald .. أتمنى يكونوا دفعوا لك مبلغ كويس. أتمنى يكون الموضوع يستاهل.

رو: تشيوكو! أقسم لك.. أقسم لك أنه مش أنا.

تشيوكو: ماما هتتجنن. وعمو أندرويد بيهدد إنه يرجع "هيرو" لأوساكا. والصحفيين في كل مكان. لو مشي أنا هموت. إزاي تعمل كده؟؟؟؟؟

رو: مش أنا!

تشيوكو: إنت خربت حياتي.. ما تتصلش بيا تاني.

رو: يوكو؟ يوكو؟ أرجوكي. أرجوكي! مش أنا.

بعد أن غضب من قيام تشيوكو بحجبه، توجه "رو" إلى منتدى كسيري القلوب في موقع تو تشان الشهير، واختار لنفسه اسماً مستعاراً هو "أو آر زد مان" Orz Man، ونشر موضوعاً أسماه "شاب فاشل يحتاج المساعدة". وسرعان ما انتشرت القصة التي كتبها، وأثارت خيالات رواد المنتدى، وسرعان ما سَجّلت ملايين المشاهدات.

قام المترجم باستخدام العامية والاختصارات حتى

يكون قريباً إلى لغة الإنترنت التي يستخدمها الشباب الياباني هناك.

الاسم: ORZ MAN - التاريخ: 5 أبريل 2012 – الساعة 1:32:39.32

أنا عايز نصيحتكم شباب!!! أنا عاوز أرجع أتكلم مع بنت عملت لي بلوك.

مجهول 111: وليه عملت لك بلوك؟

رو: هي فاكرة إني خنت صداقتنا، ومش مصدقة إني معملتش كده. _|70

مجهول 275: أنا حصل لي الموقف ده قبل كده يا صاحبي.. بس قل لي التفاصيل.

رو: أوكيه.. بس الحكاية طويلة. كنت باكلمها شات، وخلينا نقول إن اسمها "أميرة الجليد". هي من عيلة مستواها أعلى كتير من مستوى عيلتي، وعشان كده ممكن تتخيلوا أنا قد إيه كنت مبسوط إن واحدة زيها وافقت تتكلم مع واحد فاشل زيي. كانت علاقتنا كويسة، وبنتكلم كل يوم. ولكن.. فيه حاجة حصلت. خبر عن عيلتها اتسرب وأساء لسمعتها، وهي افتكرت إني أنا اللي عملت كده وعملت لي بلوك.

أنا مش عايزكم تفتكروا إني شخص بائس فاشل. ولكن الموقف ده أثَّر في جامد. لما عملت لي بلوك حسيت إني اتكسرت من جوايا.

مجهول 111: تعبير حلو قوي "اتكسرت من جوايا" ده..

مجهول 28: أنا بابكي.

رو: متشكر. أنا معنوياتي في الحضيض. باتألم. ومش قادر آكل أو أنام. باقضي الساعات في قراية رسايلنا من غير ملل. وقعدت النهارده ساعات أحلل كل كلمة قلناها مع بعض.

مجهول 23: آخ!!!! لازم تعرف إن الستات موجودين في حياتنا عشان ينكدوا علينا. اللعنة عليهم.

مجهول 111: سيبك من كلام صاحبنا 23. أنا كنت في موقف زي ده يا صاحبي. هل فيه أي أمل إنكم ترجعوا لبعض؟

رو: مش عارف. بس مش هاقدر أعيش من غيرها.

مجهول 23: شكلها إيه؟ مُزة؟؟؟؟

مجهول 99: إنت عبيط يا 23؟!

رو: أنا مشفتهاش غير مرة واحدة. ومش على الحقيقة. هي شبه "هازوكي هيتوري".

مجهول 678: "هازوكي هيتوري" إللي في مسلسل "صني جونيورز"؟ واو! إنت ذوقك مية مية يا صاحبي. أنا معجب بالممثلة دي قوي!

مجهول 709: "هازوكي"؟؟؟؟ أموت أنا.!

مجهول 111: إهدوا يا جماعة.. مش كده. بص يا صاحبي.. لازم تروح لها وتكلمها وجهاً لوجه. قل لها عن كل مشاعرك ناحيتها.

رو: الموضوع مش سهل. الموضوع محرج بالنسبة لي. ويا شباب.. أنا لسه عايش مع بابا وماما.. وكمان انطوائي قوي.

مجهول 987: كوول.. أنا برضه عايش في البيت.

مجهول 55: وأنا برضه.

رو: مش ده قصدي. أقصد إني من زمان ما سبتش البيت. أنا حتى ما خرجتش من أوضتي.

مجهول 111: قصدك إيه بزمان؟

رو: مش عارف هتقولو عليا إيه!!! بس آخر مرة كانت من سنة. _|7O

مجهول 87: اسمع نصيحتي. إذا مكنتش عايز تروح

الحمَّام يبقى حط قزايز ميّاه بلاستيك فاضية تحت المكتب للطوارئ. كنت باعمل كده لما أكون مشغول بالجيمز.

مجهول 786: LOL !!! نصيحة مية مية يا 87 !

مجهول 23: يا شباب.. صاحبنا من الهيكيكوموري.

مجهول 111: لأ ده العالم بتاعه على النت، وده معناه إنه مش محروم من التواصل الاجتماعي. يعني مش هيكيكوموري.

[انشغل المتحدثون لبعض الوقت بالحديث عن حقيقة ومعنى هيكيكوموري]

مجهول 111: إنت لسه موجود معانا؟

رو: أنا موجود. أنا آسف إني ضيعت عليكم الوقت. أنا لما كتبت هنا سألت نفسي.. إيه الميزة اللي عندي ممكن تجذبها ناحيتي يعني؟ إيه اللي يخليها تهتم حتى بفاشل زيي؟

أنا واحد عاطل.. مفلس.. يائس ومن غير أي أمل.

مجهول 111: هي أميرتك ماتت؟ لأ. طيب يعني لسه فيه أمل. صاحبنا محتاج مساعدتكم يا شباب. شوية جد هنا.

مجهول 85: واحنا جاهزين

مجهول 337: خلي الأميرة تتعود تشوفك.

مجهول 23: وانا جاهز معاكم!

مجهول 111: أول حاجة لازم نساعده إنه يخرج من أوضته.

مجهول 47: اسمع مني النصيحة دي:

1. اهتم بمظهرك ونظافتك الشخصية دايماً. لازم تكون على سنجة عشرة

2. روح محل زي (يونيكلو) كده واشتري كذا طقم على الموضة

3. روح لحد بيت أميرتك وحاول تقابلها

4. اطلب منها تخرج معاك.. اعزمها على عشا

5. خلال العشاء قل لها كل اللي انت عاوز تقوله

بالطريقة دي، حتى ولو أصرت تقطع علاقتها معاك، هتكون استريحت نفسياً ومش هيكون فيه حاجة تندم عليها.

مجهول 23: ممكن يكون مش عارف مكان بيتها.. دول كانوا بيتكلموا أونلاين. وبعدين بيقول مش معاه فلوس يبقى ازاي هيشتري طقم جديد؟

رو: شكراً على النصايح. أنا مش معايا عنوانها بس عارف إن بيتها جنب محطة يويوجي.

مجهول 414: فيه هناك مطعم بيعمل مكرونة هايلة.

مجهول 23: قصدك يعزمها على مكرونة في أول لقاء بينهم؟ خدها على ياكيتوري ولا مطعم فرنساوي.. عشان الجو الرومانسي يعني.

[تتشعب الدردشة هنا إلى الحديث عن أفضل مكان لهذا الموعد الغرامي الأول]

مجهول 111: بس ده مش أول معاد بينهم. الاتنين حبوا بعض بس عبر الإنترنت. يا شباب إحنا هدفنا الأول إن احنا نشجع صاحبنا على إنه يعتني بنفسه ويخرج من أوضته.

رو: يعني هي فكرة كويسة إني أخرج وأروح أقابلها؟

[كورس من ردود التشجيع والاستحسان وعبارات من نوع "وانت هتخسر إيه يعني".. "وانت تطول"... إلخ]

رو: أوكيه.. أوكيه.. أقنعتوني! دلوقتي نتكلم في التفاصيل.. أعتقد إن معايا فلوس بس مش كفاية. وبعدين الأميرة عايشة في منطقة بعيدة شوية وهاحتاج ألاقي مكان أبات فيه لحد ما اوصل لبيتها. ومقدرش أحجز في أوتيل.

مقترحاتكم؟ فيه حد جرَّب يقضي الليل في نت كافيه مثلاً؟ هل ده ممكن؟

مجهول 89: صعب، ولكن أنا عملتها مرة في ضواحي شينجوكو. أرخص.. وبعدين هتلاقي مكن السناكس كمان.

[مزيد من النصائح لرو عن الطريقة المثالية لتمضية الليلة، وكذلك أفضل طريقة لجذب انتباه الأميرة]

رو: لازم أنام شوية. أنا بقالي 20 ساعة صاحي. متشكر قوي على المساعدة. الواحد معاكم مش حاسس بالوحدة.

مجهول 789: أنا متأكد إنك هتنجح.. رو.

مجهول 122: إحنا معاك.

مجهول 20: جود لك!!! كلنا معاك.. رو. قادر وتعملها.

مجهول 23: لازم يا صاحبي.

مجهول 111: يبقى بس عرفنا اللي حصل !!!!

[بعد يومين، ظهر رو في غرفة الدردشة في المنتدى وكان الكل في انتظار أخباره]

بتاريخ 7 أبريل 2012 – الساعة 1:37:19.30

رو: مش عارف إذا كان صحابي اللي كلمتهم هنا من يومين

موجودين. بس أنا قريت كل اللي اتكتب هنا ومنبهر جداً بكل المساندة والدعم ده!

وكنت عايز أعرفكم إني عملت بنصيحتكم. وخرجت بره البيت.

مجهول 111: رو! إنت كنت فين؟

رو: أنا قاعد في نت كافيه.

مجهول 111: إيه شعورك بقى وانت وسط العالم الكبير ده؟ عايزين تفاصيل.. ومن الأول.

رو: آه.. زي ما قلت.. أنا عملت بنصيحتكم. الأول استحميت وظبطت نفسي. غسلت أسناني، واللي بقى لونها أصفر من كتر التدخين. وبعدين قصيت شعري بنفسي.. توفير. وحاسس إن شكله معقول يعني.

بعدها الجزء الصعب. وأكيد مش هيعجبكم اللي انا عملته. بابا وماما كانوا في الشغل لما سبت البيت بعد ما اخدت فلوس ماما محوشاها وشايلاها في المطبخ. مش كتير بس تكفيني أسبوعين بالعافية. سبت لهم رسالة مع إني حاسس بذنب كبير. قلت لهم إني رايح أدور على شغل عشان مابقاش تقيل عليهم بعد كده.

مجهول 111: عملت الصح. وممكن ترجع لهم الفلوس لما تقف على رجليك.

مجهول 28: بالضبط. إنت عملت الحاجة الوحيدة اللي ممكن تتعمل في الظروف دي. كمل..

رو: متشكر شباب.. لقيت الكوتشي في الجزامة اللي جنب الباب بره.. زي ما سبته من سنة فاتت. مليان غبار.

حسيت وأنا باسيب البيت إن ده أصعب حاجة عملتها في حياتي. وكنت بافكر هاشرح لهم الموضوع ده إزاي.. ولما بقيت في الشارع حسيت إني عود كبريت مرمي على وش المحيط. كل حاجة كبيرة. لقيت ناس كتيرة بتبص لي من ورا الشبابيك. كنت عارف إنهم اتكلموا عني كتير طول الفترة دي، والموضوع ده كان تاعب نفسية ماما جداً.

أنا سبت البيت بعد الضهر، ورغم كده كانت المنطقة زحمة جداً. وحسيت إني عايز أرجع تاني لأوضتي. كأن فيه حاجة لسه بتشدني بقوة ناحيتها، بس أنا قاومت ومشيت بسرعة للمحطة. اشتريت تذكرة لشينجوكو قبل ما أرجع في كلامي. وحسيت وقتها إن كل اللي حواليا بيبصولي ويضحكوا عليا.

مش هحكي لكم عن الفزع اللي حسيت بيه أول لما وصلت شينجوكو. مكنتش عارف اعمل ايه، فرحت على مطعم من

مطاعم يوشينويا مع إني مكنش ليا نفس. سألت واحد من العمال إذا كان يعرف مكان رخيص أبات فيه. كان كريم معايا ووصف لي مكان أقرب نت كافيه.

وللأمانة.. أنا خايف جداً..

مجهول 179: أوعى تخاف يا صاحبي. إحنا هنا معاك. وبعدين؟ إزاي هتوصل لبيتها؟

رو: أنا بدأت أبحث عن معلومات عن عيلتها.. هي عيلة معروفة وقدرت أوصل للعنوان.

مجهول 179: قصدك إنها مشهورة؟؟؟

[انقضت عدة ساعات في كلام عن عائلة الفتاة وبعض النصائح والتوجيهات]

رو: أعتقد إن لو اتشجعت وروحت لها عشان أشوفها، فده لازم يكون في وقت ميكنش فيه أبوها وأمها في البيت.

مجهول 902: إنت فكرت في الكلام اللي هتقوله لها؟

مجهول 865: أنا متخيلك.. محتار ومش عارف تعمل ايه. وواقف تحت عمود نور تولع سيجارة وبتراقب بيت الأميرة. وبعدين تدوس على السيجارة وتتشجع وتمشي بخطوات واسعة ناحية الباب.. وتخبط.

تفتح لك.. تحبس أنفاسك لما تلاقيها أجمل من الصورة اللي انطبعت في ذاكرتك. تقول لها وانت بتخلع نضارة الشمس:

- أنا.. رو

فتنهار وتنزل على ركبتها وتتوسل إليك:

- خدني بعيد من هنا.. أرجوك. خدني.. أنا عايزاك دلوقتي!

مجهول 761: خيالك واسع يا 865.. وكوميدي!!!

رو: أنا كنت بافكر.. يمكن أكون عارف إزاي ألفت انتباهها..

مجهول 111: وسايبنا على أعصابنا.

مجهول 2: أيوه.. رو.. إحنا فريق واحد يا صاحبي!!!!

رو: هاحكي لكم بكرة لو نجحت الفكرة. أما لو فشلت.. فيمكن انتحر.

مجهول 286: مفيش قدامك غير إنك تنتصر.. رو! وأكيد هتنتصر!!!!

[بعدما غادر رو غرفة الدردشة استمر الباقون في الدردشة عن الموضوع نفسه]

مجهول 111: يا شباب.. أعتقد إني عرفت مين هي الأميرة.

مجهول 874: مين؟

مجهول 111: رو قال إن عيلتها مشهورة. وكمان قال إنهم عايشين قرب محطة يويوجي. "هيرو" عايش في يويوجي.

مجهول 23: هيرو؟؟؟؟؟؟؟؟؟ "هيرو الطفل المعجزة"؟ الولد الأندرويد؟

مجهول 111: أيوه. "هيرو" عايش مع عمته. وعندهم بنت. أنا لسه متصفح صور حفل التأبين. وشفت بنت شبه "هاكوزي" واقفة جنب العيلة، وفيه واحدة تانية بس مش حلوة يعني.

مجهول 23: صاحبنا رو بيحب بنت عم الولد الأندرويد؟؟؟ .. يا بختك يا رو!

تفريغ نصي لتسجيل "بول كرادوك" – أبريل 2012

17 أبريل – 12:30 ظهراً

يا ربي. مر الوقت.. كيف حالك، ماندي؟ هل تعرفين، على الرغم من ثرثرتي المبالغ فيها كما لو كنتِ صديقتي المقربة أو كنتِ طبيبتي النفسية، أدهشني أنني عجزت عن تذكر وجهك. حتى أنني لجأت إلى فيسبوك للتحقق من صورة البروفايل. هل أخبرتك كم أكره فيسبوك؟ إنه خطأي أنا.

لأنني كنت وبغباء أقبل طلبات الصداقة من الجميع ومن دون أن أتحقق منهم. لقد هجم الأوباش على صفحتي وعلى حساب تويتر بمختلف رسائل الكراهية ودفاعاً عن "مارلين".

"ماندي"، أود أن أعتذر عن تجاهل المكالمات. أنا فقط.. مررت ببضعة أيام سيئة، أوكيه؟ الصراحة أنها أيام كثيرة وليست قليلة. لنقل أسابيع (يضحك). حتى شعرت أنها لن تنتهي. إنه "ستيفن".. حسناً، لا أود الخوض في ذلك مجدداً. ولم أفكر كثيراً في تحديد ما يمكننا نشره من بين كل هذا الهراء. الحقيقة لم أقم بأي شيء في هذا الصدد.

الأحداث تمضي بسرعة. ويبدو أنني تسرعت في التفكير في النشر. هذا ما أدركه الآن. ولكنني أعتقد أن بوسعنا العمل على هذا المشروع لاحقاً وبعد أن.. بعد أن أعود إلى طبيعتي. وأنتِ ترين أنني لست في حالة طبيعية الآن.

في بعض الأيام أجد نفسي أنظر في صور "جيس"، في محاولة لاكتشاف الفارق. وقد دخلت عليّ أول أمس وأنا أنظر في الصور، وسألتني اللعينة بنبرة عذبة ومخيفة:

- بتعمل إيه، عمو بول؟

- مفيش..

شعرت بالذنب في اليوم التالي، حتى أنني توجهت إلى

محل (تويز آر أص) وأنفقت ما يساوي مقدم ثمن سيارة على دُمَى ولعب تافهة من النوع الذي تحبه. لديها الآن المجموعة الكاملة من "ماي ليتل بونيز" و"باربي"، وكم هي غالية.

ولكنني أحاول. يا إلهي، أنا أحاول. ولكنها.. لم تعد تلك البنت التي كانت. كانت "جيس" و"بولي" تحبان الحكايات التي يؤلفها "ستيفن" معتمداً على ما يحفظه من حكايات أيسوب. وحاولت أن أفعل مثله منذ يومين - تنويعة على حكاية الولد الذي صاح يستنجد من الذئب - ولكنها كانت تنظر إليّ وكأنني معتوه.

وربما صرت معتوهاً بالفعل!

فهناك ذلك الأمر الآخر. ففي الليلة الماضية قمتُ ببحث متعمق عبر جوجل من جديد، محاولاً أن أتبين طبيعة إحساسي تجاه "جيس". فوجدت حالة طبية اسمها "وهم كابجراس" Capgras Delusion. وهي حالة نادرة يتوهم فيها المريض أن أحد أفراد عائلته أو أقاربه تمّ استبداله بشخص آخر يُشبهه، وهي حالة توهم مركبة. أعلم أن من الجنون أن أفكر مجرد التفكير في ذلك. بل وخطر أيضاً. ولكنني في ذات الوقت صرت مطمئناً بعدما عرفت أن هذه قد تكون حالة مرضية يمكن تفسيرها. ولكنني أشعر أن لحالتي هذه علاقة بالتوتر والإجهاد. وهو ما أتمنى أن يكون

صحيحاً الآن.

(يتنحنح)

كان أول يوم لجيس في المدرسة صعباً وطويلاً. يمكننا أن نكتب عن هذا اليوم في الكتاب. أليس القراء يحبون هذه الحكايات؟ وأعتقد أنني أخبرت الدكتور وكذلك قرر "دارين" أن من الأفضل لها أن تعود إلى المدرسة بعد عيد الفصح. كما أنه ليس من الجيد أن تتعلم في المنزل. أنا لست معلماً بطبعي.. كما أن هذا يعني أن عليّ أن أتعامل معها لساعات طوال.

لم يتوقف الصحفيون عن المراقبة والمطاردة، وهكذا صار عليّ أن أتقمص الدور جيداً على مدار الساعة، وأن أعطيهم صورة الرجل السعيد المبتسم طوال الوقت، حتى أنني أظن أن من حقي نيل جائزة الأكاديمية البريطانية عن هذا الدور.. "الحارس". أوصلتها حتى فصلها متجاهلاً الكم الهائل من المراسلين والصحفيين المتحلقين حول بوابة المدرسة. وجدت أن معلمتها، السيدة "وولبانك"، طلبت من التلاميذ تزيين الفصل وتعليق لافتة كبيرة بعرض السبورة ترحب بجيس! السيدة "وولبانك" شخصية محترمة ودودة تذكرك بشخصيات روايات "إنيد بلايتون". من نوعية الأشخاص الذين تتخيلين أنهم يمضون وقت الفراغ في زيارة المواقع

الأثرية والمتاحف والتنزه عبر المرتفعات. شخصية تبعث الغيظ في أمثالي. حتى أنني شعرت بالرغبة في تدخين سيجارة.. بل علبة سجائر (أجل.. أجل "ماندي".. مر عشرون يوماً منذ آخر مرة دخنت فيها. رغم وجود فرصة لذلك خارج المنزل. وها أنا ذا أودع عادة سيئة أخرى (يضحك) رغم أني اكتشفت أن جارتنا تدخن).

تبين لي أن المعلمة "وولبانك" تتحدث إلى الأطفال وكأنهم كبار، ولكنها تتعامل مع الكبار على أنهم معوقين ذهنياً.

- أهلاً، أنت عم "جيس"! ليس عليك الآن أن تقلق. سأكون أنا و"جيس" أصدقاء، أليس كذلك؟

- إنتي حاسة إنك مرتاحة في المدرسة، "جيس"؟

أجابتني بتلك الابتسامة التي بدأت أمقتها:

- طبعا.. عمو "بول".. انت بس روح البيت واشرب لك سيجارة ومعاها كاس فودكا.

طبعاً.. نظرت السيدة "وولبانك" إليّ في فزع، وحاولت أنا أن أحول الموقف إلى مجرد هزار.

هرعت إلى خارج المدرسة وأنا أشعر بارتياح كبير. نفس شعوري كلما كنت بعيداً عنها.

وكان عليّ في الخارج أن أتجاهل سيل الأسئلة. "متى ستسمح لمارلين برؤية حفيدتها؟".. إلخ إلخ. وصلت إلى سيارة "ستيفن" الأودي وابتعدت عن المكان. وجدت نفسي في قلب بروملي. فأوقفت السيارة وتوجهت إلى محل "ماركس آند سبنسر" لشراء مستلزمات عشاء خاص بمناسبة أول يوم لجيس في المدرسة. ولكنني عجزت.. عجزت عن عدم التفكير في "ستيفن" و"شيلي" - الحقيقيان، وليس "ستيفن" الذي يزورني في الليل - ووجدت أنني أحتمل كل هذا حتى لا أخذلهما. وظللت أقول لنفسي إن عليّ الاستمرار في أداء هذا الدور الذي أتقمصه وحسب. وفي النهاية سأعتاد حياتي الجديدة.

على أي حال، كنت واقفاً في الطابور، أمسك سلة فيها كثير من وجبات المكرونة الجاهزة التي تحبها "جيس" كثيراً، عندما وجدتني أنظر بشكل لا إرادي تجاه ركن الخمور والنبيذ. فتخيلت نفسي جالساً هناك أشرب زجاجة تلو الزجاجة من النبيذ الشيلي الأحمر حتى تنفجر معدتي. أفقت على صوت العجوز الواقفة ورائي تنبهني إلى أن أتقدم نحو الكاشير. وتعرفت على الكاشير على الفور، ومنحتني ابتسامة التشجيع التي صرتُ معتاداً عليها. وجدتها تهمس لي في ارتياب:

- كيف حالها؟

- لماذا يسأل الكل عليها؟ هي بخير.. بخير جداً.. متشكر على السؤال.

لا أعلم لماذا جاء ردي بهذا العنف والعصبية، ولكنني ممتن لكوني لم ألكمها في وجهها أو أرجع فأبتاع كل ما في قسم الخمور من مقتنيات.

24 أبريل – 11:28 ليلاً

مر هذا الأسبوع عليّ بخير، "ماندي". الظاهر أن عودتها إلى المدرسة كانت عودة حميدة بالنسبة لي. حتى أننا أمضينا هذا المساء سوية نشاهد برامج التليفزيون. إنها تحب برامج الواقع، ومتابعة تلك الشخصيات الحمقاء التي يجبرونها على أن تكون أسيرة الكاميرات على مدار الساعة، أما أنا فلا مانع عندي على الإطلاق. ولكنني أعتقد أنها في هذا تجاري بقية زميلاتها في المدرسة، أي أنه سلوك طبيعي منها. وهي لا تزال مطيعة حسنة السلوك معي (كم أتمنى لو اعترضت ولو مرة على التوجه إلى النوم). وهكذا صرت أقنع نفسي بأن الدكتور على حق، وأن سلوكها سيتغير بعد أن تمر بمختلف مراحل التعامل مع الصدمة. فالزمن كفيل بكل شيء. سألتها خلال فاصل إعلاني:

- جيس.. إنتي حاسة إن علاقتنا مع بعض كويسة، صح؟

- طبعًا.. عمو "بول".

عندئذ شعرت ولأول مرة منذ دهر كامل أن كل شيء سيكون بخير.

حتى أنني هاتفت "جيري" وأخبرته أني جاهز للعودة إلى العمل. فسألني عن التسجيلات، وأخبرني أن الناشر يطارده، ويلح كثيراً حتى أرسل بالمزيد من التسجيلات، فسردت عليه الأعذار المعتادة. والمؤكد أن الإثارة ستقتلهم لو أنني أرسلت إليهم هذه التسجيلات من دون مونتاج.

ولكنني سأجد طريقة.. سأجد.

25 أبريل – الساعة 4 عصراً

واو. يا له من يوم، "ماندي". لقد غادر "دارين" للتو (يا إلهي، كان مبالغاً هذه المرة؛ فتش كل الدواليب والأدراج والثلاجة ليتأكد من كل ما يخص "جيس"، وأنا متأكد من أنه تجاوز الإجراءات المعتادة هذه المرة)، وما إن غادر حتى رن جرس التليفون. كنت أتوقع كالمعتاد أن يكون المتصل إما صحفي أو واحد من معتوهي الجماعات الدينية الذي نجح في الوصول إلى رقمي الجديد. ولكنها كانت المفاجأة اليوم.. واحد من مخابيل نظرية الكائنات الفضائية. كانوا قد ابتعدوا

عني منذ أن استدعيت لهم الشرطة بعد خروج "جيس" من المستشفى. كدت أغلق الخط في وجهه على الفور، ولكن شيئاً ما منعني. كان المتصل – اسمه "سيمون" ولا أذكر لقبه – يحدثني بصوت فيه الكثير من العقل والمنطق. قال إنه يتصل ليتعرف على كيفية تعاملي مع الأمر. سأل عني أنا وليس عن "جيس". والصراحة أنني سمعت أكثر مما تكلمت. شعرت وكأنني أراقب ذاتي من الزاوية الأخرى من الغرفة. أعلم أنني مجنون لسماحي له بانتهاز هذه الفرصة. أخبرني أن مهمة الفضائيين – كان يسميهم الآخرين، كما يقولون في أفلام المقاولات – هي خطف البشر، ومن ثم وضع شريحة صغيرة في الجسد والاستعانة بتقنياتهم المتقدمة في السيطرة عليهم. وقال لي إن الحكومات متواطئة معهم. إسمعي.. سأخبرك بالصراحة.. فلن يسمع أحد هذا سواكِ. الصراحة.. إنني أكاد أكون مقتنعاً بكلامه.

أعني.. ماذا لو أن الخميس الأسود من تخطيط الحكومات؟ فهناك الكثير من الناس الذين يعتقدون أن من المحال أن ينجوا هؤلاء الأطفال من تلك الحوادث. ولا أقصد هنا أولئك المعاتيه الدينيين. أو أولئك المجانين الذين يعتقدون أن الأطفال ملبوسين بالشياطين. حتى المحقق الذي جاء ليسألها ذات مرة عما إذا كانت تتذكر أي شيء عن الحادث كان ينظر إليها وهو غير مصدق أنها قد نجت منه. في

الحادثة اليابانية كان هناك ركاب نجوا من الارتطام ولكنهم كانوا في حالة سيئة للغاية حتى أنهم قضوا عقب السقوط بدقائق. وكيف نجت "جيس"؟ إن أجساد الضحايا كانت.. أشلاء، أليس كذلك؟ وعندما بدأوا يخرجون حطام طائرة مايدين من إيفرجليدس بدا وكأنها كانت داخل خلاط هائل.

أوكيه.. اهدأ "بول".. اهدأ. قلة النوم تصيب المرء بالجنون فعلاً.

29 أبريل – 3:37 فجراً

لقد عاد. هذه هي الليلة الثالثة على التوالي.

قد يبدو الأمر جنوناً، ولكنني صرتُ معتاداً عليه. فلم أعد أخاف حينما أستيقظ لأجده جالساً أمامي.

في الليلة الماضية حاولت التحدث إليه مجدداً.

- ما الذي تحاول أن تخبرني به، "ستيفن"؟

ولكنه ظل يردد العبارة نفسها قبل أن يختفي. أما الرائحة فصارت بشعة. لا زالت باقية في الأغطية حتى الآن. سمك متعفن. متعفن. مستحيل أن يكون كل هذا وهم. وهم؟

وأعترف لكِ وأنا خجلان.

انهارت أعصابي ليلة أمس. وغادرت المنزل في الرابعة

فجراً - أجل.. تركت "جيس" وحدها - وقدت السيارة حتى حانة تسكو في أوربينجتون. واشتريت نصف زجاجة "بيلز".

ولم أصل المنزل إلا بعدما كانت الزجاجة من الماضي.

أخفيتها تحت الفراش مع أخريات. وسوف تتفاجأ جارتنا الفضولية حينما تعثر على هذا الكم من الزجاجات الفارغة التي صرت أهوى الاحتفاظ بها. إنني أفقد السيطرة على نفسي؛ وعليّ أن أمتنع عن الشرب مجدداً. لابد أن أتوقف عن هذا السخف.

30 أبريل

هذا كثير.. ولن يساعدني على لملمة ذاتي من جديد.

كنت في غرفة "جيس" منذ قليل. ولم أكن أتوقع ما يمكنني أن أجده فيها. ولكنني لم أكن سأستغرب العثور على أي شيء (يضحك).

(سرعان ما ينقلب الضحك إلى بكاء)

لا بأس.. لا بأس.

ولكنها مختلفة. مختلفة بالتأكيد. هذه حقيقة لا جدال فيها. حتى أنها نزعت كل بوسترات "ميسي كاي" التي كانت تعشقها. هكذا أدرك على الأقل أن الفضائيين "ذوقهم عالي".

(ضحكة أخرى تتحول إلى بكاء)

ولكن كيف يمكن ألا تكون هذه هي "جيس"؟

لابد أن الغلط فيّ أنا.

ولكن..

من الصعب إخفاء كل هذا عن "دارين". كما أن المستحيل أن أسلم نفسي للانهيار. ليس الآن. لابد أن أخفي كل شيء. ولابد أن أتوصل إلى السر وراء كل هذا السخف. وبدأت أفكر في الاستسلام واصطحابها لزيارة "مارلين". ولكن هل يمكن لتلك البقرة السمينة أن تميز أن "جيس" التي أمامها مختلفة؟ كانت "شيلي" لا تطيق الذهاب إليها، ولذلك فلم تجالس "مارلين" البنت كما جالستها أنا. أعتقد أن الأمر يستحق المحاولة. فهي من لحم "جيس" ودمها في نهاية المطاف، أليس كذلك؟

كنت قد طلبت من "بترا"، وهي أم جميلة أنيقة لواحدة من زميلات "جيس" في المدرسة، أن تحضر ابنتها "سمر" لتلهو مع "جيس" فترة الظهيرة. كانت "بترا" تراسلني وتهاتفني دوماً لتطمئن علينا وتعرض المساعدة، وهكذا سرعان ما وافقت. بل وعرضت أن تأتي هي بالبنتين من المدرسة.

وهكذا.. أترك المسجل في غرفة نوم "جيس". حتى أتأكد.

وأعرف ما تتحدث فيه "جيس" حينما لا أكون إلى جوارها. أليس هذا دوري كعم لها؟ ربما تعاني في صمت وستجدها فرصة لتحكي لزميلتها "سمر" وعندئذ سأعلم أن تصرفاتها هذه ناجمة عما أسماه الدكتور "صدمة دفينة". سيكونا هنا في غضون خمس دقائق.

(صوت اقتراب البنتين يزداد علواً تدريجياً)

- .. انتي هتكوني "رينبو داش" وأنا هاكون "الأميرة لونا". ولا انتي عايزة تكوني "راريتي"؟

- إنتي عندك كل مجموعة بونيز يا "جيس"؟

- أيوه.. "بول" اشتراهم لي. واشترالي باربي اللي لابسة الروب البيج. أهيه.

- أوه.. كوول! جميلة قوي. بس ده مش عيد ميلادك.

- عارفة. لو عايزاها خديها. "بول" ممكن يجيب لي واحدة جديدة.

- بجد؟ إنا بحبك قوي! "جيس".. إيه اللي هتعمليه بكل عرايس "بولي"؟

- ولا حاجة.

- "جيس".. إنتي اتألمتي لما اتحرقتي؟

- آه

- وكل العلامات دي هتروح؟

- مش مهم.

- اشمعنى؟

- مش مهم تروح أو متروحش.

- مامي بتقول إنها معجزة إنك ممتيش. وقالت لي ما أسألش على حاجة عشان مش اخليكي تعيطي.

- بس أنا مش هعيط!

- مامي بتقول إن الميك أب هيغطي العلامات دي لما تكبري ومحدش هاياخد باله.

- تعالي! ياللا نلعب!

(انقضت خمس عشرة دقيقة ظلت البنتان خلالها تلعبان لعبة بوني وباربي)

(صوت "بول" من بعيد وهو يناديهما لتنزلا وتتناولا وجبة خفيفة)

- مش هاتيجي يا "جيس"؟

- انزلي انتي الأول. وأنا هجيب عرايس البوني. عشان ياكلوا معانا.

- أوكيه.. هو أنا ممكن آخد عروسة باربي بجد؟

- طبعاً.

- أنا بحبك قوي يا "جيس".

- عارفة.. دلوقتي انزلي.

- أوكيه.

يلتقط الديكتافون صوت "سمر" وهي تغادر الغرفة. وتمضي ثوان في صمت، يتبعها أصوات متسارعة تقترب وأنفاس متهدجة. وبعد ثانية..

صوتها..

"أهلا.. عمو "بول"..

عندما طرت إلى لندن للقاء الناشر البريطاني عقب جنازة "جيس" في يوليو، بعدة أيام، دعتني "مارلين أدامز" لإجراء حوار معها في مسكنها، وهو منزل أنيق تكوّن من ثلاث غرف نوم وغرفة معيشة، ومجهز بكافة الأجهزة والمستلزمات الحديثة.

"مارلين" تنتظرني على الأريكة، وعلى مقربة منها أنبوبة الأكسجين. وما إن كنت على وشك أن أبدأ المقابلة حتى وجدتها تخرج علبة سجائر من جانب الأريكة، لتشعل واحدة وتسحب نفساً عميقاً.

- لا تخبري أولادي، حبيبتي. عارفة إن هذا ضار بصحتي ولكن بعد كل ما حدث... بماذا تضرني أكثر؟ لم أعد أجد راحة إلا مع مثل هذه السيجارة هذه الأيام.

أنا أعرف ما قرأتيه في الصحف، حبيبتي، ولكننا لم نكن أبداً مشاعر سيئة تجاه "بول" في ذلك الوقت، سوى أنه كان يريد إبعاد "جيس" عنا. كان لدي ابن عم يشبهه، أقصد أنه كان شاذاً. ونحن لسنا متزمتين تجاه هؤلاء، أقولها لك بكل صدق. وأنا أحب "جراهام نورتون"(5). ولكنها الصحافة.. لا تنشر أبداً كلامك من دون تحريف وتأويل، أليس كذلك؟ وهل ألوم "شيلي" على أنها منحت "بول" حق الوصاية؟ ليس إلى ذلك الحد. كانت ترغب فقط في حياة أفضل لنفسها ولبنتيها، فمن الذي يمكن أن يلومها؟ فهي لم تحظ بالكثير في حياتها. أعلم أن الناس ترانا متطفلين، ولكن لنا كل الحق في العيش كيفما نريد أن نعيش، ولم لا؟ نحن في أيام صعبة.

يعتقد بعض الناس أننا كنا نريد "جيس" حتى نحصل على منزل "ستيفن" و"شيلي" وأموال التأمين. سأكون كاذبة إذا

قلت لكِ إننا لم نفكر في ذلك، ولكنها كانت أبعد فكرة عن عقولنا، صدقيني. كنا نريد وبكل أمانة أن نعيش إلى جوار "جيس". كنت قلقة عليها وبدرجة تزداد يوماً بعد يوم، حتى أنه هناك أيام لم أكن أنام فيها أبداً من فرط التوتر. وكان أولادي ينبهونني إلى أن كل هذا القدر من القلق كفيل بأن يصيبني بنوبة قلبية. وفي نهاية المطاف، وعندما ساءت حالتي المرضية، استسلمت وتراجعت، وقررت التوقف عن مشاورة المحامين. قلت لنفسي إن هذا أفضل للجميع. وأن "جيسي" ستكبر وتبحث هي عنا، أليس كذلك؟

وحينما اتصل بي "بول" وسألني إن كنت أريد أن أرى "جيس" لم أكن أصدق ما أسمع. فقد كان الأخصائي الاجتماعي يعدني الوعد تلو الآخر من دون تنفيذ. لقد فرحنا للغاية. واتفقنا على أن لا نخبر بقية العائلة حتى لا نفقدها اتزانها النفسي، وقررت أن أكون في استقبالها ومعي ولديّ وابن عمها "جوردان"، وهو الأقرب سناً لها. وأخبرت "جوردان" الصغير أن ابنة عمه ستأتي لزيارتنا، فوجدته يقول لي:

- مش هي من الفضائيين يا تيتة؟

وبالطبع همَّ والده بتوبيخه، ولكنني أعرف أن "جوردي" لا يقول إلا ما سمعه عنها في المدرسة. وكان "كيث" يتعجب

دوماً ممن يصدقون مثل تلك الترهات، وخاصةً ما يقوله أولئك الأمريكان عن الأطفال الثلاثة من خزعبلات دينية. كان يريد أن يقاضي كل من يسيء إلى البنت، ولكن لا طاقة لنا بمثل تلك القضايا، صح؟

تفاجأت حينما أحضرها الإخصائي الاجتماعي. فقد تغيرت كثيراً منذ آخر مرة رأيتها فيها. وكل تلك الصور التي تنشرها الصحافة مختلفة عن رؤيتها على الطبيعة. لم أجد الندبات في وجهها ظاهرة إلى ذلك الحد، وإن كانت تجعل بشرتها أقسى وأنصع بعض الشيء، وهذا كل ما في الأمر.

لكزت "جوردان" وطلبت منه أن يتجه نحوها ويحتضنها. فعل كما أمرته وإن كان على مضض.

ذهب "جيسون" ليحضر لنا وجبات ماكدونالدز، وسألت "جيس" عن أخبارها في المدرسة وعن صديقاتها. كانت تحب الدردشة. ذكية ولماحة. وبدت مرتاحة معنا تماماً. وللأمانة فقد فاجأني ذلك. ففي آخر مرة رأيتها كانت خجولة جداً، مثلها مثل أختها "بولي". وكانت متعلقة بذيل تنورة أمها كلما أتوا إلينا. كنت وأولادي نناديهما الأميرتان الصغيرتان. على أننا لم نكن نراهما كثيراً. فلم تكن "شيلي" تأتينا سوى أيام الكريسماس وفي الأعياد ومناسبات أعياد الميلاد. قلت للصغير "جوردان":

- إيه رأيك تاخد "جيس" وتفرجها على أوضتك؟ يمكن تحب تلعب "وي" معاك؟

- بس دي شكلها بيضحك. وشها بيضحكني.

وبخته وطلبت من "جيس" ألا تهتم لكلامه. ولكنني وجدتها تقول لي بحكمة عجوز عمرها ألف عام:

- مش مشكلة. أنا عارفة إن وشي بيضحك. مكنش المفروض ده يحصل. كانت غلطة. كلنا ساعات بنغلط.

- مين اللي بيغلط، حبيبتي؟

- كلنا. ياللا يا "جوردان". أنا هحكي لك حكاية. عندي حكايات كتيرة.

وهكذا ذهبا إلى الغرفة. شعرت بفرحة لرؤيتهما معاً على هذا النحو. العائلة هي الأساس، أليس كذلك؟

إنني أجد صعوبة في صعود درج السلم هذه الأيام، خاصةً مع متاعب الرئة، لذلك طلبت من "جيسون" أن يلقي عليهما نظرة بين الحين والآخر. أخبرني أنهما اندمجا مع بعضهما سريعاً، وأن "جيس" لا تتوقف عن الكلام. وسرعان ما انقضى الوقت وكان علينا إعادتها إلى منزلها. وسألتها:

- تحبي تيجي لنا تاني، "جيس"؟ وتقضي وقت أطول مع

ولاد عمك؟

- آه يا ريت يا تيتة. أنا كنت مبسوطة قوي.

وبعد أن رحلت مع الإخصائي الاجتماعي، سألت "جوردان" عن رأيه في "جيس"، وسألته إذا كان لاحظ أي تغيير عليها، ولكنه هز رأسه بالنفي. لم يخبرني بأي شيء عنها على الإطلاق. وسألته عن موضوع كلامهما طول اليوم، ولكنه أخبرني أنه لا يتذكر. ولم أشأ أن أضغط عليه.

اتصل بي "بول" ذلك المساء، وصُدمت من جديد عندما سمعت صوته! سألني عما إذا كنت قد لاحظت أي شيء غريب عليها. وقال لي بالحرف إنه قلق عليها.

فأخبرته بما حكيته لكِ الآن، وأنها بنت لطيفة وملأت علينا البيت سعادة.

فوجئت بأنه يضحك بسخرية على كلامي، وقبل أن أسأله عما وجده مضحكاً في كلامي، كان قد أغلق الخط.

وطبعاً تعرفين أنه لم يمر وقت طويل على ذلك الموقف..

قبل أن نعرف كما عرف الجميع بما فعله بها.

ليليان سمول

جاءني الاتصال في السادسة من ذلك الصباح، وهرعت

نحو التليفون قبل أن يوقظ صوت الجرس "روبن". لم أكن أحظى بنوم جيد منذ ذلك اليوم في المتحف، واعتدت أن أغادر الفراش في الخامسة فجراً، حتى يتسنى لي تمضية بضع دقائق وحدي ألملم فيها أعصابي قبل أن أجرب حظي وأعرف بأي وجه سيفاجئني "روبن" في اليوم الجديد.

- من معي؟

لم أكن في مزاج يسمح لي بتحمل سخافات صحفي أو صحفية بلغ بها الذكاء حداً دفعها إلى الاتصال في مثل هذه الساعة.

ساد الصمت لحظة، قبل أن يُعَرِّف المتصل نفسه بأنه "بول كرادوك"، عم "جيسيكا". ذَكَّرتني لكنته البريطانية بواحد من شخصيات مسلسل "كافينديش هول" الذي لا تتوقف "بتسي" عن الحديث عنه. كانت مكالمة غريبة، سادتها سكتات طويلة غير مريحة، رغم أنكِ قد تظنين أنها كانت فرصة لكثير من الكلام. أتذكر أنني استغربت من أنَّ كلانا لم يسبق له أن اتصل بالآخر. فقد كان هناك ذلك الرابط الدائم بين طفلنا وطفلته في الأخبار والتحقيقات والمقالات، وعند كل مرة تطق في دماغ أحد مقدمي برامج التوك شو فكرة أن يستضيف الثلاثة معاً، ولكنني كنت أرفض هذا رفضاً قاطعاً ودائماً. أدركت على الفور أن "بول" ليس على ما يرام؛

وربما أرجعت الأمر إلى فارق التوقيت بين بلدينا أو إلى وجود شوشرة في الخط. ولكنه نجح في نهاية الأمر في أن يوضح لي ما يريد. كان يريد أن يعرف ما إذا كنت لاحظت شيئاً غريباً على "بوبي"، وما إذا كان قد طرأ تغير على شخصيته أو سلوكه بعد الحادث.

الأسئلة نفسها التي لم يتوقف هؤلاء الصحفيين الملاعين عن طرحها، ولم أجد ما أقوله له. فاعتذر عن ما سببه من قلق وأغلق الخط من دون حتى أن يقول مع السلامة.

كنت مستاءة بعد المكالمة وفقدت أعصابي. لماذا يسألني مثل هذا السؤال؟ أعرف أن "بول"، مثلي ومثل تلك العائلة اليابانية، يعاني من ضغوط الاهتمام الإعلامي. وكذلك أشعر بالذنب لأني لم أرد على سؤاله. فقد كان مضطرباً وكأنه يتوق إلى أن يتحدث مع أي شخص.

كما أن هذا الشعور بالذنب أتعبني. أشعر بالذنب لأنني لم ألحق "بوبي" بالمدرسة من جديد؛ وأشعر بالذنب لأنني لم اصطحب "روبن" إلى الدكتور "لوميبه" حتى يتم عرضه على إخصائي؛ وأشعر بالذنب لأنني أخفيت حالته عن "بتسي". فمثلها مثل "كارمين"، التي تتصل بنا كل أسبوع، فإن "بتسي" لم تفارقني منذ البداية، ولكنني كنت مصرة على أن ما يحدث لروبن معجزة اختصني بها الرب وحدي ولن

أعرف بها أحداً. كما أنها مشكلتي أنا وحدي أيضاً. وأنا أعلم ما قد يحدث لو أن أحداً عرف بالأمر. فأنا أرى بنفسي كيف أن ذلك الصبي الياباني صار فريسة لوسائل الإعلام على مدى أيام طويلة ما إن ذاع سر أنه يتعامل مع الدنيا من خلال روبوت صنعه له والده.

أعددتُ لنفسي قدحاً من القهوة، وجلستُ في المطبخ أحدق عبر النافذة. كان يوماً ربيعياً جميلاً، وتذكَّرت أنني كنت أرغب في يوم كهذا حتى أخرج وأتريض، ثم أجلس في كافيتيريا. مع نفسي.

كان "روبن" قد استيقظ في ذلك الوقت، ووجدت أنه اليوم "روبين"، وليس "إيه وان". ففكرت، ما المانع في أن أختلس لنفسي ولو عشر دقائق، وأجلس في الحديقة تحت أشعة الشمس. وأتنفس.

وهكذا أعددتُ لبوبي إفطاره، ونظفت المطبخ، وأبلغت "روبن" أنني سأخرج لبضع دقائق.

- اذهبي، "ريتا". اذهبي واستمتعي بوقتك.

طلبتُ من "بوبي" أن يعدني ألا يغادر الشقة، ثم غادرت. مشيت إلى المنتزه، وجلستُ إلى دكة مقابلة للمركز الرياضي، ووجهت وجهي نحو الشمس. ظللت أذكِّر نفسي أنها خمس

دقائق فحسب، ومن ثم أعود لأغيِّر المفارش والأغطية، واصطحب "بوبي" إلى المتجر لأشتري الحليب. مر عليّ مجموعة من الشباب يدفعون عربات أطفال، وبادلوني الابتسامات. ألقيت نظرة على ساعتي، فأدركث أنني جالسة في مكاني منذ ساعة إلا ربع الساعة - كيف مر كل هذا الوقت؟ إنني لا أبعد عن البيت سوى أقل من خمس دقائق مشياً، ولكن الحوادث تقع في ثوان. أصابني هذا الفزع المباغت بالدوار، فأسرعت إلى المنزل.

وكنتُ على حق في مخاوفي. فقد صرخت بأعلى صوتي عندما دخلت الشقة ورأيتهما واقفين في المطبخ بزيهما المتطابق. كان أحدهما مغلق العينين ويمسك بيد "بوبي" واضعاً يد الطفل على صدره. أما الآخر فقد رفع يده فوق رأسه، وانهمك يتمتم بكلمات غير مسموعة بين أنفاسه المتهدجة.

أخذت أصرخ وأصرخ فيهما أن يبتعدا عن الولد. مَيَّزتهما على الفور، ورائحة التعصب الديني المقيت تفوح منهما:

- أخرجا من شقتي بحق الجحيم!

نادى عليّ "روبن" من داخل الغرفة الأخرى:

- هل هذه أنتِ، "ريتا"؟

أما "بوبي" فقال لي:

- طلبوا مني أدخلهم علشان يتفرجوا على التليفزيون معانا. هما دول اللي "بتسي" بتسميهم "معاتيه"؟

- روح على أوضتك، "بوبي".

التفتُ إلى الرجلين ثانيةً وقد تحولت إلى شعلة من الحنق والغضب. كانا مثل التوأم، متطابقان، حتى في تصفيفة الشعر الأشقر، ونفس التعبير المقيت على الوجهين، وكأن صلاح وتقوى الدنيا حل عليهما وحدهما، مما جعل الموقف أكثر ارتباكاً. أخبرني "بوبي" فيما بعد أنهما سبقاني إلى المنزل بخمس دقائق وأنهما لم يفعلا أي شيء خلاف ما رأيته بنفسي في المطبخ. فلابد أنهما كانا يراقبان المنزل وانتهزا فرصة مغادرتي له. قال لي أحدهما:

- كل ما نطلبه هو أن تشملنا روح "بوبي" بعطفها وتطهرنا. أنتم مدينون لنا بهذا، سيدة "سمول".

سمعتُ صوت "بتسي" قادماً من خلفي وهي تصيح فيهما:

- إنها لا تدين لكما بأي شيء. لقد اتصلت بالشرطة، لذا أنصحكما بأن تلملما كل هذا الهراء وتغورا من هنا.

نظر الرجلان إلى بعضهما قبل أن يسرعا الخطى نحو الباب.

بدا لي أنهما على وشك أن يتحدثا إلينا بمزيد من هذا الهراء، ولكن نظرة من "بتسي" كانت كافية بأن يصرفا النظر عن كل شيء.

أخبرتني "بتسي" أنها ستعتني ببوبي إلى حين إدلائي بأقوالي للشرطة. كنت أعرف أنه فات أوان أن أقلق من أن تعرف حقيقة حالة "روبن". أتاني مفوض الشرطة بنفسه في وقت لاحق من ذلك اليوم. طلب مني الموافقة على توفير حراسة مستمرة من الشرطة، أو أن أستعين بأمن خاص، ولكنني لا أريد غريباً في بيتي.

عندما أنهيتُ اللقاء مع الشرطة، أدركتُ على الفور أن "بتسي" تعلم وكانت تريد أن تتكلم معي حول هذا التحول في حالة "روبن". وهل كان لدي أي خيار آخر سوى أن أخبرها الصراحة؟..

ومن ألوم على ما حدث سوى نفسي؟..

وافقت "بتسي كاتز"، جارة "ليليان سمول"، على التحدث إليّ في أواخر يونيو.

أشد ما آلمني هو أنني كنت أبذل جهدي مع هؤلاء الصحفيين. إنهم يظنون أنفسهم أذكياء. يجيدون التخفي والتلصص والحصول على المعلومات. يتصلون بي ويلقون

عليّ بسهام من الأسئلة المتذاكية وكأنني ساذجة ولا أعلم المغزى الكامن في أسئلتهم. حينما كانوا يسألونني عما إذا كان "بوبي" يتصرف بغرابة، كنتُ أرد لهم الصاع صاعين.

لا أعتقد أن "ليلي" كانت ستجد في نفسها القوة للاستمرار في حياتها هذه من بعد وفاة "لوري"، لولا أن "بوبي" موجود. كانت "لوري" فتاة طيبة، عندها لسعة الفنانين، ولكنها كانت ابنة مطيعة لأمها. لو كنت مكانها لعجزت عن المضي قدماً في حياتي بعد أن توجه إليّ الدنيا طعنة مثل هذه. أما "بوبي"! فيا له من ولد! كنت أرحبُ دوماً بأن أعتني به مكان "ليلي". يأتيني في المطبخ ويساعدني في صنع البسكويت، وكان على راحته في منزلي. وأحياناً ما كنا نجلس معاً لنتفرج على (جيوباردي). كان صاحبي، وولد مطيع، ولا تغيب البسمة عن وجهه. أقلقني أنه لا يمضي وقت كاف مع بقية الأطفال – فمن هو هذا الطفل الذي يقضي كل وقت فراغه مع سيدتين عجوزتين؟ ولكنه كان مرتاحاً. أخبرت "ليلي" أكثر من مرة أن عائلة الحاخام "توبا" تمتلك مدرسة دينية صغيرة جيدة في "بدفورد"، ولكنها لم تكن مقتنعة. ولكن هل ألومها على إصرارها أن تُبقي الولد إلى جوارها؟ أنا لم أرزق بأطفال، ولكن حينما توفي زوجي "بن" بالسرطان منذ عشر سنوات شعرت وكأن سكيناً مزقت قلبي. لقد فقدت "ليلي" الكثير بالفعل. في البداية "روبن"، ثم ابنتها.

كنتُ أعرف أن "ليلي" تحاول إخفاء سر ما عني، ولكن كان من المستحيل أن أتوقع حقيقة ذلك السر. و"ليلي" لا تجيد الكذب، فهي كتاب مفتوح. ولم ألح عليها كي تخبرني. قلت لنفسي إنها سوف تأتيني وحدها في نهاية المطاف لتخبرني بذاك السر.

كنتُ أنظف مطبخي عندما سمعت صراخ "ليلي" في ذلك اليوم. وأول ما خطر لي هو أن مكروهاً حل بروبن. فركضتُ مباشرة إلى شقتها. وعندئذ شاهدتُ رجلين غريبين يرتديان ذلك الزي المتطابق، وميَّزت التعصب في عيونهما، فاتصلت بالشرطة على الفور. فقد كنت أعرف من هما. أنا؟ أنا قادرة على تمييز أمثال هؤلاء المتعصبين من مسافة ميل منذ أن بدأوا في الظهور في أنحاء الحي. حتى عندما هداهما ذكاءهما إلى ارتداء بدلتين فخمتين كرجال الأعمال. كانا ذكيان، فهربا قبل وصول رجال الشرطة. وبينما كانت "ليلي" تُدلي بأقوالها، ذهبت إلى الشقة لأكون مع "بوبي" و"روبن". بادرني "بوبي" مرحباً:

- إزيك، "بتسي". أنا وبو بو بنتفرج على فيلم قديم كل اللي فيه يا إما أبيض يا إما إسود.

وباغتني أن سمعت "روبن" يقول بصوت واضح:

- القديم أحلى.

وكيف تظن أنني تصرفت؟! بالطبع كدت أفقد الوعي من الصدمة والرعب:

- ماذا قلت، "روبن"؟

- أقول بأنهم ما عادوا يصنعون أفلاماً بنفس قيمة أفلام زمان. هل تعانين من مشكلة في السمع، "بتسي"؟

كان لابد أن أجلس. لقد كنت أساعد "ليلي" في رعاية "روبن" منذ أن ترك "بوبي" المستشفى، ولم أسمعه يتحدث ولو كلمة واحدة لها معنى من قبل.

عادت "ليلي" إلينا وفهمت على الفور أنني عرفت السر. رحنا إلى المطبخ وصبت لي ولها كأسي براندي. شرحت لي كل شيء. وكيف أنه بدأ يتحدث فجأة ومن دون سبب ذات مساء.

- إنها معجزة.

عدتُ إلى شقتي، ولكنني عجزت عن عمل أي شيء. كان لابد لي من التحدث إلى أي أحد. حاولت الاتصال بالحاخام "توبا" ولكنه لم يكن موجوداً وكنت أريد أن أزيح هذا السر عن قلبي. وهكذا اتصلت بزوجة أخي. كان لصديقتها ابن أخ

يعمل طبيباً وقد طلبت مني أن أتصل به. كنت أريد المساعدة فحسب. وفكرت أن من الأفضل أن أتحصل على رأي طبيب آخر لأجل "ليلي".

أعرف أنكِ الآن وبعد ما جرى تعتبرينني أغبى أغبياء الأرض.

لا أدري إن كانوا رشوه، أو اتفقوا معه بأية طريقة، ولكنني أعلم أنه هو من أخبر الصحفيين. ففي اليوم التالي وحينما غادرتُ المنزل إلى المتجر – لأشتري بعض الخبز للشوربة ذلك المساء – شاهدتُ حشداً من الصحفيين المتربصين عند المنزل، ولكن هذا المشهد كان معتاداً نوعاً ما. حاولوا التحدث إليّ ولكنني تجاهلتهم.

وقرأتُ ذلك العنوان على لافتة خارج المخبز: "معجزة! جد "بوبي" المصاب بـ"ألزهايمر" يتكلم من جديد". لحظتها تاه عقلي. ليغفر لي الرب، ولكنني فكرت أن بوسعي أن ألقي باللوم على الرجلين اللذين اقتحما الشقة من قبل. غير أنني انهرت وأنا أقرأ الموضوع.. "مصدر مقرب من "ليليان سمول"".

نهشني القلق. كنت أعلم ما يعنيه هذا لـ"ليلي". فقد صارت مسألة وقت قبل أن يهجم عليها هؤلاء المعاتيه بقيادة زعيمهم الشيطاني الأخرق، وينقضوا على العائلة مثل سرب

من الذباب اجتذبه الروث.

جريثُ عائدة إلى المنزل والتقيثُ "ليلي" وأخبرتها بما جرى، وقلت لها:

- لم أقصد أبداً أن أفشي السر.

شحب وجهها وهي تقول في خوف:

- ليس ثانيةً. لماذا لا يتركوننا وحالنا؟

لم تسامحني "ليلي" أبداً. لم تطردني من حياتها ولكن العلاقة بيننا لم تعد كما هي.. فقد غاب عنها أهم ما ميَّزها.. الثقة.

وكم مرة تساءلت فيها بجزع، إن كان ما اقترفته حلقة في سلسلة تسببت في كل ما جرى بعد ذلك..

اغفر لي يا رب..

---

(5) ممثل كوميدي بريطاني أعلن عن ميوله المثلية. (المترجم)

الجزء الثامن
المؤامرة
أبريل – يونيو

ظهر المقال التالي في موقع (makimashup.com) يوم 19 أبريل 2012 – وهو موقع مختص بنشر كل عجيب وغريب في العالم.

ملكة الأعاجيب اليابانية

يُظهر مقطع الفيديو الأول سيدة يابانية جميلة راكعة على حصيرة تاتامي في وسط غرفة أنيقة خافتة الضوء. تعدل من الكيمونو الأحمر اللامع الذي ترتديه، قبل أن تبدأ في التلاوة بصوتٍ عالٍ من ما تحفظه من كتاب "مسروقة"، وهو كتاب سيرة ذاتية ياباني من بين الأكثر مبيعاً لآكي كيمورا، وهي التي تعرضت لاعتداء جنسي من ثلاثة جنود من مشاة البحرية الأمريكية في جزيرة أوكيناوا في التسعينيات. أما في المقطع الثاني، فنراها تمضي عشرين دقيقة في حديث تفصيلي حول عملية اختطاف قامت بها الكائنات الفضائية. وفي الثالث تلقي محاضرة عن أن "هيرو ياناجيدا"، الصبي الذي نجا من حادث تحطم طائرة "صن أير"، ثروة وطنية، ورمزاً لقدرة اليابان وهويتها.

هذه المقاطع، التي ظهرت للمرة الأولى عبر موقع تبادل ملفات الفيديو الياباني "نيكو نيكو دوجا"، حققت انتشاراً واسعاً، وجذبت أكبر عدد من الزيارات في تاريخ الموقع. أما سبب شهرة تلك المقاطع فلم يكن موضوعاتها، بل إن السبب هو السيدة نفسها. فهذه هي النسخة الأندرويد من "أيكاو أوري"، مغنية البوب السابقة المشهورة في التسعينيات والتي اعتزلت لتتزوج السياسي "ماسامارا أوري". و"أيكاو" عاشقة مجنونة للشهرة. ونادراً ما تبتعد عنها أضواء الأخبار، حتى أنها أقدمت ذات مرة على إطلاق حملة تحث السيدات على حلق حواجبهن في أوائل القرن الجديد، وهي تكره الأمريكان (ويُقال إن هذا يعود إلى فشلها في دخول عالم هوليوود في أواسط التسعينيات)، وتُصر دوماً على ارتداء الزي الياباني التقليدي كنوع من الرد الرافض للموضة الغربية، أما أكثر ما أقدمت عليه جدلاً فهو إعلانها أن الفضائيين قد اختطفوها عدة مرات طوال حياتها.

إن مشاهدة نسخة "أيكاو" الأندرويد وهي تتكلم أمر مُربك. ويتطلب الأمر منك عدة ثوان قبل أن تدرك أن هناك شيئاً ما خطأ.. شيء ما غير بشري في هذه السيدة التي تتكلم ببلاغة. فالنبرة لا تحمل مشاعر أو عواطف، ولولا تباطؤ لا يتجاوز كسوراً من الثانية لاعتقد الجميع أنها إنسانة من لحم ودم. كما أن لا حياة في عينيها.

وتعترف "أيكاو" بصراحة أنها طلبت صُنع نسختها الأندرويد بعد أن عرفت أن "هيرو ياناجيدا"، أحد الناجين من حادث طائرة "صن أير"، لا يتواصل مع العالم إلا عن طريق نسخته الأندرويد التي صنعها له والده، أشهر خبراء هذا المجال. وتعتقد "أيكاو" أن التحدث من خلال الأندرويد، التي يتم التحكم فيها عن بعد، باستخدام كاميرا وأجهزة التقاط الصوت متقدمة التقنية، وحسب تعبيرها: "سوف يجعلنا أقرب إلى أن نكون كائنات نقية".

كما أن "أيكاو" ليست الوحيدة التي تتبنى فكرة "الكيان النقي" هذه. ولأنهم معروفون بالتقاليع الغريبة، فإن مصممي الموضة اليابانيين الشباب بادروا بمسايرة هذا الخط الجديد. فمن يمكنه تحمل تكلفة النسخة الأندرويد (يبلغ ثمن أرخص نوع 45 ألف دولار) صار بوسعه شراء مانيكان أندرويد وكذلك دُمَى جنسية مع ميزة تعديلها كما يشاء. وازدحمت الشوارع المحيطة بهاراجوكو - حيث تُعرض أحدث خطوط الموضة - بالفتية والفتيات المهووسين بالموضة والذين يستعرضون نسخهم الأندرويد، فيما عُرف بعد فترة قصيرة باسم "تقليعة هيرو".

كما أن هناك شائعات عن قيام الفرق الغنائية النسائية، ومنها فرقة AKB 48 الشهيرة وفرقة صني جونيورز، صارت

تصنع نسخاً أندرويد ترقص وتغني بكل مهارة وبراعة.

قمت في منتصف أبريل بزيارة كيب تاون في جنوب إفريقيا لألتقي "فينسنت تشاتي"، وهو المحقق الخاص الذي كان مكلفاً بالبحث عن "كينيث أودواه" - الفارس الرابع المزعوم.

تمتلئ صالة الوصول في مطار كيب تاون الدولي بالمرشدين السياحيين الهواة، والذين لا يتوقفون عن الصياح، "تاكسي، سيدتي؟" ويُلَوِّحون بمنشورات إعلانية عن "جولات سياحية شاملة في خايليتشا". وعلى الرغم من تلك الفوضى، كان من السهل عليّ أن أميز "فينسنت تشاتي" على الفور، وهو المحقق الخاص الذي وافق على مرافقتي في كيب تاون لبضعة أيام. فهو ضخم؛ طوله ستة أقدام وأربع بوصات، ووزنه يقارب مائة وخمسين كيلو، وحاضر بقوة وسط سائقي سيارات الأجرة ومنظمي الرحلات السياحية. رحب بي بابتسامة عريضة، وتناول عني أمتعتي. تحدثنا ببضع كلمات ونحن نأخذ طريقنا عبر الزحام نحو موقف للسيارات. هناك رجلان من رجال الشرطة يقفان في تراخٍ في زيهم الأزرق ويتطلعان نحو الجميع بعين الشك، ولكنهما لا يردعان أو يبعدان كل هؤلاء الباعة ومنتهزي الفرص الذين يتحلقون حول ضيوف البلد، مثلهما مثل اللافتة العريضة

التي تحذر من التعامل مع الغرباء. أزاح "فينسنت" اثنين من الباعة بعيداً عنا، صائحاً فيهم بكلمة صارمة.. "فوتسيك".

كنتُ منهكة بعد رحلة استمرت ست عشرة ساعة، وكنت أتوق إلى تناول القهوة وأخذ دش بارد، ولكن عندما سألني "فينسنت" عما إذا كنت أرغب في الذهاب مباشرة الى موقع الحادث قبل الفندق، وافقت على الفور. أومأ برأسه مستحسناً ذلك ووجهني نحو سيارته، كانت سيارة بي ام دبليو سوداء أنيقة ذات زجاج معتم.

- لن يجرؤ أحد على أن يجرب حظه معنا ونحن داخل مثل هذه السيارة. فهي تبدو كسيارات السياسيين.

سكت، ونظر في وجهي، قبل أن يزأر بالضحك.

غصت في المقعد جواره، ولمحت صورة قديمة لكينيث أودواه – التقطت له وهو في الرابعة من عمره – مثبتة على التابلوه.

ونحن نغادر المطار ونأخذ طريقنا، شاهدت على البعد جبل تابل، والسحب تعانق قمته. كنا قبيل فصل الشتاء، ولكن السماء زرقاء صافية. انطلق "فينسنت" على الطريق السريع، وسرعان ما صدمتني مظاهر الفقر الطاغية من حولنا. كان المطار حديثاً أنيقاً، ولكنني وجدت الطريق يمر وسط عدد

هائل من الأكواخ المتداعية، واضطر "فينسنت" أن يضغط الفرامل بقوة ليتفادى طفل صغير يسحب كلباً بحبل وهو يعبر الطريق بجرأة مراوغاً السيارات.

- الموقع ليس بعيداً.

قالها وهو يزم شفتيه في تركيز، يتجاوز ميني باص متهالك مزدحم بالركاب وبرغم ذلك يسير في الحارة السريعة في الطريق.

سألته عمن كلفه بالبحث عن "كينيث" فابتسم وهو يهز رأسه. كان الصحفي الذي أعطاني بيانات "فينسنت" أكد لي أنه محل ثقة، ولكنني عجزت عن التخلص من شعور عدم الارتياح. سألته عن أخبار الباحثين عن "كينيث" والذين صاروا ضحايا للنصب والسرقة. تنهد قبل أن يقول:

- الصحافة تبالغ. لم يصادف المتاعب إلا الأغبياء الذين تصرفوا بسذاجة.

سألته عما إذا كان يعتقد أن "كينيث" موجود بالفعل.

- رأيي لا يهم. فربما كان الطفل موجوداً وربما لا. فإن كان موجوداً فسوف أعثر عليه.

خرجنا عن الطريق السريع، وعلى يميني ميَّزت ضاحية

مزدحمة بالمنازل المبنية بالطوب، وكذلك أكواخ وعشش من الخشب والصاج، وصفوف تعقبها صفوف من مباني ملحقة تشبه أكشاك الحراسة.

- هل هذه هي "خايليتشا"؟

- أجل.

- منذ متى وأنتم تبحثون عنه؟

- منذ البداية. ولم يكن الأمر سهلاً. فقد واجهنا مشكلات في البداية بسبب المسلمين الذين حاولوا منع الناس من التعامل مع كل من يبحث عنه.

- لماذا؟

- ألم تعرفي بهذه الحكاية في أمريكا؟ آه. لقد زعم مثيرو المشاكل أن "كينيث" مسلم الديانة، وعارضوا حضور الأمريكان إلى هنا وبحثهم عنه بزعم أنه واحد منهم ومرسل إليهم. ثم تم الإعلان رسمياً عن أنه من عائلة مسيحية، وهكذا صرفوا نظر عن الأمر كله!

زئير ضاحك آخر.

- أرى أنك لست مهتماً بالدين؟

- لا. فقد رأيت الكثير في حياتي.

اتجه يميناً، وخلال دقائق كنا في قلب البلدة. الطرق الترابية التي تنسج خيوطها بين شبكة لا نهاية لها من الأكواخ جميعها متشابهة. تنتشر لافتات كوكا كولا، وأغلبها معلق على حاويات الشحن القديمة التي حَوَّلوها إلى محال مؤقتة. ومجموعة من الأطفال الصغار يرتدون سراويل قذرة يُلوِّحون مبتسمين للسيارة، قبل أن يتصايحوا ويركضوا خلفها. أوقف "فينسنت" السيارة عند جانب الطريق، وأعطى أحد الأطفال ورقة بعشرة راند وطلب منه أن يراقب البي إم ويحميها من عبث الأطفال. نفخ الطفل صدره في عزم وهو يومئ برأسه أنه أهل لهذه المسؤولية.

على بعد بضع مئات من الأمتار، حافلة سياحية متوقفة إلى جانب مجموعة من الباعة المتجولين يبيعون لركابها بضاعتهم. أشاهد زوجين أمريكيين يتأملان قطعة مصنوعة من الأسلاك على شكل طائرة وهما يفاصلان على ثمنها مع البائع.

قال لي "فينسنت":

- سوف نمشي حتى المكان. كوني قريبة مني ولا تنظري إلى أي من سكان المكان.

- أوكيه.

وجدته يضحك من جديتي:

- لا تقلقي، أنتِ هنا بخير.

- هل تعيش هنا؟

- كلا. أعيش في ججز. ججليثو.

كنت قد شاهدت لقطات من الجو للمكان الذي سقطت فيه الطائرة، بعد أن صنعت بهيكلها مساراً اخترقت به الأراضي الزراعية قبل أن تهمد حركتها، ولكن من الواضح أن الناس هنا متحدين، وبالفعل هناك علامات تنم عما لحق بالمنطقة من دمار. بدأوا في بناء كنيسة جديدة، وكذلك ظهرت الأكواخ مجدداً في جميع أنحاء المواقع حيث اندلعت الحرائق. وهناك هرم زجاجي أسود براق، نقشوا عليه أسماء أولئك الذين لقوا حتفهم (والغريب أن من بينها اسم "كينيث أودواه").

جلس "فينسنت" القرفصاء ومرر أصابعه خلال التربة.

- لا يزالون يعثرون على بقايا. عظام وقطع من المعدن. تخرج لوحدها من تحت الأرض. الأمر يشبه أن يكون المرء مصاباً بجرح؟ أو يكون تحت الجلد شوكة؟ فالأرض تلفظ تلك الأشياء.

خَيَّم الهدوء على الأجواء ونحن نعود أعقابنا إلى السيارة ومن ثم إلى الطريق السريع. تمرق إلى جوارنا المزيد من الميني باصات، مملوءة بأُناس متجهين صوب المدينة. وبدا لي أن جبل تابل يسارع الخطى نحونا ليلاقينا، وقد غَيَّبَ السحاب قمته المسطحة الشهيرة تماماً عن الأنظار.

- سوف أوصلك إلى الفندق وفي الليل سنخرج في مهمة، أوكيه؟

كنا في المنطقة الساحلية في كيب تاون؛ حيث الفندق ذو الهيكل الذي يمزج بين الزجاج والصلب في فخامة، تتناقض تماماً مع ما سبق لي أن رأيته حالاً. وكأنني انتقلت إلى دولة أخرى. فمن الصعب أن تصدق أن متاجر الأزياء الغالية والمطاعم الخمس نجوم لا تبعد سوى عدة كيلومترات قليلة عن ذلك الفقر المخيم على البلدات.

أخذت دشاً، ثم اتجهت إلى البار وأجريت عدة اتصالات وأنا في انتظار "فينسنت". كان هناك بضعة كهول جالسين في مجموعات، فبذلت جهدي حتى استرق السمع. غالبيتهم من الأمريكان.

كنت أعمل على إجراء مقابلة مع رئيسة محققي هيئة جنوب إفريقيا للطيران المدني، لكن مكتبها أبلغني أنها ترفض التحدث إلى الصحافة. ولكنني جربت الاتصال

بالمكتب مجدداً. أتاني صوت السكرتيرة محملاً بالضجر:

- كل شيء وارد في التقرير. لم يكن هناك أي ناجين.

وكذلك فشلت جهودي في التحدث مع عمال الإغاثة الذين كانوا أول من وصل إلى ساحة الحادث.

اتجه "فينسنت" إلى لوبي الفندق وكأنه صاحبه؛ على راحته تماماً مثلما كان في قلب خايليتشا.

أخبرته عن فشلي مع مكتب رئيسة محققي الهيئة.

- انسي. ولكنني سأحاول أن آخذ موافقة آخرين على التحدث إليكِ.

أتته مكالمة على تليفونه. وكانت المكالمة قصيرة وبلغة الزوشا.

- من أعمل معهم يطلبون مني فحص مجموعة من الأطفال. لن يكون هناك جديد. ولكن عليّ القيام بذلك. يريدون تقريراً كاملاً في كل يوم.

مشينا حتى أحواض الميناء، وتمهلنا حينما بلغنا نفقاً. في المنطقة كآبة ربما من سوء الإضاءة، وهو ما أشعرني بعدم الارتياح من جديد.

كان زميل "فينسنت"، وهو رجل نحيل ضئيل الجسد يُدعى

"إريك مالينجا"، ينتظر أسفل جسر لم يكتمل بناؤه بعد. من حوله ثلاثة فتيان في هيئة رثة، لا تستقر حركتهم. علمت لاحقاً أن العديد من أطفال الشوارع هنا مدمنين على شم الكلّة مما يجعلهم في حالة من عدم الاتزان التام. يخبرني "فينسنت" أن هؤلاء الأطفال الصفر يتقوتون من التسول والنشل في وسط البلد.

- في بعض الأحيان يطلبون من السياح أن يشتروا لهم كورن فليكس وحليب، فيقومون ببيعه من جديد للسياح الصعاليك. وهناك أخريات تبعن أجسادهن.

لاحظتُ لما اقتربنا وجود طفل رابع جالس بعيداً عنهم فوق صندوق مقلوب. كان يرتجف، ولكني لم أكن أعلم إن كان هذا من الخوف أو من البرد.

انتبه أطول الأطفال - وكان صبياً نحيفاً مزكوم الأنف - عندما شاهدنا نقترب، وأشار إلى الطفل الجالس فوق الصندوق:

- هو ده يا زعيم. هو ده "كينيث". هاخد حلاوتي دلوقتي يا زعيم؟

أخبرني "فينسنت" أن آخر "كينيث" عثروا عليه لم يكن نيجيرياً حتى. بل من العِرْق الذي يسمونه "مُلَوَّن"، وهي كلمة

جعلتني أجفل.

أومأ "فينسنت" إلى "إريك" في ضجر، فَوَجَّه هذا الأخير الطفل إلى السيارة.

- إلى أين يأخذه "إريك"؟

- إلى أحد الملاجئ. بعيداً عن هؤلاء الصيِّع.

فتذكر الصبي مزكوم الأنف:

- بس هو قال لنا إنه "كينيث" يا زعيم. أحلف لك إنه قال لنا كده.

سألته أنا:

- إنت عارف ليه الكل بيدور على "كينيث"؟

- طبعاً يا مدام. فاكرينه الشيطان.

فصاح صبي آخر:

- ده مش صحيح. عشان عايزين يودوه الكنيسة؛ عشان ملبوس بروح ساحرة شريرة. اللي بيقابله بيموت على طول.

فتدخل ثالث:

- مبيطلعش غير بالليل. وأي حتة بيلمسها فيك بتموت على طول. ده بينشر الإيدز كمان.

فقال الطويل، وواضح أنه كبيرهم:

- أيوه. أنا سمعت الحكاية دي برضه. وأنا اعرف واحد شافه يا مدام. لو اديتيني حتة بمية ممكن أوديكي عنده.

تَدَّخَل "فينسنت" قائلاً لي:

- هؤلاء الأولاد لا يعرفون أي شيء.

ولكنه ناول كل واحد منهم عشرين راند، وطلب منهم أن ينصرفوا. وسرعان ما اختفوا في ظلمة الليل.

- هكذا ينتهي الأمر في كل مرة. ولكن عليّ أن أتوخى الدقة وأقدم تقريري اليومي. وفي أغلب الأيام أتفقد المشرحة تحسباً لأن يكون قد ظهر هناك، ولكنني لن آخذك إلى هناك.

في اليوم التالي التقاني "فينسنت" في الفندق ليخبرني أنه ذاهب إلى الساحل الغربي لكي "يتعقب خيطاً". وعرَّفني بشرطي في مركز شرطة خايليتشا قال إنه على استعداد لأن يتحدث معي، وأعطاني اسم أحد المسعفين الذي وصل إلى مكان الحادث بعد دقائق من وقوعه، وكذلك رقم تليفون سيدة كانت فقدت منزلها في الدمار الذي لحق بالمنطقة.

- لديها ما قد يفيدك. وربما توافق على أن تتحدث معكِ. كونك أجنبية.

وبعد ابتسامة عريضة أخرى، ومصافحة بطريقة مركبة، تركني ومضى.

(بعد عشرة أيام، وبعد أن عدتُ إلى مانهاتن، تلقيتُ رسالة نصية من "فينسنت".. لا تحوي سوى عبارة واحدة:

"لقد عثروا عليه"..)

الشهادة التالية مسجلة لدى مركز شرطة "بوتينكانت" في كيب تاون يوم 2 مايو 2012

شرطة جنوب إفريقيا

أنا: "برايان فان دير ميرفي"

العمر: 37 عاماً

العنوان: 16 شارع أوكاليبتوس، بيلفال، كيب تاون

تليفون: 0215318976

أدلي بالشهادة التالية تحت القسم:

في ليلة 2 مايو 2012، عند الساعة 10:30 مساء تقريباً، تم توقيفي في نهاية لونج ستريت في كيب تاون، أمام محل بيرز للأثاث. كنتُ قد توقفت لأقوم بتوصيل طفل بسيارتي عندما اكتشفت أن سيارة شرطة توقفت إلى جوار سيارتي.

قلت لرجلي الشرطة إن سبب توقفي هو أنني كنت قلقاً على سلامة الطفل. وأن هذا الطفل، وهو في سن ثماني أو تسع سنوات، لا ينبغي أن يكون في مثل هذا المكان في ذلك الوقت من الليل، ولذلك توقفت لأطلب منه أن أقوم بتوصيله.

أنا أنكر أن أكون تحرشت بالطفل جنسياً. وعندما وجدني الضابطان في السيارة، أنكرتُ قيامي بإنزال بنطلوني الجينز ودفع الولد إلى القيام بفعل جنسي.

سحبني الرقيب "مانجيت كومار" إلى خارج السيارة وصفعني على وجهي، وهو ما أصر على تسجيله هنا. ثم سأل الولد عن اسمه ولكنه لم يرد. فسألته الضابطة الأخرى، وهي الكونستابل "لوسي بيستوريوس"، "هل أنت كينيث؟" فقال الولد: نعم.

لم أقاوم توقيفي.

(توقيع ب ف د ميرفي)

"أنديسوا ماتيبيلي" (وهذا ليس اسمها الحقيقي) هي مديرة أحد ملاجئ الأطفال مجهولي الأهل وضحايا الاعتداءات في كيب تاون (لا يمكن الإفصاح عن مكان ذلك الملجأ لأسباب بديهية). وافقت "أنديسوا" على أن

تتحدث معي تليفونياً بشرط عدم الكشف عن هويتها أو عن مكان الملجأ.

من العار أن أقول هذا.. ولكنهم عندما أحضروا الصبي إلينا أول مرة كان يعاني من نقص التغذية، حتى أنني حرصت وقبل أن يستحم على أن يتناول وعاءً كبيراً من الأرز المسلوق وشوربة اللحم الضاني. كنت قلقة جداً عليه، وهذا ليس فقط بسبب تلك القروح على ساقيه وذراعيه. كان الطبيب قد كشف عليه وكتب له روشتة مضادات حيوية، وكذلك أخذ مجموعة من أمصال مضادات الفيروسات خاصةً وأنه قد كانت عليه علامات تنم عن تشغيله في الدعارة. وهو أمر يعاني منه أطفال الشوارع. فقد تعرض كثير منهم لسوء المعاملة من والديهم، ولم يجدوا طريقة أخرى تبقيهم على قيد الحياة.

وما الذي يمكن أن أقوله عن الولد؟ لم يكن يتكلم بلكنة نيجيرية، ولكن من الصعب التأكد من ذلك نظراً لندرة كلامه. بدا أكبر من سن السبع سنوات، وهو عمر "كينيث أودواه". وعندما انتهى من طعامه سألته:

- اسمك "كينيث"؟

- أيوه، اسمي "كينيث".

لو كنتِ عرفت لاحقاً أنه يوافق على كل سؤال مهما كان.

في اليوم التالي، جاء فريق الطب الشرعي إلى الملجأ وأخذ مسحة من لعابه حتى يتمكنوا من تنفيذ اختبار "الدي إن إيه". وعرفوني أن الولد سيبقى هنا حتى يتأكدوا من أنه "كينيث". وكان رأيي أنه إذا تبين أن هذا الطفل هو بالفعل من يبحثون عنه، فإن من الضروري جمع شمله مع خالته وأسرته في أسرع وقت ممكن.

أنا لست من خايليتشا، ولكنني كنت في موقع النصب التذكاري وشاهدت مكان الحادث. وإنني لأجد صعوبة في تصديق أن ينجو أي شخص من حادث مثل هذا، ولكن هذا حدث في الطائرة الأمريكية وتلك الآسيوية والأوروبية، لذلك لم أكن متيقنة من أي شيء. وشيئاً فشيئاً، وعن طريق طرحي أسئلة مباشرة عليه، عرفت قصته. قال إنه عاش لفترة على شاطئ بلوبرج، ثم في خليج كالك، ثم قرر أن يعود.

راقبته عن قُرب لأتأكد من أن الأطفال الآخرين لا يضايقونه، وهو أمر معتاد الحدوث، ولكن معظمهم كانوا يتحاشونه. أنا لم أخبرهم بمن يكون. أنا وحدي التي كنت أعرف. بعض الموظفات من النوع الذي يؤمن بالخرافات، وكن مقتنعات أن هذا الولد ملبوس بشيطان طالما أنه نجا

من مثل ذلك الحادث.

بعد أسبوعين عرفنا أن عينة "الدي إن إيه" تطابقت مع عينة خالة "كينيث أودواه"، ولم يمض وقت طويل قبل أن تعقد السلطات مؤتمراً صحفياً كبيراً. اعتقدت أنهم سيأخذون "كينيث" بعده على الفور، ولكن الشرطة اتصلت لتخبرنا أن صحة خالة "كينيث" انهارت (ربما من صدمة خبر ابن أختها) ولن يمكنها السفر من لاجوس لكي تتعرف على الولد وتتسلمه رسمياً. وأخبروني أن أحد أفراد أسرته، من فرع بعيد، في طريقه لاستلامه بدلاً منها.

وقد وصل في اليوم التالي، وأخبرنا أنه ابن عم والد "كينيث". سألته عما إذا كان متأكداً من أن الولد قريبه فأكد لي ذلك. سألت الولد:

- تعرف الراجل ده يا "كينيث"؟

- أعرفه.

- عايز تروح معاه ولا تحب تقعد هنا معانا؟

لم يكن الولد يعرف بماذا يرد. فلو سألته "عايز تقعد؟" سيرضى، ولو سألته "عايز تروح مع الراجل ده؟" سيرضى أيضاً.

كان من الواضح أنه لا يدري بحقيقة ما يجري.

وهكذا رحل في تلك الليلة.

نشرت صحيفة "إيفننج ستاندارد" البريطانية المقال التالي عبر موقعها الإلكتروني يوم 18 مايو 2012

حُمى تعصف بأمريكا

قام أحد رجال الدين بافتتاح أول مركز تعميد "حسب الطلب" في سان أنطونيو بولاية تكساس، حيث يمكنك أن تنال صك الغفران بثمن لا يزيد على ثمن وجبة "هابي ميل" من مطعم وجبات سريعة.

يقول الأب "فينسنت جالبريث" (48 عاماً): "سوف تنال الغفران خلال ساعة البريك! كل ما عليك هو أن تأتينا ليملأ يسوع قلبك ومن ثم تعود بسيارتك إلى عملك وأنت مؤمن بأنك ستكون من بين من اصطفاهم الرب عندما تحين الساعة".

وقد خطرت هذه الفكرة للأب "جالبريث"، وهو أحد أتباع حركة نهاية الزمان والتي يقودها الدكتور "لند"، بعد أن امتلأت كنيسته عن آخرها بالمؤمنين الذين آمنوا بنظرية "الثلاثة"، والتحق بهم الآن "كينيث أودواه"، وأنهم فرسان نهاية الزمان. ورغم أنه افتتح مشروعه الجديد منذ أقل

من أسبوع إلا أن الطوابير لم تنقطع، بل تزداد طولاً. ويقول الأب الذي كان يعمل في السابق مندوب مبيعات لبوليصات التأمين: "لقد أصاب الناس اليأس ومعهم كل الحق. فالعلامات أوضح من أن يتجاهلها أحد، وأدركت أنه على أحد ما أن يقدم لهم الحل وطوق النجاة. والكل مرحب به عندي؛ سواءً أكان مسلماً أم يهودياً أم حتى ملحداً. فلا أحد يعرف موعد الساعة. وبهذا المعدل صرتُ أفكر في افتتاح المزيد من الأفرع".

يذكر أن مشروع القس "جالبريث" الجديد ما هو إلا واحد من ضمن العديد من مؤشرات تدل على أن الآلاف من الناس في حزام الولايات المتدينة في الولايات المتحدة، وكذلك خارجها - صاروا مقتنعين بنظرية نهاية العالم ويأخذونها على محمل الجد. ففي استطلاع حديث للرأي قامت به سي إن إن بالتعاون مع مجلة تايم، يعتقد قرابة 69٪ من الأمريكيين أن أحداث الخميس الأسود يمكن أن تكون علامة على أن نهاية العالم وشيكة.

ففي ولاية كنتاكي، يبشر "هانيجان لويس" (52 عاما) بحركة أسماها Down Tools. حيث يقول الرجل الذي كان في السابق يعمل سائقاً لأحد الأوناش:

"قد تأتي النهاية في أي وقت. فإذا كنت في طائرة، أو تقود

أتوبيساً، أو كنت واحداً من المصطفين، وانتقلت إلى السماء فجأة، فعليك بالتفكير في المذبحة". وهو هنا يستعير عبارة ذاعت عن حملة لحزب المحافظين البريطاني لا تحظى بأي شعبية، ويُشَجِّع المؤمنين على "العودة إلى الأساسيات" والتحرر من أي تكنولوجيا يمكنها أن تضر أولئك الذين سيبقون من بعد رحيل المصطفين.

ولكن ليس كل المؤمنين الأمريكان مقتنعين بتلك النظرية. فيقول القس "كينيدي أولاكس"، رئيس منظمة "مسيحيين لأجل التغيير" ومقرها أوستن: "ننصح الناس ألا ينساقوا وراء تلك الهيستيريا التي تعصف بالبلاد. لا يوجد سبب يدعو إلى الفزع. فلا تعدو نظرية الفرسان العبثية التي لا برهان عليها أن تكون متاجرة بمخاوف الناس، نجمت عن رغبة في القضاء على اليمين المتدين والوصول برينارد إلى البيت البيض، خاصةً ونحن في عام الانتخابات".

بينما تبدي جماعات أخرى قلقها إزاء التغييرات السياسية والاجتماعية التي يمكن أن تحدثها تلك الحمى الدينية. فبعدما أعلنت حركة الدكتور "لند" التي تتوسع وتنتشر بسرعة تأييدها علناً للمرشح الرئاسي الجمهوري "ميتش رينارد"، أضحت مخاوفهم تلك مشروعة إلى حد كبير. يقول "بوبي أبرامز"، المتحدث باسم رابطة المثليين: "نعلم

أن الدكتور "لند" يبذل قصارى جهده لكي يجمع من حوله مختلف الجماعات الدينية المتعصبة والأصولية والتي تُشَكِّل الجناح اليميني المتطرف، كما أن "ميتش رينارد" يقود حملة ضد زواج المثليين. ورغم أنه لم يتصدر استطلاعات الرأي بعد، إلا أن عدد مناصريه يزداد يوماً من بعد يوم".

بينما جاء رأي "إيمان عارف حامد"، من تحالف المسلمين الأمريكيين، بصبغة فلسفية: "نحن لسنا قلقين من ظهور مناخ معادٍ للمسلمين كما كان الحال بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر. وحتى الآن تستهدف تلك الهجمات المراكز الطبية التي تقوم بعمليات الإجهاض وكذلك جماعات المثليين. ولم تردنا حتى الآن أية تقارير تتحدث عن تهميش ومعاداة المواطنين المسلمين".

وبرغم أن نظرية الفرسان لم تُحدث حتى الآن نفس هذا القدر من الذعر في المملكة المتحدة، فإن العديد من رجال الدين البريطانيين من جميع الطوائف، بدءاً من الكاثوليكية وحتى كنيسة إنجلترا، يتحدثون عن زيادة عدد مرتادي الكنائس. والآن وبعد العثور على ما يُسَمَّى بالفارس الرابع، فربما أضحت مسألة وقت قبل أن تنتقل تلك الحمى إلى هذا الجانب من الأطلنطي.

ريبا لويس نيلسون

يؤلمني أن أتحدث عن هذا، "إلزبيث". ولكن أشعر أنني بحاجة إلى أن أحكي حكايتي. لابد أن يعرف الناس أن هناك مسيحيين أخيار في مقاطعة "ساناه" لم يكونوا يريدون أن يلحق أي أذى بهؤلاء الأطفال.

أعتقد أن الأب "لين" سَلَّمَ قلبه للشيطان فعلاً بعد أن تركته "كندرا"، وبعد أن أسقطه الدكتور "لند" من حساباته. ثم كان هناك كل هؤلاء الصحفيين الذين لم يتوقفوا عن السخرية منه (أخبرتني "ستيفاني" أنهم عرضوا اسكتش هزلي عنه في برنامج توك شو شهير، برغم أنها عادةً لا تشاهد هذا النوع من البرامج). كما أن كل هؤلاء الناس من حوله ومريديه لم ينفعوه. وقد وصلت موجة جديدة كبيرة منهم بعد أن عثروا على "كينيث أودواه" في إفريقيا، وبعد أن بدأ الناس يقولون إن جد "بوبي سمول" عاد يتكلم مرة أخرى برغم أنه كان مريضاً بـ"ألزهايمر". كان عددهم كبيراً لدرجة أنهم اضطروا إلى طلب عدد من تلك المراحيض الكيميائية، وصار من المحال رؤية مزرعة الأب "لين" من الطريق السريعة بعد أن أحاط بها عدد هائل من السيارات والشاحنات التي يمتلكها هؤلاء المريدين. أنا لا أقول بأن بعضهم لم يكن من أخيار المسيحيين، ولكنني أصادفهم في جميع أنحاء البلدة وألحظ أن عيونهم جميعهم شاردة بلا حياة، كما لو أن أرواحهم كسيرة. إنهم مثل ذلك "الجبلي".

ورأيي أن "جيم" كان هو القشة التي قصمت ظهر البعير.

يا ربي.. كان يوماً مهولاً. إنني أتذكر تفاصيله حتى الآن وبكل دقة. كنت في المطبخ أجهز للورن ساندوتش اللانشون والجبن التي يحبها. وشاهدت على شاشة التليفزيون الصغير في المطبخ "ميتش رينارد" في حوار مع "ميراندا ستيوارت"، يتحدث عن التدهور الذي لحق بالولايات المتحدة وسياساتها، وأن الوقت حان لعودة البلاد إلى صوابها الأخلاقي (تقول "ستيفاني" إن فيه شبهاً من "جورج كلوني" ولكني لا أرى ذلك). كانت الأخبار لا تتحدث إلا عنه وعن الدكتور "لند". يتعرضان لهجوم من الليبراليين على الدوام ولكنهما دوماً يردون الصاع صاعين. وعندما هممت بالخروج من المطبخ ومعي ساندوتش "لورن"، رن جرس التليفون. وشعرت بالقلق عندما سمعت صوت الأب "لين". ظننت أنه يريد أن يسألني عن سبب تغيبي عن الكنيسة ودروس الإنجيل منذ فترة، ولكنني وجدته يسألني عن "جيم". أخبرني أنه سيعقد واحدة من صلواته الصباحية الخاصة، وأن "جيم" وافق على الحضور إلى المزرعة ليتحدث أمام مريديه عن "باميلا" وسيرتها. فأخبرته أنني لم أر "جيم" منذ أسبوع أو أكثر، ولكنني أنوي أن أذهب إليه بوجبة لازانيا هذا المساء. فطلب مني أن أذهب إليه مبكراً

لأطمئن عليه، خاصةً وأنه لا يرد على تليفونه. وتمنى أن يراني في الكنيسة ذلك الأحد، ثم أغلق الخط.

بقيت فاقدة لأعصابي أكثر من نصف الساعة، كما أن جزءاً مني لا يزال يشعر بالذنب لابتعادي عن الكنيسة بهذه الطريقة. وبعدها اتصلت بمجموعتنا لأعرف منهم أية أخبار عن "جيم". والحقيقة أن معظمهن توقفن عن الذهاب بالطعام إليه. كانت "ستيفاني" و"لينا" وأنا الوحيدات اللاتي لا زلن نمر عليه في بعض الأحيان، على الرغم من أنه لم يتوقف عن معاملتنا بفظاظة. بعد ذلك، جَرَّبت رقم "جيم" لثلاث أو أربع مرات، ولكن لم يكن هناك أي رد. وكان "لورن" في طريقه للخارج، فطلبت منه أن يوصلني إلى مسكن "جيم" حتى أطمئن عليه وأتأكد من أنه لم يفقد الوعي بسبب إفراطه في الشراب، وربما يكون آذى نفسه.

وإني لأشكر الرب كل يوم على أن ذلك اليوم كان يوم إجازة للورن؛ فقد كان من المحال أن أواجه ذاك الموقف وحدي. أدركت أن مصيبة قد حصلت ما إن توقفنا بالسيارة عند المنزل. عرفت هذا من ذلك العدد المهول من الذباب على الباب السلك وراء باب المنزل. لقد استحال لون الباب إلى الأسود من كثرة عدد الذباب.

بادر "لورن" بالاتصال بماني بومونت على الفور، وبقينا في

الشاحنة بينما دلف هو ونائبه إلى الداخل. أخبرنا الشريف بومونت أنه انتحار، وأن هذا واضح جداً. فقد أدخل "جيم" فوهة البندقية في فمه وأطلق النار، فانفصلت رأسه عن جسده. وترك رسالة إلى الأب "لين". لم نكن نعرف فحواها حتى تلاها الأب "لين" في جنازة "جيم".

وعندئذ انقلبت الأمور رأساً على عقب..

ربما يكون "جيم" قد ارتكب خطيئة الانتحار، ولكنني و"ستيفاني" وبقية سيدات المجموعة لم نتردد عن تجهيز الزهور لجنازته. واحتشد مريدو الأب "لين" في الكنيسة، رغم أن أغلبهم من الغرباء الذين لم يسبق لهم معرفة "جيم". وأخبرني "لورن" أن الأب "لين" كان يريد استعراض قوة أمام كاميرات التليفزيون، متوقعاً أن يشاهده الدكتور "لند".

قال الأب "لين" عن "جيم":

- إنه شهيد. فقد كان أحد الشهود.. مثله مثل "باميلا". إن الوقت ينفد. ولا يزال هناك آلاف من البشر يتحتم إنقاذ أرواحهم قبل فوات الأوان. نريد المزيد من الوقت، ولكن يسوع لن ينتظر إلى الأبد.

كان رأي "لورن" أنه كان من اللازم أن توقفه السلطات في ذلك اليوم. ولكن ما الذي كان بيد الشريف بومونت أن

يفعله؟ هذه هي أمريكا، وللناس الحق في فعل ما يشاءون فوق أراضيهم، ولم يكن الأب "لين" يخرق أي قانون. في ذلك الحين. لم يقلها صراحة في ذلك اليوم.. أن من المحتم قتل هؤلاء الأطفال.

لقد كان الأب "لين" مرشدي وموجهي ومنارتي لوقت طويل. وكنت أثق ثقة عمياء في كلامه، وأعتبره مثلاً أعلى. ولكن ما صار يقوله عن "باميلا"، وعن أنها واحدة من الرسل، وأن قتل "جيم" لنفسه ليس بخطيئة ولكنه استشهد لكي يفض الخاتم الخامس، جميعها أمور عجزت عن هضمها واستيعابها. وإنني مؤمنة بأن يسوع هو من همس في أذني أن أبتعد عن هذا الجنون. وللأبد.

وهذا ما فعلت..

أنا مؤمنة أيضاً بأنني فعلت الصواب.

مع أن الجندي أول "جيك والاس" حاول تدمير القرص الصلب لجهاز الكمبيوتر المحمول عقب اختفائه من القاعدة العسكرية في جزيرة أوكيناوا، إلا أن أحد الهاكرز نجح في استرجاع هذه الرسائل التالية ونشرها في المدونة الشهيرة VigilanteHacks على أنها دليل يثبت أن الأب "لين" كان له دور في ما أقدم عليه "جيك والاس" من أفعال.

إلى: bearingthecross@yahoo.com

من: messenger778@moxy.com

التاريخ: 25 أبريل 2012

سيدي العزيز،

أشكرك على الرابط الأخير لأحدث خطبة لك على يوتيوب. كان من الرائع أن أسمع صوتك وأعرف أنك تفكر في رسلك في جميع أنحاء العالم. ولكن تلك التعليقات المسيئة أصابتني بالغضب. وقد فعلت ما طلبته ولم أرد عليهم على الرغم من أنني أردت أن أفعل ذلك من كل قلبي !!!!! كما أنشأت عنوان بريد إلكتروني آخر تحت اسم آخر كما طلبت وكما ترى!!!!!

لدي الكثير لأحكيه لك سيدي. طلبت مني أن أعرفك في حال راودني حلم جديد عن السيدة "باميلا ماي دونالد". وراودني حلم الليلة الماضية. وهذه المرة رأيتني أخرج من خيمتي وأتوجه إلى الغابة حيث وقع الحادث. رأيت السيدة دونالد راقدة على ظهرها، ووجها مغطى بوشاح أبيض خفيف. وحينما تنفست انسدل الوشاح إلى داخل فمها المفتوح، وكان عليّ أن أحاول جذبه حتى لا تختنق. وجدتُ أن الوشاح زلق وانسل من يدي وبعدها اختفت هي وظهرت أختي "كيسي" وكان وجهها مغطى أيضاً بوشاح. كانت تقول

لي: "جيك، أنا أيضاً لا أستطيع التنفس"، وعندئذ استيقظت. كنت أشعر بالبرد الذي شعرت به في الغابة، وعضضت على قبضتي حتى لا أصرخ ثانيةً.

سيدي، رسائلك وحدها هي التي تُشعرني بأني لست وحدي. حتى جنود المارينز المسيحيين هنا يسخرون من الصبي ومن الروبوت الذي يتكلم من خلاله، وهم لا يفهمون أن ليس هناك ما يُضحك في الموضوع. وهناك مجموعة تقلد ما يقوم به الصبي، وصارت تتحدث من خلال الروبوتات، وأخشى أن يكون تأثير المسيخ الدجال انتشر حتى إلى هذه الجزيرة. إنني أتوارى عن الأنظار مثلما طلبت مني وأقوم فقط بمهامي وتدريباتي، ولكن الأمر صعب. إذا كنا نستطيع إنقاذ شخص واحد، أليس هذا ما يجب علينا فعله؟ هناك عائلات وأطفال أمريكيين وأبرياء. أليس من واجبي كرسول أن أنقذ الآخرين قبل فوات الأوان؟

المخلص،

ج

إلى: messenger778@moxy.com

من: bearingthecross@aol.com

التاريخ: 26 أبريل 2012

الرسول المخلص،

إن قدرنا أن نكون محاطين بأولئك الذين يرفضون رؤية الحقيقة. فكن حذراً من أن يجدوا طريقهم إلى قلبك بأكاذيبهم أو أن يبثوا فيه الشكوك. فاعلم أن الشك هو الشيطان الذي يجب أن تتحصن منه. لهذا طلبت منك الابتعاد عن الأضواء. إنني أدرك مقصدك بشأن الأبرياء وأنا نفسي أعاني من أجل هذا، ولكن سيأتي وقت المعركة الحاسمة وعندئذ سيكون الخلاص لمن ملأ الحق قلوبهم.

كم فرحث لسماع حلمك! فهو علامة أخرى! فأنت مثل رسولتنا "باميلا ماي دونالد"، شاهدتُ دليلاً في تلك الغابة على أولئك الذين سيرفعون وينعمون بالخلاص. إن "باميلا ماي دونالد" أرادت أن تريك الطريق الصواب. تريك أن الكلمات الزائفة التي ينشرها "فليكسبل ساندي" والدكتور "ثيودور لند" هي محض خواء وأن الأفعال وحدها هي التي تهم عندما يحين وقت الاختبار.

أنت تحت الاختبار، "جيك". يختبرك الرب حتى يرى ما إذا كنت ستحيد عن درب الحق أم لا. أنت وأنت وحدك صوتنا وقلبنا في وسط تلك الأمة الوثنية. وأعلم أنك تعاني من الوحدة، ولكنك ستنال الثواب الكبير. فالعلامات تكبر وتتنامى، "جيك". العلامات تكبر وتتنامى. ورسلي تكثر

وتنتشر، والمزيد والمزيد من المصطفين يلتحقون بي. ولكن أنت. أنت الذي تسعى وحدك في الأرض الوثنية، أكثر شجاعة منا جميعاً.

"هذا وإن من يزرع بالشح، فبالشح أيضاً يحصد. ومن يزرع بالبركات فبالبركات أيضاً يحصد".

ولا تنسى أن أعين وآذان المسيخ الدجال تراقب جميع رسلنا.. فكن يقظاً.

إلى: bearingthecross@aol.com

من: messenger778@moxy.com

التاريخ: 7 مايو 2012

سيدي العزيز،

إنه لتفضل منك أن تكتب لي باستمرار، وأنا أعلم مدى انشغالك خاصةً وأن رسلك الحقيقيين يلتحقون بك روحاً وجسداً. وأتمنى من كل قلبي أن أتمكن من أن أكون معهم، وإن كنت أعلم أن هذه ليست خطة الرب لي!!!!

كلماتك تبث فيّ الراحة الحقة ولكن معانيها واضحة، ولا تقلق سيدي فأنا حريص للغاية وأقوم بحذف الرسائل كما طلبت مني أن أفعل.

لقد كانت هناك مظاهرة مناهضة لوجود القاعدة الأمريكية في "أوريما" بالأمس. وشعرت بحاجة ملحة إلى أن أذهب وأتحدث إلى الوثنيين وأخبرهم بأن عليهم اعتناق المسيحية قبل فوات الأوان. إن إنجيل لوقا يأمرنا بأن نحب أعداءنا، وأن نقدم الخير لهم، وأن نعطي من دون انتظار المقابل، ولكنني أعلم أن المصلحة العامة هي التي منعتني من القيام بذلك.

المخلص،

ج

إلى: bearingthecross@aol.com

من: messenger778@moxy.com

التاريخ: 20 مايو 2012

سيدي العزيز،

صرتُ الآن أتفقد بريدي الإلكتروني كل يوم وأسترجع بذاكرتي كل شيء قلته لك حتى أتأكد من أنني لم أرسل لك بكلمة أغضبتك وذلك لأنني لم أتلق أية رسالة منك منذ فترة، إلى أن شاهدت نبأ وفاة زوج "باميلا ماي دونالد".

يقولون إنه ارتكب خطيئة الانتحار. فهل يمكن أن يكون

هذا صحيحاً؟

أعلم أنك مشغول جداً في هذا الأمر، ولكن حاول أن تجد وقتاً للكتابة لي حتى ولو سطر واحد فقط، فقراءته كافية لأن تمنحني القوة. حاولت العثور على موقعك الإلكتروني ولكن يتعذر عليّ الوصول إليه مما جعلني أقلق من أن يكون قد تغلب عليك المؤمنون الصادقون أولئك الذين يعملون من أجل المسيخ الدجال.

سيدي، أنا بحاجة لمساعدتك. هناك فيضانات في الفليبين، ولابد أن هذه علامة أخرى على الشر الذي يستولي على العالم. ويقول بعض الشباب هنا إن وحدتي ستنتقل للمساعدة في جهود الإنقاذ. ألا يزال بوسعي أن أكون صوتك وقلبك وأذنيك وعينيك إن أنا غادرت هذا المكان؟

أشعر بوحدة شديدة.

ج

إلى: bearingthecross@aol.com

من: bearingthecross@aol.com

التاريخ: 21 مايو 2012

سيدي؟ هل أنت موجود؟ وحدتي تغادر في غضون 3 أيام،

فما الذي ينبغي عليّ أن أفعله؟

إلى: messenger778@moxy.com

من: bearingthecross@aol.com

التاريخ: 21 مايو 2012

الرسول الحق،

لست وحدك. يجب أن تؤمن بأنني حتى في صمتي أكون بجانبك. نحن نتعرض للاضطهاد والتحقير من الرسل الزائفين ومن المتزلفين، ولكننا لن ننكسر.

أرسلنا إليك نسخة من آخر خطاب لي على المدونة، وفيه تفسير لما أقدم عليه "جيم".

لقد ضحى "جيم دونالد"، مثل زوجته الحبيبة، بنفسه حتى يبوح لنا بالحقيقة، وهي الحقيقة التي كنت أشك فيها منذ البداية حينما تكبدت "باميلا ماي دونالد" أبهظ ثمن ممكن حتى تؤدي رسالتها.

أنت واحد من المصطفين. أنت مميز. ونحن نخوض حرباً مقدسة والوقت يمر. وآن الأوان لجنود الرب أن يتحركوا. فهل أنت مستعد لأن تكون جندي ضمن جنود الرب؟

لابد أن نتكلم ولكن أعين وآذان المسيخ الدجال وأتباعه

ترى وتسمع. عرفني بأنسب وقت يمكنني فيه الاتصال بك حتى نتحدث على راحتنا.

إلى: bearingthecross@aol.com

من: messenger778@moxy.com

التاريخ: 27 مايو 2012

سيدي العزيز،

آسف. إنني أمضي ضد رغباتك ولكنني في عذاب! فإنني أظل أفكر في عائلتي وأختي وأولئك الذين لم يفروا إلى الرب، وما سوف يحدث لهم لو أنهم لم يروا الحقيقة قبل فوات الأوان.

تلقيتُ التبرع. وأجريتُ اتصالاً بمجموعة أعتقد أن بوسعها أن تساعدني على الرحيل من هنا، ولكنني غير واثق.

تظاهرتُ بالمرض كما طلبت مني وبالتالي لا أستطيع أن أكتب لك. وقد غادرت وحدتي. هل يمكننا أن نتحدث مرة أخرى؟ أحتاج أن أسمع صوتك وأنا أواجه تلك الشكوك.

ج

إلى: messenger778@moxy.com

من: bearingthecross@aol.com

التاريخ: 27 مايو 2012

لا تتصل بي ثانيةً..

أنا من سيتصل بك.

على الرغم من أن موقع الأب "لين" الإلكتروني، pamelaprophet.com، قد توقف عن العمل، إلا أن الموضوع التالي كان ضمن الصفحات الموجودة عبر محركات البحث ويعود إلى تاريخ 19 مايو 2012

طرب قلبي بكل هذه الرسائل التي أتلقاها من بعد استشهاد أخينا "جيم دونالد".

فهذا ما كان عليه، أيها المرسلين المخلصين. فقد كان "جيم دونالد" شهيداً. كان الشهيد الذي تخلى عن حياته لأجلنا جميعاً مثلما فعلت زوجته العزيزة "باميلا". وإني أحثكم على عدم تصديق كلام الدكتور "لند" أن "جيم" عندما قتل نفسه يكون قد ارتكب خطيئة. فجيم شهيد مات حتى يتسنى لنا أن نعرف الحقيقة. رسول ضحى بنفسه ليجلب لنا الأنباء السارة وأن الرب في أمجاده السماوية أراد فتح الختم الخامس.

وهؤلاء المشعوذين اختطاف رسالتها وأثبت لنا "جيم" هذا. إن الدكتور "لند" لا يعتقد أن الختم الخامس قد انفتح بعد، ولكنه مخطيء.

"ذلك الصبي.. حَذِّرهم"

هكذا قالت لي "باميلا ماي دونالد".

وَصَرَخُوا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلِينَ: "حَتَّى مَتَى أَيُّهَا السَّيِّدُ الْقُدُّوسُ وَالْحَقُّ، لاَ تَقْضِي وَتَنْتَقِمُ لِدِمَائِنَا مِنَ السَّاكِنِينَ عَلَى الأَرْضِ؟"

وافق "لورن نيلسون" على مضض على أن أجري حواراً معه في يوليو 2012. وهذه الشهادة هي تحرير بتصرف لنص الحوار.

سوف أقولها بكل صراحة: لم أثق في "لين فورهيس" أبداً. منذ أول يوم وصل فيه إلى مقاطعة "ساناه". هذا الرجل كلام على ما فيش، وجعجعة من غير طحن.

ولكن "ريبا" اقتنعت به على طول، وأعتقد أن السبب هو أنه وفر علينا المشوار إلى الكنيسة في مقاطعة دنهام كل يوم أحد. لم يحدد أحدنا أي رأي في بداية قوله بأن هؤلاء الأطفال هم الفرسان الأربعة. ولقد كانت "ريبا" مخلصة لتلك الكنيسة، ولم أكن أريد أن أضغط عليها. أما رأيي أنا فأقول

إنها كانت نذالة أن يستغل "لين" الكلمات الأخيرة لسيدة متوفية لتحقيق غايات في دماغه، وليكون واحداً من ضمن تجار الدين الأثرياء في هيوستن. وهكذا تمادى حتى ورط "جيم دونالد" في ذلك الأمر. إن "جيم" ندل أكثر من صندوق مليء بالثعابين، ولكن وفاة "باميلا" قصمت ظهره. فتوقف عن الذهاب إلى العمل، وعن الكلام مع رفاقه. وكان على "لين" أن يتركه لحاله، وليثمل حتى الموت إن كان هذا هو ما يريده.

أتعلمين على من ألقي باللوم؟ ليس على "جيم" ولا حتى هؤلاء الصحفيين الذين لم يتورعوا عن نشر أي شيء في صحفهم وعبر قنواتهم. إنني ألوم الدكتور "لند" وذلك الكاتب، "فليكسبل ساندي". لقد شجعا "لين" منذ البداية. لا أحد ينكر أنهما مذنبان، مهما استخدموا من عبارات منمقة في إنكار تلك التهمة.

بعد أسبوع من جنازة "جيم"، كان "بيلي" ابن عم "ستيفاني" يقوم بتوصيل طلبية خشب لمزرعة "لين"، وطلب مني أن أرافقه. قال إنه لا يريد أن يذهب إلى هناك وحده، وأن زميله متغيب لإصابته بفيروس التقيؤ الذي ضرب المقاطعة. وطلبت "ريبا" مني أن آخذ معي بعضاً من الخوخ المعلب الذي صنعته. "للأطفال هناك".

مرت فترة طويلة منذ آخر مرة زرت فيها مزرعة "لين"، ربما منذ الكريسماس. كنتُ قد رأيت كل هؤلاء الناس الوافدين بالطبع، فهم يتجولون بتلك الشاحنات وسيارات الدفع الرباعي. انتابني فضول أن أعرف ما يجري هناك. وأخبرني "بيلي" أنه لا يكون مرتاحاً وهو داخل هذا المكان. وكان معظمهم من الولاية نفسها، ولكن البعض الآخر من ولايات أخرى وحتى من مناطق بعيدة مثل نيو أورليانز.

وصلنا إلى البوابة، وشاهدنا رجلين يحرسانها. كان أحدهما هو "الجبلي"؛ ذلك الذي تمقته "ريبا". لوَّحا لنا بالدخول، ثم سألا عن مقصدنا. أخبرهما "بيلي" بأمر الطلبية فتراجعا وسمحا لنا بالدخول، ولكنهما كانا يحدقان فينا بكل شك.

لم يكن هناك العديد من المقطورات أو الخيام كما كنت أتوقع، ولكن كان هناك ما يكفي منها. الأطفال تركض في كل مكان. والنساء تجمعن في مجموعات. وشعرت أنهن يراقبننا ونحن نمضي بالشاحنة. فقلت لبيلي إن "جرايسون تاتشر"، الذي كان يمتلك هذا المكان قبل وصول "لين"، كان ليُصاب بنوبة قلبية إن شاهد ما جرى لمزرعته.

لما وصلنا قرب المنزل وجدناه يخرج إلينا وعلى وجهه تلك الابتسامة العريضة، وظهر شابان من عند الجرن وبدءا في تفريغ الشاحنة من الخشب.

ألقيتُ عليه التحية بأدب، وناولته الخوخ الذي أرسلته "ريبا".

- بَلِّغها شكري، "لورن". وأخبرها أني سأكون في غاية السعادة عند حضورها الكنيسة يوم الأحد. ومن أسف أني أغلقت الكنيسة في البلدة، ولكن الرب عرفني الطريق الأصوب".

وطبعاً لم أكن أنوي أن أنقل إلى "ريبا" أي من هذا الهراء.

في تلك اللحظة سمعت صوت طلق ناري، يأتي من ناحية المرعى. سلاح آلي.

- ما الذي تقومون به هناك، "لين"؟ لقد انتهى موسم الصيد.

- علينا أن نتدرب، "لورن". فأوامر الرب لا تقتصر على الصلوات فحسب.

من حق أي إنسان أن يحمي نفسه. ولقد عَلَّمت بناتي كيفية استخدام السلاح، وكنت و"ريبا" نشجعهن على التدرب استعداداً لوقوع أي مصيبة من تلك المصائب التي يتوقعونها. ولكن هذا الذي أراه مختلف – وكأنهم يستعدون لقتال أو حرب. وكلما شاهدت شيئاً في ذلك المكان كلما هيمنت عليّ الأحاسيس غير المريحة. فمن الواضح أنهم يجهزون لإقامة ما يمكنني تسميته بمعسكر حصين. هناك

لفائف من الأسلاك الشائكة مخزنة إلى جوار المعلف القديم، وأخبرني "بيلي" أنهم ربما يستخدمون الخشب في بناء سور.

سارعنا بالخروج من ذلك المكان. وسألني "بيلي":

- هل تعتقد أن علينا تبليغ الشريف بومونت عما يقومون به هناك؟

فقد كان من الواضح أن بالمكان استعداد لجريمة ما، وأن هناك رائحة مش لطيفة.. رائحة الموت.

وهكذا رحنا إلى الشريف "ماني بومونت". وسألته عما إذا كان على علم بما يجري في تلك المزرعة. فرد عليّ بأنه لا يمكن أن يقوم بأي تصرف تجاههم إلا في حال انتهكوا القوانين. وكم من أسئلة طرحت فيما بعد. لماذا لم تقم الإف بي آي بمراقبة بريده الإلكتروني، وبقية التدابير التي تتخذها مع الإسلاميين المتطرفين؟ ربما لم يتخيلوا أن يتمكن قس مغمور من التواصل مع العالم الخارجي وأن ينجح في إحداث كل تلك المشاكل. وربما كانوا قلقين من التورط في مشكلات قد تنجم عن قتلهم لذلك الرجل.

قبل أن يغادر الجندي أول "جيك والاس" جزيرة أوكيناوا، أرسل الرسالة التالية إلى والديه في 11 يونيو

2012. وقد تم الإفراج عن الرسالة للنشر بعد أن تم التعرف بشكل رسمي على جثته.

ماما، بابا،

أكتب هذه الرسالة إليكما وإلى "كيسي".

على أحد أن يكون جندي الرب في حرب إنقاذ البشر، وقد قررت أن أكون هذا الرجل. فلقد صارت العلامات أوضح. تلك الفيضانات في الفليبين ، والحرب وشيكة الحدوث في كوريا الشمالية. وكذلك الفارس الرابع الذي عثروا عليه في إفريقيا.

عليّ أن أتحرك بخطوات سريعة الآن خاصةً وأن الوقت يمر.

أكتب هذا متوسلاً إليكما أن تعودا إلى أحضان الإيمان قبل فوات الأوان.

بابا.. أنا عارف إنك غير مؤمن بهذا كله، وأنا أتوسل إليك لكوني ابنك أن تنظر جيداً إلى الأدلة. فالرب لن يكذب علينا. لقد كنت تقول لي إن أحداث الحادي عشر من سبتمبر مؤامرة من الحكومة، وكنت تغضب عندما تجدنا مختلفين معك. أرجوك.. بابا. اصطحب ماما و"كيسي" إلى الكنيسة وعودوا إلى الرب. **لم يعد هناك وقت.**

أراكم في الجنة عندما يعيدنا يسوع إلى أحضانه.

ابنك المحب،

جيك

"مونتي سوليفان" - الملقب بالجبلي - هو الوحيد من بين أتباع "باميلا" الذي وافق على أن يتحدث معي، وهو حالياً مسجون في قسم الحجز التحفظي بمستشفى القيادة الشمالية في جزيرة ريكرز، حيث ينتظر المحاكمة. وقد تحدثنا عبر التليفون.

أنا: متى سمعت لأول مرة عن الأب "لين فورهيس" ونظريته عن الفرسان؟

الجبلي: أعتقد أن هذا كان منذ البداية. كنت أعمل سائق شاحنة في ذلك الوقت، أقوم بتوصيل طلبيات الدجاج من مقاطعة شيلبي إلى جميع أنحاء الولاية. كانت الطريق أهدأ من المعتاد، فشغلت نفسي بمحطات الراديو أبحث عن محطة تذيع أغاني الروك. لم أكن في ذلك الوقت متابعاً للبرامج الدينية على الإطلاق. (يضحك) بل لم أكن حتى هاوياً لأغاني الروك. وعند مروري على مقاطعة "ساناه" سمعتُ الأب "لين" يتحدث عبر إحدى المحطات. شيء ما في صوته لفت انتباهي.

أنا: ممكن تشرح أكثر؟

الجبلي: بدا لي وكأنه يؤمن حقاً بما كان يقوله. نحن نسمع الكثير من القساوسة والوعاظ في الراديو والتليفزيون، ونقتنع بأن همهم الأول والأخير هو الفلوس. لم أكن متديناً في ذلك الوقت، بل وكنت كارهاً للدين منذ صغري بسبب أمي. كانت مؤمنة متدينة، وترسل بصدقة شهرية إلى واحد من هؤلاء الدعاة في هيوستن حتى لو لم يكن لدينا طعام في المنزل. أحسست أن الأب "لين" مختلف، فهو لم يطلب أبداً من أحد أن يتبرع بمال. كما أن موضوع كلامه لفت انتباهي وشغل عقلي على الفور. بالطبع كنا جميعاً نتابع أخبار ذلك الخميس الأسود في كل مكان، وكثير من الوعاظ، خصوصاً الإنجيليين، كانوا يقولون إنها علامة أخرى على اقترابنا من هرمجدون. كلهم قالوا الشيء نفسه بعد أحداث 11/9، حتى أن الناس ملوا من كلامهم. ولكن وجهة نظر الأب "لين" دخلت قلبي. ما قاله عن الكلمات الأخيرة لباميلا.. كانت الأدلة قوية جداً. تطابق ألوان شعارات الطائرات مع ألوان الفرسان في رؤيا يوحنا؛ وحقيقة استحالة أن ينجو هؤلاء الأطفال من دون أي إصابات تُذكر. وبعد يومين، أنهيت عملي وجلست أبحث في شبكة الإنترنت حتى وجدت الموقع. الأب "لين"، pamelaprophet.com. كان قد وضع كل الأدلة هناك وبكل وضوح. قرأتُ كل شيء، ثم

أخرجتُ الكتاب المقدس وهو الشيء الوحيد الذي احتفظت به من مقتنيات والدتي القليلة. ويمكنك أن تقولي إنني كنت في حال بائسة في تلك الأيام. لم أكن أتعاطى المخدرات أو أي شيء من هذا القبيل، ولكنني كنت أشرب وأغلب فلوسي بتروح على الشرب.

بعد أن سمعت البرنامج وقرأت الموقع، جافاني النوم لمدة ثلاثة أيام. شعرت أن هناك شيء بداخلي ينمو. أخبرني الأب "لين" فيما بعد أن هذه هي الروح القدس.

أرسلتُ له إيميل، أقول له فيه إنني معجب بحلقاته وبما يقول. ولم أكن أعتقد أن هناك فرصة لتلقي رد منه. ولكنني فوجئت أن الرد أتاني في خلال ساعة. وكان رد شخصي، وليس ذلك الرد الآلي. وأنا أحفظه عن ظهر قلب، فقد قرأته مليون مرة: "مونتي، أنا أقدر لك مراسلتي. إيمانك وصدقك يثبتان لي أني على الطريق الصحيح، طريق إنقاذ الكثير من البشر الطيبين، مثلك أنت".

انتظرت حتى يوم راحتي، ثم قدتُ السيارة طوال الليل مباشرة إلى مقاطعة "ساناه" وكنيسة الأب "لين". ووقفتُ في طابور منتظري نيل الخلاص. بالتأكيد كان هناك أكثر من خمسين شخصاً في ذلك اليوم، وكان الجو احتفالياً عن حق. كلنا كنا نعلم أننا نفعل الشيء الصحيح. وعندما قدمت نفسي

للأب وهو يمر على الطابور شاكراً لنا الحضور إلى كنيسته، لم أعتقد أنه سيتذكرني، ولكنه تعرف عليّ فوراً. "إنت اللي بعت لي من كندريك!".

كانت له طريقة سلسة في تفسير الأمور، وأدركتُ أنني كنت أعمى لسنوات. لقد كسرتُ قلب أمي عندما ابتعدت عن الكنيسة في سن صغيرة، وكم تمنيتُ لو أنها عاشت حتى تراني وقد عدتُ إلى رحاب يسوع. كيف لم أتبين أننا متجهون إلى نهاية الزمان؟ كيف يمكن أن نعتقد أن الرب لن ينزل علينا حكمه بعد كل ما يجري في هذا العالم؟ كلما فكرت في ذلك دارت رأسي. هل تعرفين أن الأطفال في أمريكا يقرأون القرآن في المدارس ولا يقرأون الإنجيل؟ إنهم يهملون كتب الدين، مدام، ويفرضون عليهم تعلم كتب الملحدين والكفار. شوفي الشواذ والبنات اللاتي تقتلن أطفالهن بالإجهاض والليبراليين الذين يتآمرون على أمريكا لتكون أمة كافرة. الدكتور "لند" على حق في هذا، حتى ولو كان قد تخلى عن الأب "لين" ورسالته فيما بعد. اكتشفتُ أن الدكتور يريد أن يحقق كل استفادة وشهرة وجاه من وراء رسالة "باميلا". لم يكن يهمه إنقاذ البشر؛ ليس مثل الأب "لين".

أنا: ومتى قررت الانتقال إلى مقاطعة "ساناه"؟

الجبلي: بعد أن نلت الخلاص، عدتُ إلى منزلي وبقيت أراسل الأب "لين" كل يوم تقريباً لبضعة أسابيع. شعرت أن هناك من يدفعني إلى أن أكون قريباً من كنيسته، وفي شهر مارس أصبحت واحداً من رسله. لم يكن قراراً صعباً، فالرب هو من سار بي في هذا الاتجاه. وعندما دعاني الأب "لين" للانتقال إلى مزرعته لم أفكر مرتين. استقلت من عملي، وبعت شاحنتي واتجهت إلى مقاطعة "ساناه". كان يريد مخلصاً يكون ذراعه اليمين.

أنا: هل سبق لك أن تورطت في أعمال عنف؟

الجبلي: ليس إلى هذه الدرجة، مدام. خناقات مدارس، وخناقات سُكر. لا أقول إني لست مشاغباً، ولكنني لست ميالاً للعنف. ولم أتورط في مشكلات مع الشرطة.

أنا: ومن أين أتيت بالسلاح الذي استخدمته في إطلاق النار على "بوبي سمول"؟

الجبلي: هذا سلاح "جيم دونالد". لم يكن هو نفسه الذي انتحر به، ولكنه أعطاه لي لنحمي أنفسنا. ولكنني أجيد استخدامه. والدي علمني كيف استخدم المسدس قبل أن يهجرنا للأبد، عندما كان عمري اثني عشر عاماً.

أنا: هل كنت تعرف "جيم دونالد"؟

الجبلي: لم أكن على علاقة وثيقة به. التقيته مرة أو مرتين. أخبرني الأب "لين" أنه يعاني من بعد وفاة زوجته. وبذل "أبونا" كل جهد ليساعده، ولكن "جيم" كان قد بلغ نقطة اللا عودة. كان شهيداً بحق، مثل "باميلا". رأى الحق وما جلبه الفرسان من دمار للعالم، وكيف أنهم قتلوا الأبرياء على تلك الطائرات.

أنا: هل أمرك الأب "لين" بالسفر إلى نيويورك لتقتل "بوبي سمول"؟

الجبلي: لقد فعلت ما كان ليفعله أي شخص يريد أن ينقذ البشر. كنتُ جندي الرب، أفعل ما بوسعي للقضاء على هذا التهديد ومنح الناس المزيد من الوقت للعودة إلى الرب. فإذا كنا نستطيع وقف العلامات في مساراتها، ونمنع عمل الفرسان، فعندئذ سيكون لدينا المزيد من الوقت لنشر رسالة يسوع وجلب المزيد من الناس إلى رحابه. والآن وبعد أن عثروا على الفارس الرابع، ستسقط النار والكبريت على الأرض مع كل تلك الكوارث الطبيعية والفيضانات في الفليبين وأوروبا، والتحذيرات من موجات تسونامي في آسيا، وليس أمامنا وقت كاف.

أنا: ولكن إذا كنتم تعتقدون أن الفرسان الأربعة هم رسل الرب، ألا ترون أنكم بقتل "بوبي سمول" قد عصيتم الرب

وتستحقون عقابه؟

الجبلي: لحظة يا مدام. لم يتحدث أحد عن القتل. فعندما يظهر المسيخ الدجال، وعندما يتم فض الختم السادس عندئذ تكون النهاية المحتومة. لا يوجد ما يضمن لأي أحد أن يحصل على أي فرصة أخرى. أنا في صف الرب؛ وهو عليم بأن الأب "لين" وأتباع "باميلا" يبذلون جهدهم لاجتذاب الناس إلى رحابه. وهؤلاء الأطفال غير طبيعيين. الكل عارف. وكانوا بدأوا يستخدمون قدراتهم ويتباهون بها. ربما كانوا في البداية رسل الرب، ولكني مؤمن بما قاله "جيم" لنا – إنهم مجرد أدوات في يد المسيخ الدجال.

أنا: هل أمرك الأب "لين فورهيس" بقتل "بوبي"؟

الجبلي: لن أرد على هذا السؤال، مدام.

أنا: يعتقد الناس أنك تصرفت بتوجيه من الأب "لين فورهيس" وأن من المحتم محاكمته هو الآخر.

الجبلي: لقد عوقب يسوع على قيامه بنشر الحق الإلهي. فلا يهمني ما يقوله الناس. قريباً سأكون في حضن يسوع. يسجنوني.. يعدموني.. مش فارقة. ربما هذه مشيئة يسوع.. أن أسجن هنا مع كثير من العصاة المذنبين..

لقد منحني فرصة أن أنقذ العديد من هؤلاء.

الجزء التاسع

الناجون

مايو – يونيو

لم يعد هناك حديث في الأسابيع التي أعقبت ظهور "رو" في منتدى تو تشان إلا عن أميرته، وما إذا كانت هي نفسها ابنة عم "هيرو ياناجيدا". وأخيراً ظهر "رو" مجدداً في المنتدى.

التسجيل في 1 مايو 2012 – الساعة 21:22:22.30

رو: أهلاً شباب. مش عارف إن كان حد منكم كان موجود في الموضوع اللي فتحته من فترة في المنتدى. وأنا كنت سعيد جداً لتفاعلكم معايا. وكنت عايز أشكركم.

مجهول 23: رو! كوول إنك رجعت. وبعدين؟؟؟؟؟ وصلت لأميرتك؟ (^^^)

رو: أيوه. إحنا دلوقتي مع بعض.

[ما إن كتب هذا حتى توالت عبارات الفرحة والاندهاش والتأييد وعدم التصديق والتهنئة. وحكى لهم "رو" أنه قام بكتابة رمزه ORZ بالإسبراي على جدار منزلها حتى يلفت انتباهها، وهو ما أسعد الشباب].

مجهول 557: رو. قل لنا.. هي الأميرة تبقى بنت عم الولد الأندرويد؟

رو: كنت مستني منك السؤال ده.. أنا كنت متابعكم. لكن مش هاقدر أأكد والأسباب واضحة.

مجهول 890: رو.. إنت قابلت الولد الأندرويد؟

رو: انظر ما سبق 70|_ J

مجهول 330: هي جميلة قوي يا صاحبي؟

رو: إزاي أجاوبك على السؤال ده بصدق.. أول مرة شفتها فيها.. ماكانتش الإنسانة اللي تخيلتها. بس ده مكنش مهم بالنسبة لي.

مجهول 765: تقصد إنها كانت البنت التخينة اللي كانت في التأبين ومش التانية اللي شبه "هازوكي"؟ يا حظك.

مجهول 111: إزيك يا رو.. سيبك من 765

مجهول 762: احكي لنا عن المهم يا صاحبي. إنت نمت معاها؟؟؟؟

مجهول 111: إيه الكلام اللي بتقوله ده؟ سيب "رو" يحكي.

رو: مع إني حبان رومانسي شوية.. بس وجودها في حياتي غَيَّر حياتي.

مع إني باعتبرها أميرة، لكن لقيت إن بيننا حاجات مشتركة أكتر مما كنت متخيل. هي زيي.. ماضيها كان صعب. ورأينا واحد في كل حاجة تقريباً: المجتمع، الموسيقى، ألعاب الفيديو، وحتى السياسة. قضينا أوقات اتكلمنا فيها جد في حاجات كتير!

حتى إني حكيت لها حاجات محكتهاش لحد قبل كده.

ساعدتني ألاقي شغل في محل "لوسونز"، وبكده بقى عندي دخل ثابت (مش كتير، بس مكفيني أعيش).

شوية رومانسية.. ساعات باحلم إننا اتجوزنا وعايشين مع بعض في شقة ومبنطلعش منها أبداً.

مجهول 200: أوه.. أنا ابتديت أغير منك.

مجهول 201: حب جامد.

مجهول 889: طيب يا "رو". احكي لنا عن "هيرو". إنت قابلت الأندرويد بتاعه؟

مجهول 1211: إيه رأيه في إنه بقى موضة؟

رو: من غير زعل يا شباب، بس ده منتدى مفتوح ومش

ممكن اتكلم هنا بالتفصيل. الأميرة هتزعل جداً لو أي حاجة من الكلام هنا وصلت للمجلات.

مجهول 111: سرك في بير، "رو"، بس وجهة نظرك تحترم.

رو: كل اللي اقدر أقوله إنه ولد لطيف تحب تقعد معاه. ومختلف عن أي حد ممكن يكون الواحد قابله قبل كده. ده كل اللي اقدر أقوله.

مجهول 764: كم مرة قابلت فيها الأميرة؟

رو: كل ليلة تقريباً. أبوها وأمها مشددين عليها، ومش ممكن يوافقوا إنها تقابل واحد زيي، عشان كده بنتقابل سرقة. فيه ملعب أطفال صغير قدام بيتها بأكون مستنيها هناك. وجنبه فيه عمارة، وعشان كده باكون حاسس إني متراقب، لكن بتحمل.

مجهول 665 (كأنه يكتب مشهد روائي): "يدخن رو سيجارة أخرى، في انتظار ظهور أميرته لتكون إلى جواره. وهو يعلم أنه شخصية جذابة. وربما تكون الليلة هي الليلة. ينظر إليه بعض الجيران عبر نوافذهم ولكنه يعلم أنهم لن يتطفلوا عليه. يستعرض عضلاته فيختفون على الفور".

مجهول 9883: "وتركض أميرة الجليد عبر البوابة وهي لا ترتدي سوى فستان قصير شفاف.."

مجهول 210: "ترمي بنفسها بين ذراعيه وهي لا تبالي إن كان يراقبها أحد.."

[يستمر الحوار على هذا المنوال، حيث يتبارى الشباب في استكمال سرد هذه المشاهد الخيالية بما فيها من إيحاءات جنسية]

رو (يضع "إيموشن" وجه خجلان): تخيلوا لو إنها قرت كل اللي إنتم كاتبينه ده؟

مجهول 45: قل لنا بس يا صاحبي إنك نمت فعلاً معاها.

رو: لازم أخرج. مستنياني.

مجهول 887: رو. مش ممكن تمشي وتسيبنا كده. إحنا كنا معاك خطوة بخطوة. واحد مننا يوصل لقلب أميرة؟ كم مرة حاجة زي دي ممكن تحصل في العالم بتاعنا؟

مجهول 2008: أيوه.. إنت يا "رو" مطالب بإنك تحكي لنا كل التفاصيل.

رو: عارف. وعارف إن إحساسي بوجودكم معايا وفي ضهري هو اللي فارق معايا، حتى ولو كنتم شوية مراهقين بتريلوا على أي مشهد جنسي.

كويس إن الواحد يعرف إنه مش لوحده.

تحدثت إلى "نيل ميلانكامب"، فنان الجرافيك المقيم في "جرين بوينت"، عبر سكايب في يونيو 2012

بعد أن بدأ كل أولئك المعاتيه في الظهور، لم يبادر أحد من سكان الحي بالتعبير عن رغبته في انتقال "ليليان" و"بوبي" إلى مكان آخر، ولكن كلنا كنا نفكر في هذا الأمر.

أعيش على بعد بضع عمارات من محل سكن "ليليان"، على الجانب الآخر من حديقة ماكارين، وقد تحول الحي إلى سيرك منذ اليوم الذي اكتشفوا فيه مكان "بوبي". ساد الصخب المنطقة كلها. في البداية كان الصحفيون والمراسلون وكل صاحب أو مدونة يريد اقتناص مقطع صوتي لمدونته أو لصفحته على تويتر، يطرحون على الكل أسئلة من قبيل: "ما شعورك وأنت تعيش على مقربة من الطفل المعجزة". كنت دائماً أنهرهم، على الرغم من أن هناك الكثير من الناس في الحي انتهزوها فرصة للظهور في التليفزيون. حثالة. وبعد ذلك أتت جماعة الفضائيين. رغم أن غالبيتهم "عبيط" المظهر غريب الكلام، إلا أنهم مسالمين. يحيطون بالعمارة التي يسكن فيها "بوبي" ويصيحون بعبارات من قبيل "عايزين نروح معاك يا "بوبي"!"، ولكن الشرطة تبادر بتفريقهم. ولم يكونوا على قدر العناد الذي اتصف به المتطرفون الدينيون. فهؤلاء يأتون

على أمواج. وزاد عدد هؤلاء الملاعين عندما انتشرت أخبار زوج "ليليان"، وجميعهم يريد من "بوبي" أن يعالجهم – ويبدو لي أنهم قاموا باستئجار حافلة خصيصاً من "ناش فيل - كارولاينا" أو من أي مكان آخر. تسمعهم يتصايحون حتى في أثناء الليل: "بوبي! بوبي! عندي سرطان.. المسني وعالجني". وأسوأهم من يجوبون الحديقة ويتحرشون بالناس ويسبونهم. "الرب يكره الشواذ". ولكن ما علاقة عبارة كهذه بطفل في السادسة من عمره؟ وآخرون يُخيل إليّ أنهم خرجوا مباشرة من قصص الكوميكس. يكتبون على التي شيرت أو اللافتة "النهاية اقتربت" و"هل نجوت؟". وبعد فترة بسيطة صار من الصعب عليّ أن أخرج من الشقة من دون أن أصطدم بأحدهم. عندك فكرة عن الحي؟ هو مزيج من مختلف الناس، أشبه ببروكلين، فهناك الفنانين الصعاليك والهيبيز واليهود وكثير من مهاجري الدومينيكان، ولكن من السهل تمييز كل هؤلاء المجانين من بينهم.

لا تفهميني خطأ، فبقدر كل شيء يحصل بسرعة، فإنني شعرت بالأسى لأجل "ليليان". معظمنا فعل. وقد أبلغت صديقتي عن بعض الأشرار الذين وجهوا لها خطاب كراهية، ولكن ما الذي يمكن لرجال الشرطة أن يفعلوه؟ هؤلاء لا يهمهم أن يتم إلقاء القبض عليهم. فهم يريدون أن يكونوا شهداء.

في صباح ذلك اليوم، كنت متجهاً إلى العمل، ولسبب ما، قررت أن استقل القطار بدلاً من الحافلة، مما يعني أنه كان عليّ المشي خلال الحديقة ومروراً بمنزل "ليليان". ومن المعتاد في الصباح الباكر أن يقوم الكثير ممن تصفهم صديقتي بـ"عصابة الهيبيز" بالتمشية عبر الحديقة ودفع عربات أطفالهم، ولكن الرجل الذي رأيته يتسكع قرب المقاعد عند المركز الرياضي لم يكن بالتأكيد رجلاً يمضي وقت فراغه هناك. فقد كان جالساً هناك، ولكن مظهره أقلقني، وليس هذا فقط بسبب الملابس التي يرتديها. كان صباحاً دافئاً - وليس حاراً رطباً مثل بعض الأحيان - ولكن الرجل كان يرتدي ملابس شتوية، بمعطف أسود طويل مثل معاطف الجيش وقبعة سوداء صغيرة. أومأتُ برأسي إليه محيياً وأنا أمر به، ولكنه كان يحدق فيّ. حاولتُ تجاهله، ولكن عندما وصلت إلى "لوريمر" اعتراني شعور يدفعني بأن أتمهل وأراقب ما يقوم به في الحي. ربما كان مجرد رجل فقير بلا مأوى، ولكن شيئاً ما دفعني إلى أن أتأكد من ذلك. تطلعتُ حولي بحثاً عن رجال الشرطة الذين يقفون في بعض الأحيان خارج بناية "ليليان"، ولكنني لم أجدهم. أنا لست بالشخص الروحاني، ولكن صوتاً بداخلي كان يناديني، يطلب مني التوجه لشراء كوب من القهوة، وأن أتحقق من ذلك الرجل، قبل التوجه إلى العمل. وهذا ما فعلته. ابتعت

كوب قهوة أمريكانو كبير بدون سكر من محل أورجازميك أورجانيك، وعدت إلى الحديقة.

عندما عدت إلى الشارع الذي فيه منزل "ليليان"، وجدت الرجل الغريب يتجه نحوي بخطوات بطيئة جداً. عاد إليّ ذلك الشعور، وأدركت أن هذا الرجل يحمل سراً. لم يكن الشارع فارغاً، بل كان هناك الكثير من الناس المتجهين إلى أعمالهم، ولكنني ركَّزت عليه وأسرعت الخطى. انفتح باب عمارة "ليليان"، وخرجت منه سيدة عجوز شعرها مصبوغ باللون الأحمر، وطفل يرتدي قبعة بيسبول، ومشيا على الرصيف. ميزتهما على الفور. فهذا التنكر كان ساذجاً للغاية.

صحت فيهما أن يحذرا. ولكن كل شيء حدث بسرعة، ومع ذلك أحسسته يجري بالحركة البطيئة، لو كان في كلامي هذا أي منطق. فقد أخرج الرجل مسدسه – لا أعرف في المسدسات وإلا كنت أخبرتك عن نوعه – وركض يعبر الشارع، متجاهلاً السيارات. لم أفكر مرتين. ركضت نحوه مباشرة، ونزعت غطاء كوب القهوة، وسكبتها بقوة على ذلك الوغد. على وجهه مباشرة. ورغم أنه أطلق الرصاص إلا أن الرصاصة طاشت، واستقرت في جسد سيارة شيفروليه كانت متوقفة عند رصيف الشارع.

كان الكل يصيح ويصرخ.. "انبطحوا أرضاً بسرعة!"

وما هي إلا لحظات حتى ظهر ذلك الرجل بغتةً – عرفتُ لاحقاً أنه شرطي كان قد أنهى نوبته حالاً - وصاح في المسلح طالباً منه أن يلقي سلاحه. أطاعه الوغد، ولكنه الآن لم يعد مصدر خطورة أبداً. كان يغمغم بكلام غير مفهوم ويفرك عينيه ووجهه. فقد احمر وجهه من سخونة القهوة. جثا على ركبتيه في منتصف الشارع وركل الشرطي مسدسه بعيداً قبل أن يتحدث عبر اللاسلكي.

ركضتُ نحو "ليليان" و"بوبي". كان وجه "ليليان" ممتقعاً، وخشيتُ أن تُصاب بنوبة قلبية أو سكتة دماغية أو شيء من هذا القبيل. ولكن "بوبي" كان يضحك، ولا أعرف ما إذا كان هذا بسبب الصدمة أم ماذا. قبضت "ليليان" على يده بقوة وأدخلته إلى داخل العمارة. وخلال ثوان كان الشارع مملتئاً بسيارات الشرطة. وتم اقتياد الرجل إلى مركز الشرطة. وكم أتمنى أن يتعفن ذلك الوغد في الجحيم.

اتصل بي ذلك الشرطي لاحقاً، شكرني ووصفني بالبطل. وأخبرني مكتب العمدة أنهم سيمنحونني نوط الشجاعة المدني. ولكنني قمتُ بما كان ينبغي عليّ أن أفعله، أليس كذلك؟

بعد تلك الواقعة لم أر "ليليان" و"بوبي" في الحي. لقد أخذوهم إلى منزل آمن، صح؟ هذا ما أخبرتني به السيدة

العجوز التي تعيش في العمارة نفسها. ولقد أرسلت إليّ "ليليان" تلك الرسالة تشكرني فيها وتخبرني أنها لن تنسى أبداً ما فعلت في ذلك اليوم. لقد بكيث عندما قرأتها..

آخر مرة شاهدتهما فيها كانت في نشرة الأخبار.

هذه آخر رسالة إلكترونية تلقيتها من "ليليان سمول"، بتاريخ 29 مايو

نحن نقوم بكل ما في وسعنا، "إلزبيث". إن جسدي لا يزال يرتجف، ومن الذي بوسعه أن يتمالك أعصابه بعد شيء مثل هذا؟ ولكنني أحاول أن أتماسك أمام "روبن" و"بوبي". "بوبي" بخير - وأنا لا أعتقد أنه يدري حقاً ما يجري.

أعتقد أنني قدمتُ لكِ كل ما تريدين معرفته. ويمكنكِ في كتابك أن تنقلي عني أننا لا نعرف يقيناً سبب استعادة "روبن" للقدرة على الكلام مرةً أخرى، ولكن ليس لهذا الأمر أي علاقة ببوبي. فكرت في إنكار أن تكون حالة "روبن" تحسنت، خاصةً بعد أن أخذ هؤلاء الأشرار يشيعون أنها علامة أخرى، ولكن "بتسي" تعرف الحقيقة وكذلك "بوبي". وأنا لا أريده أن يقرأ هذا الكتاب والتقارير الصحفية عندما يكبر فيكتشف أن جدته التي يحبها كاذبة. ويقيني أن "روبن" هو من بذل كل جهده ليتغلب على "ألزهايمر" ويستعيد وعيه فيتمكن من تمضية بقية حياته مع حفيده.

لقد كانت قوة الحب ولا شيء غيرها.

إنهم يصرون على أن ننتقل إلى منزل آمن الآن. ولا خيار أمامي إن كنت أرغب في الحفاظ على حياة "بوبي". وكذلك يقترحون أن ننقل "روبن" إلى دار رعاية في ولاية أخرى، ولكنني لن أوافق على هذا.

نحن عائلة واحدة.. وسنبقى معاً..

مهما حدث.

تفريغ نصي لتسجيل "بول كرادوك" الصوتي - مايو / يونيو 2012

14 مايو - الساعة 5:30 صباحاً

لا أستطيع التخلص من الرائحة النتنة. رائحة السمك الميت. تلك التي يخلفها "ستيفن" وراءه عندما يظهر ويختفي. لقد جَرَّبت كل شيء. حتى أنني لجأت إلى تطهير الجدران بالدوميستوس. رغم أن ذلك البياض أتعب عيني، ولكن الرائحة لم تذهب.

وكالمعتاد، لم تلحظ "جيس" أي شيء. جالسة إلى الصالة تشاهد "إكس فاكتور" بينما يجوب عمها المجنون أرجاء المنزل وفي يده المطهر. لا يهمها أي شيء، كما يصفها

"جيف". لقد دعوت جارتنا لتمكث إلى جوارها؛ مع أمل في أن تكون لديها نصيحة من عجوز تخلصني من تلك الرائحة اللعينة (كنت قد كذبت عليها بشأنها وأخبرتها أن فيليه السمك احترق وأنا أطهوه لجيس). ولكنها أخبرتني أنها لا تشم أية رائحة كريهة سوى رائحة المطهر والمبيض النفاذة للغاية. اصطحبتني إلى الحديقة في الخارج لتدخين سيجارة، وربتت على يدي وهي تقول لي إنها تجدني أبذل جهداً مبالغاً فيه، وإنني مجهد ومتوتر من كل هذه الضغوط الإعلامية. ونصحتني بأن أبكي كلما استطعت، وأن أطلق لحزني العنان بدلاً من كبته على هذا النحو. وحكت لي عن تجربتها لما توفي زوجها منذ عشرة سنوات. قالت إنها ظنت أنها لن تتمكن من المضي قدماً في حياتها، ولكن الرب أرشدها وهداها.

إذن.. أهلاً بكِ يا رب، أنا "بول". اللعنة، لماذا لا تستمع إليّ إذن؟

الأمر أشبه بكوني مقسوماً إلى نصفين. أحدهما عاقل والآخر تملكه الجنون. أنا لست أنا. ربما هي موجة اكتئاب. وكم من مرة تناولت فيها التليفون لأتصل بالدكتور أو بدارين لأتوسل إليهما أن يأخذا "جيس" بعيداً عني. ولكن في كل مرة أيضاً أسمع صوت "شيلي" في عقلي.. "كل ما يريدونه

هو الحب، وأنت تفيض بهذا الحب، بول".

مستحيل أن أخذلهما.

هل يمكن أن أكون مصاباً بمتلازمة كابجراس؟ ممكن؟

إنني حتى.. يا ربي. إنني حتى جَرَّبت أن أصطحب "جيس" ونذهب إلى منزل جارتنا لمجرد أن أرى رد فعل كلبها تجاه البنت. فالحيوانات في الأفلام تشعر بالشخص الذي يعتريه شيء غامض غير مفهوم. وتعرف إذا كان الإنسان الذي أمامها ملبوس أم لا. ولكن ذلك الكلب لم يفعل أي شيء. قبع في مكانه. يبدو أنه هو الآخر من النوع بليد الإحساس.

كل هذا الضغط علي لأتصرف على طبيعتي بينما داخلي يصرخ.. تباً. ترغب قناة ديسكفري في إجراء مقابلة معي لأتحدث عن مشاعري وقت معرفتي بالحادث. ولكن لا يمكنني القيام بذلك. فرفضت. كما نسيت تماماً موعدنا مع صنداي تايمز الذي اتفق عليه "جيري" منذ أسبوع لالتقاط بعض الصور. وحينما أتى المصورون، أغلقت الباب في وجوههم.

وبالطبع جن جنون "جيري"، ولم يعد مقتنعاً بحجة أنني حزين التي استخدمتها ألف مرة. أخبرني أن الناشر سيقاضيني، "ماندي". وليكن، تباً لهم، وماذا يهم؟ كل شيء

خربان.

ولا حتى البرشام نافع.

أكاد أفقد عقلي.. كيف عرفت أن الديكتافون في غرفتها؟

كيف؟.

21 مايو – الساعة 2:30 بعد الظهر

انتهزت فرصة ذهاب "جيس" إلى المدرسة وأخذت أبحث عبر الإنترنت. قرأتُ كثيراً عن أتباع "باميلا" وعن أصحاب نظرية الفضائيين، وحتى عن أولئك الذين يعتقدون أن الشياطين تلبست الأطفال (كثيرة هي تلك النظريات).

وهذا لأن الطفلين الآخرين. "بوبي سمول" و"هيرو" مش عارف إيه. ليسا طبيعيين، أليس كذلك؟ كنت أراهن أن "ليليان" تُخفي سراً، هذا ما أحسسته من مكالمتي معها، والآن صدق ظني. فلا يوجد علاج لـ "ألزهايمر". الكل يعرف ذلك. إذن هناك شيء غير طبيعي في "بوبي". وذلك الولد الآخر، الذي يتحدث عبر الأندرويد. ما هذا الجنون؟

لم أصل إلى معلومات كثيرة عن "كينيث أودواه" سوى المعروفة – من خلال كم كبير من مواقع دينية متعصبة هستيرية (الدليل الأخير الذي نبحث عنه!)، وعدد من

المقالات الساخرة، وعرفت أنهم يبقونه في منزل آمن في لاجوس "حفاظاً على سلامته".

ماذا لو كانوا هم الفرسان؟ عارف.. عارف. "ميل" بالذات ستفزع إذا سمعتني أتحدث بهذا الشكل. ولكن اسمعيني. "بول" العاقل الذي يعرفونه لا يصدق هذا الهراء، ولكن رأيي أن نتعامل مع كل شيء بعقل مفتوح. بالتأكيد هناك شيء غامض في "جيس". كما أن الاثنين الآخرين غريبو الأطوار. أو الثلاثة. من الذي يعرف ما أُصيب به ذلك الطفل الثالث أيضاً؟

فضائيون.. فرسان.. شياطين.. اللعنة!

(يبكي)

هل أتصل بليليان مرة أخرى؟

لا أعرف.

28 مايو – 10:30 ليلاً

أعرف أن ذلك الهجوم الذي تعرض له "بوبي" يدعو للأسف، ولكنني آسف لأجل "ليليان" وحدها.

الخبر في كل مكان. كل قناة. فيما سبق كنت أبعد "جيس" عن مشاهدة تلك الأخبار. ولكن الآن ما الذي يهم؟ هي لا

تتأثر من قريب أو بعيد.

عرض تقرير "قناة سكاي" مجموعة مجمعة من الصور الفوتوغرافية للحوادث وكذلك صور مكبرة للثلاثة. وجدتُ "جيس" تجلس على مقربة كبيرة من الشاشة، وعرائس بوني متناثرة من حولها، وهي تشاهد "سكاي" التي تعرض لتسلسل زمني للأحداث، وتستضيف متحدثين للتعليق.

أجبرتُ نفسي على الاقتراب منها.

- تحبي نتكلم في الموضوع ده، "جيس"؟

- نتكلم عن إيه عمو "بول"؟

- عن أخبار الولد ده. وعن صورك اللي في الأخبار.

- لأ. متشكرة.

صمدتُ بضع ثوان جوارها، قبل أن أهرع للخارج لتدخين سيجارة.

أخبرني "دارين" أن من المحتمل أن تراقب الشرطة منزلنا، تحسباً لقيام أي من مجانين الدين بعبور الأطلنطي والوصول إلى هنا لاستهداف "جيس".

والليلة، وبعد أن تنام هي، سأجرب مرة أخرى إقناع "ستيفن" بأن يتحدث إليّ. لابد أنه كان يقصد "جيس"

بكلامه عن ذلك الشيء، أليس كذلك؟

كان لابد أن أفعل هذا منذ وقت طويل.

سوف أسهر الليل طوله، وأشرب الكثير من القهوة، وعندما يظهر "ستيفن" سأجبره على أن يتكلم.

30 مايو – الساعة 4:00 فجراً

لابد أنني غفوت. لأنني عندما استيقظت وجدته أمامي. كانت جميع الأضواء منارة، ولكنه بدا لي وكأنه في بقعة معتمة. في الظل. لم أتبين وجهه.

عدل من وضع جلوسه.. وكانت الرائحة قوية لدرجة خنقتني تماماً.

بادرته متوسلاً:

- ما الذي تريده؟ أرجوك أخبرني. أرجوك!

اقتربتُ منه لأمسك به، ولكنني لم أجد شيئاً.

جريت إلى غرفة "جيس"، وأيقظتها بالقوة، ووضعت أمام وجهها صورة "بولي".

- دي أختك؟ إيه البرود اللي انتي فيه ده.. إزاي؟

اعتدلتْ ومطتْ جسدها في تكاسل وهي تبتسم لي:

- عمو "بول".. أنا عايزة أنام. عندي مدرسة الصبح.

يا ربي. هل يمكن أن تكون هي العاقلة وسط كل هذا الجنون؟

ليساعدني الرب.

1 يونيو – 6:30 مساء

حضر صباح اليوم شرطيان، قبل حتى أن أرتدي ملابسي. الحقيقة أنهما لم يكونا من الشرطة، بل من المباحث الخاصة. كان "بول" العاقل، الذي كان قبل كل هذا الجنون، يتوارى مستكيناً داخلي. اسمهما "كالفين" و"ميسون". "كالفين" و"ميسون"! وكأنني في مسلسل من المسلسلات البوليسية. "كالفين" أسود، يتحدث بلكنة طلبة المدارس الحكومية، عريض المنكبين مفتول العضلات. من النوع الذي يحبه "بول" العاقل. أما "ميسون" فهو الأكبر سناً؛ ثعلب أشيب الشعر.

أعددت لهما الشاي، واعتذرت عن رائحة المطهر التي هيمنت على المكان (فبعد ملاحظة جارتي أدركت أن عليّ ألا أخبر أحداً عن رائحة السمك النتنة تلك). كانا يريدان أن يعرفا إذا ما كنت قد تلقيت أية مكالمات تهديد في الآونة الأخيرة، مثل تلك التي كنت أتلقاها في بداية استقرار

"جيس" في المنزل. فنفيتُ ذلك. وتلك هي الحقيقة. وأن المضايقة الوحيدة التي نعاني منها هي مضايقة الصحفيين.

وكالمعتاد، تقمصت "جيس" دور الطفلة البريئة المؤدبة. كانت تبتسم وتضحك وتتصرف مثل طفلة مشهورة لا تملك سوى أن تحبها. قد يكونا خبيرين، ولكني لم أجد في "ميسون" و"كالفين" أية مهارة مختلفة. بل لقد انطلت عليهما حيلتها. حتى أن "ميسون" كان خجلان وهو يطلب منها أن يلتقط صورة معها حتى يريها لابنته.

أخبراني أنهما سيبقيان حراسة على المنزل، وأن عليّ أن أتصل بهما في حال ظهر أي شيء يقلقني. كدت أطلب منهما أن يتدخلا ويطلبا من أخي أن يبتعد عني ويتركني لحالي. أخي الميت! وأن يطلبا منها "هي" أيضاً أن تتركني لحالي. تخيّلي رد فعلهما لو كنت طلبت منهما ذلك بالفعل.

لابد أن أتوقف عن تسمية "جيس" بـ"هي". فهذا ليس بالتصرف السليم، بل ويزيد الطين بلة.

حينما غادرا جَرَّبت أن أتصل بليليان مرة أخرة. ولكنها لم ترد.

2 يونيو – الساعة 4:00 فجراً

(يبكي)

أوكيه.

استيقظت. وشعرتُ بذلك الثقل المألوف عند طرف الفراش. ولكنه لم يكن "ستيفن". لقد كانت "جيس"، رغم أنها ليست ثقيلة إلى هذا الحد. فهل هي حقاً؟

- إنت بتحب أحلامك؟ أنا اللي بابعتها لك، عمو "بول". عشان تشوف "ستيفن" كل ما حبيت تشوفه.

- إنتي إيه؟

كانت أول مرة أوجه لها هذا السؤال.

- أنا "جيس". ها أكون مين يعني؟ إنت مجنون يا عمو "بول".

صرخت فيها:

- اخرجي! اخرجي! اخرجي!

صرخت حتى بح صوتي.

تركتني وهي تضحك. وأغلقت الباب بالمفتاح خلفها.

لم يعد لدي أي خيار. سيأخذون "جيس" مني إن هم عرفوا ما أفكر فيه. وأحياناً أشعر أن هذا التصرف في مصلحتي. ولكن ماذا لو أن "جيس" الحقيقية ما زالت موجودة

داخله، وتحاول أن تهرب منها وتتحرر، وتحاول أن تطلب المساعدة؟ ماذا لو كانت بحاجة إليّ؟

إنه وقت التصرف بإيجابية. والتفكير في الخيارات. والعقل المفتوح. والبحث. وتغطية كل النقاط.

ليس لدي أي خيار آخر.

وافق "جرهارد فريدمان"، وهو طارد للأرواح الشريرة يمارس أعماله في جميع أنحاء أوروبا، على التحدث معي عبر سكايب في أواخر يونيو، بعد أن قمت بالتبرع لمؤسسته.

أود أن أوضح أمراً قبل أن أبدأ في الإجابة على أسئلتك. أنا لا أحب مسمى (طرد الأرواح الشريرة). حيث إن لها الكثير من الدلالات. لا، فالأدق هو "العلاج الداخلي" و"إنقاذ الروح". هذه هي الخدمة التي أقدمها. كما أريد أن أوضح أنني لا أتلقى أتعاباً عن هذه الخدمة، ولكن مجرد تبرع، مهما كان المبلغ الذي سيدفعه العميل. كما أنني لا أنتمي إلى أي كنيسة أو مؤسسة دينية. فممارستي لعملي مختلفة قليلاً. والعمل يسير بشكل جيد جداً في الوقت الراهن. دعيني أقول لكِ إنه من النادر أن أسافر على درجة خلاف الدرجة الأولى. وعندما اتصل بي السيد "كرادوك"، كنت أقوم بثلاث مهام في اليوم في جميع أنحاء أوروبا والمملكة المتحدة.

سألت "جرهارد" عن كيفية اتصال "بول كرادوك".

لدي عدد من الطرق التي يمكن بها للعملاء المحتملين أن يتواصلوا معي. وقد اتصل بي السيد "كرادوك" من خلال أحد حسابات الفيسبوك الخاصة بي. فأنا لدي عدداً منها. وكذلك على تويتر، وبطبيعة الحال لدي موقع إلكتروني. وحيث إن ظروفه لم تسمح لي أن آتي إلى مسكنه، فقد اتفقنا على أن نلتقي في المكان الذي استخدمه أحياناً لإنقاذ الأرواح.

(رفض أن يكشف لي عن المكان)

سألته عما إذا كان يعرف عن "بول كرادوك" قبل أن يلتقيا.

أجل. لم يفصح السيد "كرادوك" لي عن أي شيء في البداية، ولكنني طمأنته بأن علاقتنا ستبقى سرية – مثل علاقة المريض بطبيبه. وقد كنتُ على دراية بالنظريات المنتشرة عن "جيسيكا كرادوك" وبقية الأطفال، ولكن هذا لم يؤثر في تشخيصي. وإنني أتحدث إليكِ فقط بسبب حديث فريق المحامين الذي يدافع عن أن السيد "كرادوك" قد استعان بخدماتي.

قلت له إنه ذكر في موقعه بأن هناك روحاً تتجلى فيه على هيئة شذوذ جنسي. وسألته إن كان يدرك أن "بول كرادوك"

شاذ.

أجل، أعرف هذا. ولكني أعرف أن ذلك لم يكن له أدنى صلة بحالته.

لقد كان قلقاً من أن يكون هو أو ابنة أخيه ضحية طاقة شريرة، أي ملبوسين إن شئتِ التعبير. وعندما التقينا وجدته متوتراً ولكن ليس إلى ذلك الحد المبالغ فيه. وظل يؤكد لي مراراً وتكراراً أنه اتصل بي من أجل أن "يستبعد هذا الخيار"، وطلب مني البحث في هذا الاحتمال. وحكى لي السيد "كرادوك" أنه يرى أحلاماً مزعجة للغاية، حيث يزوره أخوه المتوفي، وأنه يواجه صعوبة في التواصل مع ابنة أخيه. وهذه هي أعراض تملك الروح و / أو مرض ناجم عن التعرض المفرط لطاقة سلبية.

سألته إن كان عرف بمرض "بول" النفسي الذي اعتراه في الماضي.

أجل. تحدث معي عن هذا بكل صراحة. وأنا حريص دائماً على عدم الخلط بين حالة الفصام وحالة تملك الروح، ولكنني عرفت على الفور أنه لا يعاني من فصام. وأنا لماح للغاية في هذا الصدد.

سألته عن كيفية قيامه بإنقاذ الروح.

أول ما أقوم به هو إراحة أعصاب الملبوس، والتأكد من أن أعصابه مسترخية. ومن ثم أدهن جبهته بالزيت. أي نوع من الزيت، ولكن الأفضل دوماً هو زيت الزيتون البكر، لأنه يأتي بأفضل النتائج.

وبعد ذلك، يكون عليّ أن أتبين ما إذا كنتُ أتعامل مع تسمم سببته طاقة شريرة أو تملك للكيان. فإذا كان "تملك للكيان"، فإن الخطوة التالية هي اكتشاف نوع الكيان الذي ارتبط بالعميل ومناداته باسمه. والكيانات ظواهر مزعجة وقوية تجد طريقها إلى الأرض عبر مستويات مختلفة. وهي ترتبط بشخص يمر بحالة ضعف ناجمة عن اعتداء أو عن تسمم من طاقة شريرة من شخص آخر، مما أفقد جسد الشخص تحصيناته الدفاعية. وهناك العديد من أنواع الكيانات؛ أما التي أتخصص فيها فهي تلك التي وجدت مداخل إلى مجالنا عبر مواقع ظهرت فيها الكثير من الطاقة السلبية.

كما أقوم بتنظيف العميل من أية طاقة سلبية. ولهذا السبب أشجعهم على أن يتوخوا الحذر عند التعامل مع القطع الأثرية أو الفنية العتيقة في المتاحف.

سألته عن عدم طلب "بول كرادوك" منه تنظيف "جيسيكا"، طالما أنه يعتقد أنها ملبوسة.

لم يكن ذلك ممكناً بسبب ظروفه. قال لي إنه تحت مراقبة

الصحفيين، وأنهم يتبعونه و"جيس" في كل مكان.

ولكنه عندما تحدث بمزيد من التفاصيل عن أعراضه، والتي شملت شعوره القوي والدائم بأن "جيس" هذه ليست "جيس" الحقيقية بل مجرد صورة أو نسخة منها، أيقنت أنه الضحية وليس ابنة أخيه، وربما يكون السبب كياناً. فقد أدى ما أصابه من الحزن والأسى بعد مصرع عائلته في حادث تحطم الطائرة إلى إضعاف دفاعاته لدرجة مَكّنت كياناً من تملكه. كما أعرب عن قلقه من أن تكون "جيس" كائناً فضائياً، ولكنني أكدت له أن لا وجود لفضائيين، وأن الاحتمال الأقرب هو أنه ضحية تدفق طاقة شريرة.

وعندما تعاملتُ معه سرعان ما تبين لي أنه يعاني من عدد من العلل سببها تسمم مفرط بطاقة شريرة. وطمأنته أنه وبعد الخضوع لطقوس التنظيف - والتي تنطوي على الدهان بالزيت وسحب الطاقة الشريرة عن طريق التلامس - فإنه سيتخلص تماماً من الأحلام التي تزوره في نومه وكذلك من اعتقاده أن ابنة أخيه نسخة شريرة.

عقب ذلك، حذرته من أنه ورغم تنظيفه إلا أن تحصيناته الجسدية لا تزال منهكة ضعيفة، وأنه ستكون هناك آثار من الطاقة الشريرة داخله بمقدورها في النهاية أن تجتذب كياناً. وشجعته على تفادي المواقف المسببة لتوتر الأعصاب مهما

كان الثمن.

شكرني، وقال لي قبل أن يرحل:

- الآن بقي تفسير واحد.. واحد فقط.

سألته عما إذا كان يعلم ما يقصده "كرادوك".

ليس في ذلك الحين.

ساحر الكتب

الجزء العاشر
ألعاب النهاية

وافق "جو ديليسبس"، وهو رجل مبيعات يسافر بصفة منتظمة عبر ولايات ميريلاند وبنسلفانيا وفيرجينيا، على التحدث معي عبر سكايب في أواخر يونيو.

أعمل في ثلاث ولايات، وأبيع كل أنواع الأجهزة تقريباً؛ فلا يزال هناك زبائن كثيرين يفضلون التعامل مع البشر بدلاً من جهاز كمبيوتر. وأنا أفضل طرقاً فرعية وخلفية. وعلى مر السنين اعتدت عدة طرق، وكذلك أماكن مفضلة للراحة وتناول القهوة والفطائر، وبعضها ارتاده منذ سنوات، على الرغم من أن الكثير منها تأثر بالركود. كما أنني لا أفضل الموتيلات المشهورة، وأفضل عليها تلك التي تديرها عائلات. قد لا تجدي لديهم قنوات تليفزيونية متميزة أو تاكو بيل، ولكن الصحبة والقهوة دائماً أفضل وبأسعار تنافسية.

كنتُ أنفذ جدولي اليومي المعتاد وكنتُ متأخراً عن مواعيدي. كان لدي موعد مع تاجر جملة في بالتيمور، وقد تأخرت عليه. فهممت بأن أقود سيارتي عبر الطريق السريعة، ولكن كان هناك ذلك الفندق الصغير قبل طريق "مايل كريك" – وهي من بين طرقي المفضلة والتي تمر بك بالقرب من

غابات "جرين ريدج" - حيث القهوة جيدة والفطائر أفضل، لذلك قررت أن أسير عبر هذا الطريق الطويل. ورغم أن زوجتي "تامي" دائماً ما تتشاجر معي بسبب ارتفاع مستوى الكولسترول لدي، لكني قلت لنفسي إنه لا بأس طالما أنها لا تعرف بما أفعل.

وصلت إلى هناك في حوالي الساعة الخامسة، أي قبل موعد الإغلاق بنصف الساعة. وتوقفت إلى جوار سيارة شيفروليه حديثة ذات زجاج معتم. دلفت إلى المكان، وسرعان ما خمنت أن أصحاب هذا المكان هم تلك المجموعة الصغيرة الجالسة تشرب القهوة بجوار النافذة. للوهلة الأولى اعتقدت أنها مجرد عائلة عادية: زوجان كبيران في السن مع سيدة وصبي صغير في رحلة على الطريق. ولكن عندما أمعنت النظر أدركت خطأ ظني. فلم يكن يسود بينهم ذلك الجو المألوف بين معظم الأسر أو المصطافين؛ فقد بدا لي الزوجان متوتران. ولفت نظري كرمشة القميص الذي يرتديه الرجل وكأنه قد أخرجه من الحقيبة حالاً، وارتداه.

كنت أعرف أن "سوزي"، المسؤولة عن الطلبات، تريد العودة إلى منزلها في أسرع وقت، لذلك طلبت "بان كيك" ووضعت لبناً على قهوتي حتى أتمكن من شربها بسرعة.

سمعت الصبي الصغير يقول وهو يشير إلى العجوز. "بو بو

عاوز يروح الحمَّام". ولكن العجوز لم يكن قد فتح فمه بأي كلمة. وأحسستُ أنه ليس على ما يرام. نظراته شاردة خاوية، مثل نظرات أبي قبيل وفاته.

ساعدت العجوز زوجها على النهوض وذهبت معه إلى الحمَّام. أومأتُ لها برأسي محيياً حينما مرت على ترابيزتي، فابتسمت إليّ ابتسامة منهكة. كان سهلاً عليّ أن أكتشف أن شعرها الأحمر مصبوغ، فهناك مقدار بوصة من الشعر الأشيب الذي لم تصل إليه الصبغة. لو كانت "تامي" معي لعلَّقت على ذلك. شعرتُ أن هناك من يراقبني؛ لقد كان الصبي يحملق فيّ. أومأتُ له مداعباً، وتمتمتُ له بدعابة، ولكنه لم يرد.

غادروا قبل أن أغادر ببضع دقائق، ولكنهما كانا يساعدان الرجل العجوز على ركوب السيارة بينما كنت خارجاً من المطعم. سألتهم بود:

- إلى أين أنتم ذاهبون؟

- بنسلفانيا.

أخبرني الصبي. أحسست أنه لا يقول الصدق.

- أوه.. سفراً آمناً إذن.

ابتسمت لي العجوز حمراء الشعر ابتسامة سريعة.

- هيا بنا، ماما.

ما إن قالت لها السيدة الأصغر سناً ذلك حتى جفلت وكأنها بوغتت بلكمة.

لوّح لي الصبي الصغير فغمزتُ له. صبي لطيف.

انطلقت بهم السيارة بسرعة، ولكنها كانت في اتجاه معاكس للاتجاه إلى بنسلفانيا. سيارة مثل هذه لابد وأنها تحتوي على جهاز جي بي إس، وأدركت أن الصبي كذب عليّ متعمداً. ولكنني قلت لنفسي إن هذا طبيعي، فلماذا أسأله من الأصل عن وجهته.

لم أرى ذلك الحادث الذي وقع للسيارة. ولكنني بعد أن انطلقت بالسيارة شاهدت الزجاج المتهشم على الأرض. لقد كانت السيارة الشيفروليه مقلوبة على الجانب المعاكس من الطريق.

أوقفت السيارة، وأخذت حقيبة الإسعافات الأولية. لكوني معتاداً السفر بالسيارة فقد شاهدت العديد من الحوادث، وأحتفظ بتلك الحقيبة منذ سنوات. بل إنني تلقيت دورة تدريبية في الإسعافات الأولية منذ عامين.

اصطدمت سيارتهم بأحد الوعول. أعتقد أن السائق لم يتمكن من السيطرة على المقود والفرامل؛ فانقلبت السيارة.

تبين لي على الفور أن السائق والسيدة الشابة لقيا مصرعهما على الفور. اختلطت جثتيهما بجثة الوعل.

أما العجوز فلقي مصرعه هو الآخر. ليس عليه آثار دم ولكن الموت واضح في عينيه المفتوحتين. لم يتألم.

أما السيدة حمراء الشعر فحكايتها مختلفة. ليس عليها أثر كثير من الدم، ولكن ساقيها محشورتان في هيكل السيارة. عيناها مفتوحتان، وكانتا ذاهلتين. همست إليّ:

- بوبي.

أدركث أنها تقصد الصبي.

- سأبحث عنه سيدتي.

في البداية لم أعثر عليه. خمنت أنه ربما يكون قد اندفع خارج السيارة من النافذة الخلفية. وجدته على بعد مائتي ياردة من السيارة. كان راقداً على ظهره وعيناه إلى السماء، وكأنه يتأملها. كان واضحاً أنه فارق الحياة. هذا الخواء. لكنه لم يُصب بخدش.

كان من المحال عليّ أن أخرج السيدة بمفردي من السيارة. وخشيث أن تكون مصابةً في العمود الفقري. كانت قد توقفت عن البكاء وأمسكت بيدها بينما كان تفقد الوعي.

بقيت في انتظار وصول الشرطة وأنا أسمع ضجيج محرك السيارة الذي يخفت تدريجياً.

لم أعرف حقيقة هويتهم إلا في اليوم التالي. ولم تصدق "تامي" أنني لم أتعرف عليهم على الفور، فقد كانت صورة الصبي ضيف شبه دائم على أغلفة المجلات.

لم أقتنع بكل هذا. فما هي فرص أن يتعرض ذلك الصبي المسكين لحادثتين قاتلتين؟ كنت أنوي أن أواصل عملي هذا إلى أن يحين الوقت الذي تجبرني فيه "تامي" على التقاعد، ولكنني رأيت أن ما حدث أمامي علامة على أن الوقت حان للتقاعد..

علامة نهاية المشوار.

فكرت طويلاً وملياً في مسألة أن أورد تقرير تشريح جثة "بوبي سمول" في هذا الكتاب. فقررت أن أنشر موجزه بعد أن زعمت العديد من مواقع المؤامرة أنه لم يمت وأن هذه الحادثة مفبركة. وعليّ أن أنوه إلى أن الدكتورة "أليسون بلاكبرن"، كبيرة الأطباء في ولاية ميريلاند، قد ذكرت أنها لم تعثر على أي شيء غريب في جسده عندما قامت بالفحص الداخلي المفصل.

وقد تعرفت "منى جلادويل" على جثمان "بوبي سمول"

رسمياً، ورفضت التحدث إليّ مجدداً.

(ربما عليّ أن أنصح القارئ مرهف المشاعر بعدم قراءة هذا التقرير. وأنوه إلى أن التقرير الكامل منشور عبر هذا الرابط: /http://pathologicallyfamous.com)

مكتب كبير أطباء ولاية ميريلاند

اسم المتوفي: بوبي روبن سمول رقم التشريح: SM 2012-001346

العمر: 6 سنوات التاريخ: 11/6/2012

الجنس: ذكر التوقيت: 9:30 صباحا

القائم على الفحص ووضع موجز التحليل: د. أليسون بلاكبرن، كبيرة الأطباء

الفحص المبدئي: د. جاري لي سوارتز، نائب كبير الأطباء

فحص العظام: د. بولين ماي سوانسون، ABFA

فحص السموميات: د. مايكل جرينبرج، DABFT

نتائج التشريح

جسد صبي ذكر به سحجات سطحية في الجبين والأنف والذقن. خلع كامل بين C6 وC7 وبين C7 وT1. خلع في

القرص الفقري القرص والرباط C6 وC7. وكسر في الجزء C6 من العمود الفقري. تمزق جزئي في شعيرات الجذر الخلفي ومواضع نزيف متعددة.

سبب الوفاة

تمزق الحبل الرقبي

طريقة الوفاة

وفاة بسبب حادث نجمت عن اندفاع قوي إلى خارج جسم السيارة.

موجز

"بوبي سمول"، ذكر يبلغ من العمر 6 سنوات، وكان الناجي الوحيد من حادث تحطم طائرة وقع منذ 6 أشهر، لقيت فيه والدته مصرعها. عانى من إصابات بسيطة في الحادث وقد تعافى منها. وكانت جماعة دينية تستهدفه فتقرر نقله إلى مكان آمن مع جده وجدته. وقد تم نقل الثلاثة في سيارة شيفروليه سبوربان بصحبة عميل وعميلة فيدرالية. كان "بوبي" يجلس بين جده وجدته في المقعد الخلفي للسيارة، وكان حزام الأمان مربوطاً. وعند حوالي الساعة الخامسة مساء، توقفت السيارة عند مطعم "رودسايد داينر" في ولاية ميريلاند. وصادفهم هناك السيد "جوزيف ديليسبس"،

وعمله رجل مبيعات متجول. وقد لفت انتباهه إليهم أنه رآهم مجموعة غريبة. تناول الكبار القهوة وتناول "بوبي" ميلك شيك وطبق بطاطس مقلية. وغادرت المجموعة في الساعة الخامسة والنصف تقريباً. وخرج من بعدهم السيد "ديليسبس" وشاهد السيارة وهي تنطلق مسرعة. وعند الساعة 5:50 تقريباً وصل السيد "ديليسبس" بسيارته عند منعطف في الطريق به جزء خشبي وشاهد السيارة مقلوبة على جانب الطريق. وعثر عليها عند شجرة كبيرة وقد ارتطم بمقدمتها وجزء من زجاجها الأمامي وعل، نفق على الفور. وكان في السيارة شخصان لقيا مصرعهما في المقعدين الأماميين ورجل عجوز في المقعد الخلفي. وكانت هناك سيدة عجوز لحقت بها إصابات فادحة في المقعد الخلفي الآخر. ولما لم يعثر داخل السيارة على الصبي الذي كان قد رآه في المطعم، فقد بحث السيد. "ديليسبس" عنه في المنطقة حول السيارة. وعثر على الصبي في مجرى صغير على بعد مائتي متر من السيارة. وكان قد لقي مصرعه. فبادر بالاتصال بالنجدة.

ما تم فحصه من وثائق وأدلة

1. تقرير مركز فحص المركبات بخصوص السيارة موديل شيفروليه سبوربان. يوجد ما يدل على ضرر لحق بمقدمة

السيارة والزجاج الأمامي يتسق مع حدوث اصطدام بحيوان الوعل. وضرر في مؤخرة السيارة يتسق مع الاصطدام بجذع شجرة. الزجاج الخلفي مهشم وحزام الأمان للمقاعد الخلفية متضرر. لا يوجد دليل على حدوث ضرر قبل وقوع الحادث أو على أن السيارة كانت تتعرض لأحد الأعطال.

2. تقرير فريق هيئة النقل والمواصلات. علامات الإطارات تشير إلى أنها ناجمة عن تفعيل مباغت للفرامل، لحظة الارتطام بحيوان الوعل بسرعة ما بين متوسطة وعالية وانحراف السيارة عن الطريق واصطدام مؤخرة السيارة بشجرة. بقيت أحزمة أمان الركاب الكبار في موضعها، ولكن حزام الأمان الأوسط في المقعد الخلفي كان مفتوحاً ومتضرراً جزئياً، مما نجم عنه خروج قوي لجسد الطفل الذكر المتوفى عبر الزجاج الخلفي المتهشم.

تحديد هوية المتوفى

في يوم 11 يونيو 2012، عند الساعة 9:45 صباحاً، تم القيام بفحص ما بعد الوفاة على جثة "بوبي سمول"، والذي قام مكتب كبير أطباء مقاطعة "نورفولك" بتحديد هويته. وقد حضر الفحص "ديفيد مايكلز" بصفته مساعد التشريح.

الملابس والمتعلقات

كان "بوبي سمول" يرتدي قبعة بيسبول حمراء (عُثر عليها في موقع الحادث)، وبنطلون جينز أزرق، وتي شيرت أحمر لفيلم "ليلة في المتحف"، وسويت شيرت رمادي فاتح له غطاء للرأس، وحذاء "كونفيرس" رياضي أحمر.

الفحص الخارجي

جسد ذكر صغير لا يعاني من سوء التغذية، عمره 6 سنوات.

طول الجسد 45 بوصة ووزنه 46 رطل.

شعره أشقر فاتح متوسط الطول مع تجعيد خفيف. لا يوجد أثر لوشم أو وحمة. ندبة صغيرة في الجبهة. كشط اصطناعي في الجبهة والأنف والخد. حدقتا العينين منتظمتان. لون القزحية سماوي. أسنان لبنية صحية مع سقوط سنتين أماميتين.

رغم محاولة "بول كرادوك" تدمير القرص الصلب بجهاز الكمبيوتر، إلا أنهم نجحوا في استعادة بعض الملفات والرسائل الإلكترونية، وقد تسرب منها إلى الصحافة ما يلي:

(تم ترك الغلطات الإملائية كما هي بما يعكس حالته العقلية)

قائمة الكلام الأحمق الغريب الذي قالته "جيس" اليوم (8 يونيو)

(المزيد عن اهتمامها الجديد بموضوع الملل) "عمو بول.. إنت مزهقتش من نفسك؟ أنا زهقت من نفسي. (يتعلق باهتمامها بالمسلسل الجديد). "الناس دول زهقوا من نفسهم". (سألتها عن معنى كلامها) "الملل هو كوباية عمرك ما تقدر تملاها". (ما هذ ، أين سمعته؟؟؟؟ بالتأكيد ليس من برنامج الأخ الأكبر).

(10 يونيو)

ناولتها عشاءها فقالت: "عمو بول.. هو "ستيفن" بقى دلوقتي عامل زي فيليه السمك ده؟" (صرخت بينما كانت هي تضحك). غادرتها فغيَّرت القناة إلى قناة أخبار. سمعتها تضحك على شيء تشاهده. وكدت أتقيأ حينما رأيت أنه تقرير عن مقتل "بوبي سمول" في حادث سيارة. ولما سألتها عن المضحك في الأمر، قالت "ده مامتش.. ده بيمثل. زي ماما وبابا وبولي".

(كنت في المطبخ، أفكر في حبوب الدواء مرة أخرى وكم آخذ منها). وجدتها تظهر أمامي فجأة دون أن أشعر بها. قالت لي: "هو أنا مختلفة.. بول؟ بيقولوا لي كده في المدرسة. لكن

الموضوع سهل".

(14 يونيو)

وجدتني أبكي. "عايز تيجي تلعب معايا ومع بوني الصغيرة؟ ممكن تكون الأميرة لونا وستيفن يبقى الأميرة سلستيا" (كانت تضحك).

1) هوس: يبدو لي ديما أنها تعرف ما أفكر فيه، وتعرف أشياء يستحيل أن تعرفها مثل الميول الجنسة، وتعرف عن أحلام ستيفن وتقل أنها ترسلها إليه.

2) هوس: أعرف أن ما أفكر فيه غير منطقي ولكن طريقتها وكلامها بتلك الطريقة الساخرة وتقليدها الأصوات ولكن جيرهرد قال لي إن لا أساس لظنوني وأنا لا أثق في رأيه.

3) نظرية الفرسان: معها: ألوان الطائرات، استحالة نجاة أحد، غرابة تصرفات الأطفال، تكلم جد بوبي المصاب بـ"ألزهايمر"، وتكلم هيرو من خلل الأندرود، فكيف يكون كل هؤلاء مخطين، وقد وجدو الطفل الرابع، ولكن ممكن يكون كل شيء خطأ.

4) نظرية الفرسان: ضدها: كل هذا هراء، حتى أسقف كنتربري، وذلك الإمان يؤكد أن هذا سخف. وغذا كان بداخلها فارس فأين ذهبت "جيس" الحقيقة وهل هي تشبهها.

العلامات التي ذكروها في الموقع كان من الممكن أن تحدث في كل حال ومرض جنون البقر متفش على كل حال والناس تتعرض لمشكلات في كل وقت .. فيضانات... إلخ إلخ.

5) متلازمة كابجراس: تاريخ مرضي النفسي ورغم أن له علاقة بالتوتر وحالة طبية ربما يكون هو السبب في تفكير في جيس بهذه الطرقة وأن هناك كائن بدخلها. أتمنى هذا.

6) متلازمة كابجراس: لم أصب بها من قبل، لا إصابة رأس (ملم أكون سكران وارتطم رأسي من دون أن أشعر) هذا نادر جداً جداً.

7) الفضائيون: تماماً كما أن فكرة الكائن تفسر كيف أنها أحياناً تراقبني وكأنني فأر تجارب.

8) الفضائيون: لأن هذا غير عقلني رغم أن الدلة تكون مقنعة وهذا فقط الدليل الذي لم أغفل ولكن علي البحث عن المزي .. حسنا بول.

إلى: actorpc99@gmail.com

من: openyreyes.com

الموضوع: مشورة

التاريخ: 14 يونيو 2012

شكراً على رسالتك يا "بول"، ويسعدنا أن نساعدك بأية طريقة مناسبة.

كما أخبرتك حينما تحدثنا تليفونياً، فإن الطريقة التي نعتمد عليها عادة هي زرع شريحة متناهية الصغر داخل الشخص المعني. وأعتقد أن هؤلاء الأطفال قد وضعوا وقت الحادث في حالة "تشمع ركودي stasis" ولهذا السبب لم تلحق بهم إصابات. ومن ثم تم زرع الشريحة في جسد كل واحد منهم. ومن خلال السيطرة الصوتية على الدماغ، تمكن الفضائيون من السيطرة عليهم والتأثير فيهم كما يريدون. وهذه تقنية من نوع جديد تسبقنا بسنوات ضوئية.

تقول إنك حللت وبحثت جميع الخيارات الأخرى حتى أيقنت أنها ليست حالة تلبس شيطانية. وأنا أحييك على هذه الدقة.

أنا لست مندهشاً على الإطلاق من تلك الأعراض المختلة التي تظهر على "جيس، أو لسلوكها الغريب، فهذا متوقع. وتذكر أن التغير في الشخصية ليس في الحقيقة عرضاً من أعراض اضطراب ما بعد الصدمة. وكما قلت أنت، انظر إلى ذلك الصبي الياباني (الذي يتحدث عبر روبوت) والصبي الأمريكي، والذي بلا شك قام بالتجريب في حالة جده. إن احتمال عدم موته كبير جداً. تلك خدعة من الحكومة

المتواطئة مع الفضائيين. فهم يمتلكون حصانة ضد التعرض للتجارب واتفقوا مع الفضائيين.

سؤالك عن نظرية أتباع "باميلا" وجيه جداً. وأعتقد أن هناك أوجه تشابه كثيرة مع الحقيقة. وهي قريبة إلى ما نعتقده. وهم على خطأ ولكنهم أصوب مما يظنون.

ومن الممكن الخلط بين حالتك ومتلازمة كابجراس. وهذا نوع من الخلل النفسي.

أما عن كيفية التصرف؟ لو كنت مكانك للزمت الحذر عند التعامل مع "جيس"، ومن المستبعد أن تلحق بك الضرر. والأحلام والرؤى التي تراها ربما نجمت عن شوشرة تصدرها تلك الشريحة. وأنصحك أن تراقبها عن كثب، وتوخى الحذر في كلامك وتصرفاتك معها.

أرجو أن تعرفني بكل جديد حتى أساعدك.

تحياتي،

سي

تقيم "نوريكو إنادا" (وهذا ليس اسمها الحقيقي) في الطابق الخامس من عمارة مقابلة لمنزل "تشيوكو كوماموتو". وقد قام الصحفي "دانيال ميمورا" من جريدة

طوكيو هيرالد بإجراء هذا الحوار معها بعد يومين من مقتل "هيرو ياناجيدا". (ترجمه إلى الإنجليزية إريك كوشان)

عادةً ما أستيقظ في وقت مبكر جداً، حوالي الساعة الخامسة. وبينما أنتظر بزوغ ضوء النهار، فإنني غالباً ما ألقي نظرة على المنبه بجانب سريري بين برهة وأخرى. وهكذا عرفت تحديداً توقيت سماعي للطلقة الأولى. وعلى الرغم من أن عمارتي لا تبعد سوى مائتي متر من طريق "هاتسوداي" السريعة المزدحمة، إلا أنها مبنية بحيث تكون معزولة بشكل جيد عن الضوضاء، ولكن صوت الطلقة وصل إلى غرفتي. دوي مكتوم، جعلني أجفل، ثم دوي آخر، ثم طلقتين أخريتين. لم يسبق لي أن سمعت صوت طلقات نارية من قبل، إلا على شاشة التليفزيون، لذلك كان تفكيري مشلولاً. لعلها ألعاب نارية؟ كما لم أكن متيقنة من مصدرها.

استغرقتُ عدة دقائق حتى أجلس في الكرسي المتحرك، ولكنني تحركت تدريجياً إلى النافذة حيث أقضي معظم يومي بقربها. في الغالب أنا لا أخرج كثيراً. هناك مصعد في العمارة، ولكن من الصعب عليّ أن أعبر من خلال الباب من دون مساعدة، وأختي لا تزورني سوى مرة واحدة في الأسبوع بسبب ضيق الوقت، وعندئذ تحضر لي مستلزمات

البقالة. لقد عشت هنا لسنوات عديدة مع زوجي، وعندما تُوفي قررت البقاء. فهذا هو بيتي.

لم يكن ضوء الشروق قد طلع بعد، والشمس لا تزال تكابد لتظهر في السماء، ولكنني رأيت على ضوء الشارع ومن موضعي أن الباب الأمامي لمنزل أسرة "كاماموتو" مفتوح. ما زال الوقت مبكراً على موعد خروج السيد "كاماموتو" إلى العمل. فهو يغادر في كل يوم في تمام الساعة السادسة، ولذلك شعرت بالقلق. ولم يكن هناك أي رد فعل من أي من سكان الشارع. وعندما استجوبتني الشرطة في وقت لاحق ذلك اليوم، أخبرتني أن جيراني الذين سمعوا صوت الطلقات النارية ظنوا أنه صوت شكمان سيارة.

فتحت نافذتي ليدخل الهواء النقي، ثم انتظرت لأرى إن كنت سأسمع ذلك الصوت مرةً أخرى أو إذا كان أي شخص سيخرج من المنزل. ثم رأيت شخصين يسيران نحو المنزل من اتجاه طريق "هاتسوداي". وعندما مرا من تحت نافذتي، تعرفت على فتاة وهي "تشيوكو كاماموتو"، وكذلك من شعره الطويل عرفت أن الشاب الذي معها هو نفسه الذي كنت رأيته يتسكع في ملعب الأطفال مرات عديدة من قبل. وقد رأيته ذات مرة يكتب بالاسبراي رسالة على الرصيف، ولكنه مسحها، لذلك لم أعترض. هذان الاثنان نمطان

مختلفان جداً من البشر. مشت "تشيوكو" معتدة بنفسها وكأنها تمتلك الشارع؛ بينما مشى هو متضائلاً كما لو كان يحاول أن يظهر أقصر مما كان عليه. كنت رأيت "تشيوكو" وهي تتسلل إلى خارج المنزل عدة مرات ليلاً لتلتقيه، ولكن هذه أول مرة أراها فيها وهي عائدة. كانا يتحدثان بهدوء، لذلك لم أتمكن من سماع تفاصيل حديثهما. ضحكت "تشيوكو" ولكزت الفتى بكوعها ومال هو عليها ليقبلها. عندئذٍ دفعته بعيداً عنها في دلال وتركته واتجهت صوب منزلها.

ترددت عندما شاهدت الباب مفتوحاً، واستدارت لتقول شيئاً لرفيقها. ثم اتجهت إلى الداخل. وبعد حوالي ثلاثين ثانية سمعتُ الصراخ. ليس مجرد صراخ، بل أقرب إلى عواء. كان حجم الألم في ذلك الصوت رهيباً.

فزع الفتى الذي كان لا يزال واقفاً أمام المنزل، وكأن أحداً لطمه، ثم هرع إلى داخل المنزل.

بدأ بعض الجيران في الخروج من منازلهم على صوت تلك الصرخات، والتي بدا لي أنها لن تتوقف.

خرجت "تشيوكو" إلى الشارع بخطوات مترنحة، والصبي بين ذراعيها. ظننت في البداية أن هذا الذي يغطيها طلاء أسود، ولكنها عندما وصلت تحت الضوء أسفل نافذتي

أدركت أنه دم.. أحمر. كان الصبي الصغير، "هيرو"، مستكيناً بين ذراعيها، و .. و .. لم أستطع أن أرى وجهه. لقد استحال إلى كتلة فظيعة من الدم والعظام. حاول الصبي طويل القامة مساعدتها، وكذلك فعل الجيران، لكنها صرخت فيهم أن يتركوها وحدها. كانت تصرخ في "هيرو" أن يستيقظ، وأن يتوقف عن ما تعتقد أنه تمثيل.

لقد كان صبياً صغيراً لطيفاً. كان كلما غادر الشقة ينظر دائماً نحوي ويُلوِّح بيده محيياً. لم تصدقني شقيقتي في البداية عندما قلت لها إن الطفل المعجزة يعيش في المنزل المقابل لعمارتي. كانت اليابان كلها تحب الصبي. وفي بعض الأحيان كان هناك مصورون ينتظرون في الشارع؛ وذات مرة طرق أحدهم بابي وطلب مني أن أسمح له بالتصوير من داخل شقتي، ولكنني رفضت.

لم تمض سوى خمس دقائق حتى سمعت سرينة سيارات الإسعاف. تطلب الأمر تدخل ثلاثة مسعفين حتى ينجحوا في أخذ جثة "هيرو" من "تشيوكو" العنيدة. قاومتهم وضربتهم. وحاولت الشرطة اقتيادها إلى واحدة من سياراتهم، لكنها تملصت من أيديهم. وقبل أن يتمكنوا من منعها، ركضت بعيداً عنهم وقد تبللت ملابسها كلها بالدم. وركض الفتى ذي الشعر الطويل وراءها.

انتشر الخبر فازدحم الشارع بالفضوليين والصحفيين والمراسلين. وخَيَّمَ صمت غريب بينما كان رجال الإسعاف يُخرجون الجثث في أكياس سوداء من داخل المنزل. ولم أحتمل المشهد فابتعدتُ عن النافذة.

لم أنم أبداً في تلك الليلة..

وأعتقد أنني لن أنام مرتاحة البال فيما تبقى لي من أيام.

دب نشاط مفاجئ كبير في منتدى تو تشان عقب دقائق من انتشار خبر مقتل "هيرو".

تاريخ التسجيل: 22 يونيو 2012 - الساعة 11:19:29.15

مجهول 111: شباب.. حد فيكم سمع خبر "هيرو"؟

مجهول 356: أنا مش مصدق. الولد الأندرويد اتقتل. جندي أمريكي ابن كلب اقتحم عليهم البيت. قتل "هيرو" وقتل أبوه وأمه.

مجهول 23: قريت الخبر على "ريد إت"؟ المارينز ده واحد من المجانين المتعصبين دينياً. زيه زي اللي ضرب نار على الولد الأمريكي.

مجهول 885: رو كان هناك. هو والأميرة اللي اكتشفوا

الجريمة. أنا بابكي على رو. شفتم صوره؟ كان عايز يوصل للأميرة بأي شكل بس الشرطة منعته.

مجهول 987: كلنا معاه يا صاحبي. كنت سعيد إنهم بقم مع بعض في الآخر.

مجهول 899: الأميرة مش جميلة بالدرجة اللي اتخيلتها. ولقيت رو شاب عادي زي ما اتخيلته بالضبط.

مجهول 23: إيه التعليق البارد ده يا 899؟

مجهول 555: تفتكروا رو والأميرة راحوا فين؟ أكيد الشرطة هتستجوبهم.

مجهول 6543: هو رو بخير؟

مجهول 23: ما تبقاش غبي يا 6543! بالتأكيد هو مش بخير!!!!

[انقضى وقت على المنتدى في الحديث عن أثر ما حدث على مستقبل رو والأميرة. وبعد ثلاث ساعات ظهر "رو" في المنتدى]

تاريخ التسجيل: 22 يونيو 2012 – الساعة 14:10:19.25

رو: أهلاً شباب.

مجهول 111: رو؟؟ ده إنت بجد؟؟!

رو: أيوه.

مجهول 23: رو، إنت بخير؟ والأميرة عاملة إيه؟ إنتم فين؟

رو: معنديش وقت كتير. الأميرة مستنياني.

أنا وريتها رسايلكم وقالت لي إنه مابقاش مهم دلوقتي إذا كنتم عرفتوها ولا لأ. وطلبت منكم إنكم متسكتوش على اللي حصل. هي منهارة. أنا منهار. ولكن كان لازم أشكركم على كل المساندة والدعم.

الموضوع ده مش سهل عليّ..

بس كنت عايز أعَرَّفكم إنكم مش هتعرفوا تتواصلوا معايا مرة تانية..

إحنا هنفضل مع بعض على طول وهنروح على مكان محدش يقدر يوصل لنا فيه.

كنت أتمنى أقابل كل واحد منكم. لولاكم مكنتش ها أقدر أسيب أوضتي واخرج للدنيا.

الوداع..

صديقكم رو

مجهول 23: رو؟؟؟؟

مجهول 288: رو!!!! إرجع يا صاحبي.

مجهول 90: راح.!

مجهول 111: شباب.. أنا حاسس إن فيه حاجة مش طبيعية. حاسس إن دي رسالة وداع لواحد ناوي ينتحر.

مجهول 23: رو مش هيعمل حاجة زي كده أبداً.. ممكن؟

مجهول 57890: لو فكرتوا في اللي حصل شوية.. لولا إن رو والأميرة كانوا مع بعض بره البيت ليلة الحادث كان المارينز قتلها هي كمان.

مجهول 896: ده معناه إن رو أنقذ حياتها.

مجهول 235: لا طبعاً. ولو كان إحساس 111 في محله فده معناه إنهم هينتحروا سوا. متفقين على الانتحار.

مجهول 7689: مفيش دليل على الكلام ده.

مجهول 111: أمريكان ولاد كلب. هم اللي ورا كل ده. قتلوا "هيرو" ودمروا حياة "رو". لازم ميفلتوش باللي عملوه ده.

مجهول 23: أنا معاكم. رو واحد مننا. لازم يدفعوا التمن.

مجهول 111: يا شباب لازم ولو مرة واحدة في حياتنا نعمل حاجة إيجابية..

حاجة ليها معنى..

وافقت "ميلاني موران" على أن تتحدث معي عبر سكايب بُعيد جنازة "جيسيكا كرادوك" في منتصف يوليو.

لا ألوم إلا نفسي. ورغم أن "جيف" يطلب مني ألا أعذب روحي هكذا إلا أنني أحياناً ما أعجز عن ذلك. يقول لي إن فيّ ما يكفيني، "وما الذي كان بمقدورك القيام به على أي حال؟".

عندما أتأمل فيما جرى، أجد أنه كان من اللازم عليّ أن أتوقع ما حدث. فلقد كان "بول" يتصرف بغرابة منذ فترة، لدرجة أن "كلفين" والآخرين واجهوه بذلك. لم يكن قد حضر آخر ثلاثة اجتماعات لمجموعتنا، ولم يطلب مني أو من "جيف" خلال آخر أسبوعين قبل الحادث إحضار "جيس" من المدرسة أو مجالستها. والصراحة أنني و"جيف" وجدنا في ذلك بعض الراحة. كان بالفعل لدينا ما يكفينا من المشكلات، من رعاية الأحفاد وخلافه، خصوصاً بعدما انشغل "جافين" باختبارات الشرطة. كما أن "بول" مُبتلى بحب

ينبغي للمرء أن يتصرف مع تلك الطفلة المعجزة؟ هي بالفعل طفلة معجزة. هي معجزة ولكن ليس بالشكل الذي يقول به هؤلاء المعاتيه. لابد أن تسمعي رأي الأب "جيريمي" في هؤلاء.. "لقد وصموا الديانة المسيحية بالعار".

جالسنا "جيس" مرات قليلة جداً، وقت أن كان "بول" منشغلاً بعمله. كانت بنت جميلة لطيفة، ولماحة. شعرت بالارتياح عندما قرر "بول" إرسالها إلى المدرسة. فهي العودة إلى الحياة الطبيعية. وكانت المدرسة الابتدائية خير داعم لها، وأقاموا حفل تأبين لأجل "بولي"، أليس كذلك؟ وإني لأشعر في بعض جوانب هذه القصة أن "بول" هو من تكبد الصعاب بصورة تفوقنا جميعاً. فمعه واحدة من تلك الأسرة لا تزال على قيد الحياة، وبالتالي وجد فيها تذكيراً دائماً لا يتوقف بأولئك الذين فارقوه، صح؟

لا أجد في نفسي الشجاعة الكافية للاستمرار في هذا الحديث. وأنا لم أخبر أحداً بهذا الكلام سوى "جيف" والأب "جيريمي". ولو كانت "دانييلا" موجودة لوجدت في كل هذا محض جنون. ولقد ورثت مني بلاغة الكلام.

معذرة؛ فدموعي قريبة دوماً. أعلم أن هناك من يعتقد أني قوية الأعصاب والشكيمة، وأنا هكذا بالفعل.. إلا في هذا الأمر كل هذه التعاسة.. كل هذا الموت. هذا عبث. عبث أن

تموت "جيس".. عبث أن تموت "دانييلا".

أغلقت تليفوني ذاك اليوم. ساعتين فحسب. كانت ذكرى ميلاد "دانييلا" تقترب وكانت نفسيتي في الحضيض. وفكرت أن أجلس في حوض الاستحمام لأريح أعصابي قليلاً. وعندما فتحت التليفون وجدت رسالة صوتية من "بول". كان يعتذر عن ابتعاده، وقال إنه كان مشغول البال ومنهمكاً في بعض الأمور خلال ما مضى من أيام. كانت نبرة صوته محايدة. لا روح فيها. وعندما أفكر في الرسالة الآن أجد أنه كان عليّ أن أتبع ذلك الهاجس الذي راودني وقت ذاك. طلب مني أن أحضر إلى منزله لنتحدث. وقال إنه موجود طول اليوم.

حاولتُ الاتصال به ولكن جاوبني البريد الصوتي. كان آخر شيء يمكن أن أفكر فيه هو الذهاب إلى منزل "بول" في ذلك اليوم، ولكنني كنت أشعر بالذنب لأنني لم أكن أتصل به وأطمئن عليه. كان "جيف" في منزل "جافين" مع صغاره، لذلك ذهبت وحدي.

عندما وصلتُ إلى هناك قرعت الجرس، ولكن لم يفتح لي أحد. جَرَّبتُ وجَرَّبت، ولكني وجدتُ الباب موارباً. أدركت أن هناك مصيبة وقعت، ولكني لم أتردد في الدخول.

وجدتها في المطبخ. إلى جوار الثلاجة، على ظهرها

وأطرافها ممدودة. الدم في كل مكان. على الجدران.. على الثلاجة.. وعلى بقية الأجهزة في المطبخ. لم أكن أريد أن أصدق أنه دم. ولكنها الرائحة.. رائحته. هذه أمور لا تعرفينها من مسلسلات الجريمة التي يعرضونها. إن للدم رائحة قوية. أيقنت أنها ماتت. كان الجو حاراً في الخارج فاجتذبت جثتها بعض الذباب الأزرق، الذي استقر فوق وجهها. يا ربي.. لقد مزق جسدها بكل وحشية في أماكن عدة. من أسفلها كانت بركة الدم تتسع. كانت عيناها مفتوحتين، تحدقان في السقف، ويملأها الدم.

شعرت بالدوار والغثيان. وتقيأت. شعرت أن كيسين من الإسمنت حلا محل ساقيّ. كنت أعتقد أن مجنوناً هو من اقتحم المنزل وفعل بها هذه الفعلة الشنعاء. فأخرجت تليفوني وطلبت النجدة. لا زلت حتى الآن لا أصدق أنني امتلكت من الأعصاب ما يكفي لإجراء تلك المكالمة.

ما إن أغلقت الخط حتى سمعت صوتاً يأتي من الطابق العلوي. أنا لم أحرك جسدي. بل شعرت أن هناك من دفعني للأمام. أعلم أن ما أقوله هو الجنون بعينه ولكن هذا ما حصل. فمن هاجم "جيس" لا يزال في المنزل.

صعدت الدرج شاردة ذاهلة وكأني روبوت، ورغم أن إصبعي ارتطم بأعلى درجة إلا أني لم أشعر بأي ألم.

كان راقداً في فراشه، شاحب اللون بشدة. وقد تناثرت زجاجات الخمر الفارغة في جميع الأنحاء بالغرفة.

في البداية ظننته ميتاً. ولكنه أطلق آهة أفزعتني، ورأيت علبة أقراص المنوم في يده؛ وزجاجة خمر فارغة أخرى إلى جواره.

كان قد ترك رسالة على المنضدة جوار الفراش، كتبها بأحرف كبيرة غاضبة. لن أنسى تلك الرسالة ما حييت: "كان عليّ أن أفعلها. هذا هو الحل الوحيد. كان لابد أن أمزق الجسد حتى تتحرر الروح".

أنا لم أفقد الوعي، ولكني لا أذكر شيئاً عن الفترة ما بين تلك اللحظات وحتى وصول الشرطة. اصطحبتني تلك الجارة الفضولية إلى منزلها. كانت الصدمة غالبة عليها هي أيضاً. وكم كانت لطيفة معي في ذلك اليوم. أعدت لي قدحاً من الشاي، وساعدتني في تنظيف ملابسي، واتصلت بجيف.

يقولون إن زمناً طويلاً مر على "جيس" وهي تنزف حتى فارقت الحياة. هذه الصورة لا تفارق ذهني أبداً. وهذه الفكرة ستظل تطاردني ما حييت؛ فلو أني رحت إلى منزل "بول" مبكراً.. لو.. لو أني رحت.

والآن.. لم أعد أشعر بالغضب تجاه "بول"، بل أشعر بالشفقة

"إنوكاشيرا".

يُعتقد أن تلك الحوادث من تدبير حركة "رو"، وهي جماعة أعلنت عن اعتراضها على حادثة مقتل "هيرو ياناجيدا"، وأعلنت عن مسؤوليتها عن تشويه عدد من المحال الغربية والمؤسسات الدينية بكتابات ورسوم الجرافيتي. وفي 24 يونيو، أي بعد يومين من مقتل "هيرو ياناجيدا"، وصل عمال النظافة إلى كنيسة طوكيو في "أوميتساندو"، الواقعة إلى جوار متجر "لوي فيتون" الشهير، ليكتشفوا رسماً لحقيبة يد غارقة في الدم بالقرب من المدخل. وفي اليوم نفسه، تم العثور على رسم مطبوع لرجل يتقيأ على جدران متجري "ويندي" في طوكيو وكذلك جدار مطعم "مكدونالدز" في "شينجوكو"، مما أثار ردود أفعال تراوحت بين الاشمئزاز والامتعاض والمثيرة للضحك والاستحسان. وبعد أسبوع، أظهرت كاميرات المراقبة رجلاً مقنعاً وهو يشوه لافتة خارج السفارة الأمريكية.

كان شعار حركة "رو" موجوداً في كلٍّ من تلك الأمكنة؛ ORZ، وهو "إيموشن" يصور شخصاً ساجداً إلى الأرض في دلالة على اليأس، وقد اشتهر هذا الشكل من خلال منتدى "تو تشان" على الإنترنت.

وتبذل الشرطة جهدها في محاولة للسيطرة على هذا

السلوك الراديكالي الذي يزداد انتشاراً، خاصةً أن هناك كثيرين في بقية أنحاء اليابان – حتى في "أوساكا" - صاروا يقلدون أفعال تلك الحركة التي اكتسبت تأييداً يزداد اتساعاً يوماً بعد يوم.

ومن جانبه، أكد أحد مسؤولي هيئة السياحة الوطنية على أن اليابان أمة لا تعرف العنف، وأنها بريئة من أفعال "حفنة من الضالين".

أما الجديد في هذا الأمر فهو أن حركة "رو" اكتسبت تأييد شخصية لها حضورها القوي وصوتها المسموع في المجتمع. "أيكاو أوري"، زعيمة جماعة "هيرو" المثيرة للجدل، والتي بدورها صارت ذات سمعة مدوية. وقد قامت بإصدار بيان جاء فيه: "إن حادثة مقتل "هيرو" التي لا تُغتفر، وحقيقة أن الحكومة الأمريكية غير عابئة بالعمل على تقديم الفاعل إلى العدالة، لهو بمثابة دليل واضح على استهانتهم بنا، وعلينا أن نقطع العلاقات معهم على الفور. فاليابان ليست بالطفلة التي لا يمكنها الانفصال عن أمها الأمريكية التي تزعم رعايتها. وإنني أؤيد ما تقوم به حركة "رو". فمن العار أن تكون حكومتنا جبانة لدرجة أن تعجز عن اتخاذ أي إجراء، وأن تحذو حذو تلك الحركة". وعلى النقيض من العديد من الوطنيين المتزمتين، فقد نادت "أيكاو أوري"

بتعزيز العلاقات مع كوريا ومع الصين، بل ونادت بضرورة أن تقوم اليابان بتعويض هاتين الدولتين عما لحق بهما جراء ما اقترفته اليابان خلال الحرب العالمية الثانية من جرائم حرب. وهي قائدة حملة تنادي بضرورة إلغاء معاهدة التعاون المشترك مع الولايات المتحدة، وتصر على طرد القوات الأمريكية التي تعسكر في جزيرة "أوكيناوا".

جدير بالذكر أن "أيكاو أوري" زوجة السياسي المخضرم "ماسامارا أوري"، والمرشح الأقوى لمنصب رئيس الوزراء في الانتخابات المقبلة.

خاتمة الطبعة الأولى

نُشر التحقيق الصحفي التالي في صحيفة "طوكيو هيرالد" في 28 يوليو 2012

العثور على أشلاء "رو" في جوكاي

كل عام يقوم متطوعو شرطة ياماناشي وجوالة فوجيسان بمسح شامل لغابة "أوكيجاهارا" سيئة السمعة، للبحث عن جثث أولئك الذين اختاروا الانتحار وسط "بحر الأشجار". وعثروا في هذا العام على أكثر من أربعين جثة، من بينها أشلاء رجل تشتبه الشرطة في أنه قد يكون "رو تاكامي" (22 عاماً)، الذي ذاع صيته بعد قصته الشهيرة التي آلت إلى نهاية حزينة. فقد قيل إن "تاكامي"، الذي كان يستخدم الرمز ORZ في غرف الدردشة بمنتدى تو شان على الإنترنت، كان على علاقة مع "تشيوكو كاماموتو" (18 عاماً)، ابنة عم "هيرو ياناجيدا"، الناجي الوحيد من حادثة الطائرة "صن أير" 678. وقد اختفت "تشيوكو" مع "رو" في 22 يونيو 2012 ؛ أي في اليوم نفسه الذي اغتيل فيه "هيرو" مع أبيه وأمه على يد الجندي "جيك والاس"، من قاعدة "كامب كورتني" الأمريكية في جزيرة "أوكيناوا". يُذكر أن هذا المجند انتحر بدوره في مكان جريمته. وعُثر على حذاء وتليفون محمول ومحفظة لـ"تشيوكو كاماموتو"

إلى جوار الأشلاء المتحللة. ويُعتقد كذلك أن تكون "تشيوكو كاماموتو" قد انتحرت في الغابة، على أنه لم يتم العثور على جثتها.

وفي واحدة من تصاريف القدر العجيبة، كان "يوميجوري مياجيما" (68 عاماً) هو من اكتشف الجثة، ومن المعروف أنه هو مراقب الغابة الذي نجح في إنقاذ "هيرو ياناجيدا" من موقع حادث الطائرة في 12 يناير 2012. حيث عثر "مياجيما"، الذي صرح بأنه قد أصيب بصدمة بالغة لمصرع "هيرو"، على الجثة شبه المتحللة خلال بحثه في منطقة مجاورة للكهف الجليدي.

جدير بالذكر أن اختفاء "تاكامي" كان هو الشرارة التي أشعلت نيران العنف المتصاعد حالياً ضد الأجانب والأمريكان، والذي تتزعم أعماله حركة "رو" وجماعة "هيرو"، وقد أعربت السلطات عن قلقها من أن يؤدي الكشف عن جثته إلى مزيد من التصعيد.

حضر الصحفي "فويو موليفي" المؤتمر الصحفي الذي عقده فرع "الاتحاد العقلاني" في جنوب إفريقيا في 30 يوليو 2012 بجوهانسبرج. ويمكنكم متابعته عبر تويتر: VMtruthhurts@.

وفيما يلي عرض لمجموعة من تغريداته:

Vuyo Molefe@VMtruthhurts

لقد اطلعوا على أوراقي لثالث مرة حتى الآن عند مدخل مركز مؤتمرات جوبرج. #chilloutwerenotterrorists

Vuyo Molefe@VMtruthhurts

الكثير من التكهنات. إشاعة عن حضور "فيرونيكا أودواه" للمؤتمر، للتحدث.

Vuyo Molefe@VMtruthhurts

melanichampa@ معرفش. أنا هنا من ساعة. لو هتيجي هاتي معاكي قهوة ودونتس لو سمحتي سيسي.

Vuyo Molefe@VMtruthhurts

أخيراً. ظهر المتحدث باسم الاتحاد. يتحدث عن انتخابات أمريكا المقبلة.

Vuyo Molefe@VMtruthhurts

قلق من الدعم الدولي المتنامي لليمين المتدين – قد يكون ذا تبعات عالمية.

Vuyo Molefe@VMtruthhurts

الشائعات صحيحة. "فيرونيكا أودواه" موجودة! شكلها

أكبر من 57 عاماً. ساعدوها حتى وصلت إلى مقدمة القاعة.

Vuyo Molefe@VMtruthhurts

متوترة. صوتها مرتجف. تقول إنها أتت لتصارحنا. صمت في القاعة. لا يوجد سوى معنى واحد.

Vuyo Molefe@VMtruthhurts

تقول: هو ليس ابن أختي. إنهم يبقونه في منزل آمن بعيداً عني منذ أسابيع. أخبرتهم بذلك حينما رأيته لأول مرة.

Vuyo Molefe@VMtruthhurts

تقول: عرضوا عليّ مالاً كي أسكت ولكني رفضت. ولكنها قالت إن ابن عم الولد أخذ منهم مالاً.

Vuyo Molefe@VMtruthhurts

صحفي البي بي سي: من عرض عليك مال؟ - هي: الأمريكان. لا أعرف أسماءهم.

Vuyo Molefe@VMtruthhurts

صخب في القاعة. كيلي إنجلز: لدينا أيضاً دليل من مختبر جوزي على أن عينة "الدي إن أيه" غير مطابقة.

Vuyo Molefe@VMtruthhurts

دفعوا رشوة لمن أبلغنا حتى يسكت. يقول إن حكومة جنوب إفريقيا متواطئة مع اليمين المتدين. surprisesurprisecorruptionagain#

Vuyo Molefe@VMtruthhurts

ضيف مفاجأة آخرا يعلق صحفي جالس جواري بأن هذا المؤتمر أكثر إثارة من محاكمة وزير النقل "موزوبي".

Vuyo Molefe@VMtruthhurts

سيدة جديدة من الكيب الشرقي – "لوسي إنكاثا". تقول إن "كينيث" ليس سوى ابنها "مانديلا".

Vuyo Molefe@VMtruthhurts

لوسي: "مانديلا" هرب من البيت عشان يدور على أبوه في كيب تاون. عنده 8 سنين وبيعاني من صعوبة في النطق.

Vuyo Molefe@VMtruthhurts

كيلي إنجلز: سنعمل جاهدين على إعادة "مانديلا" لأسرته في أسرع وقت.

Vuyo Molefe@VMtruthhurts

فيرونيكا: عليّ القبول بحقيقة وفاة "كينيث" برغم صعوبة

هذا على نفسي. خيبة أمل بين بعض الصحفيين.

Vuyo Molefe@VMtruthhurts

كيلي إنجلز: الآن وبعد اتضاح الحقيقة سيدرك الناس مدى خسة السياسيين.

Vuyo Molefe @VMtruthhurts

كيلي إنجلز: نشكر كل من امتلك شجاعة الإعلان عن الحقيقة أمام الجميع.

Vuyo Molefe@VMtruthhurts

RT@kellytankgrl أخيراً بعض العقل وسط كل هذا الجنون. #dontletthebastardswin

Vuyo Molefe@VMtruthhurts

RT@brodiemermaid فريق الحملة الرئاسية سيحتاج إلى معجزة للخروج من هذه الأزمة. #dontletthebastardswin

Vuyo Molefe@VMtruthhurts

الصخب يعم المكان. في انتظار رد أصحاب نظرية نهاية الزمن. هل يؤثر هذا على أغلبيتهم؟

dontletthebastardswin#

خاتمة الطبعة الخاصة

لقد أثارت وكيلة "إلزبيث مارتينز" فضولي عندما أرسلت إليّ بعرض كتاب "من الحادث إلى المؤامرة" لأول مرة في في أوائل العام 2012. كنت قد قرأت وأعجبت بكتاب "إلزبيث" الأول، وكنت أدرك أنها الوحيدة القادرة على تقديم منظور جديد غير مسبوق للأحداث التي واكبت الخميس الأسود والثلاثة. ومع بداية ميلاد الكتاب كان من الواضح أن ما بين أيدينا كتاب مميز للغاية. وهكذا قررنا الإسراع في عملية الإنتاج، واخترنا النشر في شهر أكتوبر قبيل انتخابات العام 2012.

خلال أسبوع كنا نقدم الطبعة الثانية، ثم الثالثة. وحتى الآن، وعلى الرغم من الركود العالمي والانخفاض الكبير في مبيعات الكتب عموماً، تم بيع أكثر من 15 مليون نسخة ورقية ورقمية. ولم يكن أحد – حتى إلزبيث - يتوقع أن تُثار كل هذه الضجة حول الكتاب.

فلماذا هذه الطبعة الخاصة؟ لماذا نقوم بإعادة نشر هذا الكتاب الذي وصفه "اتحاد العقلانيين" بالخطير في هذه الأوقات المضطربة؟

بخلاف السبب الواضح – وهو أن للكتاب ذاته دلالة ثقافية

وتاريخية تمثلت في تأثيره على مسار الانتخابات الأمريكية في العام 2012 – أقول إننا قد حظينا بحقوق بعض المواد المثيرة والتي ألحقناها بهذه الطبعة. يعرف الكثير من القراء أن "إلزبيث مارتينز" اختفت أثناء الذكرى الثانية لأحداث الخميس الأسود. أما الحقائق فهي كالتالي: بعد سفرها إلى اليابان، غادرت "إلزبيث" الفندق في "روبونجي" بطوكيو صباح 12 يناير 2014. ولا يسعنا سوى تخيل ما قد يكون حدث عقب ذلك، خاصةً وأن محاولات اقتفاء أثرها لم تنجح بسبب التوتر المتصاعد في المنطقة. ولا يبدو أنها استخدمت تليفونها أو بطاقاتها الائتمانية من بعد ذلك التاريخ، على الرغم من ظهور كتاب عنوانه "قصص لم تُروى عن الخميس الأسود وما بعده" يحمل اسمها ومن نشر خاص، وعرضه موقع أمازون في أكتوبر 2014. وقد كثر الكلام حول ما إذا كانت المؤلفة هي "إلزبيث" أو مجرد مؤلف مغمور يريد استغلال شهرتها.

وبالنسبة لهذه الطبعة الخاصة فقد تحصلنا على تصريح من شريكة "إلزبيث" السابقة، "سامانثا هيملمان"، سمحت لنا من خلاله بنشر آخر مراسلات بينهما، والتي نوردها فيما يلي.

كلمة أخيرة إلى "إلزبيث"... إن كنتِ تقرأين هذه السطور فأرجو أن تتواصلي معي.

جاريد آرثر

مدير هيئة التحرير

جاميسون آند وايت

نيويورك

(يناير 2015)

إلى: سامانثا هيملمان
samh56@ajbrooksideagency.com

من: إلزبيث مارتينز elliemartini@fctc.com

الموضوع: عاجل

12 يناير 2014 – الساعة 7:14 صباحاً

سامانثا،

أعلم أنكِ طلبتِ مني عدم الاتصال بك مرةً أخرى، ولكن يبدو من المناسب أن أرسل لكِ هذه الرسالة بمناسبة الذكرى الثانية ليوم الخميس الأسود، خاصةً وأنني سأتوجه غداً إلى غابات "أوكيجاهارا". "دانيال" – صديقي في طوكيو - يحاول يائساً إقناعي بعدم الذهاب إلى هناك، ولكنني وقد وصلت إلى هذا الحد، عازمة على إتمام الطريق إلى نهايته.

أنا لا أريد أن أبدو ميلودرامية، ولكن معروف أن من يذهب إلى تلك الغابات لا يخرج منها مرةً أخرى، أليس كذلك؟ لا تقلقي، هذه ليست رسالة انتحار. لكني غير متأكدة من نوعها، الصراحة. أعتقد أنني أستحق فرصة وضع الأمور في نصابها الصحيح، ولابد أن يعرف أحد سبب وجودي هنا.

لا شك أنكِ تعتبريني مجنونة لسفري إلى اليابان في الوقت الحالي، خاصةً مع التوتر المصاحب لقرب الإعلان عن التحالف الآسيوي الثلاثي، ولكن الوضع هنا ليس على النحو المزري الذي تسمعين عنه. أنا لم أعامل بعداوة من مسؤولي الجمارك أو من الناس في صالات المطار. كانوا غير مبالين. والفندق الذي أقيم فيه في "حي الغربيين"، هو أحد فنادق "حياة" الكبرى ويميزه اللوبي الرخامي الهائل والسلالم خلابة التصميم، إلا أن حالته متدهورة الآن. وحسب ما قال لي شاب دنماركي كان يقف أمامي في طابور الجوازات، فإن الفنادق المخصصة للغربيين صارت الآن تحت إدارة مهاجرين برازيليين يحملون تأشيرة دخول محدودة المدة ويتلقون أقل الأجور - بما معناه وداعاً لجودة الخدمة. لا يوجد سوى مصعد وحيد يعمل، وعدد من المصابيح في الممرات محترقة (شعرت برعب شديد وأنا أسير نحو غرفتي) كما لا أعتقد أن تلك السجادات قد نُظفت منذ أشهر. عبق دخان السجائر يُسَوِّد جو غرفتي، وهناك سواد على بلاط الحمَّام.

الجميل أن المرحاض، والمصمم على طراز يشبه ما نراه في أفلام الخيال العلمي ومزود بخاصية تدفئة المقعد، يعمل بكل كفاءة (والفضل للهندسة اليابانية).

على أي حال - أنا لا أكتب لك لكي أشتكي من حال غرفتي في الفندق – طالعي الملف المرفق. أنا لا يمكن أن أجبرك على قراءته، وأعرف أنكِ ستقرأي العنوان ومن ثم تحذفينه. أعلم أنكِ لن تصدقيني، ولكن على الرغم من كل ما في الملف من قص ولصق ونصوص (تعرفينني، العادات القديمة لا تموت بسهولة)، إلا أنني أقسم لكِ أنني لا أنوي استخدام هذا المحتوى في كتاب آخر - أو على الأقل لم أعد كذلك الآن. فقد اكتفيت.

رسالة إلى سامانثا

11 يناير – 6 مساء – روبونجي هيلز – طوكيو

سام... لدي الكثير لأخبرك به، ولست متأكدة من أين أبدأ. ولكن بما أن النوم يهرب مني هذه الليلة، فأعتقد أن من الأفضل أن أبدأ من الأهم، وأرى إلى أي مدى سوف أستمر في الحكي قبل أن أنعس.

إسمعي... عارفة إنك تظنين أنني هربت إلى لندن في العام الماضي بعيداً عن صخب نشر الكتاب، وبالتأكيد هذا

جزء من السبب. فلا يزال الكارهون والعقلانيون يمطرونني بالرسائل التي تتهمني بكوني المسؤولة الوحيدة عن وصول ذلك الرئيس إلى البيت البيض، ولا شك في أنك تعتقدين أنني أنال ما أستحق. لا تقلقي – فلن أحاول أن أدافع عن نفسي أو أكرر كل التبريرات وأن كتابي "من الحادث إلى المؤامرة" (أو كما تصرين على تسميته "من العبث إلى الرجعية") لا يحوي إلا ما ورد في السجلات العامة المعلنة. ورغم ذلك، لا زلت أشعر بالذنب بسبب عدم عرض المسودة النهائية عليكِ قبل النشر؛ ولا يمكن أن أتحجج بحقيقة أنهم بادروا بطبعه ما إن انتهيت من تدوين مقابلاتي مع "كندرا فورهيس" و"جيفري" و"ميل موران".

وللمفارقة، فقد اطلعت في أغسطس على مجموعة من الآراء التي تهاجم الكتاب في موقع أمازون. لابد أن تقرأيها – أعرف أنها ستسعدك. ومن بينها هذا الرأي؛ لقد جذبني بسبب جودة لغته ودقته.. وهو أمر غير معتاد في مثل تلك الحالات:

رأي العميل

وجد 44 من بين 65 مشاركاً فائدة في هذا الرأي

1 من 5 (من تظن نفسها هذه الإلزبيث مارتينز؟؟؟)

22 أغسطس 2013

بواسطة "زيزيك ستيرز" (لندن – بريطانيا) – طالعوا جميع آرائي

هذا الرأي عن كتاب: من الحادث إلى المؤامرة (نسخة إلكترونية لجهاز كيندل)

سمعت عن الجدل الذي أثاره هذا الكتاب "غير الروائي" خلال العام الماضي، ولكني ظننت أن هناك مبالغة في الأمر. فمن الواضح أن اليمين المتدين اقتطف أجزاء منه واستعان بها في حملته خلال الانتخابات لتكون "دليلاً" على أن الثلاثة ليسوا مجرد أطفال عاديين يعانون من اضطرابات ما بعد الصدمة.

ولم يفاجئني هجوم اتحاد العقلانيين الأمريكي على المؤلفة – الآنسة مارتينز – وزعمهم أنها حرفت في نصوص المقابلات أو اقتطعت منها أجزاء عمداً بطريقة فيها الكثير من التلاعب والزيف (عيون تنزف؟؟؟؟؟؟ وكل هذا الهراء العجيب عن العجوز الخرف). إنها لم تحترم أُسَر الأطفال أو الركاب الذين لقوا حتفهم بشكل مأساوي يوم الخميس الأسود.

إنني لا أرى الآنسة مارتينز إلا نصابة تغويها الشهرة. وعليها

أن تخجل من نفسها لنشرها كل هذه الترهات. ولن أقرأ لها أي شيء بعد الآن.

آخ.. هذا رأي قاس.

غير أن ردود الفعل العنيفة على الكتاب لم تكن هي السبب الوحيد. اتخذتُ قراري فعلياً بالرحيل عن أمريكا يوم مذبحة مقاطعة "ساناه" – أي بعد يومين من طردك لي طالبة مني عدم الاتصال بك مجدداً. في البداية شاهدت تلك اللقطات الجوية للمزرعة – والجثث متناثرة في كل مكان، وقد حط عليها الذباب – وكنت في بار "كومفورت"، والذي بدا لي أنسب مكان ألجأ إليه لألعق جراحي. كنت سكرانة، ولم أفهم في البداية ما تعرضه الـ"سي إن إن". شعرتُ بالغثيان بل تقيأت عندما قرأت شريط الأخبار: "انتحار جماعي في مقاطعة "ساناه". مصرع ثلاثة وثلاثين، من بينهم خمسة أطفال".

جمدت في مكاني لساعات، أشاهد المراسلين المحتشدين خارج بوابة ذلك المجمع، وينقلون إليّ العبارة نفسها ولكن بتنويعات مختلفة: "قام الأب "لين فورهيس"، الموجود خارج السجن بكفالة في انتظار محاكمته بتهمة التحريض على العنف، هو وأتباعه بانتحار جماعي مطلقين النيران على أنفسهم". هل شاهدتي المقابلة مع "ريبا"، الصديقة اللدودة

لـ"باميلا ماي دونالد"؟ تعلمين أننا لم نلتق وجهاً لوجه، وكنت أتخيلها من صوتها سيدة بدينة (وكم اندهشت حينما وجدت أنها نحيفة للغاية وشيباء الشعر). كانت مقابلتي معها مثل الكابوس - فهي تخرج دائماً عن الموضوع لتتحدث عن الفاشية الإسلامية وكذلك عن شؤونها الخاصة - ولكنني كنت متعاطفة معها آنذاك. ومثلها مثل بقية الأعضاء السابقين في دائرة الأب "لين"، فقد كانت ترى أن الأب "لين" وأتباعه ظنوا أن اتباع خطوات "جيم دونالد" سيجعل منهم شهداء. تقول: "أصلي لأجل أرواحهم في كل يوم". رأيت في عينيها أنها ستظل تفكر في مصرع هؤلاء طيلة ما تبقى لها من أيام في هذه الدنيا.

لست سعيدة بهذا الاعتراف، ولكني لو نحيت تعاطفي مع "ريبا" جانباً سوف أقول بأني لم آخذ وقتاً طويلاً قبل أن أقلق على سلامتي الشخصية بسبب عواقب مذبحة مقاطعة "ساناه". كنت أعلم أن هذا الانتحار الجماعي لأتباع باميلا سيؤدي إلى موجة أخرى من طلبات تُرسل إليّ حتى أعلق على ما حدث ورسائل تتوسل إليّ أن أوصل أصحابها بـ"كندرا فورهيس". لن ينتهي أي شيء. وأعتقد أن القشة التي قصمت ظهري هو ذلك الخطاب الذي وَجَّهه "رينارد" إلى الأمة؛ لقد رسم على وجهه الفوتوجينيك كل تقوى الدنيا وهو يقول: "الانتحار خطيئة، ولكن يجب علينا أن نصلي

لأولئك الذين سقطوا. دعونا نعتبرهم بمثابة علامة ترشدنا إلى ضرورة أن نعمل معاً، ونحزن معاً، ونسعى معاً إلى تأسيس أمريكا الأخلاق".

لم يعد هناك أي شيء يبقيني في الولايات المتحدة بعد الآن. سأتركها ليشبع بها "رينارد"، "لند"، معاتيه نهاية الزمن، والأوباش أصحاب الشركات الذين يقدمون لهم كل الدعم. هل تلومينني، "سام"؟ تحطمت علاقتنا، وصار جميع أصدقائنا غاضبون مني (إما بسبب نشر الكتاب أو بسبب إشفاقي على نفسي مما أتعرض له) كما أن مسيرتي انتهت. فكرت في عطلات الصيف التي قضيتها مع أبي في لندن. فرأيت أن إنجلترا مكان مناسب.

ولكن عليكِ أن تصدقيني، "سام" – فلقد أقنعت نفسي أن حلم "رينارد" بتأسيس أمة يحكمها الدين والشريعة الإنجيلية هو مجرد: حلم. بالتأكيد، كنت أعرف أن حملة أمريكا الأخلاقية التي قادها "رينارد" و"لند" كان من شأنها أن توحد الفصائل الأصولية المختلفة، ولكن أقسم لكِ أنني استهنت بقدرة تلك الحركة على الانتشار (أعتقد أن من أسباب تلك السرعة هو زلزال مقاطعة "جانسو" – والذي أضحى هو الآخر علامة من علامات غضب الرب). ولو كنت أعرف أن خطة التخويف التي نفذها "رينارد" ستصيب

الولايات الأرجوانية وكذلك الولايات الحمراء، لما كنت قد غادرت من دونك.

كفاية اعتذارات.

إذن.

أبدلتُ غرفتي في فندق "إيست سايد" بشقة في "نوتينج هيل". ذكَّرني هذا الحي بـ"بروكلين هايتس": مزيج من الموظفين المتأنقين ذوي الشعر اللامع، والأغنياء محبي موسيقى الجاز، والمتشردين الذين يجولون حول صناديق المهملات. ولكن لم تكن لدي أي فكرة عما سأقوم به في لندن. بالطبع لن أكتب جزءاً ثانياً من كتابي. ما زلت لا أستطيع أن أصدق أنني نفس المرأة التي كانت متحمسة لكتابة "قصص لم تُحكى من الخميس الأسود". مقابلات مع عائلات الضحايا (زوجة الكابتن "سيتو"، و"كيلفن" من المجموعة 277، مثلاً)؛ ولمحات عن حياة لاجئي مالاوي الذين ما زالوا يبحثون عن أقاربهم المفقودين في "خايليتشا". وفصل عن موجة جديدة من منتحلي شخصية "كينيث" الذين ظهروا بعد كارثة "مانديلا إنكاتا".

كنت أتجول هائماً على وجهي طوال الأسابيع القليلة الأولى، وأعيش على طعام صحي من "ستولي" والمطعم التايلاندي. ولا أتحدث إلى أي أحد عدا كاشيير المطعم

الولايات الأرجوانية وكذلك الولايات الحمراء، لما كنت قد غادرت من دونك.

كفاية اعتذارات.

إذن.

أبدلتُ غرفتي في فندق "إيست سايد" بشقة في "نوتينج هيل". ذكّرني هذا الحي بـ"بروكلين هايتس": مزيج من الموظفين المتأنقين ذوي الشعر اللامع، والأغنياء محبي موسيقى الجاز، والمتشردين الذين يجولون حول صناديق المهملات. ولكن لم تكن لدي أي فكرة عما سأقوم به في لندن. بالطبع لن أكتب جزءاً ثانياً من كتابي. ما زلت لا أستطيع أن أصدق أنني نفس المرأة التي كانت متحمسة لكتابة "قصص لم تُحكى من الخميس الأسود". مقابلات مع عائلات الضحايا (زوجة الكابتن "سيتو"، و"كيلفن" من المجموعة 277، مثلاً)؛ ولمحات عن حياة لاجئي مالاوي الذين ما زالوا يبحثون عن أقاربهم المفقودين في "خايليتشا". وفصل عن موجة جديدة من منتحلي شخصية "كينيث" الذين ظهروا بعد كارثة "مانديلا إنكاثا".

كنت أتجول هائماً على وجهي طوال الأسابيع القليلة الأولى، وأعيش على طعام صحي من "ستولي" والمطعم التايلاندي. ولا أتحدث إلى أي أحد عدا كاشيير المطعم

وعامل ديلفري المطعم التايلاندي. أحاول جهدي أن أتقمص روح الهيكيكوموري مثل "رو". وكلما خرجت كنت أتعمد أن أغيِّر من لكنتي. لا يزال البريطانيون غير مصدقين فوز "رينارد" بالرئاسة بالرغم من فضيحة "كينيث أودواه" – وآخر شيء أرغب فيه أن أجد نفسي في خضم نقاش سياسي حول "فشل الديمقراطية". وأعتقد أنهم يرون أننا تعلمنا الدرس من بعد رئاسة "بليك". وأعتقد أننا جميعاً تعلمنا ذلك الدرس.

حاولتُ تجنب الأخبار، ولكن عيني وقعت على مقطع فيديو وصلني عبر خدمة "مايند سبارك" للاحتجاجات المناهضة للقانون الإنجيلي في "أوستن". يا ربي، كم أخافني. اعتقلوا العشرات. غاز مسيل للدموع. شرطة مكافحة الشغب. وعرفت من متابعتي لحسابك على تويتر (لست فخورة بفعلي هذا، أوكيه؟) أنكِ ستذهبي إلى تكساس مع جماعة "أخوات ضد الرجعية" للانضمام إلى "اتحاد العقلانيين"، فلم أنم ليومين. وفي النهاية اتصلت بـ"كايلا" – كنت أريد أن أطمئن عليكِ. هل أخبرتكِ بذلك؟

على كلٍّ، سأكتفي بهذا القدر من حكاياتي في لندن وأنتقل إلى ما تسمينه "الخلاصة".

بعد بضعة أسابيع من أعمال الشغب في أوستن، كنت في

طريقي إلى سينسبري عندما لفت نظري ذلك المانشيت في الديلي ميل: "استعداد لإحياء ذكرى منزل الموت". ووفقاً للقصة الصحفية، فإن هناك موظف في مجلس البلدية يضغط للحصول على منزل "ستيفن" و"شيلي كرادوك" ـ المكان الذي طعن فيه "بول" "جيس" حتى الموت – حتى يحوِّله إلى مكان تذكاري آخر ليوم الخميس الأسود. وكنت قد تجنبت زيارة ذلك المنزل عندما طرت إلى المملكة المتحدة للقاء الناشرين البريطانيين ولقاء "مارلين أدامز". لم أكن أريد أن تترسخ صورته في عقلي. ولكن في اليوم التالي لنشر ذلك الخبر، وجدت نفسي واقفة في جو قارس البرودة على رصيف المحطة في انتظار قدوم قطار متأخر متجه إلى "تشايلهرست". قلت لنفسي إنها فرصتي الأخيرة لرؤية المنزل قبل أن يعمل الصندوق الوطني على تجديده. ولكن لم يكن هذا هو السبب الوحيد. أتذكرين عندما قالت "ميل موران" إنها لم تستطع أن تمنع نفسها من الصعود إلى الطابق العلوي حيث غرفة نوم "بول"، رغم أنها تعلم أنها خطوة غير محمودة العواقب؟ هكذا كان شعوري أيضاً – وكأنني مُسَيَّرة ولست مُخَيَّرة. (باولو كويلو، صح؟ ولكن هذه هي الحقيقة).

وصلتُ إلى شارع ممتلئ بفيللات أشبه بقصور مصغرة. الفيللا نوافذها طويلة عالية؛ جدرانها مشوهة بكتابات بلون أحمر بدرجة الدم ("حذار.. الشيطان يعيش هنا"). كان

العشب قد غزا الممشى وهناك لافتة "للبيع" مستندة بشكل تعس إلى الجراج. أما أشد ما أخافني فهو منظر كومة من الدمى والعرائس التي تكدست متعفنة خارج الباب الأمامي. ميَّزت من بينها عدداً من عرائس ليتل بوني، بعضها لا يزال في علبته - كانت متناثرة عند العتبات.

كنت أفكر في تسلق بوابة الحديقة الموصدة لأتفقد الفناء، عندما سمعتُ صيحةً دهشة.

التفتُ فوجدتُ سيدة بدينة ذات شعر أشيب تتجه نحوي، وهي تسحب خلفها كلباً ضئيلاً عجوزاً.

- إنتِ تتعدين على ملكية خاصة أيتها الفتاة! ملكية خاصة.

عرفتها على الفور من الصور التي شاهدتها لجنازة "جيس". لم تتغير.

- مسز "إلينجتون برن"؟

ترددت لحظةً قبل أن تشد قامتها في وقفة شبه عسكرية معتدة بنفسها. ورغم هذا كان الحزن بادٍ عليها. وكأنها جنرال أحالوه إلى التقاعد مبكراً.

- ومن يريد أن يعرفني؟ صحفية أخرى؟ ألا تتعبون؟

- لست صحفية. على الأقل لم أعد كذلك.

- أمريكية.

- أجل.

اقتربتُ منها ورقد الكلب الصغير عند قدمي. داعبت أذنيه فتطلع نحوي بعينين مريضتين. كان فيه شبه من الكلبة "سنوكي" (في المظهر والرائحة) مما جعلني أتذكر "كندرا فورهيس" (كانت قد أخبرتني في آخر مرة كلمتني فيها بعد المذبحة أنها غَيَّرت اسمها وأنها تنوي الانتقال إلى "كولورادو" لتعيش في منتجع صغير مخصص للنباتيين).

ضاقت عينا السيدة وهي تنظر إليّ:

- مهلاً.. أنا أعرفك.

لعنتُ الصورة العملاقة التي وضعها مسؤولو التسويق في الغلاف الخلفي لكتابي.

- لا أظن ذلك.

- بل أعرفِك. أنتِ من كتب ذلك الكتاب. الكتاب المشؤوم. ما الذي تريدينه من هنا؟

- كنت أود فقط أن ألقي نظرة على المنزل؟

- تلك الشهوة، هاه؟ حسي على دمك.

وجدت نفسي أسألها:

- هل لا زلتي تزورين "بول"؟

- وهل هذا عيب؟ وما دخلك أنتِ؟ ارحلي.. قبل أن أتصل بالشرطة.

لو كان هذا الموقف قبل عام لكنت قد انتظرت حتى تعود إلى منزلها ومن ثم أقوم باستكشاف المكان، ولكنني الآن كنت راغبة في الرحيل.

وبعد أسبوع رن جرس التليفون، وكان هذا حدثاً في حد ذاته - فلم يكن أحد يعرف رقمي الجديد إلا "ماديلين"، التي ستصير قريبًا مديرة أعمالي السابقة، ومن يهاجمونني. وتفاجأت تماماً حينما وجدت الشخص الذي على الطرف الثاني من الخط يقدم نفسه لي باسم "بول كرادوك" (اكتشفت فيما بعد أن ناشرة "ماديلين" أُعجبت بلكنته البريطانية فأعطته رقمي). أخبرني أن جارة منزله عَرّفته بأنني في لندن، وكذلك أخبرني ببساطة ولكن بنبرة ذات مغزى أن أحد إخصائييه النفسيين قد شَجَّعه على قراءة كتابي، حتى يساعده ذلك "في التأقلم مع ما اقترفه". وقد بدا لي يا "سام" أن هذا الرجل - ولا تنسي أنه هو من طعن ابنة أخيه حتى الموت - عاقل تماماً: فقد كان صوته متماسكاً بل وينم عن ذكاء. قام بتعريفي بمستجدات أخبار

"ميل" و"جيف موران" (واللذان انتقلا إلى البرتغال ليعيشا على مقربة من مقبرة "دانييلا") و"ماندي سولومون"، الكاتبة التي كانت بصدد كتابة مذكراته، والتي التحقت بجماعة من أتباع نظرية نهاية الزمن في "كوتسوولدز".

طلب مني التقدم بطلب لزيارته، "حتى نتمكن من الدردشة".

وافقت على زيارته. بالطبع فعلت. ربما أكون في خضم حالة من الشفقة على الذات والاكتئاب، وربما أكون قد انتقلت إلى لندن للابتعاد عن تداعيات الكتاب اللعين، ولكن كيف يمكن لي أن أفوّت هذه الفرصة؟ هل أنا بحاجة لأن أشرح لكِ سبب انتهازي لتلك الفرصة، "سام"؟ نحن عِشرَة عُمر.

في تلك الليلة استمعت إلى تسجيلاته الصوتية مرة أخرى (أعترف أني أصبت بالفزع – حتى أنني تركت ضوء غرفة النوم). أعدت سماع صوت "جيس" وهي تقول له: "أهلاً، عمو بول"، مراراً وتكراراً، في محاولة لتبين أي شيء خلاف ذلك المرح في نبرة صوتها. لكني لم أجد شيئاً.

وفقاً لصور جوجل، فإن "كينت هاوس" – مصحة الأمراض النفسية العصبية التي تخضع لحراسة أمنية مشددة وحيث يُسجن "بول" – بناء مشيد من الأحجار الضخمة على الطراز العتيق. فكرت أن على أحد أن يوقف انتشار هذه الصورة

النمطية لتلك السرايا الصفراء (حسناً، أعرف أن هذا ليس هو الاسم المهذب لتلك الأمكنة)، تلك الصورة التي لم تتغير منذ أن رسمها ديكنز في رواياته.

كان عليّ التوقيع على تعهد ينص على أنني لن أقوم بنشر تفاصيل لقائي مع "بول"، ووصلتني موافقة الشرطة والتصريح بالزيارة في آخر أيام أكتوبر - أي في الهالووين. وهو للمصادفة اليوم نفسه الذي نشر فيه موقع "ريد إيت" شائعة أن "رينارد" يخطط لإلغاء التعديل الأول في الدستور. كنت لا أزال أتجنب مشاهدة "سكاي" و"سي إن إن"، ولكنني عجزت عن تحاشي النظر إلى اللافتات الإعلانية للصحف. أتذكر أنني استغربت من هذه السرعة. ولكن حتى في ذلك الحين لم أكن على استعداد لأن أصدق أن "رينارد" سينجح في نيل موافقة الكونجرس وأغلبية الثلثين التي يحتاجها. افترضت أننا مضطرين فقط إلى تحمل فترته الرئاسية، ومن ثم نقوم بتصويب المسار في الانتخابات التالية. كم كنت غبية. وبحلول ذلك الوقت كانت الكنيسة الكاثوليكية وطائفة المورمون قد أعلنا عن تأييدهما لحملة أمريكا الأخلاقية - إن المصير المحتوم كان ظاهراً حتى للأحمق.

فَضَّلت استئجار تاكسي على أن أجرب حظي مع القطار، فهذا أقرب إلى لعب الروليت الروسي في الحقيقة، وهكذا

وصلت في موعد لقائي مع "بول". كان "كينت هاوس" مهيباً في الحقيقة مثلما شاهدته في صور جوجل. كما زاد المكان رهبة ذلك المبنى الصغير من الطوب والزجاج والذي ألحقوه بالجدار الخارجي للمبنى. وبعد التفتيش الدقيق من مسؤولي أمن كانا ودودين على العكس من أجواء المكان، قام أحد الممرضين بتوصيلي إلى ذلك المبنى الصغير، كانت بشرته رمادية مثل شعره. كنت أتخيل أنني سألتقي "بول" داخل زنزانة خاوية، ولأبوابها قضبان، بينما يراقبنا حارسان متجهمان وثلة من الأطباء النفسانيين. ولكنني وجدت نفسي بدلاً من ذلك أمر عبر باب زجاجي ومن ثم إلى قاعة كبيرة تهويتها جيدة ومؤثثة بكراسٍ براقة الألوان إلى حد الجنون. أخبرني الممرض أنه لن يكون هناك زوار آخرين في ذلك اليوم – من الواضح أنهم ألغوا خدمة الأتوبيسات إلى المصحة في تلك الظهيرة. وهذا غير معتاد. لقد كانت المملكة المتحدة من بين الدول التي تأثرت بسبب الركود الاقتصادي الذي نجم عن تورط "رينارد" في الشرق الأوسط. ولكن عليّ أن أقول بأن الشعب هنا لم يتذكر من اقتراح التقشف والترشيد فيما يتعلق بالكهرباء والطاقة؛ وربما كانت فكرة نهاية العالم هي السبب في طاعة البريطانيين لذلك القرار.

["سام"، لم أتمكن من تسجيل ذلك اللقاء، لأنني تركت "الآي فون" عند الأمن، وهكذا فما سوف أرويه هنا هو من الذاكرة.

أعلم أنكِ لا تهتمين بمثل هذه التفاصيل، ولكني أهتم].

انفتح الباب عند الجانب المقابل من القاعة وظهر رجل بدين لدرجة سقيمة يرتدي تي شيرت هائل الحجم ويحمل حقيبة تيسكو. ناداه الممرض:

- حسناً، "بول"؟ الزائرة هنا.

ظننت أن هناك خلطاً:

- أهذا "بول"؟ "بول كرادوك"؟

فقال لي "بول" بصوت أعرفه من التسجيلات:

- مرحبا، آنسة. "مارتينز". يسعدني لقاؤك.

كنت قد اطلعت على المشاهد التي ظهر فيها "بول" في المسلسلات قبل أن أغادر إليه، ولهذا أخذت أتأمل كل تلك الترهلات والانتفاخات بحثاً عن أي لمحة من تلك الوسامة الغابرة التي شاهدتها من قبل، ولكن بلا جدوى. وحدها العينان.

- ناديني "إلزبيث".

- "إلزبيث".

تصافحنا. كانت راحة يده متعرقة وقاومت رغبة في أن

أمسح راحة يدي في قماش بنطلوني.

ربت الممرض على كتف "بول" وأومأ ناحية بارتشن زجاجي على بعد ياردات من ترابيزتنا:

- سأكون هناك، "بول".

- براحتك، "دنكان".

أنّ كرسي "بول" حينما جلس الأخير عليه. تذكر شيئاً فسارع بإدخال يده في الحقيبة البلاستيكية ليخرجها بنسخة من كتابي ومعها قلم أحمر.

- قبل أن أنسى... هلا وقعتي لي؟

هكذا تحول الموقف يا "سام" من غرابة الأطوار إلى السريالية.

- أمم... بالتأكيد. ماذا تريد مني أن أكتب؟

- إلى "بول". لم أكن لأفعلها من دونك.

جفلت، فضحك.

- لا عليكِ. إكتبي ما تحبين.

كتبت "أطيب التمنيات...إلزبيث"، وقدمت له الكتاب من جديد. قال لي:

- أرجو ألا تؤاخذيني على هذا المظهر. لقد زاد وزني بشدة. فليس هناك أي نشاط هنا سوى الأكل. هل صدمتي من أنني تركت نفسي حتى وصلت لهذه الحالة المزرية؟

غمغمت بكلمات من قبيل أنها ليست نهاية العالم. كانت أعصابي متوترة. "بول" بالتأكيد لا يبدو مجنوناً أو يتصرف مثل مجنون - (لم أكن قد تخيلت تماماً ما سأجده عليه، ربما تخيلت أنني سألتقي مجنوناً يرتدي قميص المجانين المربوط من الخلف ويحدق لي بعيون جاحظة) – ولكنه إن جنّ فجأة، واندفع عبر الترابيزة وحاول أن يخنقني، فلن يكون هناك سوى ممرض وحيد لمنعه عن قتلي.

وكأن "بول" يقرأ عقلي:

- هل أنتِ متعجبة من قلة الحراسة؟ لقد قاموا بتخفيض عدد العاملين. ولكن لا تقلقي، فدنكان حاصل على الحزام الأسود في الكراتيه. أليس كذلك، "دنكان"؟

لوح "بول" للمريض الذي ابتسم وأومأ برأسه.

- ما الذي تفعلينه في لندن، إلزبيث؟ تقول وكيلتك إنكِ انتقلتي للعيش هنا. هل غادرتي أمريكا بسبب المناخ السياسي الفاسد؟

أخبرته أن ذلك أحد الأسباب.

- لا يمكنني أن ألومك. لو نفذ ذلك الأحمق القابع في البيت الأبيض ما يريده سرعان ما ستجدين نفسك وسط أجواء سِفر اللاويين(6). حيث يُرجم الشواذ والأطفال قليلي الأدب حتى الموت، وحيث يُنبذ المرضى والحائضات. جميل. حتى أنني ممتن لوجودي هنا.

- لماذا كنت تريد أن تلقاني، "بول"؟

- كما أخبرتك عبر التليفون، فقد عرفت أنك في إنجلترا. وقلت لنفسي سيكون من الجيد أن نلتقي وجهاً لوجه. وقد رأى الدكتور "أتكينسون" أن من المفيد أن ألتقي أحداً كَتَبَ عني من قبل".

تجشأ وهو يخفي فمه بيده، قبل أن يستطرد:

- هو من أعطاني كتابك لأقرأه. وكان من الجيد أن أرى وجهاً جديداً في المكان. جارتي تأتيني مرة في الشهر، ويمكنها أن تأتي أكثر من مرة. ولكن هذا لا يعني أنني لا أتلقى طلبات زيارة.

رمق الممرض الجالس في البارتيشن، ثم أكمل:

- أحياناً يصلني خمسين طلب في الأسبوع – أغلبها طبعاً من أصحاب نظريات المؤامرة، وكذلك يصلني عدد لا بأس

به من طلبات الزواج. ليس بالقدر الذي يصل إلى "يورجن"، ولكن الفارق بسيط بيننا.

- "يورجن"؟

- أوه! لابد أنكِ قد سمعتي عن "يورجن وليامز". إنه هنا أيضاً. لقد قتل خمسة تلاميذ، ولكنكِ إن التقيته لما صدقتي هذا أبداً. إنه ممل للغاية في الواقع.

لم أكن أعرف بماذا أرد عليه.

- "الزبيث"، عندما قمتي بإدراج قصتي في كتابك... هل استمعتي إلى التسجيلات الأصلية، أم أنكِ قرأتي التفريغ النصي فحسب؟

- كلاهما.

- ثم؟

- خفت.

- الذهان ليس بالأمر الهين. لابد أن لديكِ أسئلة كثيرة. يمكنكِ أن تسألي ما شئتي.

وانتهزتها فرصة:

- أرجو إن تنبهني إذا ما كنت قد تجاوزت حدودي... ولكن

ما الذي حدث في الأيام الأخيرة قبل موت "جيس"؟ هل قالت لك أي شيء جعلك... جعلك...

- أطعنها؟ لا بأس في أن تقوليها. تلك هي الحقيقة. ولكن لا. هي لم تفعل. فما اقترفته لا يُغتفر. لقد كانت في رعايتي وقتلتها.

- لقد ذكرت في التسجيلات أنها... كانت توبخك بسخرية مهينة.

قال في سخط:

- إنها إيهامات البارانويا. خيالات في رأسي. فلم يكن هناك أي شيء غريب في "جيس". أنا المريض. هذا ما أوضحه وأثبته لي الدكتور "أتكينسون".

رمق الممرض ثانيةً.

- كنت أعاني من انهيار نفسي، سببه الخمر وفرط التوتر. لا بأس من أن تذكري هذا في كتابك المقبل. هلا طلبت منكِ معروفاً، "إلزبيث"؟

- بالطبع.

نقب في الحقيبة البلاستيكية ثانيةً، وأخرج هذه المرة كراسة صغيرة. ناولها لي:

- لقد كنت أكتب. ليس كثيراً... بعض الشعر. هلا قرأتيه وعرفتني رأيك؟ ربما أثار اهتمام ناشرك.

رأيت ألا أخبره بأني قطعت علاقتي بالناشر، على الرغم من تقديري أنهم سيقبلون وبشدة نشر شِعر كتبه هذا القاتل المشهور. أخبرته أن هذا أمر يسعدني ثم صافحته مجدداً.

- تأكدي من أن تقرأيه كله.

- سأفعل.

راقبته وهو يبتعد، ورافقني الممرض رمادي البشرة مجدداً إلى بوابة الأمن. انشغلت بمطالعة تلك الكراسة وأنا في التاكسي. كانت الصفحات الأولى ممتلئة بأبيات قصيرة غريبة، ذات عناوين من قبيل: "أحلام كافنديش" (أقرأ سطراً / للمرة العشرين / يجعلني أقول / كلنا ممثلون)، و"سجن الجسد" (آكل لأنسى / ولكن روحي تتصبب عرقاً... فهل سأقولها / أقول لا؟).

كانت بقية الصفحات بيضاء، ولكنني وجدت هذه الكلمات مكتوبة على الغلاف الداخلي للكراسة:

أرادت "جيس" مني أن أفعلها. أو بالأحرى أجبرتني على أن أفعلها. قبل أن ترحل قالت لي إنهم كانوا من قبل وأحياناً تقرر ألا تموت. وقالت إنهم أحياناً يمنحون الناس

ما يريدون، وأحياناً لا يفعلون. اسألوا الآخرين.. إنهم يعرفون.

"سام"، ما الذي يمكنكِ أن تفعليه بمثل هذا الكلام؟ من عشرتي معك أعرف أنكِ كنتِ ستبادرين بالاتصال بدكتور "بول" النفساني، وتُعَرِّفينه بأن "بول" لا يزال يمر بمرحلة انهيار نفسي.

ستكون هذه هي الخطوة المثلى.

ولكني اختلف عنكِ.

لقد ظننت بعد صدور كتابي أنني الإنسانة الوحيدة في العالم التي لا تعتقد أن هناك شيئاً ما خارقاً للطبيعة (إن صح التعبير) في الثلاثة. وكم من مرات عديدة - لم أعد أعرف عددها- تلقيت فيها طلبات من أناس ألفوا كتباً ونشروها بأنفسهم حتى أعلق فيها على آرائهم التي تقول ببساطة إن الثلاثة لا يزالون على قيد الحياة ويعيشون مع سيدة ماوري في نيوزيلاندا، أو أنهم خاضعون لاختبارات في قاعدة عسكرية سرية في كيب تاون، أو التحقوا بفضائيين في قاعدة دولسي العسكرية الجوية في نيو مكسيكو (لدي الدليل، آنسة "مارتينز"!!! وإلا فلماذا لا يزال العالم يعاني من هذا الجحيم!!!). وكذلك هناك العدد الكبير من مواقع نظريات المؤامرة على الإنترنت والتي تستعين بمقتطفات من كتابي

"لإثبات" نظرياتها وأن الفضائيين استحوذوا على الثلاثة أو أنهم ثلاثة مسافرين عبر الزمن انتقلوا من بُعد إلى بُعد آخر. (أذكر هنا بعضاً من تلك المقتطفات التي يستعينون بها).

بوبي: في يوم من الأيام هخلي [الديناصورات] ترجع للحياة من تاني.

جيس: وبعدين مفيش حاجة بتحصل زي كده. من دولاب يعني يا عبيط.. وكأنه عمو "بول".

جيس: دي كانت غلطة. ساعات بنفهم غلط.

تشيوكو: (بطل) بيقول إنه فاكر لما رفعوه بالحبل للهليوكوبتر. قال إنه كان مبسوط. "كأني طاير". وقال إنه نفسه يجرب الحركة دي تاني.

بل إنني وجدت أن هناك عدة مواقع مخصصة فقط لمناقشة آثار شغف "جيس" بحكايات "نارنيا، الأسد والساحرة وخزانة الملابس".

ولكن علينا أن نعترف بأن هناك تفسيراً منطقياً لكل ذلك: فلقد نجا الأطفال من الحوادث لأنهم محظوظين؛ أما سرد "بول كرادوك" للأحداث الخاصة بسلوك "جيس" فليس سوى هراء مجنون؛ وحالة "روبن سمول" ليست سوى مرحلة تجاوز للمرض؛ و"هيرو" كان ببساطة يُقَلِّد هوس والده

بالأندرويد والروبوت. فيمكن أن تكون جميع التغييرات في سلوك الأطفال نتيجة الصدمة التي عانوا منها. ودعينا لا ننسى أن هناك ساعات من التسجيلات رأيت عدم إدراجها في الكتاب – ومنها شكوى "بول كرادوك" المطولة حول أنه لا يجد من يمارس معه الجنس؛ وتفاصيل الحياة اليومية لليليان سمول – وهي مواد لا تحتوي على أي جديد أو أحداث حقيقية. ولقد كان ذلك الشخص الذي دوَّن تعليقه السابق في الأمازون محقاً عندما اتهمني بالتلاعب والبحث عن الإثارة.

ولكن... ولكن... قالت لي إنهم كانوا من قبل وأحياناً تقرر ألا تموت. وقالت إنهم أحياناً يمنحون الناس ما يريدون، وأحياناً لا يفعلون.

كنت أمام عدد من الخيارات. إما أن أزور "بول" مجدداً، وأسأله عن سبب إعطائي هذه المعلومات؛ وإما أن أتجاهل الأمر واعتبره تخاريف مجنون؛ أو أن أتخلى عن عقلي وأبحث عن تفسير لمعنى هذا الكلام. وقد جربت الخيار الأول، ولكنهم أخبروني أن "بول" غير مهتم بلقائي من جديد (طبعاً، لأنه كان يخشى من أن أعرف طبيبه بأنه منحني هذه الكراسة). وكان الخيار الثاني مغرياً، ولكنني أعرف أن "بول" أعطاني الكراسة لسبب ما: إسألي الآخرين، فهم يعلمون.

وأعتقد أنني قلت لنفسي إن مزيداً من البحث لن يضر - ثم أن لا شيء لدي لأقوم به خلف تمضية الوقت في حذف الرسائل المسيئة التي تصلني والتسكع في أنحاء "نوتينج هيل" بعد تناول كؤوس من الفودكا؟

وهكذا تخليت عن عقلي وقررت أن أكون محامية الشيطان. لنفرض أن "بول" ينقل كلاماً أخبرته به "جيس" قبيل مقتلها، فما معنى هذا الكلام؟ سيكون لدى "المعاتيه" مليارات النظريات فيما يتعلق بكلامها "إنهم كانوا هنا من قبل وأنها أحياناً ما تقرر ألا تموت"، ولكنني لست على استعداد للاتصال بأي منهم. فلقد منح الثلاثة الناس - أو على الأقل مجانين نظرية نهاية الزمن - ما يريدون: أي دليل واضح على أن نهاية العالم قريبة. وأعطت "جيس" لبول ما ظن أنها الشهرة التي يتوق إليها؛ ومنح "هيرو" لتشيوكو سبباً تعيش من أجله، و"بوبي"... "بوبي" أعاد إلى "ليليان" زوجها من جديد.

عندئذ أيقنت أن عليّ أن أحنث بقسم قطعته على نفسي.

"سام"... أعلم أنكِ تفقدين عقلكِ حينما أخفي أمراً عنكِ (مثل المسودة الأولى من كتابي مثلاً)، ولكنني كنت قد تعهدت إلى "ليليان سمول" بأنني لن أكشف عن حقيقة أنها نجت من حادث السيارة الذي قتل "روبن" و"بوبي". لقد

كانت هي وحدها التي تعاطفت مع قصتها من بين جميع من حاورتهم أثناء وضع الكتاب – وكم تأثرت لثقتها فيّ لدرجة أنها اتصلت بي وقت أن كانت في المستشفى. وقد عرضت "الإف بي آي" أن تنقلها إلى مكان آمن، وعندئذ اتفقت معها على ألا نتواصل من بعد الآن – فهي ليست بحاجة إلى من يذكرها بتلك الأيام الأليمة.

وكنت أشك في موافقة "الإف بي آي" على أن تمنحني رقم تليفونها، لذلك قررت أن أجرب حظي مع "بتسي"؛ جارتها.

ردت على مكالمتي:

- آلو؟

- إنني أسأل عن السيدة "كاتز"؟

- لم تعد تعيش هنا (لم أتمكن من تمييز لكنتها، وإن كانت أقرب إلى شرق أوروبا).

- هل لديكِ عنوان لها؟ الأمر مهم.

- مهلاً.

سمعتها تضع السماعة وتبتعد، قبل أن تعود إليّ مجدداً:

- عندي رقم تليفون.

بحثت عبر جوجل عن كود التليفون – "تورنتو"، كندا. لم أتخيل أن تكون "بتسي" في كندا.

["سام"... ما يلي هو التفريغ النصي للمكالمة، أجل أعرف، فلماذا كنت سأقوم بتسجيلها وتفريغها إلا إذا كنت أنوي استخدام النص في كتاب أو تحقيق صحفي؟ أرجو أن تثقي بي – أقسم لكِ أنني لا أنوي نشر أي كتاب باسم "إلزبيث مارتينز" عن الثلاثة مجدداً.. في المستقبل القريب:]

أنا: آلو... "بتسي"؟ "بتسي كاتز"؟

بتسي: من المتحدث؟

أنا: "إلزبيث مارتينز". أنا من حاورتك لأجل كتابي.

[فترة طويلة من الصمت]

بتسي: آه! الكاتبة! "إلزبيث"! كيف حالك؟

أنا: بخير. وأنتِ؟

بتسي: ومن يسمعني إن اشتكيت؟ ما رأيك فيما جرى في "نيويورك"؟ تلك الفوضى والاضطرابات التي تنقلها الأخبار ونقص الوقود. هل أنتِ في أمان؟ دافئة؟ لديك ما يكفي من الطعام؟

أنا: أنا بخير، أشكرك. كنت أتساءل... هل تعرفين كيف أصل

إلى "ليليان"؟

[فترة طويلة من الصمت]

بتسي: ألا تعرفين؟ طبعاً من أين لكِ أن تعرفي ذلك؟ يؤسفني أن أخبرك أن "ليليان" قد توفيت. منذ شهر. توفيت أثناء نومها... هنيئاً لها. لم تعاني.

أنا: [بعد ثوان من السكوت حاولت خلالها تمالك أعصابي، "سام"] أنا آسفة.

بتسي: كانت سيدة طيبة، أتعرفين أنها قد دعتني لكي أقيم معها؟ وقت موجة انقطاع الكهرباء الأولى في "نيويورك". وجدتها تتصل بي وتقول "بتسي، لا يمكن أن تعيشي هناك وحدك، تعالي إلى كندا". كندا! أنا! كنت أفتقدها، بصدق. وهنا جالية طيبة، وحاخام لطيف يرعاني. وأخبرتني "ليلي" أنها ممتنة للطريقة التي تحدثت بها عنها في الكتاب – فقد بدت أذكى من الحقيقة كما قالت. ولكن هذا الذي قالته "منى" – إنه السم! وكان من الصعب على "ليلي" أن تقرأ هذا الكلام. وما رأيكِ فيما يحدث في إسرائيل؟ وذلك المجنون الذي يقطن في البيت الأبيض، ما الذي يظن أنه يفعله؟ هل يريد أن ينقض علينا جميع المسلمين؟

أنا: "بتسي"... هل أخبرتكِ "ليليان" بأي شيء قبل أن

تتوفى... إمممم... خصوصاً عن "بوبي"؟

بتسي: عن "بوبي"؟ وما الذي ستقوله؟ أخبرتني فقط أن حياتها كانت مأساة. سلبتها الحياة كل من تحب. وأن الرب لم يكن رحيماً بها.

أغلقت الخط. بكيت لساعتين متواصلتين. ولأول مرة... لم تكن دموع أشفق بها على نفسي.

ولكن لنفرض أن تتحدث مع "ليليان"، فما الذي كان يمكنها أن تقوله لي؟ أن "بوبي" الذي عاد إليها بعد الحادث ليس هو "بوبي" الذي تعرف أنه حفيدها؟ لقد كنت خلال مقابلتي معها أجد المعنى الحقيقي للحب في نبرة صوتها كلما تحدثت عنه.

---

(6) أحد أسفار الإنجيل (المترجم).

اسألوا الآخرين.. فهم يعلمون

من هم الآخرون؟ أعرف أنني لا أستطيع الاتصال بـ"منى" أعز صديقات "لوري سمول" (بعد الضجة التي واكبت الكتاب أنكرت أنها قد تحدثت إليّ من الأصل)، ولكن هناك شخص آخر التقى "بوبي" ولم يتعرض للانتقاد أو الأذى.

إنه "أيس كيلسو".

"سام"، يمكنني أن أتخيل وجهك الآن وأنتِ تقرأين هذا: مزيج من السخط والغضب. لقد كنتِ على حق عندما قلتِ لي إن عليّ أن آخذ في الاعتبار سمعته أولاً. لقد كنتِ على حق عندما اتهمتيني بأنني لم أبذل الجهد الكافي للعمل على حذف اعترافه بأنه رأى الدم في عيون "بوبي سمول" الصغيرة من طبعات الكتاب اللاحقة (وقد كان هذا مسماراً آخر في نعش علاقتنا). معكِ حق، فقد كان عليّ أن أدمر التسجيل بما يدحض ادعاء "أيس" أنه قد أخبرني بذلك بعيداً عن التسجيل الرسمي. فلماذا بحق الجحيم لم أستمع إليكِ؟

لقد كانت آخر مرة رأيته فيها في قاعة الاجتماعات القميئة في مكاتب محاميي الناشرين، عندما أخبروه أن لا حق قانوني له في دعوته. رأيت وجهه مكرمشاً، وقد احمرت

عيناه، وبدا أنه لم يحلق ذقنه منذ أيام. بنطلونه الجينز رث ومهترئ عند ركبتيه. وتفوح رائحة العرق الكريهة من سترته الجلدية. فقد كان "أيس" الذي التقيته لأجل الكتاب وشاهدته على شاشة التليفزيون وسيماً، أزرق العينين، قريب الشبه من "كابتن أمريكا" (كما وصفه "بول كرادوك" ذات مرة).

لم أكن أدري إن كان "أيس" سيوافق على التحدث معي أم لا، ولكن ما الذي لدي لأخسره؟ اتصلت به عبر سكايب، وأنا أتوقع ألا يرد. وعندما رد، جاء صوته مشوشاً، وكأنه قد استيقظ حالاً.

أيس: ألو.

أنا: أيس... مرحبا. أنا "إلزبيث مارتينز". امممم... كيف حالك؟

[صمت لبضعة ثوان]

أيس: لا زلت في إجازة مرضية ممتدة. هذا ألطف من أن أترك نفسي لنظرات الشك الدائمة. تباً لكِ "إلزبيث"، ما الذي تريدينه مني؟

أنا: ظننت أنه ينبغي عليك أن تعرف... التقيت "بول كرادوك".

أيس: ثم؟

أنا: عندما التقيته، كان مُصراً على أن قتله لجيس كان نتيجة مشاكله النفسية. ولكنه قبل أن يتركني أعطاني كراسة. اسمع، قد يبدو هذا جنوناً، ولكنه كتب فيها - من بين أشياء أخرى - أن "جيس" أخبرته أنها "كانت هنا من قبل" و"في بعض الأحيان تقرر ألا تموت".

[فترة صمت أخرى]

أيس: ولماذا تخبريني أنا بهذا؟

أنا: أنا... لا أعرف. اعتقدت أن... ما قلته لبوبي... كما قلت لك، فمن الجنون أن أفكر بهذا الشكل، ولكن "بول" يقول، "اسألوا الآخرين"، وأنا...

أيس: أتعرفين "إلزبيث"؟ أعرف أنكِ قد تعرضتي لكثير من النقد بسبب الكتاب، ولكن وعلى حد علمي فإنكِ تعرضتي لهذا الهجوم للأسباب الخطأ. إنك أنتِ من نشر كل هذه الأمور المثيرة عن تغير شخصية الطفل، أي أنكِ ألقيتي القنبلة ومشيتي. ولم تقدمي أكثر من هذا، مفترضةً أن لكل شيء تفسيراً منطقياً وظننتي بسذاجة أن كل من سيقرأ الكتاب سينظر إلى الأمور بنفس نظرتك.

أنا: أنا لم أقصد أن...

أيس: أنا أعرف مقاصدك. وأنتِ الآن تعودين لتبحثي في مسألة ما إذا كان هناك شيء غامض في هؤلاء الأطفال أم لا، صح؟

أنا: إنني أبحث فحسب.

أيس: [يتنهد] سأقول لكِ شيئاً. سوف أرسل لك برسالة إلكترونية.

أنا: ماذا؟

أيس: اقرأيها أولاً، ومن ثم نتحدث.

[وصلتني الرسالة على الفور، وضغطت على ملف مرفق اسمه: SA678ORG]

للوهلة الأولى ظننت أنها نسخة طبق الأصل من التفريغ النصي للتسجيل الصوتي لقمرة القيادة في الطائرة "صن أير"، والذي أوردته في كتابي. وقد كانت مثلها تماماً، إلا الجزء المتعلق بالثواني التي سبقت تعرض الطائرة للمشكلة الفنية.

الكابتن: [بصوت غير واضح تماما] أترى هذا؟

المساعد الأول: هاي! برق؟

الكابتن: كلا. لم أر من قبل وميضاً مثل هذا. ولا يوجد أي شيء على شاشة TCAS((7))، اسأل برج المراقبة عما إذا كانت هناك طائرة أخرى على مقربة منا...

أنا: ما هذا بحق السماء؟

أيس: لابد أن تتفهمي أننا لم نرغب في صب مزيد من البنزين على نار الفزع المشتعلة بالفعل. كان من اللازم أن نعطي للناس سبباً منطقياً للحادث يمكنهم تصديقه. كان من اللازم أن تعود رحلات الطيران إلى طبيعتها.

أنا: تقول إن المجلس الوطني لسلامة النقل زوَّر في نص التسجيل؟ تقول لي إنكم كنتم مصدقين لنظرية أن للفضائيين علاقة بالحادث؟

أيس: ما أقوله لكِ هو أننا نواجه حقائق لا يسعنا تفسيرها. ولو نحينا موضوع "صن أير" جانباً، فإن الحادث الوحيد الذي كان له سبب محدد واضح هو حادث طائرة "دالو أير".

أنا: ما الذي تقوله؟ وماذا عن حادثة طائرة "مايدين أير"؟

أيس: قيل إن السبب هو الطيور واصطدامها بالمحركات، ولكننا لم نجد أثراً لريش أو بقايا طيور. ومن المؤكد أن هذا السبب منطقي، لولا أن المحركات لم تكن محترقة. فكيف

بحق الجحيم يمكن أن يتعطل محركان بسبب الطيور – من دون أن نجد أثراً لذلك؟ وانظري إلى حادثة طائرة "جوا! جوا!". كنا متحيرين جداً، ولكن كان من الغريب وغير المعتاد أن يقحم الطيار طائرته في خضم عاصفة بهذا الحجم في عصرنا هذا. أجيبيني أنتِ: كيف وبأي منطق نجا هؤلاء الأطفال الثلاثة؟

أنا: انظر إلى "زينب فرح"، البنت الصغيرة التي نجت من حادثة الطائرة في إثيوبيا. هؤلاء الثلاثة مثلها، محظوظين و...

أيس: هراء. وأنتِ تعرفين هذا.

أنا: هذا التفريغ... لماذا أرسلته إليّ؟ هل تود مني أن أنشره حقاً؟

أيس: [ضحكة ساخرة] وما هو أسوأ شيء يمكن أن يحدث؟ أن يمنحني "رينارد" وساماً – فهذا دليل آخر على أن الثلاثة لم يكونوا أطفالاً عاديين. افعلي ما شئتي به. فالمجلس والمنظمة سينكران مزاعمك بالتأكيد.

أنا: إذن أنت تعتقد وبكل جدية أن هناك سراً... لا أعرفه أنا... في هؤلاء الثلاثة؟ أنت محقق وعالم في ذات الوقت.

أيس: كل ما أعرفه هو ما رأيته عندما زرت "بوبي".

هلاوس، "إلزبيث". وذلك المصور الصحفي، الذي انتهت حياته فريسة لزواحفه، هو بدوره شاهد شيئاً.

[تنهيدة أخرى]

اسمعي، كنتِ تقومين بعملك. وما كان لي أن ألاحقك بسبب نشرك لما أخبرتك به عن الصبي. ربما أكون قد قلته بعيداً عن التسجيل الرسمي، وربما لا. ولكنها الحقيقة. الحقيقة هي أن من العمى ألا نرى أن هؤلاء الأطفال لم يكونوا طبيعيين.

أنا: ما الذي تنصحني به الآن إذن؟

أيس: إنتِ حرة، "إلزبيث". ولكني أنصحك أن تتصرفي بسرعة، أياً كانت طبيعة هذا التصرف. مجانين نهاية الزمن عازمون وبقوة على تحقيق النبوءة. كيف للمرء أن يناقش رئيساً مقتنعاً بأن نهاية العالم قريبة وأن السبيل الوحيد لإنقاذ البشر من مصير الهلاك هو تحويل أمريكا إلى دولة دينية؟ هذا محال.

وجدت صعوبة بالطبع في أن أصدق أن يقوم المجلس بتزوير التسجيل – حتى ولو كان يخاف على الناس ومن أن يسود بينهم الفزع. فهل يكون هذا هو انتقام "أيس" من أزمة العيون الدامية التي أنهت حياته المهنية؟ لو أنني نشرت شيئاً مثل هذا على العلن، فسيجد "اتحاد العقلانيين" سبباً

آخر للمطالبة بإعدامي.

ولكنكِ لاحظت الطريق الذي صرت أسير فيه، صح؟ فلدي كراسة "بول"، وملف "أيس" (شبه المزيف)، وتأكيداته على أنه شاهد بالفعل عيون الصبي يملأها الدم.

ربما كان كل هذا محض هراء. ولكن لا يزال هناك طفل...

باقٍ على قيد الحياة.

قضيت الأيام القليلة التالية أبحث في قصة "تشيوكو" و"هيرو". وقادتني معظم الروابط إلى موضوعات جديدة عن قصة الحب المأساوية التي جمعت بين "رو" و"تشيوكو"، ومن بينها مقال نُشر مؤخراً عن موجة من حالات الانتحار التي تقلد انتحارهما، ولكن ما أدهشني هو قلة الموضوعات عن "هيرو". اتصلت بإريك كوشان، الرجل الذي ترجم لي النصوص اليابانية في كتابي، لآخذ منه أي طرف خيط جديد، ولكني اكتشفت أنه غادر اليابان بعد بضعة أشهر من إلغاء معاهدة التعاون المشترك بين أمريكا واليابان ، وكان كل ما أوصاني به هو أن أبحث في ما نُشر عن جماعة هيرو.

ظننت أنها قد تحولت إلى جماعة قريبة من جماعات مثل المونيز الدينية أو جماعة أوم شرينريكيو، ولكنها بدلاً من أن تتحول إلى جماعة وطنية متعصبة، صارت أقرب إلى

موضة غريبة الأطوار. وبعد أن انتصر زوجها في الانتخابات، لم تعد "أيكاو أوري" مهتمة كثيراً بنظرياتها عن الفضائيين والروبوت، وصارت تركز جهودها على التحالف الآسيوي الثلاثي. أما حركة "رو" فقد صارت حركة سرية.

هل تذكرين "دانيال ميمورا"؟ إنه أحد صحفيي طوكيو هيرالد والذي سمح لي باستغلال مقالين له ونشرهما في الكتاب. وكان من بين القلائل (ومعه "لولا" عشيقة الأب "لين"، ومخرج الأفلام الوثائقية "مالكولم أدلشتاين") الذين أرسلوا لي برسائل تشجيع بعد الأزمة. بدا لي سعيداً لسماع صوتي، وتحدثنا لبعض الوقت حول تعامل اليابانيين مع احتمالات الإعلان عن تحالف يجمع اليابان بكوريا والصين.

وأنقل هنا نص بقية المحادثة:

أنا: تعتقد أن "تشيوكو" و"رو" انتحرا بالفعل في "أوكيجاهارا"؟

دانيال: أعتقد أن "رو" انتحر بالتأكيد، فقد تم تشريح جثته، وهو أمر غير معتاد في طوكيو ولا يتم تلقائياً لأي جثة مشكوك في سبب مصرعها. ولكنهم لم يعثروا على جثة "تشيوكو"، وبالتالي لا أعرف؟

أنا: تعتقد أنها قد تكون حية؟

دانيال: ممكن. سمعتي الشائعات عن "هيرو"؟ إنها تنتشر منذ فترة.

أنا: تقصد حكاية إن الثلاثة ما زالوا على قيد الحياة؟

دانيال: أجل. تريدين مني أن أحكي لك التفاصيل؟

أنا: أكيد.

دانيال: هذا سخف وجنون... يقولون إن البداية كانت مع قيام الشرطة بإغلاق مسرح الجريمة بسرعة كبيرة. وكذلك طُلب من رجال الإسعاف والطب الشرعي بألا يتحدثوا للصحافة. وكذلك الحال مع رجال الشرطة، عدا البيان الرسمي.

أنا: أوكيه... ولكن ما الداعي إلى ادعاء مقتله؟

دانيال: ربما كان هذا من تخطيط "الوطنيين الجدد". أقصد، ما هي أفضل وسيلة لإثارة الرأي العام ضد أمريكا؟ لنتخيل أنهم خططوا لكل هذا، وأعدوا الأمر بكل دقة، وقتلوا أبا الصبي وأمه وذلك الجندي الأمريكي، وصوروا الأمر على أن "هيرو" لقي مصرعه هو الآخر.

أنا: هذا غير منطقي. فلقد كان الجندي "جيك والاس" من أتباع باميلا - ولديه الدافع لقتل "هيرو". كيف تسنى لهم

إقناعه بالتورط في خطة مثل هذه؟

دانيال: ما على الرسول إلا البلاغ. أنا أحكي لك فقط ما يتم تداوله هنا. ولكني لا أعرف، ربما نما إلى علمهم ما يعتزم القيام به فقاموا باستغلاله. ربما كانوا يراقبون بريده الإلكتروني.

أنا: ولكن الشهود ذكروا أنهم شاهدوا "تشيوكو" وهي تحمل جثة "هيرو".

دانيال: أجل. هل سبق لكِ أن شاهدتِ الأندرويد الذي صنعه "كينجي ياناجيدا"؟ إنها رهيبة. ولن تعرفي الفرق بين الأصل البشري والنسخة الأندرويد إلا بعد كثير من الفحص والتدقيق.

أنا: مهلا... ألا يعني كلامك هذا أن "تشيوكو" كانت متواطئة معهم؟

دانيال: طبعاً.

أنا: لنفرض أن هذا ما حصل. فهل ارتضت "تشيوكو" أن يلقى أبويها مصرعهما قتلاً... ولماذا؟

دانيال: من يدري السبب؟ المال؟ حتى يتسنى لها ولهيرو الرحيل إلى دولة غير معلومة والعيش هناك بكل راحة؟

وهكذا تورط "رو" المسكين وراح ضحية لعواطفه.

أنا: ألديك فكرة عن عدد النظريات التي قرأتها وسمعتها عن هؤلاء الأطفال؟

دانيال: أكيد. ومثلما قلت لكِ... هراء وعبث.

أنا: هل تحريت في هذه الشائعة؟

دانيال: فعلت، ولم أصل لشيء ذي بال. تعلمين كيف تجري مثل تلك الأمور. ولو كان هناك من طرف خيط لكان قد سربه أحد بعد كل هذه المدة.

أنا: هل تَعرَّف "كينجي ياناجيدا" على جثة "هيرو"؟

دانيال: تقصدين أن... ؟

أنا: لو كان هناك من أحد يعرف الحقيقة، فإنه هو. هل يمكن أن يتحدث معي؟

دانيال: [يضحك] مستحيل. رأيي أن هذه الشائعة عبثية. فلقد قتل الصبي.

أنا: هل لا يزال "كينجي ياناجيدا" في أوساكا؟

دانيال: آخر مرة سمعت إنه ترك الجامعة بعد مضايقات جماعة هيرو - كانوا يريدون منه أن يعلن انتسابه إليهم.

يبدو أنه انتقل إلى طوكيو ليعيش تحت اسم مستعار.

أنا: هل يمكنك التوصل إلى مكانه، لأجلي؟

دانيال: ألديكِ فكرة عن عدد من حاولوا التحدث إلى "كينجي ياناجيدا" فلم يفلحوا؟

أنا: ولكن لدي شيء ليس مع غيري؟

دانيال: وما هو؟

لم أخبر "دانيال" عن تفريغ التسجيل الذي أرسله "أيس". وقد يكون هذا هو كارت موافقة "كينجي ياناجيدا" على التحدث معي... وقد لا يكون.

أعرف ما تفكرين فيه: فأنا لم أخبر "دانيال" لأن هذا سبق صحفي وأردت أن أستغله لصالحي - وربما أدرجه في كتاب جديد. ولكني أقسم لكِ مجدداً يا "سام" أنني صرفت نظر عن كل هذا.

بقيت أسابيع من دون أي جديد. كان العالم يحبس أنفاسه بعد أن حاولت جماعة من جماعات نهاية الزمان أن تحرق المسجد الأقصى في القدس في محاولة منها لإسراع إيقاع الخلاص. وكم كنت مجنونة لأقرر السفر إلى آسيا بينما نحن على مشارف اندلاع الحرب العالمية الثالثة.

كانت الأخبار الواردة من أمريكا محبطة تبعث على الاكتئاب. وربما أكون قد دفنت رأسي في الرمل، ولكن الأخبار تتحدث عن تزايد الهجمات على المثليين؛ وتضييق الخناق على مستوصفات الصحة الإنجابية؛ وتزايد مرات قطع شبكة الإنترنت؛ وقمع قيادات الاتحاد العقلاني ورابطة GLAAD بما يمس بقوانين أمن الولايات. وكانت هناك العديد من المظاهرات المناهضة لأمريكا في بريطانيا أيضاً. وبدأت بريطانيا في قطع علاقتها بنظام "رينارد"، وتشن منظمة "ميجرانت ووتش" التي تراقب حالة المهاجرين حملة لأجل تشجيع الأمريكان على الهجرة. ولا أرغب في أن تظني أنني لا أهتم بأمرك. فقد كنت منشغلة بكِ خلال موسم العطلات (لن أحكي لكِ عن شعوري وأنا أقضي عيد الشكر وحدي داخل الشقة الباردة أتناول وجبة جاهزة). وتذكرتك حينما انضم هؤلاء النجوم الإنجليز إلى زملائهم الأمريكان في حملة "انقذوا حقوقنا الدستورية" – موقف مثل هذا كان ليبرز الجانب الساخر الكامن في داخلك. وكل فيديوهات يوتيوب وأغاني الآي تيونز في هذا العالم تعجز عن قناعات الناس الذين يؤمنون بصدق أن السبيل إلى نجاتهم من نار الآخرة هو الخلاص من طبيعتهم كبشر.

ولكني عجزت عن تجاهل الفرصة التي بين يدي.

رغم أني لم أنس تنبيه "أيس" ألا أتورط في أمر كهذا، إلا أنني اتصلت بـ"دانيال" في أوائل ديسمبر وأخبرته أني أريد مساعدته في الوصول إلى طوكيو. ظن أني جننت، فالجريدة فسخت عقده معها (أخبرني أن هذا يحدث لجميع الغربيين في كل أنحاء اليابان..."هذه طريقتهم في التعبير عن عدم الترحيب بهم هنا"). ورغم أني أحمل جواز سفر بريطاني، إلا أن التعليمات الجديدة صارت تقضي بأن أحصل على تأشيرة دخول، مع وجود سبب مقنع للسفر إلى هناك ووجود مواطن ياباني على استعداد لأن يكفلني. أخبرني متردداً أنه سيطلب مساعدة من أحد أصدقائه.

اقتفيث أثر "باسكال دي لا كروا" – صديق "كينجي" القديم – وتوسلث إليه أن يطلب من "كينجي" لقائي. أخبرته الحقيقة – أن لدي معلومات تتعلق بحادث طائرة "صن أير" ولابد أن تصل إلى "كينجي". أخبرته أنني سوف أسافر إلى اليابان خصيصاً لألتقيه. وطبعاً كان "باسكال" متردداً، ولكنه وافق في النهاية على أن يراسل "كينجي" شريطة أن أتعهد له بألا أنشر أي شيء عن ذلك اللقاء في حال نجحت في الوصول إليه.

أعتقد أنني كنت أتفقد بريدي أكثر من خمسين مرة في اليوم، وأبحث - عبر مئات من رسائل التهديد والوعيد – عن

الرسالة المنشودة.

وصلتني الرسالة في اليوم نفسه الذي تسلمت فيه التأشيرة. كانت تحتوي على عنوان... فقط عنوان.

سأكون صريحة معك، "سام". قبل أن أسافر، ألقيتُ نظرة طويلة إلى نفسي. ما الذي أقدمت عليه بحق الجحيم؟ فلو أنني لم أواصل هذه المغامرة لصرت مجنونة مثل معاتيه نهاية الزمان ونظريات المؤامرة؟ ولنفرض أنني قابلت ذلك الشبح "كينجي ياناجيدا" وقادني إلى "هيرو". وأخبرني أنه على قيد الحياة ونجحت في التحدث إليه. وأخبرني أن الثلاثة ملبوسين بفرسان الخلاص ونهاية العالم، أو أنهم فضائيين، أو أنهم ثلاثة من الأربعة الكبار، فماذا بعد؟ هل يقع على عاتقي تعريف البشر بالحقيقة؟ ولو فعلت، أسيحدث هذا أي فارق؟ أمامي مثال هو فضيحة "كينيث أودواه". دليل قوي على تزوير نتائج "الدي إن أيه"، ورغم ذلك بقي الملايين على قناعة وإيمان بكل هراء الدكتور "لند" ومقولته الشهيرة: "كانت مشيئة الرب هي ألا نعثر أبداً على ذلك الفارس الرابع".

كانت الرحلة بالطائرة كابوس. تذكرتُ كل ما مر بـ"باميلا ماي دونالد" من قبل حتى أن تقلع الطائرة. وبقيت أتخيل ما شعرت به في الدقائق التي سبقت سقوط الطائرة. بل وجدت

نفسي أجهز في مخيلتي الرسالة التي سأتركها في حال وقع لي مكروه. (لن أضايقكِ بها). لم يساعدني أن أجد بعد مضي نصف الساعة على إقلاع الطائرة أن تسعين في المائة من الركاب (جميعهم من الغربيين، وأغلبهم بريطانيين ومن دول إسكندنافيا) كانوا سكرانين. كان الشاب الجالس جواري، خبير تكنولوجيا معلومات، في طريقه إلى طوكيو للمساعدة في تصفية فرع "آي بي إم" في "روبونجي"، وعرَّفني بكل ما ينتظرني عند الوصول إلى هناك.

- هم لا يظهرون العداوة على هذا النحو الصريح، ولكن من الأفضل لكِ أن تبقي في "حي الأجانب" – "روبونجي" و"روبونجي هيلز". وهو معقول، وفيه الكثير من النوادي والبارات.

شرب كأسه ونفث عبق البوربون قرب وجهي.

- ومن الذي يحب عشرة اليابانيين على أية حال؟ يمكنني أن أرافقك في جولاتك إن أحببتي ذلك.

ولكنني رفضت، ولحسن حظي سرعان ما غط في نوم عميق.

عندما حطت الطائرة في "ناريتا"، توجهنا إلى منطقة خاصة حيث تم تدقيق جوازات السفر والتأشيرات بكل

صرامة. ثم اقتادونا إلى أتوبيسات. في البداية لم ألحظ أي شيء ينم عن أن اليابان تعاني، مثل بقية العالم، من أزمة اقتصادية. ولكني لاحظت بعدما صرنا في قلب المدينة ما إن عبرنا الجسر أن لافتات الإعلانات واللافتات التعريفية الكبيرة وحتى برج طوكيو جميعها كانت شبه مضاءة كنوع من ترشيد الطاقة.

التقاني "دانيال" عند الفندق في اليوم التالي، وتفضل بأن دوَّن لي خطوة خطوة من عند الفندق وحتى الوصول إلى عنوان "كينجي" في حي "كندا". ولأنه في القسم القديم من المدينة وخارج المناطق المسموح فيها للأجانب، فقد اقترح عليّ أن أتنكر؛ فأغطي شعري وأرتدي نظارة وأغطي وجهي بكمامة مثل تلك التي يرتدونها خوفاً من تلوث الجو. بدت لي هذه مبالغة، ولكنه كان يؤكد لي خشيته من وقوعي في متاعب، وأن أفضل سبيل للابتعاد عنها هو عدم لفت الأنظار إليّ.

"سام"، إني متعبة، وينتظرني يوم طويل. لم يتبق لي سوى مشهد واحد. لم أجد الوقت الكافي لتفريغ حواري مع "كينجي ياناجيدا" - أنا شفته فقط أمس - لذلك ستجدينه في صفحتي على Proper Writing.

لولا الوصفة التي كتبها لي "دانيال" لتهت في غضون

ثوان. فلم تكن "كندا" هذه سوى متاهة من شوارع متقاطعة مزدحمة بالمطاعم الصغيرة والمكتبات المصغرة والمقاهي التي يخرج منها الدخان ويحتشد بداخلها الموظفون – وهي على النقيض من الطراز المعماري شبه الغربي في "روبونجي". وصلت إلى حارة ضيقة بها الكثير من الناس الذين يرتدون المعاطف الثقيلة، وقد اختفت وجوههم وراء كمامات مثل تلك التي أرتديها. توقفت عند باب يقع بين محل صغير يبيع السمك المجفف ومحل آخر يعرض لعدد من اللوحات التي تصور أيادي أطفال، وتفحصت اللافتة خارجه وقارنتها بالكتابة اليابانية التي دوَّنها "دانيال". وصل توتري إلى ذروته وأنا أضغط زر الإنتركم.

أتاني صوت خشن:

- من؟

- "كينجي ياناجيدا"؟

- أجل؟

- أنا "إلزيبيث مارتينز". من طرف "باسكال دي لا كروا".

ثوان، وانفتح الباب.

دخلت في ممر عفن، ولم يكن أمامي أي خيار سوى أن

أمضي حتى سلم قصير. وصل بي السلم إلى باب موارب ولا يُميِّزه أي شيء. دفعت الباب ثم ومررت إلى ما يبدو أنها ورشة عمل كبيرة تسودها الفوضى. هناك مجموعة صغيرة من الأشخاص في وسط الغرفة. أحسست أن عقلي "هنِّج" ("سام"... هذا هو أفضل وصف لما أحسست به في تلك اللحظات) ولكنني خمنت أن هؤلاء الأشخاص ليسوا سوى أندرويد.

أحصيت ستة منهم؛ ثلاثة نساء ورجلين و(يا ربي) طفل، مستّدة إلى استاندات، وأضواء مصابيح الهالوجين تتألق على بشرتهم الشمعية وعيونهم اللامعة. وكان هناك مزيد منهم يجلسون على مقاعد بلاستيكية ومقاعد وثيرة في ركن معتم – كان أحدها جالس واضعاً ساقاً فوق الأخرى في وضعية بشرية خالصة.

خرج لي "كينجي" من وراء مكتب مغطى بالأسلاك وشاشات الكمبيوتر ومعدات لحام. بدا لي – مقارنة بما كنت رأيته في الفيديوهات على يوتيوب - وكأنه تقدم في العمر عشر سنوات دفعة واحدة، وزاد وزنه عشرين كيلو على الأقل. تكرمش الجلد حول عينيه، وبرزت عظام وجنتيه للغاية.

بادرني من دون تحية:

- ما المعلومات التي أتيتِ بها إليّ؟

حكيت له عن اعتراف "أيس" وناولته نسخة من نص التسجيل. طالعها من دون أن تتغير تعبيرات وجهه، ثم طوى الورق ووضعه في جيبه.

- ولماذا جئتِ بهذا لي أنا؟

- ظننت أن لك الحق في معرفة الحقيقة. فقد كانت زوجتك وابنك على متن تلك الطائرة.

- أشكرك.

حدق في وجهي لثوان، فأحسست أنه يخترقني بنظراته.

أشحت بوجهي ناحية الأندرويد.

- ما الذي تقوم به هنا؟ هل كل هذه لأجل جماعة "هيرو"؟

أجابني في تجهم:

- كلا. إنني أصنع نسخاً لأجل بعض الأشخاص. أغلبهم من الكوريين. هي نسخ لأحبابهم الذين فقدوهم.

راحت عيناه إلى كومة من الأقنعة الشمعية موضوعة على سطح دكة خشبية. أقنعة موتى.

- مثل ذلك الذي صنعته لهيرو؟

جفل لسماع هذا السؤال (ومن يلومه؟ لقد كانت فظاظة مني أن أتفوه بهذا).

- مستر "ياناجيدا"... ابنك... "هيرو"... هل أنت من تعرَّف على جثة ابنك بعدما لقي مصرعه؟

توقعت أن يسبني ويطردني بعد كل هذه الوقاحة، ولكنه أجابني:

- أجل.

- معذرة على هذا السؤال... ولكن هناك شائعات تقول بأنه قد يكون... قد يكون...

- لقد مات ابني. ورأيت جثته. هل هذا ما كنتِ تريدين معرفته؟

- وماذا عن "تشيوكو"؟

- هل هذا هو سبب حضورك إلى هنا؟ لتسأليني عن "هيرو" و"تشيوكو"؟

- أجل. ولكن نص التسجيل حقيقي. أقسم لك على هذا.

- وفيم تهمكِ "تشيوكو"؟

قررت أن أخبره الحقيقة كلها. كنت أشعر أنه يستطيع أن

يستشف حقيقة أفكاري على كل حال.

- إنني أتعقب بعض الخيوط عن الأطفال الثلاثة. وقد قادتني إليك.

- لا يمكنني مساعدتك في هذا. أرجو منكِ أن ترحلي من هنا.

- "ياناجيدا" سان((8))، قطعتُ مسافة طويلة لكي...

- ولماذا لا تبتعدي عن هذا الأمر برمته؟

كنت أرى الأسى واضحاً في عينيه. ولقد ضغطت عليه أكثر من اللازم، حتى أنني خجلت من نفسي. استدرت على عقبي مغادرة، ولكني عندما فعلت لمحت روبوت أندرويد في زاوية مظلمة، يكادي يختفي تماماً وراء آخر كبير الحجم. كانت أنثى؛ جالسة وكأنها في خلوة خاصة بها، ذات ملامح مستكينة وترتدي كيمونو أبيض. كانت الوحيدة التي تتنفس.

- "ياناجيدا" سان... هل هذه نسخة زوجتك؟ "هيرومي"؟

أجابني بعد صمت طويل:

- أجل.

- كم هي جميلة.

- أجل.

- "ياناجيدا" سان، هل... هل تركتْ لك رسالة؟ كما فعل البعض من الركاب الآخرين؟

كان هذا السؤال مفاجئاً... فاجأني أنا شخصياً. كنت أريد أن أعرف أي شيء.

- "جوكي". إنها هناك.

ظننت لثانية أنه يقصد زوجته. ثم أدركت ما يقصده:

- هي؟ تقصد "تشيوكو"؟

- أيوه.

- الغابة؟ "أوكيجاهارا"؟

إيماءة قصيرة من رأسه.

- في أي بقعة من الغابة؟

- لا أدري.

قررت ألا أضغط على حظي أكثر من ذلك.

- أشكرك شكراً جزيلاً... "ياناجيدا" سان.

نادى عليّ وأنا أهبط الدرج أن أنتظر. استدرت لأنظر إليه.

كانت تعبيرات وجهه جامدة، مثل الأندرويد الواقف إلى جواره.

- أخبرتني "هيرومي" في رسالتها التي تركتها لي أن... أن "هيرو" قد رحل.

هذا هو ما قاله لي. ولست أدري سبب إفصاحه لي عن محتوى الرسالة. ربما كان هذا لامتنانه لي كوني أحضرت له نص التسجيل؛ ممكن. وربما ارتأى، مثله مثل "أيس"، أن لا جدوى الآن من الإبقاء على مثل هذا السر طي الكتمان.

وربما كان يكذب عليّ... هكذا ببساطة.

من الأفضل أن أرسل هذا الآن. الواي فاي هنا زبالة. حتى أن عليّ في كل مرة النزول إلى اللوبي لأرفعه على الصفحة. لابد أن الجو في الغابة سيكون شديد البرودة، فهي تثلج الآن.

"سام"... أعرف أن فرصة أن تقرأي هذا الكلام محدودة، ولكنني أود أن أُعرِّفك أنني قررت العودة إلى أمريكا بعد أن أنهي ما توصلت إليه هنا. سأعود إلى "نيويورك" – أنا أريد أن أكون موجودة وأشارك في الاستفتاء على الانفصال عن بقية الولايات، هذا ما لم يكن حاكم "نيويورك" يكذب هو الآخر بشأن اعتزامه إقامة الاستفتاء. سئمت الهرب. وأتمنى

أن ألقاكِ هناك. "سام".

أحبك،

إلي

---

(7) نظام تجنب الاصطدام الجوي. (المترجم)

(8) سان تعني «سيد» باليابانية، وهي تُكتب في لغتهم بعد الاسم وليس قبله كما في العربية. (المترجم)

كيف انتهت الحكاية

كانت نظارة "إلزبيث" الشمسية وكمامتها، التي صارت رطبة بعض الشيء الآن، تنكر كافٍ بالفعل. فلم ينتبه إليها أحد من المارة أو ركاب المواصلات، سواءً في الضواحي أو في المدينة. ولكنها عندما دخلت محطة "أوتسوكي" – التي بدا وكأن الزمن توقف بها عند خمسينيات القرن العشرين – وجدت شخصاً بزي رسمي يصيح فيها بكلام لم تفهمه. إنتابها الفزع للحظات، ولكنها سرعان ما أدركت أنه يسألها عن التذكرة فحسب. كم هي حمقاء. ناولته التذكرة فأشار إلى قطار عجوز عند الرصيف أمامها. انطلقت صفارة وهي تصعد إحدى عرباته، وشكرت ربها أن العربة كانت خالية. ألقت بجسدها إلى أحد المقاعد وحاولت أن تسترخي. انطلق القطار، ارتعد، اهتز، ارتجف، قبل أن يستكين إلى إيقاعه المعهود. أخذت تتأمل الحقول التي غطتها الثلوج عبر النافذة، ومنازل خشبية ذات أسقف مائلة، وسلسلة من التقسيمات الزراعية الصغيرة المتجمدة، والتي خلت إلا من محاصيل الكرنب التي أفسدها الجليد. يتسلل الهواء بارداً عبر فرجات في جانبي العربة؛ وبدأت طبقة خفيفة من الثلج تغطي النوافذ. عندئذ تذكرت أنه لا يزال أمامها أربع عشرة محطة قبل أن تصل إلى "كاواجوتشيكو"... نهاية المطاف.

تُرَكِّز حواسها على تلك الثرثرة الرتيبة لعجلات القطار. وهي تحاول طرد أية فكرة عميقة عن ذهنها تتعلق بما ينتظرها هناك. وفي المحطة الثالثة، صعد العربة رجل تكرمش وجهه كما ملابسه، وتوترت هي لما وجدته يترك جميع مقاعد العربة ليجلس في المقعد المقابل لها. تمنت ألا يحاول التحدث إليها. كان يهمهم وهو ينقب في حقيبة تسوق كبيرة، قبل أن يخرج علبة من لفات سوشي نوري العملاقة. دس واحدة في فمه، قبل أن يعرض عليها أن تشاركه الطعام. وجدت أن من الوقاحة أن ترفض، فتناولت واحدة وهي تشكره "أريجاتو". بدلاً من أن تكون تلك الأعشاب البحرية محشوة بالأرز وجدت أنها محشوة بنوع من الحلوى الخفيفة ذَكَّرتها بحلوى "سبليندا". تناولتها على راحتها حتى لا يعرض عليها واحدة أخرى (فقد وجدتها بالفعل مقرفة)، ثم أمالت رأسها كما لو أنها تريد أن تنام. ورغم أنها كانت تتظاهر بذلك؛ إلا أنها كانت منهكة بالفعل بعد ليلة بلا نوم.

عندما عادت تتطلع عبر النافذة اندهشت عندما وجدت سلسلة جبال عملاقة تملأ المشهد الذي تطل عليه النافذة، والتي صار الجليد يحاصر بأسنانه الحادة إفريزها. لابد أن القطار يمضي الآن عبر منتجعات جبل "فوجي" التي صارت خربة الآن؛ فقد حكى لها "دانيال" عن ذلك؛ وصارت تلك المنتجعات مثل ديناصور حبيس مكان نسيه العالم.

المحطة الأخيرة

حيَّاها الرجل بابتسامة هائلة، حتى أنها تشعر بالذنب لتظاهرها بالنوم، وغادر القطار. تمهلت، قبل أن تخرج هي بدورها وتتبع خطواته عبر القضبان وإلى المحطة المهجورة، والتي هي عبارة عن بناء من خشب الصنوبر المصقول أقرب إلى أن يكون منزل في منتجع تزلج شتوي في جبال الألب. أتاها صوت موسيقى من مكان ما، كان عالياً لدرجة أنها ظلت تسمعه حتى بعدما غادرت ساحة المحطة. كان كشك السائحين على يمينها أشبه بضريح، ولكنها وجدت سيارة أجرة وحيدة كانت متوقفة بالقرب من محطة للأتوبيسات، والدخان يتصاعد من فوهة العادم في مؤخرتها.

تبحث عن القصاصة الورقية التي أعطاها لها "دانيال" (على مضض) بعد أن كتب لها تفاصيل وجهتها، ولفتها على ورقة نقدية قيمتها 10 آلاف ين وهي تقترب من السيارة. ناولتها للسائق، الذي لم يبد أي انفعال وهو ينظر فيها. أومأ برأسه، ودس المال في سترته ونظر أمامه مباشرة. كانت رائحة التاكسي القديم مزيج من دخان السجائر واليأس معاً. كم عدد من نقلهم هذا الرجل إلى الغابة، وهو يعلم أنهم لن يعودوا؟ أدار السائق المحرك قبل حتى أن تتمكن من ربط حزام الأمان، وانطلق عبر القرية المهجورة.

معظم المحال مغلقة؛ وكذلك محطة الغاز. مرت على سيارة وحيدة؛ كانت حافلة مدرسة فارغة.

في غضون دقائق كانت السيارة تمر على بحيرة واسعة غطى سطحها الجليد، وتشبثت "إلزبيث" بمقبض الباب وهي ترى السائق ينطلق عبر منحنيات طريق ضيقة بدت كأفعى طويلة؛ وكأنه ينافسها رغبةً في الانتهاء من هذه الرحلة في أسرع وقت. تتأمل هيكلاً متداعٍ لمزار ديني كبير، وأمامه غابة تحوي شواهد قبور مهملة؛ ثم صف من الزوارق المتعفنة وعدد من أكواخ العطلات التي احترقت أطرافها في تناقض واضح مع الثلج خلفها. في الخلفية جبل فوجي حاضر وبقوة، وقد غطى الضباب قمته.

اجتازت السيارة البحيرة، واتجه بها السائق إلى طريق سريعة مهجورة قبل أن ينعطف بحدة ويخفض سرعتها عبر طريق ضيقة، يغطي سطحها الثلج والجليد. ها هي الغابة تكاد تحتويهما. أدركت أنها أمام "أوكيجاهارا" – فقد ميزت تلك الجذور المنتفخة التي تخرج من أرض الغابة البركانية. مرا على عدد من السيارات المهجورة التي كستها الثلوج على جانب الطريق. ولمحت في داخل واحدة منها جثة سائقها خلف عجلة القيادة.

أوقف السائق سيارته في موقف السيارات، إلى جوار بناء

متداعٍ منخفض يكاد يصرخ من فرط الإهمال والتجاهل. أشار لها إلى لافتة خشبية منتصبة عند أول الممر المفضي إلى داخل الغابة.

كان عدد من السيارات المهملة هناك أيضاً.

كيف ستتمكن من العودة إلى محطة القطار مجدداً؟ هناك محطة للأتوبيسات عند الجانب الآخر من هذه الطريق، ولكن من أين لها أن تعرف أنها تعمل وليست مهجورة هي الأخرى؟

كان السائق يربت على مقود السيارة بفروغ صبر.

لم يكن أمام "إلزبيث" من خيار سوى أن تتحدث إليه، رغم خطورة ذلك.

- امممم... هل تعرف أين يمكنني العثور على "تشيوكو كاماموتو"؟ فهي تعيش هنا.

هز رأسه وهو يشير نحو الغابة من جديد.

ماذا الآن؟ ما الذي كانت تتوقع أن تجده بحق الجحيم؟ أن تجد "تشيوكو" في انتظارها داخل سيارة ليموزين؟ كان ينبغي لها أن تسمع نصيحة "دانيال". هذا خطأ. ولكنها هنا الآن، فما فائدة أن تعود أدراجها إلى طوكيو من دون أن تكمل ما سعت إليه؟ تعرف أن هناك قرى أخرى في

هذه المنطقة. ولسوف تضطر إلى شق طريقها نحو إحداها على قدميها في حال لم تجد أي أتوبيس. شكرت السائق باليابانية، ولكنه لم يرد عليها. وما إن خرجت من السيارة حتى انطلق بها مسرعاً.

وقفت في مكانها عدة ثوان، حتى تعتاد على الصمت من حولها. كانت تحدق في فم الغابة المظلم أمامها. ألا ينبغي على الأرواح المتعطشة الكامنة في الغابة أن تغويها للمشي نحو الأشجار الآن؟ قالت لنفسها إنها تفترس الأرواح الضعيفة المدمرة، أليست هي كذلك الآن؟ أيعني هذا أنها ليست ضعيفة مدمرة النفس؟

عبث.

حاولت ألا تنظر ناحية السيارات المهجورة، ومضت عبر العديد من الأخاديد العميقة، واتجهت صوب التلال الصغيرة المغطاة بالثلوج، والتي تصطف في دائرة أمام المبنى. كانت قد قرأت أن هناك العديد من النصب التذكارية لضحايا تحطم الطائرة في المنطقة. مسحت بيدها بلورات الثلج عن سطح أحدها، لتكشف عن شاهد خشبي. ومن ورائه، لمحت شاهداً يتخذ شكل الصليب الغربي، كانت يتوارى وراء أحد الأخاديد. مسحت عنه الثلج، وبدأ الثلج الذائب يتسرب من خلال قفازها. قرأت المكتوب على الشاهد: "باميلا ماي

دونالد. لن ننسى". تتساءل عما إذا كان هناك شاهد تذكاري للكابتن "سيتو" هنا؛ تعرف أنه وبالرغم مما ظهر من أدلة إلا أن بعض عائلات الركاب لا تزال توجه إليه اللوم على ما حدث. ربما كانت هذه قصة أخرى تستحق البحث. "قصص لم تُحكى من الخميس الأسود". لقد كانت "سام" محقة: فهي لم تبرأ بعد من هوسها.

بغتةً، أتاها صوت من خلفها، فجفلت مذعورة. استدارت لتجد شخصاً ضئيل الحجم يرتدي سترة ثقيلة ذات لون أحمر ناصع يتجه نحوها آتياً من خلف المبنى. كان يتحدث إليها بما لا تفهمه.

لم يعد هناك جدوى من إخفاء وجهها. خلعت النظارة فهاجم النور المفاجئ عينيها.

تبين ملامحها الأجنبية، فتردد قبل أن يسألها:

- ما الذي تفعلينه هنا؟

إنجليزية بلكنة كاليفورنيا؟!

- أتيت للفرجة على الشواهد التذكارية.

كذبت... ولا تدري السبب.

- لماذا؟

- فضول.

- لم يعد الأجانب يأتون إلى هنا.

- بالتأكيد... لغتك الإنجليزية جيدة جداً.

ابتسم ابتسامة عريضة عصبية مفاجئة. بدت لها أسنانه؛ متناثرة غير منتظمة وكأنها منفصلة عن اللثة. أغلق فمه، قبل أن يقول:

- تعلمتها منذ سنين بعيدة. من الراديو.

- هل أنت الحارس؟

- لم أفهم.

أشارت ناحية المبنى المتداعي.

- هل تعيش هنا؟ مسؤول عن المكان؟

- آه! أجل، أنا أعيش هنا.

تساءلت عما إذا كان هو "يوميجوري مياجيما"، مراقب حالات الانتحار الذي أنقذ "هيرو" وعثر على أشلاء "رو". أيمكن أن يصل حسن الحظ إلى هذا الحد؟

- إنني أجوب الغابة لأجمع المتعلقات التي يتركها أصحابها. وبعدها يمكنني أن أبيعها.

ارتعدت "إلزبيث" بشدة من البرد القارس، ودمعت عيناها. حركت قدميها طلباً لبعض الدفء، من دون جدوى. أومأت ناحية السيارات.

- يأتيك الكثير من الناس؟

- أجل. أتريدين الدخول؟

- إلى الغابة؟

- الطريق طويلة إلى حيث سقطت الطائرة. ولكن بوسعي اصطحابك إلى هناك. معكِ نقود؟

- كم تريد؟

- خمسة آلاف.

أخرجت النقود له من الحقيبة. هل تريد فعلاً القيام بذلك؟ وجدت أنها بالفعل ترغب في ذلك. ولكنها لم تأتِ إلى هنا لهذا السبب. ينبغي لها أن تسأله وحسب عما إذا كان يعرف مكان "تشيوكو"، ولكن.. طالما أنها وصلت إلى هذا الحد، فما الذي يمنعها من الدخول إلى الغابة؟

استدار الرجل وخطا مسرعاً نحو الممر ولحقت به "إلزبيث" بخطوات متعثرة. كانت ساقاه مقوستين، ويبدو أكبر منها بثلاثة عقود على الأقل، ولكن من ينظر إليه يظنه شاباً في

العشرين.

فك سلسلة تعترض الممر بالعرض وأزاح لافتة خشبية كانت الكتابة عليها قد بهتت بشدة. الأشجار تسقط عليها رقاقات الثلج، التي تجد طريقها إلى عنقها حيث انزاحت الكوفية التي ترتديها بعض الشيء. تسمع صوت أنفاسها قوياً داخل أذنيها. يسير العجوز بخطوات متسارعة عبر الممر وإلى أعماق الغابة. فتتردد "إلزبيث". لا أحد يعلم أنها هنا سوى "دانيال" (ربما لم تقرأ "سام" الرسالة التي أرسلتها إليها هذا الصباح)، وهذا الأخير سيغادر اليابان خلال أيام. ولو وقعت في مشكلات ستكون كارثة. تفقدت تليفونها. لا توجد شبكة. طبيعي. تحاول الانتباه إلى كل ما يحيط بها، حتى تميز أشياء بما يساعدها عند العودة إلى موقف السيارات، ولكن ما هي إلا دقائق حتى ابتلعتها الأشجار. فاجأها أنها لم تشعر بأي وساوس أو هواجس كما كانت تتوقع. الحقيقة أنها لا تشعر سوى بإحساس جميل الآن. تحتها الأرض بتربتها البنية وفوقها مظلة من أشجار الغابة تسد السماء، وتجد سحراً كامناً في جذور الأشجار ذات العُقد. ذكر "صمويل هوكيماير" – جندي المارينز الذي وصل إلى مكان الحادث بعد وقوعه ببضعة أيام أنه لما رآها شعر بأنه في بقعة مسحورة خارج العالم.

عجزت وهي تتعثر في خطواتها خلف العجوز أمامها عن أن تنسى أن هنا كانت بداية كل ما جرى. سلسلة من الأحداث المتتالية بجنون، والتي لم تبدأ بسبب نجاة ثلاثة أطفال، ولكن بسبب رسالة بريئة ساذجة قررت امرأة من تكساس أن تسجلها وهي تحتضر.

توقف الرجل بغتةً، ثم حاد نحو اليمين. توقفت "إلزبيث" وهي لا تدري ما عليها أن تفعله. مشت إلى الأمام بحذر، وتسمرت في مكانها وهي ترى كياناً أزرق داكناً راقداً في الثلج. هناك شخص راقد في وضع جنيني عند أسفل شجرة. وفوقه بقايا حبل يتدلى من الأغصان، وقد تجمد طرف الحبل وكساه الجليد.

جثا الرجل إلى جواره، وبدأ يقلب في جيوب السترة الزرقاء الداكنة. لم يكن رأس الجثة ظاهراً، فلم تتبين ما إذا كان شاباً أو فتاة. كانت حقيبة الظهر إلى جواره نصف مفتوحة، ويظهر منها تليفون محمول وما يبدو أنها أجندة. اليدان متجمدتان زرقاوان، والأظافر بيضاء شاحبة. زاد شعورها بالغثيان والذي لم يفارقها منذ تناولت تلك الحلوى في القطار.

تحدق "إلزبيث" في الجسد بنظرات هي مزيج من الدهشة والانبهار، وقد عجز عقلها عن تفسير ما تراه. وبغتةً، غلبها

القيء فاستدارت تتقيأ، وهي تستند بيدها إلى جذع شجرة. أخذت تتنفس بقوة وهي تمسح عينيها.

قال لها الرجل بنبرة عادية:

- أترين؟ مات هذا الرجل منذ يومين، كما أرى. في الأسبوع الماضي عثرت على خمسة. وبينهم زوجان. كثيرون يفضلون الانتحار سوياً.

اكتشفت "إلزبيث" أن جسدها يرتجف.

- وما الذي تفعله بالجثة؟

- سيأتون لأخذها عندما يتحسن الطقس.

- وماذا عن عائلته؟ ربما كانت تبحث عنه.

- احتمال.

التقط التليفون المحمول قبل أن ينهض، ويعاود السير مجدداً.

لقد رأت "إلزبيث" كل ما كانت ترغب في رؤيته في هذا المكان. كيف وجدته جميلاً؟

- انتظر. إنني أبحث عن شخص. فتاة تعيش هنا. "تشيوكو كاماموتو".

توقف الرجل، من دون أن يلتفت إليها. فعاجلته:

- أتعرف المكان الذي تعيش فيه؟

- أجل.

- هلا أخذتني إلى هناك؟ سأدفع لك.

- كم؟

- كم نبعد عنها؟

هز كتفيه وهو يطلب منها أن تتبعه.

تراجعت خطوات حتى يمر، ثم تبعته نحو موقف السيارات.

لم تلق نظرة أخيرة على الجثة.

تسرع الخطى حتى تلحقه، فتتزحلق فوق رقعة جليدية، ولكنها تنجح في الاحتفاظ بتوازنها في اللحظة الأخيرة.

يفتح باباً مزدوجاً في جانب المبنى، ليختفي بالداخل وبعدها بثوان تسمع "إلزبيث" صوت هدير محرك يعافر حتى ينطلق.

خرجت السيارة وهي تتحرك مرتجفة.

طلب منها أن تركب. يبدو أنها أساءت إليه بطريقة لا تعلمها

– ربما لأنها لم ترغب في الذهاب إلى موقع الحادث، أو ربما بسبب أنها ذكرت اسم "تشيوكو"؟

سارعت بالركوب قبل أن يُغيِّر رأيه. خرج من موقف السيارات وانطلق عبر الطريق بسرعة تتجاهل ما عليه من ثلوج وجليد؛ تماماً مثل سائق التاكسي. كان يسير مُحاذياً الغابة، وحينما انعطفت السيارة تبينت أسقفاً غطتها الثلوج لمجموعة من المنازل الخشبية.

تباطأت سرعة السيارة، بينما كانا يمران على سلسلة من المساكن من طابق واحد. لمحت ماكينة بيع مشروبات وأطعمة خفيفة علاها الصدأ، وعجلة أطفال تكاد تكون مدفونة في الثلج بجانب الطريق، وكومة من الحطب كساها الجليد إلى جوار أحد المنازل. وحينما وصلا إلى أطراف القرية، عاد يسير محاذياً الغابة. كانت الطريق هنا غير ظاهرة أسفل طبقة كثيفة من الثلج لم تمر عليها لا سيارة، ولا إنسان، ولا حيوان.

- هل هناك أحد يعيش هنا؟

تجاهلها الرجل، وهو يخفض من سرعة السيارة قبل أن يوقفها تماماً على مسافة مائة ياردة من بناء صغير متهالك أغلبه من خشب الأبلاكاش، يقع في جيب غير ظاهر من جيوب الغابة. ولولا الشرفة والنوافذ لظننت أنه مخزن

مهجور.

- هذا هو المكان.

- "تشيوكو" تعيش هنا؟

زم العجوز شفتيه، وظل ينظر أمامه. خلعت "إلزبيث" قفازها لتتمكن من إخراج النقود من جيب سترتها. شكرته باليابانية وهي تناوله المال:

- لو احتجت إلى من يوصلني فهل يمكنك أن...

- ارحلي.

- هل أسأت إليك؟

- أنتِ لم تسيئي إليّ. أنا أكره هذا المكان.

ارتعد جسدها بشدة بعدما سمعت هذا الرد من رجل كان منذ قليل لا يتورع عن تقليب جيوب ميت. تناول منها المال وخرجت هي من السيارة. انتظرت حتى ابتعد مخلفاً وراءه سحابة عادم سوداء. قاومت رغبة في أن تصرخ. تناديه أن يتوقف ليأخذها معه. سرعان ما غابت السيارة عن ناظريها، وغاب معها صوت محركها المريض، وكأن القدر يلتهم كل صوت من حولها في نهم. شعرت أن هذا المكان أشد رهبة من الغابة نفسها. وراودها ذلك الشعور المخيف بأن هناك من

يراقبها من خلفها.

تصعد إلى الشرفة الخشبية أمام المنزل، ولاحظت أن هناك أعقاب سجائر متناثرة على الأرض. علامة الحياة. فقررت أن تقرع الباب. أنفاسها ثقيلة، وتشعر ولأول مرة منذ سنوات أنها تتوق إلى سيجارة. تقرع الباب مرة أخرى. قررت أنه إذا لم يجيبها أحد هذه المرة، فإنها ستبادر بالرحيل عن هذا المكان اللعين.

ولكن الباب انفتح بعد ثوان، وظهرت سيدة بدينة ترتدي رداء يوكاتا وردي. تحاول "إلزبيث" أن تتذكر ملامح "تشيوكو" التي رأتها في الصور. ولكنها لا تتذكر سوى فتاة مراهقة ذات نظرات قوية ويبدو على وجهها التصميم. تظن "إلزبيث" أنها نفس العينين.

- "تشيوكو"؟ "تشيوكو كوماموتو"؟

ابتسمت السيدة ابتسامة كبيرة وانحنت نصف انحناءة، وهي تقول:

- تفضلي رجاءً.

بدت إنجليزيتها سلسة، تحمل لكنة أمريكية، مثل لكنة ذلك العجوز.

تدلف "إلزبيث" إلى المدخل الضيق - وكان الجو بارداً بالداخل أيضاً - وتخلع حذاءها الثقيل، وترتجف عندما يلامس الخشب البارد قدميها عبر جواربها. وضعت الحذاء على الرف إلى جوار حذاء أحمر عالي الكعب وعدة أخفاف.

قادتها "تشيوكو" (إن كانت هي "تشيوكو") عبر باب إلى غرفة باردة أخرى، بدت أصغر كثيراً مما خُيل لها قبل أن تدخلها. يفصل ممر قصير بين منطقتين تخفيهما ستارتان؛ وفي الطرف البعيد لمحت "إلزبيث" ما تعتقد أنه مطبخ صغير.

مشت وراء "تشيوكو" عبر الستارة التي إلى يسارها ومن ثم إلى غرفة مربعة خافتة الضوء، وكانت الأرضية مغطاة بسجاد التاتامي وإن كان مهترئاً. في منتصف الغرفة ترابيزة قصيرة قديمة، وتتناثر على الأرضية بضع وسائد رمادية كالحة.

- اجلسي... سأحضر لك الشاي.

جلست "إلزبيث"، وسمعت وهي تنحني صوت ركبتيها، وكأنها بدورها تطلقان زفرة ارتياح. الجو هنا أدفأ بعض الشيء، وإن كانت تشم رائحة سمك. منضدة القهوة متسخة بالصلصة وآثار شعيرية نودلز جافة.

تسمع حواراً هامساً، تتبعه ضحكة. ضحكة طفل؟

عادت المرأة، وهي تحمل صينية فوقها براد الشاي وكوبين. وضعتها على الترابيزة، ثم جثت على ركبتيها برشاقة لا تتناسب ووزنها. صبت الشاي وناولت "إلزبيث"كوباً.

- أنتِ "تشيوكو"، أليس كذلك؟

- أجل.

- أنتِ و"رو"... ما الذي جرى؟ لقد عثروا على حذائيكما في الغابة.

- هل تعلمين لماذا ينبغي على المنتحر أن يخلع حذاءه قبل أن يموت؟

- كلا.

- حتى لا تترك قدماه آثار طين في العالم الآخر. ولهذا السبب هناك العديد من الأشباح التي لا أقدام لها.

تضحك.

ترتشف "إلزبيث" الشاي. تجده بارداً مراً. تجبر نفسها على رشفة أخرى، فتكاد تتقيأ.

- لماذا انتقلتي إلى هنا؟

يعجبني المكان هنا. يأتيني زوار. وبعضهم يزورني قبل - أن يتوجه إلى الغابة لينتحر. عشاق يعتقدون أنهم نبلاء وأن أحداً لن ينساهم. وكأن أحداً يهتم لوجودهم من الأساس! دائماً ما يسألونني إن كان ينبغي عليهم الانتحار. أتعلمين ماذا أقول لهم؟ أطلب منهم أن ينتحروا. وبعضهم يجلب لي الطعام أو الحطب أو أشياء من هذا القبيل. وكأنها قرابين تقدم لناسكة في ديرها! لقد ألفوا كتباً عني، وهناك أغانٍ تروي أنا بطلتها. هل ((9))"قصتي. بل لقد أصدوروا سلسلة "مانجا طالعتها؟

- لقد طالعتها.

ابتسمت:

- أوه، طبعاً. فقد ذكرتِ ذلك في كتابك.

- أنتِ تعرفين من أنا؟

- أجل.

فزعت "إلزبيث" من مكانها عندما انطلق صراخ حاد من خلف الستارة.

- ما هذا؟

تنهدت "تشيوكو".

- هذا "هيرو". فقد حان وقت إطعامه.

- ماذا؟

- هذا ابن "رو". رغم أنها كانت مرة واحدة. ولم تكن جيدة حتى. فلقد كانت أول مرة يمارس فيها الجنس.

انتظرت "إلزبيث" أن تنهض "تشيوكو" وتذهب للرضيع، ولكن كان من الواضح أنها لن تفعل.

- وهل كان "رو" يعلم أنه سيصبح أباً؟

- كلا.

- وهل كانت جثته تلك هي التي عثروا عليها في الغابة؟

- بلى. مسكين "رو". كان مجرد "أوتاكو" بلا هدف. وقد ساعدته في أن يحصل على ما يريد. أتريدين مني أن أحكي لكِ؟ هي حكاية مشوقة. يمكنكِ نشرها في كتاب.

- أجل.

- أخبرني أنه سيتبعني إلى أي مكان. وحينما قلت له إني أريد أن أموت، قال لي إنه سيتبعني حتى إلى العالم الآخر. كان قد انضم إلى منتدى لأصحاب الميول الانتحارية على الإنترنت، هل كنتِ تعرفين ذلك؟

- كلا.

- لا أحد يعرف. لقد عرفت منه ساعتها. لم يستطع الاحتمال. كان يريد من يشجعه وحسب.

- وأنتِ من شجعته؟

- لم يتطلب الأمر جهداً كبيراً.

- وأنتِ؟ هل أقدمتِ على الانتحار؟

ضحكت "تشيوكو" وشمرت عن ساعديها. لم تكن هناك ندبات على المعصمين أو الساعدين.

- لا. كلها حكايات. هل سبق أن راودكِ هذا الشعور؟ شعور الرغبة في الموت؟

- أجل.

- الكل راوده هذا الشعور. والخوف هو من يمنعهم في النهاية. الخوف من المجهول. مما قد نجده في العالم الآخر. ولكن لا يوجد سبب لهذا الخوف. ولكنها دورة مستمرة.

- ماذا تقصدين؟

- الحياة والموت. لقد أمضيت و"هيرو" الساعات في الحديث في هذا الموضوع.

- ابنك؟

ضحكت "تشيوكو" بسخرية.

- لا تكوني ساذجة. إنه مجرد رضيع. بل أقصد "هيرو" الآخر طبعاً.

- "هيرو ياناجيدا"؟

- أجل. أتودين التحدث إليه؟

- "هيرو" هنا؟ كيف يمكن أن يكون "هيرو" هنا؟ لقد قتله جندي المارينز. أطلق عليه النار.

نهضت "تشيوكو" في رشاقة وهي تقول:

- حقاً؟ تعالي. لابد أن لديكِ الكثير من الأسئلة التي تودين توجيهها إليه.

وقفت "إلزبيث"، وقد تعبت عضلات فخذيها من الجلوس إلى الأرض. تعاني من زغللة في عينيها، وتقلصات في معدتها، وخُيّل إليها للحظات أن "تشيوكو" قد تكون دست مخدراً في الشراب. فهذه المرأة غير متزنة بالتأكيد. وإذا كان ما تقوله عن "رو" والراغبين في الانتحار حقيقياً؛ فهذا يعني أنها خطيرة لا يؤتمن جانبها. وهي لم تنس بعد رد فعل العجوز عندما طلبت منه إحضارها إلى هنا. شعرت باللعاب

يملأ فمها، بينما تقرص ذراعها الأيسر، رافضةً أن تستسلم لهذا الوهن. ولكنها ستفقد الوعي. ستعجز عن الاستمرار في المقاومة من فرط الإجهاد.. كانت منهكة بالفعل.

مشت وراء "تشيوكو" إلى الغرفة وراء الستارة الخشبية هناك عبر الممر.

- تعالي.

فتحت الستارة بالقدر الذي يسمح بمرور "إلزبيث". كانت الغرفة مظلمة؛ وسمعت الستارة الخشبية تنغلق. ضاقت عينا "إلزبيث" وهي تحاول أن تعتاد على هذه العتمة، فميزت سرير طفل على الجانب الأيسر من الغرفة، وحقيبة ممتلئة بالوسائد أسفل النافذة. كانت رائحة السمك العفن هنا أقوى. ارتجفت، وهي تتذكر أوهام "بول كرادوك" عن أخيه الميت. رفعت "تشيوكو" رضيعاً من المهد، فاحتضنها الرضيع.

- ظننت أنكِ تقولين أن "هيرو" هنا؟

- هو بالفعل.

أسندت الطفل، وهي تفتح شيش واحدة من النوافذ ليدخل النور.

كانت "إلزبيث" مخطئة.. فلم تكن وسائد تلك التي في

الحقيبة، لم تكن وسائد على الإطلاق..

بل كيان مسجى إلى الحائط، ممدد الساقين.

- سأترككما وحدكما.

لم ترد "إلزبيث" عليها. حدقت في أندرويد "هيرو ياناجيدا" فوجدت عيناه ترمشان، ببطء شديد، ليس كالبشر. كانت هناك خدوش في مواضع من بشرته؛ وملابسه متهرئة.

باغتتها الصوت الطفولي الصادر من الروبوت:

- أهلاً... أهلاً.

- "هيرو"؟

شعرت ولأول مرة بمدى جنون الموقف. فها هي في اليابان. لأجل أن تتحدث إلى روبوت.. تتحدث إلى روبوت!!

- أنا.

- ممكن... ممكن أتكلم معاك؟

- إنتي بتتكلمي معايا.

تقترب "إلزبيث" منه. هناك قطرات بنية متجمدة على وجهه – دم متخثر؟

- إنت إيه؟

تثاءب الأندرويد في ضجر:

- أنا هو أنا.

راود "إلزبيث" نفس الشعور بالحيرة الذي أحست به وهي في ورشة "كينجي ياناجيدا". وأحست مرة أخرى بأن عقلها مشلول. لم تكن تعرف عن ماذا تسأله أولاً.

- إزاي إنت نجيت من حادثة الطيارة؟

- ساعات بنختار كده. وساعات بنطلع غلطانين.

- و"جيسيكا"؟ و"بوبي"؟ هم فين؟ ماتوا فعلاً؟

- هما زهقوا. عادي وبتحصل. كانوا عارفين اللي هيحصل في الآخر.

- وإيه هو اللي بيحصل في الآخر؟

رمشت عيناه من جديد من دون أن يتكلم.

- طيب.. هل فيه طفل رابع؟

- لأ.

- طيب وحادثة الطيارة الرابعة؟

مال رأس الأندرويد إلى الجانب قليلاً.

- كنا عارفين إن ده أنسب يوم نعمل فيه اللي احنا عايزينه.

- تعملوا فيه إيه؟

- نوصل فيه.

- وليه الأطفال؟

- إحنا مش دايماً بنكون أطفال.

- تقصد إيه؟

هز الشيء رأسه وتثاءب من جديد. شعرت "إلزبيث" أنه يسخر منها: ما تعرفيها بنفسك. ثم صدر عنه صوت أشبه بضحكة، وانفتح فكه متسعاً بصورة مبالغ فيها. هناك شيء ما مألوف في الطريقة التي يصيغ بها الكلام. و"إلزبيث" تعرف ذلك. كانت قد شاهدت صور الكاميرا التي تراقب حركات وجه "كينجي ياناجيدا". ولكنها لا تجد حولها أي كمبيوتر. و... ألا يحتاج هذا التشغيل إلى إشارة لاسلكية؟ لا يوجد هنا أي اتصال بالشبكة، أم أن هناك اتصال؟ تفقدت تليفونها مجدداً لتتأكد. ربما تتحكم "تشيوكو" في الأندرويد من غرفة أخرى، ممكن؟

- هل أنتِ من تقومين بها، "تشيوكو"؟

كان صدر الأندرويد يتحرك بحركة التنفس الطبيعية، ولكنه

توقف.

جرت "إلزبيث" إلى خارج الغرفة، وكادت تنزلق فوق حصير التاتامي. فتحت بقوة الباب المجاور للمطبخ الفارغ، لتجد حمّاماً صغيراً، وحوض استحمام ممتلئ بالماء وفيه ملابس رضيع متسخة. عادت أدراجها وفتحت الستارة الخشبية المفضية إلى الغرفة الأخرى الوحيدة. تطلع إليها صغير "تشيوكو" من مرقده على الأرض، حيث كان يلعب بدمية متسخة على شكل حيوان، وضحك في وجهها.

فتحت باب المنزل لتجد "تشيوكو" واقفة عند المدخل، ويتصاعد من عند فمها دخان سيجارة. هل تمكنت من الخروج بينما كانت "إلزبيث" تبحث في أرجاء المنزل عنها؟ هي ليست متأكدة. ارتدت حذاءها وخرجت إليها.

- هل كنتِ أنتِ، "تشيوكو"؟ تتحدثين إليّ عبر الأندرويد؟

أطفأت "تشيوكو" سيجارتها في الدرابزين؛ قبل أن تشعل واحدة جديدة.

- هل تظنين ذلك؟

- أجل.. كلا.. لا أعرف.

لم يساعد الهواء البارد في إيقاظ عقلها، كما أن "إلزبيث"

تاهت وسط كل هذه الألغاز.

- حسناً.. إذا لم تكوني أنتِ فما هي حقيقة هؤلاء؟ هؤلاء الثلاثة؟

- أنتِ عرفتي حقيقة "هيرو".

- لم أجد سوى روبوت أندرويد لعين.

- لكل شيء روح.

- أتعنين أنني كنت أتحدث إلى روحه؟

- تقريباً.

- تباً.. ألا يمكن أن تمنحيني إجابة صريحة مباشرة؟

ابتسمت لها ابتسامة زادت من سخطها:

- اسأليني سؤالاً مباشراً إذن.

- حسنا... هل قام "هيرو" – "هيرو" الحقيقي – بإخبارك عن سبب حضور الثلاثة، أيّاً كان هؤلاء الثلاثة، إلى عالمنا واستيلائهم على أجساد الأطفال؟

- وما حاجتهم إلى ذكر السبب؟ وما الداعي إلى أن نصطاد بينما لدينا ما يكفي من طعام؟ لماذا نقتل بعضنا البعض بسبب أمور تافهة؟ ما الذي يجعلك تظنين أنهم بحاجة إلى

حافز آخر سوى أنهم كانوا يريدون أن يتعرفوا على ما قد يحدث؟

- "هيرو" يُلَمِّح إلى أنهم كانوا هنا من قبل. وقد سمعت نفس هذا الكلام من عم "جيسيكا كرادوك".

- هناك نبوءات في كل الأديان عن نهاية العالم.

- وما علاقة هذا بما قلتِه الآن من أنهم كانوا هنا من قبل؟

تنهدت "تشيوكو" تنهيدة هي مزيج من السخرية وفروغ الصبر:

- تفكيرك لا يليق بكونكِ صحفية؛ فإنتِ لا تجيدين ربط الأمور ببعضها البعض. ماذا لو كانوا قد جاءوا إلى عالمنا من قبل لكي يضعوا البذرة؟

- مستحيل. هل تريدين القول بأنهم حضروا إلى عالمنا منذ آلاف السنين لكي يضعوا أساس كل هذا الذي نحن فيه
– لمجرد أن يعودوا فيأتون بعد كل هذه السنين ليتأكدوا من أن ما زرعوه هو الذي يؤدي الآن بالعالم إلى نهايته؟ هذا جنون.

- بالطبع هو جنون.

بلغ الإنهاك والتعب من "إلزبيث" مبلغه. إنها تشعر أنها

تتحول إلى مجرد خواء من فرط كل هذا الجنون من حولها.

- والآن؟

تثاءبت "تشيوكو" لتكشف عن فم فقد الكثير من أسنانه. مسحت فمها بكمها.

- قومي بدورك. إنتِ صحفية. وقد وصلتِ إلى المعلومات التي كنتِ تبحثين عنها. عودي إلى العالم وأخبريه عما رأيتِ. اكتبي.

- وهل تظنين أن هناك من سيصدقني لو أخبرته بأنني قد تكلمت مع أندرويد استولى على.. روح واحد من الثلاثة؟

- الناس تصدق ما تريد أن تصدقه؟

- وحتى لو صدقوني.. فإنهم سيعتقدون.. سيقولون إن..

- سيعتبرون أن "هيرو" إله.

- وهل هو كذلك؟

هزت كتفاها في لامبالاة.

- "شيكاتا جا ناي".. وهل هذا يهم في شيء؟

أطفأت سيجارتها في الدرابزين وعادت إلى المنزل.

ظلت "الزبيث" واقفة في مكانها بضع دقائق، ولم تجد

خياراً أمامها سوى أن تحكم إغلاق سترتها حول جسدها وتمضي في طريقها..

وكم كانت الطريق طويلة.

---

(9) نمط من القصص المصورة (كوميكس) تتميز بأسلوب فني خاص منتشرة في دول جنوب شرق آسيا. (المترجم)

كيف بدأت الحكاية

رقدت "باميلا ماي دونالد" على جانبها، تراقب الصبي وهو يتنقل بسرعة من مكان لمكان مع الآخرين في الأشجار.

- ساعدني.

هكذا نادته بصوت واهن.

تبحث عن تليفونها. إنه في مكان ما داخل شنطتها القماش، إنها متأكدة من ذلك. *هيا*.. *هيا*.. *هيا*. لامسته أصابعها، تكاد تمسك به.. هيا، يمكنكِ أن تخرجيه.. ولكنها تجد صعوبة في ذلك.. لم تعد أصابعها سليمة. تشعر بخدر فيها، فلا تطاوعها.. وكأنها انفصلت ميتةً عنها.

- "سنوكي".

نادت هامسة، أو ربما ظنت أن صوتها خرج عالياً. على كلٍّ، لقد كانت هي الكلمة الوحيدة التي خطرت ببالها قبل أن تموت.

يسرع الصبي نحوها، وهو يتفادى الحطام وجذور الأشجار. يحملق في جثة "باميلا ماي دونالد". لقد ماتت. ذهبت قبل أن تسجل الرسالة. شعر بخيبة أمل، ولكنه يدرك أن هذا حدث كثيراً من قبل، حتى أنه لم يعد يجد أي إثارة في هذه اللعبة

على أي حال. كلهم كانوا يشعرون بالملل. ولكن.. لا يهم. فاللعبة تنتهي دائماً نفس النهاية؛ حتى من دون أن يضطر إلى أن يُسَجِّل بنفسه هذه الرسالة.. هي نفس النهاية.

يجلس ويحيط ركبتيه بذراعيه، ويترك جسده يرتجف. يسمع على البعد الصوت المميز للهليوكوبتر وهي تقترب. كم يحب ذلك الجزء من اللعبة.. حينما يرفعونه عبر الهواء إلى قلب الهليوكوبتر. لحظتها يشعر بكل مرح الدنيا.. مهما حصل.

ولكنه قرر أن يلعب اللعبة في المرة المقبلة.. بشكل مختلف.

فهو من يعرف..

وهو من سيلعب.